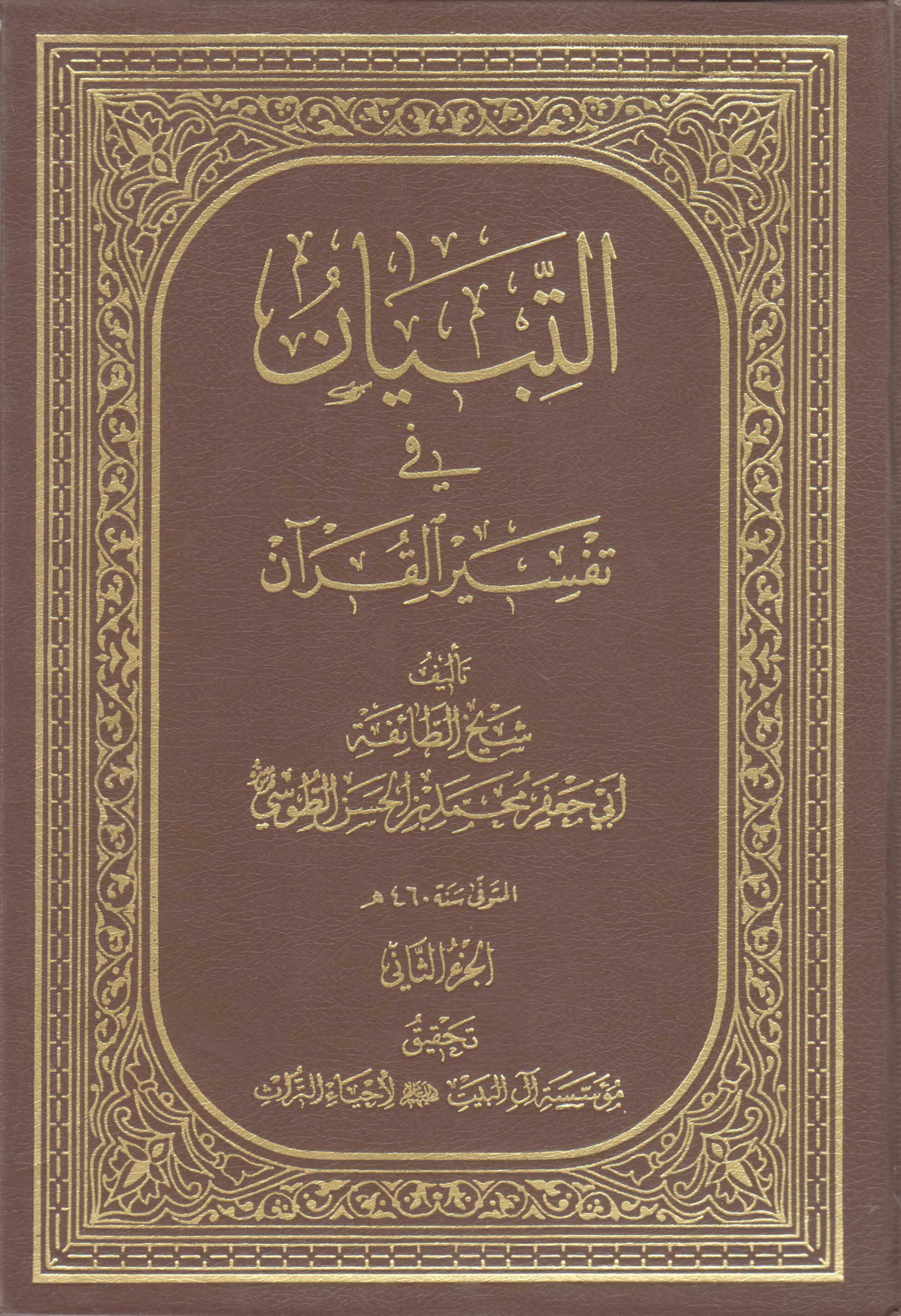

التبيان
في
تفسير القرآن
تأليف
شيخ الطائفة
أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
المتوفى سنة ٤٦٠ هـ
الجزء الثاني
تحقيق
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث



٣٦٠



التبيان في تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة

أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس سره

المتوفى سنة ٤٦٠ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

الطوسي ، محمّد بن الحسن ، ٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ ق .
التبيان في تفسير القرآن / أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ؛ تحقيق : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . قم.
٣٠ ج.
الفهرسة طبق نظام فيپا.
المصادر بالهامش.
١ ـ تفاسير شيعية . ألف : الطوسي ، محمّد بن الحسن ٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ ق.
ب: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث (قم) . ج : عنوان .
٢٩٧ / ١٧٢٦   BP ٩٤ / ٢ ت ٩ ط ١٣٨٨
الرقم في المكتبة الوطنية الإيرانية   ١٨٧٣٨٩٢

شابِك (ردمك) ٧ ـ ٣٢٨ ـ ٣١٩ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ / دورة ٣٠ جزءاً احتمالاً
ISBN 978 - 964 - 319 - 328 - 7 / 30 VOLS.
شابِك (ردمك) ٥ ـ ٣٣٥ ـ ٣١٩ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ / ج ٢
ISBN 978 - 964 - 319 - 335 - 5 / VOL.2

الكتاب : التّبيان في تفسير القرآن / ج ٢
المؤلّف : الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي
تحقيق ونشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم
الطبعة : الأُولىٰ ـ جمادىٰ الأُولىٰ ـ ١٤٣١ هـ
الفلم والألواح الحسّاسة (الزينك) : تيزهوش ـ قم
المطبعة : ستارة ـ قم
الكمّيّة : ٣٠٠٠ نسخة
السعر : ٣٥٠٠٠ ريال


بسم الله الرحمن الرحيم


شبكة الفكر
alfeker.net

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث
قم المقدّسة: شارع الشهيد فاطمي (دورشهر) زقاق ٩ رقم ١ ـ ٣
ص. ب ٣٧١٨٥/٩٩٦ هاتف: ٥ ـ ٧٧٣٠٠٠١ فاكس: ٧٧٣٠٠٢٠

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ آية (٣٠)

قال أبو عبيدة: ﴿وَإِذْ﴾ زائدة. والتقدير: ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، وهي تحذف في مواضع، قال الأسْوَد بن يُعْفُر[1]:

فَـإذَا، وَذَلِكَ لا مَـهاهَ لِـذِكْـرِهِ والدَّهْرُ يُعْقِبُ صَالِحاً بِـفَسادِ[2] [١٤٥]

معناه: وذلك لامهاه لذكره.

---

(١) الأسود بن يُعْفُر - بضمّ الياء وفتحها - بن عبد الأسود النَّهْشَليّ، الملقّب بأعشى بني نهشل، شاعر جاهليّ فصيح، مكثر للتنقّل في أحياء العرب؛ لما بينه وقبيلته من المجافاة، له قصائد طوال رائعة.

له ترجمة في: الأغاني ١٣: ١٥، الشعر والشعراء ١: ٢٥٥ ت ٢٠، معجم الشعراء الجاهليّين: ١٨ ومصادره.

(٢) من قصيدة تُعدّ من مختار أشعار العرب مأثورة مفضّلة. فيها يبكي الشاعر أيّامه وشبابه، ويصف لهوَه ولعبه و...، وثمّ ينتهي في بيت الشاهد إلى: إنّه لا بقاء ولا استمرار ولا ثبات لجميع ذلك. وأنّ الدهر من شأنه أن يُتبع الصلاح بالفساد، والخير بالشرّ، والبقاء بالفناء.

المعنى: وذلك إشارة إلىٰ ما ذكره سابقاً. لامهاه: بالهاء فقط، والتاء غلط، أي: لا طعم له ولا فضل.

الشاهد: واضح، وهو: القول بزيادة «فإذا».

انظر: المفضّليات: ٢١٥ ق ٢٤ ب ٣٦، شرح التبريزي لها ٢: ٩٦٤ ت ٤٣ ب ٣٥، منتهى الطلب ١: ٤١٤ ت ٥١ ب ٣٦، وديوانه: ٢٥ ق ١٣ ب ٣٦ (صنعة د. القيسي).

وقال عبد مناف بن رِبْعِ الهُذَليّ[١] :

حَتّى إذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتائِدَةٍ ... شَلّاً كَما تَطْرُدُ الجَمّالَةُ الشُّرُدا[٢] [١٤٦]

ومعناه : حتّى أَسْلَكُوهُم[٣] .

---

(١) اختلفت النسخ بينها ومع المصادر في ضبط الاسم ، ولمّا لم نجد ما يساعد على شيء ، آثرنا الضبط على المصادر المترجمة ، والناسبة له هذا البيت .
والشاعر هو : عَبدُ مَنافِ بن رِبْعِ الجُرَبيّ الهُذَليّ شاعر هُذَيل أيام الجاهلية .
له ترجمة في : خزانة الأدب للبغدادي ٧ : ٣٩ ، رغبة الآمل ٥ : ١٢٨ ، وانظر : معجم الشعراء الجاهليّين : ٢١٢ .

(٢) أسلكوهم : لغة في سلكوهم ، أي : ألجؤهم للسير على طريق معيّن . قُتائِدَةٍ : اسم مكان يكثر فيه النبت ذو الشوك الذي تعافه الإبل ، أو جبل ، ولعلّه المنعطف أو الطريق أو الضيق والمحصور من المكان ، وهو ما يُسمّى بالثنيه . شَلّاً : الشَّلُّ الطَّرد للإبل الغريبة عن ورود الماء . الجَمّالة : أصحاب الجمال ورعاتها .
والمعنى : الشاعر يصف قوماً قد هُزموا حتّىٰ أُلجئوا إلىٰ الدخول في المكان الضيّق الذي يسميه : القتائدة .
الشاهد فيه : استشهد به على أنّ «إذا» زائدة لا جواب لها ؛ لأنّ البيت آخر القصيدة .
البيت مفرداً تجده منسوباً إليه في : مجاز القرآن ١ : ٣٧ ت ٤٦ ، أدب الكاتب : ٣٣٣ ، وشرحه لابن السيّد ٣ : ٢٧٤ ت ٢١٩ ، أمالي المرتضى ١ : ٣ و٢ : ٣١٠ ، أمالي ابن الشجري ٢ : ١٢٢م ٤٢ و٣ : ٣٠م ٧٢ ، الانصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٤٦١م ٦٤ ش ٢٩٠ ، وانظر الصاحبي : ١٩٣ .
وضمن قصيدة له في : ديوان الهذليّين (شعر عبد مناف . . .) ٢ : ٣٨ ق١ ب١١ ، وشرح أشعار الهذليّين (شعر عبد مناف . .) ٢ : ٦٧٩ ت ٢٢ ق ١ ب ١٢ ، خزانة الأدب ٧ : ٣٩ ش ٥٠٦ وقد تكلّم حول البيت والشاعر مفصّلاً .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٣٦ ـ ٣٧ . عند الآية الكريمة ٣٤ ، قوله تعالى : **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا . . .﴾** وأمّا عند الآية : ٣٠ مورد الحديث ـ وهي قوله تعالى : **﴿وإذ قال ربّك . . .﴾** ـ فلم يتعرّض لشيء ممّا ذكر .
والملاحظ أنّ النحّاس يروي عن أبي عبيدة عند الآية مورد البحث قائلاً ←

والقَتَائِدُ: الموضع الذي فيه قتاد كثير. والشَّلُّ: الطَّرد. والجَمَّالَة: الجمّالون. والشُّرُد: الإبل التي تَشْرُد عن مواضعها، وتقصد غيرها وتطرد عنها.

وهذا الذي ذكره ليس بصحيح؛ لأنّ «إذا» حرف يأتي بمعنى الجزاء، ويدلّ على مجهول من الوقت. ولا يجوز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام إلّا لضرورة.

وليس المعنى في البيتين على ما ظَنّ، بل لو حَمل «إذا» في البيتين على البطلان بطل معنى الكلام الذي أراده الشاعر؛ لأنّ الأسود أراد بقوله[1]: فإذا الذي نحن فيه، وما مضى من عيشنا؛ وأراد بقوله: «ذلك» الإشارة إلى ما تقدَّم وصفه من عيشه الذي كان فيه.

لامَهاةَ لذِكْره، يعني: لا طعم له ولا فضل؛ لإعقاب الدهر ذلك بفساد.

ومعنى قول عبدِ مَنافِ بن رِبْع:

ما نصّه: قال أبو عبيدة: «إذ» اسم، وهو ظرف زمان ليس ممّا يزاد.

فإن كان هذا رأيه فرَدُّ الشيخ المصنّف عليه ـ وقبلهُ الزجّاج ـ لا مورد له؛ إذ يبدو أنّ الاختلاف من النسخة أو تبدّل الرأي. والله العالم. ولكنّ وفرة من المصادر نسبت ذلك لأبي عبيدة. وانظر: صفحة: ٥٩ ـ ٦٠، والهامش ١ من صفحة ١١.

والظاهر وجود سقط في مجاز القرآن عند المورد، ويؤيّده ما حكي عن أبي عبيدة في الأزهية: ٢٠٣، الجنى الدّاني في حروف المعاني: ١٩١، ولسان العرب ٣: ٤٧٦، وهكذا أغلب كتب التفسير التي نسبت القول بالزيادة إلىٰ أبي عبيدة صراحة. منها: تفسير المحرّر الوجيز ١: ١٦٢، تفسير بحر العلوم ١: ١٠٧، تفسير الوسيط ١: ١١٢؛ وانظر غريب القرآن ٤٥ ت ٣٠، وكذا أغلب كتب اللّغة.

(١) أي الشاهد رقم: ١٤٥.

[١٤٦] حـتّى إذا أسـلكوهم فـي قـتائدة شَـلاًّ . . . .

أسلكوهم... شَلاًّ يدلّ على معنى محذوف، فاستغنى عن ذكره بدلالة (إذا) عليه فحذف، كما قال النَّمِرُ بن تَوْلَب[1]:

[١٤٧] فـإنَّ المَـنِيَّةَ مَـنْ يَـخْشَها فَسَـوْفَ تُـصادِفُهُ أيْـنَما[2]

يريد: أينما ذهب.

وكما يقول القائل: أتيتك مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، يريد منْ قبلِ ذلكَ ومنْ بعدِ ذلكَ.

ويقول القائل: إذا أكرمك أخَوك فأكرمه، وإذا لا فلا، يريد وإذا لم يكرمك فلا تكرمه. ومن ذلك قول الشاعر:

[١٤٨] فَـإذَا وَذلِكَ لا يَـضُرُّكَ ضُـرُّهُ في يَوْمِ أسْألُ نـائِلاً أو أُنْكَـدا[3]

---

(١) النَّمِرُ بن تَوْلَبٍ العُكْليّ، نسبة إلى أُمّه، شاعر مُخَضْرم، أسلم وله صحبة، جواد كثير القِرىٰ، لَمْ يمْدح ولا هجا أحداً، أغلب شعره حَكميّ، قيل: عاش مائتي عام.
له ترجمة في: الأغاني ٢٢: ٢٧٣، خزانة الأدب للبغدادي ١: ٣١٦. وانظر معجم الشعراء المخضرمين: ٥٠١.

(٢) وبعده:

وَإنْ تَـتخطاكَ أسـبابُها فإنّ قُصاراكَ أنْ تَـهْرَما

من قصيدة حَكَمِيّةٍ ذُكرت في منتهى الطلب من أشعار العرب ١: ٢٨٦ ف ٣٤ ب ٦، وانظره مفرداً في: أدب الكاتب: ١٨٣، تأويل مشكل القرآن: ٢١٧، الاقتضاب ٣: ١٨٤ ت ١٣٥، الصناعتين: ١٣٨، المعاني الكبير ٢: ١٢٦٤ وغيرها.
المعنى والشاهد: واضحان.

(٣) ضبط البيت بين النسخ مختلف بين المثبت و: «لا يضيرك ضيره»، وكذا الروي: «أُنكرا». ولم نصل إلى قائله ولا من استشهد به غير الطبريّ في جامعه ١: ١٥٤ علىٰ نحو المثبت.
الضرّ: سوء المعيشة والحال من الفقر أو الابتلاء. النائل: ما يُحسن إليك ⇦

وكذلك لو حذف ﴿ إِذْ ﴾ في الآية لاستحالت عن معناها الذي تفيده ﴿ إِذْ ﴾ ؛ لأنّ تقديره : ابتدأ خلقكم إذ قال ربُّك للملائكة .

قال الزجّاج والرمّانيّ : أخطأ أبو عبيدة ؛ لأنّ كلام اللّه لا يجوز أنْ يُحمل على اللَّغو مع إمكان حمله على زيادةِ فائدة . قالا : ومعنى ﴿ إِذْ ﴾ : الوقت ، وهي اسم ، فكيف يكون لغواً ؟ قالا : والتقدير : الوقت .

والحجّة في ﴿ إِذْ ﴾ أنّ الله عزّ وجلّ ذكر خلق الناس وغيرهم ، فكأنّه قال : ابتدأ خلقكم إذ قال ربّك للملائكة[1] .

وقال المفضّل : لمّا امتنّ الله بخلق السماوات والأرض ، ثمّ قال : وإذ قلنا للملائكة ما قلناه فهو نعمة عليكم وتعظيم لأبيكم .

واختار ذلك الحسين بن عليّ المغربيّ .

وقال الرمّانيّ والزهريّ[2] : التقدير : اذكروا ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ .

﴿ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ :

الملائكة : جمع مَلْأَك ، غيرَ أنّ واحدهم بغير همز أكثر ، فيحذفون

ويصلك من معروف الآخرين . النكد : هنا تقليل العطاء أو قطعه رأساً .

الشاهد فيه : إفادة «إذا» لمعنى ، وعليه لا يجوز القول بزيادتها .

(١) للرّمانيّ: المتوفّر لدينا من مؤلّفاته خالٍ من ذلك، وللزجّاج معاني القرآن وإعرابه ١ : ١٠٨ ، وانظر الهامش ٣ من صفحة ٨ .

(٢) في «خ» الأزهريّ ، والظاهر ما في المتن مؤيداً بالباقي .

والزهريّ هو : محمّد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب القرشيّ ، أبو بكر المدنيّ ، روى عن الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام وجابر بن عبدالله وسعيد بن المسيّب وغيرهم . وعنه عطاء وعمر بن عبدالعزيز وابن دينار وقتادة والسختيانيّ وغيرهم كثير . مات عام ١٢٤ هـ .

انظر : سيَر أعلام النبلاء ٥ : ٣٢٦ ت ١٦٠ ، تذكرة الحفّاظ ١ : ١٠٨ ت ٩٧ هـ ، غاية النهاية ٢ : ٢٦٢ ت ٣٤٧٠ ، الوافي بالوفيات ٥ : ٢٤ : ت ١٩٩٠ .

الهمزة ويحرّكون اللّام التي كانت ساكنة لو هُمز الاسم، فينقلون حركة الهمزة إلى اللّام. فإذا جَمعوه ردّوه إلى الأصل وهمَزوا. كما يقولون: رأى، فيحرّكون الهمزة، ثمّ يقولون: يرى، بلا همز؛ وذلك كثير.

وقد جاء مهموزاً في واحده، قال الشاعر:

فَـلَسْتَ لإنْسِـيٍّ وَلكِـنْ لِـمَلأَكٍ تَنزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ[1] [١٤٩]

وقد يقال في واحدهم: مَألَك، مثل قولهم: جَبَذَ وجَذَبَ، فيقلبونه. وشَأمل وشَمْأل.

ومن قال: مَألَك يجمعه مَلائِك ـ بلا هاء ـ مثل: أشْعَث وأشاعِث.

قال أُميّة بن أبي الصّلت:

وَفـيها مِـنْ عِـبادِ اللهِ قَـوْمٌ مَلائِكُ ذُلِّلوا وَهُمْ صِعابُ[2] [١٥٠]

---

(١) وعلىٰ ما ذكر ابن الحاجب في شرح شافيته ٤: ٢٩٠ قبله:
تَعالَيتَ أنْ تُعزى إلى الإنس خُلّةً وللإنس مَن يَعْزوك فَهْوَ كَذُوبُ
في ضبطه ـ كما في نسبته ـ اختلاف، فقد نُسب إلى عَلْقَمَة بن عَبْدَة الفَحْل، كما نُسب إلىٰ أبي وَجْزَةَ السُّلَمي، ومنهم من نسبه إلىٰ رجل من عبد قيس.
المعنى: يمدح الشاعرُ ـ عَلْقمة ـ الحارثَ بن جَبَلَة قائلاً: إنّك باينت الناس وخالفتهم في أخلاقك وسيرتك، حيث أشبهتَ الملائكة في طهارتك وفضلك، فكأنّك منسوب إلىٰ ملك من الملائكة لا إلىٰ بشر.
الشاهد فيه: قوله: لملأك. وانظر الهامش: ٢، الآتي في: ١٤.
انظر: ديوان علقمة: ١١٨ ت٣، المفضّليات: ٣٩٤ رقم ١١٩ ت٢٦، شرح اختيارات المفضل للتبريزي ٣: ١٥٩٠، تهذيب إصلاح المنطق: ١: ١٢٦، سفر السعادة ٢: ٩٢١، شمس العلوم ٩: ٦٣٦٦، شعراء النصرانية: ٥٠٨، معجم مقاييس اللّغة ٣: ٣١٨، شرح شافية ابن الحاجب ٢: ٢٤٦ ت ١٢١.

(٢) الديوان: جمع الكاتبين: ٢٢، وفي جمع الجُبَيْليّ: ٢٦ ت ١٢، وفي صنعة السَّطْليّ: ١٦١ ت ٧، وفي الجميع بيت مفرد من جملة أبيات مفردات ـ ولعلها قصيدة ـ لها

وأصل المَلْأَك: الرسالة. قال عَدِيُّ بن زيْد العباديّ:

أبْلِغِ النُّعْمانَ عَنِّي مَلْأَكاً ... أَنَّهُ قَدْ طالَ حَبْسي وانتِظاري[1] [١٥١]

وقد يُنشد مَأْلَكاً على اللّغة الأُخرى.

فمن قال: مَلْأَك، فهو مَفْعَلٌ مِنْ لَأَكَ إليه يَلْأَكُ، إذا أرسل إليه رسالةً.

ومن قال: مَأْلَكاً، فهو مَفْعَلاً منْ أَلَكْتُ إليه أَلِكُ، إذا أرسلْتَ إليه مَأْلَكَة وألوكاً، وكما قال لَبيد بن ربيعة:

وَغُلامٍ أرْسَلَتْهُ أُمُّهُ ... بأَلُوكٍ، فَبَذَلْنا ما سَأَلْ[2] [١٥٢]

وهذا من أَلَكْتُ.

ويقال: لَأَكَ يَلأَكُ، وأَلَكَ يَأْلَكُ: إذا ارسِل. قال عبدُ بني الحَسحاس[3]:

على نفس الرويّ والوزن.

المعنى: واضح.

ذُلّلوا: من الذِّل ـ بكسر الذال لا غير ـ: إذا راضه فلان وأطاع، ومرجع الضمير الأوّل لم أهتد إليه.

الشاهد فيه: ملائك. وانظر الهامش: ٢، الآتي في: ١٤.

(١) الديوان: ٩٣ قصيدة برقم ١٧ ب ٤ منها.

المعنى: يخاطب النعمان بن المنذر ويعلمه بطول حبسه ويطالبه بالإفراج عنه.

الشاهد فيه: واضح، وانظر الهامش: ٢، الآتي في: ١٤.

(٢) الديوان: ١٧٤ قصيدة رقم ٢٦ ب ١٦ منها.

من قصيدة يرثي فيها أخاه أربد، مطلعها:

إنَّ تَقْوى رَبِّنا خَيرُ نَفَلْ ... وبإِذْنِ الله رَيْثِي وَعَجَلْ

المعنى: رُبَّ غلام فقير أرسلته أُمّه طلباً للمساعدة والإعانة. فنبذل له المراد وزيادة.

الشاهد: ما أشار إليه المصنّف ﷺ، وانظر الهامش: ٢، الآتي في: ١٤.

(٣) سُحَيْم ـ مُصَغّر أَسْحَمْ، وهو: الأسود ـ عبد بني الحَسْحاس. شاعر أعجميّ

أَلِكْني إلَيْها، عَمْرَكَ الله يا فَتى بآيَةِ ما جاءَتْ إلَيْنا تَهادِيا[1] [١٥٣]

يعني: أبلِغْها رِسالَتي.

فسمّيت الملائكة ملائكةً بالرسالة[2]؛ لأنّها رسل الله بينه وبين أنبيائه

الأصل من بلاد النوبة، مُفْلِقٌ رقيقُ الشعر. اشتراه بعض بني الحسحاس وعاش بينهم إلى أواخر حكومة عثمان بن عفان حيث قتلوه وأحرقوه؛ لأنّه شَبَّب وتغزَّل بنسائهم.

له ترجمة في: الشعر والشعراء ١: ٤٠٨ ت ٦٥، فوات الوفيات ٢: ٤٢ ت ١٦٢، الشعراء السود: ٧٢، معجم الشعراء المخضرمين والأُمويين: ١٨٢ ومصادره.

(١) الديوان: البيت ١٤ من القصيدة ب في الديوان: ١٦.

المعنى: يطلب الشاعر من مخاطَبه إبلاغَ ـ عُمَيْرة حبيبته ـ رسالة منه بعلامة أنّها عندما جاءته كانت تتمايل في مشيتها.

الشاهد فيه: أَلِكْني. أي: أبلغها رسالتي. وانظر الهامش: ٢، الآتي.

(٢) حاصل ما تقدّم: إنّ في ميم «ملائكة» قولين:

١ ـ أَصالتها، فوزنها «فَعَلْ» مَلَك، ولكن شذّ جمعه على فعائِلَة «ملائكة». فالشذوذ في الجمع لا غير.

وقد ذهب جمع إلى أنّ أصله مَلأك، والهمزة فيه زائدة، مثال: شمأل، فقد نُقلت حركة الهمزة إلى اللّام الساكنة، ثمّ حذفت الهمزة تخفيفاً، والجمع «ملائكة» جاء على الزيادة بإثبات الهمزة.

٢ ـ زيادتها، ولهم مذاهب هي:

أ ـ إنّه مشتق من «أَلَكَ»، الهمزة فاؤه وعينه اللّام ولامه الكاف. فيكون أصلُ مَلَكْ، مَأْلَكْ.، ثمّ حذفوا الهمزة تدريجاً للتخفيف فصار مَلَكْ، والجمع مآلكة وزان مفاعلة.

ب ـ إنّه مشتّق من «لأَكَ» فاؤه اللام، عينه الهمزة، لامه الكاف، فأصل مَلَكْ (مَلْأَكَ) ـ مَ لْ أَ كْ ـ ثمّ نقلت حركة الهمزة إلىٰ اللّام الساكنة وبعده حذفت تخفيفاً، فأصبح مَلَك، والجمع على الأصل وزان مَفاعِلَه «مَلائِكة» بردّ الهمزة.

ج ـ ومن ذاهب إلىٰ أنّ أصله: لاكَ يَلُوكُ، فأصل مَلَكْ، مَلْوَك. نُقلت حركة الواو إلى اللّام الساكنة، ثمّ لسكونها ـ الواو ـ وانفتاح ما قبلها قلبت ألفاً. فأصبحت

ومن أرسل من عباده .

هذا عند من يقول : إنّ جميع الملائكة رسل .

فأمّا على ما يذهب إليه أصحابنا : إنّ فيهم رُسلاً وفيهم من ليس برسول ، فلا يكون الاسم مشتقّاً ، بل يكون عَلماً أو اسم جنس .

وإنّما قالوا : إنّ جميعهم ليسوا رسل الله ؛ لقوله تعالى : ﴿**ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلاً**﴾[1] فلو كانوا جميعاً رسلاً ، لكانوا جميعاً مصطفين ؛ لأنّ الرسولَ لا يكون إلّا مختاراً مصطفىً كما قال : ﴿**وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ**﴾[2] .

وقوله : ﴿**إِنِّى جَاعِلٌ**﴾ :

أي : فاعلٌ وخالقٌ . وهما متقاربان .

مَلاك وبعده حذفت الألفُ تخفيفاً فصار مَلَك .

والجمع على هذا : مَلاوِكَة ، ثمّ قلبوا الواو همزةً على غير ما قاعدة فأصبح : ملائكة .

د ـ ومن قائل : إنّه لا اشتقاق له . وإنّ الهاء في الجمع للتأنيث أو للمبالغة .

للاعتماد ينظر «مَلَكَ ، أَلَكَ» في : العين ٥ : ٣٨٠ و٤٠٩ ، الجمهرة ٢ : ٩٨٢ ، الاشتقاق : ٢٦ ، تهذيب اللّغة ١٠ : ٣٧٠ ، الصحاح ٤ : ١٥٧٣ و١٦٠٩ ، المفردات : ٨٢ ، ٧٧٤ ، لسان العرب ١٠ : ٣٩١ ، عمدة الحفّاظ ٤ : ١٠٩ ، شمس العلوم ٩ : ٦٣٦٦ ، تاج العروس ١٣ : ٦٤٦ ، مجاز القرآن ١ : ٣٣ ، الحجة للقرّاء السبعة ٢ : ٤١٦ ، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١ : ١١٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٧٠ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٤٦ . الكتاب ٤ : ٣٨٠ ، الأصول في النحو ٣ : ٣٣٩ ، الزاهر في معاني كلمات الناس ٢ : ٢٦٧ ، المنصف ٢ : ١٠٢ ، أمالي ابن الشجري ٢ : ٢٠٣ م٤٧ و٣ : ٣٥ م٧٢ ، اللُّباب في علل البناء والإعراب ٢ : ٢٥٨ ، سفر السعادة ٢ : ٩٢١ . وغيرها كثير .

(١) سورة الحجّ ٢٢ : ٧٥ .

(٢) سورة الدخان ٤٤ : ٣٢ .

قال الرمّانيّ: حقيقة الجَعْل: تصيير الشيء على صفة. وحقيقة الإحداث: إيجاد الشيء بعد أن لم يكن موجوداً.

والخَلِيفَةُ: الفَعِيلَةُ، من قولهم: خَلَفَ فلانٌ فلاناً في هذا الأمر: إذا قام مُقامه فيه بعده؛ لقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾[١] يعني بذلك: أبدلكم في الأرض منهم، فجعلكم خَلَفاً من بعدهم.

وسمّي الخَلِيفَةُ خَلِيفَةً من ذلك؛ لأنّه خَلَفَ مَنْ كان قبله، فقام مقامه.

والخَلَفُ ـ بتحريك اللّام ـ يقال: فيمن كان صالحاً. وبتسكين اللّام: إذا كان طالحاً. قال الله تعالى: ﴿ **فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ** ﴾[٢]. وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: (يَنْقُلُ هذا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُه)[٣][٤].

---

(١) سورة يونس ١٠ : ١٤.

(٢) سورة مريم ١٩ : ٥٩.

(٣) روي الحديث الشريف تارة بلفظ المتن وأُخرى بلفظ: (يحمل هذا الدين....) وثالثة بلفظ: (يرث هذا....) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب ٥ : ٤٨٣ ت ٨٨٣٢ و٥٣٧ ت ٩٠١٢، سنن البيهقيّ ١٠ : ٢٠٩، مسند الشاميّين ١ : ٣٤٤، كنز العمّال ١٠ : ١٧٦ ح ١٩١٨، مجمع الزوائد ١ : ١٤٠، النهاية في غريب الحديث ٢ : ٦٥، دعائم الإسلام ١ : ٨١، رجال الكشيّ (اختيار معرفة الرجال) : ١٠ ح ٥، نهج السعادة ٧ : ٤٣، العقد الفريد ٢ : ٢١٤. والكامل في ضعفاء الرجال ١ : ٢٤٧ حيث ذكر أغلب ألفاظه وطرقه.

(٤) ترد كلمة «خلف» تارة موصوفة بصالح أو طالح ـ بغضّ النظر عن الحركة ـ فهي ←

وقال قوم : سمّى الله تعالى آدم خليفة ؛ لأنّه جعل آدم وذرّيّته خلفاء للملائكة ؛ لأنّ الملائكة كانوا من سكّان الأرض .

وقال ابن عبّاس : إنّه كان في الأرض الجنّ ، فأفسدوا فيها ، وسفكوا الدماء ، فأُهلِكُوا ، فجعل الله آدم وذرّيّته بدلهم .

وقال الحسن البصريّ : إنّما أراد بذلك قوماً يَخلِف بعضُهم بعضاً من ولد آدم الذين يَخْلِفون أباهم آدم في إقامة الحقّ وعمارة الأرض .

وقال ابن مسعود : أراد : إنّي جاعل في الأرض خليفة يخلفني في الحكم بين الخلق ، وهو آدم ، ومن قام مقامه من ولده .

وقيل : إنّه يخلفني في إنبات الزرع وإخراج الثمار ، وشقّ الأنهار .

وقيل : إنّ الأرض أراد بها مكّة ، روي ذلك عن ابن سابِط[1] ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : (دحيت الأرض من مكّة)[2] ؛ ولذلك سمّيت أُمّ القُرى . قال : وقبر نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب بين زمزم والركن والمقام[3] .

لما وصفت له .

وأُخرىٰ من دونها ـ الصفة ـ فحينئذ للحركة دورها في المراد ، ففتح اللّام مدح ، وإسكانها ذمّ . وعموماً لابدّ من المطابقة بين الصفة والحركة .

للتوسعة ينظر «خَلَفَ» في : العين ٤ : ٢٦٥ ، جمهرة اللّغة ١ : ٦١٥ ، تهذيب اللّغة ٧ : ٣٩٣ ، المحيط في اللّغة ٤ : ٣٤٥ ، الصحاح ٤ : ١٣٥٣ ، معجم مقاييس اللّغة ٢ : ٢١٠ ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ٢٩٣ ، عمدة الحفّاظ ١ : ٥٢٢ ، ما اتّفق لفظه واختلف معناه : ١٣١ ت ٣٧٩ .

(١) عبد الرحمن بن سابِط القرشيّ الجمحيّ تابعيّ ، أرسل عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكذا أغلب مرويّاته عن غيره وإن وثّقه جمع . توفّي بمكّة عام : ١١٨ هـ .
انظر تهذيب الكمال ١٧ : ١٢٣ ت ٣٨٢٢ ومصادره .

(٢) بين القوسين هو القدر المتعيّن للرواية ، انظر الهامش الآتي وبحار الأنوار ٥٧ : ٢٠٦ ح ١٥٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ : ٧٣ ، والدر المنثور ١ : ٢٤٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ٧٦ ت ٣١٧ من دون قوله :

وقال قوم: إنّها الأرض المعروفة[١]. وهو الظاهر.

وقوله: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ ﴾:

روي أنّ خلقاً يقال لهم: الجانّ كانوا في الأرض فأفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله تعالى ملائكةً أجْلَتهم من الأرض.

وقيل: إنّ هؤلاء الملائكة كانوا سكّانَ الأرض بعد الجانّ فقالوا، ياربّنا، ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ ﴾ على وجه الاستخبار منهم، والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة، لا على وجه الإنكار. كأنّهم قالوا: يا الله، إنْ كان هذا كما ظننّا فعرِّفنا ما وجه الحكمة فيه.

وقبر...، وكذا ابن كثير في تفسيره ١: ٢١٧ وعقبه بقوله: مرسل، وفي إسناده ضعف، وفيه مدرج.

وأمّا الطبري في تفسير جامع البيان ١: ١٥٧ فرواه مع الزيادة، وكذا السيوطي في تفسير الدرّ المنثور ١: ٢٤٦ وعزاه إلىٰ ابن أبي حاتم، ابن جرير، وابن عساكر في تاريخه ٦٢: ٢٨٨ ذيل ترجمة نوح بن لمك ت ٧٩٣٢ فقد روى الزيادة فقط.

هذا والمعروف والمشهور عندنا أنّ قبر آدم ونوح عليهما السلام عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وأمّا هود وصالح عليهما السلام ففي جُبّانة النجف الأشرف الشهيرة بوادي السلام مشهور معروف يزار.

انظر: موسوعة النجف الاشرف ١: ٤٠٢، الغارات ٢: ٨٤٧، وكتب وروايات الزيارات، وهي كثيرة منها: تهذيب الأحكام ٦: ٣٤ ح٦٦ و٦٧ و٦٨، وسائل الشيعة ١٤: ٣٩٧ ب ٣١، مستدرك الوسائل ١٠: ٢٢٤ ب ٢٢ ح١١٩٠٢، المزار لابن المشهدي: ١٩٢ و٢٥٥، إقبال الاعمال ٣: ١٣٥، المزار للشهيد: ٤٣ و٩٣، بحار الأنوار ٥٣: ٢٧١ و٩٧: ٨٢٦، ٢٣٢، ٣٧٦ و٩٩: ٢١٢ وغيرها كثير.

(١) الأقوال تجدها في: تفسير جامع البيان ١: ١٩٩، تفسير الحسن البصريّ «جمع د. محمّد عبدالرحيم» ١: ٨٢، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ٩٤، تفسير النكت والعيون ١: ٩٥، تأويلات أهل السنة ١: ٣١ ت ٣٠، تفسير الكشف والبيان ١: ١٧٥، تفسير سفيان الثوريّ: ٤٣، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣٠، تفسير السمعانيّ ١: ٦٣، ومستدرك الحاكم ٢: ٦١ وغيرها.

وقال قوم : المعنى فيه : إنّ الله أعلمَ الملائكة أنّه جاعل في الأرض خليفة ، وأنّ من[١] الخليفة فِرْقة تسفك الدّماء وهي فرقة من بني آدم ، فأذِن الله للملائكة أن يسألوه عن ذلك ، وكان إعلامه إيّاهم هذا زيادة في التثبيت في نفوسهم أنّه يعلم الغيب فكأنّهم قالوا : أتخلق فيها قوماً يسفكون الدماء ويعصونك ؟ وإنّما ينبغي ـ إذا عرفوا أنّك خلقتهم ـ أنْ يُسبّحوا بحمدك كما نسبّح ، ويقدِّسوا كما نقدّس . ولم يقولوا هذا إلّا وقد أُذن لهم ؛ لأنّهم لا يجوز أن يسألوا إلّا ما يؤذن لهم فيه ، ويؤمرون به ؛ لقوله : ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٢][٣] .

فإنِ قيل : من أين لكم أنّهم كانوا علموا ذلك ؟

قيل: ذلك محذوف؛ لدلالة الكلام عليه؛ لأنّا علمنا أنّهم لا يعلمون الغيب.

وليس إذا أفسد الجنّ في الأرض ، وجب أن يُفسد الإنس .

وقوّة السؤال تدلّ على أنّهم كانوا عالمين ، وجرىٰ ذلك مجرىٰ قول الشاعر :

فَلا تَدْفِنُوني ، إنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ   عَلَيْكُم ، وَلكِنْ خامِرِي أُمَّ عامِرِ[٤] [١٥٤]

---

(١) «من» زيدت من : «ل ، والحجريّة» وحذفها مربك للجملة .

(٢) سورة النحل ١٦ : ٥٠ .

(٣) إضافة لمصادر الهامش ١ صفحة ١٨ ، انظر : تفسير عبد الرزاق ١ : ٢٦٤ ت ٣٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٧٧ ت ٣٢٠ ـ ٣٢٨ ، تفسير الوسيط ١ : ١١٣ .

(٤) يذهب البعض أنّه لتأبّطَ شرّاً . ولكن الصحيح ـ وكما عليه الأكثر ـ أنّه للشَّنْفَرىٰ . وقد اختلف في ضبطه بما لا يضرّ موضع الشاهد .

المعنى : يقع الشاعر في قبضة بني سلامان وعند قتله يُسأل عن محل دفنه فيجيب قائلاً : لا تدفنوني ، ولا تقبروني بل اتركوني في العراء تأكلني التي تخاطَب بخامري ـ أبشري ـ أم عامر ، وهي : الضبع .

فحذف قوله: دعوني للّتي يقال لها ـ إذا أُريد صيدَها ـ: خامري أُمّ عامر.

فكأنّه قال: إنّي جاعل في الأرض خليفة يكون من ولده إفساد في الأرض وسفك الدماء.

وقال أبو عبيدة والزجّاج: إنّهم قالوا ذلك على وجه الإيجاب وإن خُرّج مخرج الاستفهام[1]، كما قال جرير:

[٨٠] أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا وَأَنْدى العَالَمِينَ بُطُونَ راحِ

فعلى هذا الوجه (قالوا ذلك.

و)[2]قال قوم: إنّما أخبروا بذلك عن ظنّهم وتوهّمهم؛ لأنّهم رأوا الجنّ من قبلهم قد أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فتصوّروا أنّه إن استخلف غيرهم كانوا مثلهم، فقال تعالى منكراً لذلك: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾، وهذا قول قَتادة وابن عبّاس وابن مسعود.

وقال آخرون: إنّهم قالوا يقيناً؛ لأنّ الله كان أخبرهم أنّه يستخلف في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء. فأجابوه ـ بعد علمهم بذلك ـ بأن

↵ وذلك أنّهم كانوا عندما يريدون صيدها يقفون عند باب جُحرها ويخاطبونها بهذا كالمبشرين إيّاها بوجود قتيل؛ كي تخرج للأكل منه فتصاد. يُضرب مثلاً للأحمق.
الشاهد فيه: ما أشار إليه الشيخ ﷺ.
انظر: ديوان الشنفرى: ٤٨. وأمالي المرتضى ٢: ٧٣، شرح الحماسة للتبريزيّ ١: ٤٨٧ ت ١٦٤ ب ١، الحماسة البصريّة ١: ٩٤، الشعر والشعراء ١: ٨٠ ت ٧٣، المستقصى في الأمثال ١: ٧٥ ت ٢٩٢ و ٢: ٧١ ت ٢٥٣، مجمع الأمثال ١: ٢٣٨ ت ١٢٦٥، جمهرة الأمثال ١: ٤١٦ ت ٦٩٤ و ٢: ٣٠٥ ت ١٧٢٩.

(١) مجاز القرآن ١: ٣٥، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ١٠٩.

(٢) ما بين القوسين أثبتناه من نسخة «هـ».

قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ﴾ وإنّما قالوه استعظاماً لفعلهم، أي: كيف يفسدون فيها ويسفكون الدماء، وقد أنعمت عليهم واستخلفتهم فيها؟! فقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال قوم: إنّهم قالوا ذلك متعجّبين من استخلافه لهم، أي: كيف يستخلفهم وقد علم أنّهم يفسدون فيها ويسفكون الدماء! فقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

والسَّفْكُ: صبُّ الدَّم خاصّةً، دون غيره من الماء وجميع المائعات.

والسَّفْحُ: مثله، إلّا أنّه مستعمل في كلّ مائع على وجه التضييع، ولذلك قالوا في الزنا: إنّه سِفاحٌ؛ لتضييع مائه فيه[1].

والملائكة ـ المذكورون في الآية ـ قال قوم: هم جميع الملائكة.

وقال آخرون ـ وهو المرويّ عن ابن عبّاس والضحّاك ـ: إنّه خطاب لمن أسكنه من الملائكة الأرض بعد الجانّ وقبل خلق آدم، وهم الذين أجْلَوْا الجانّ عن الأرض.

وقال قَتادة ـ في قوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ﴾ ـ: وقد علمت الملائكة من عِلْمِ الله أنّه لا شيء عند الله أكبر من سفك الدماء والفساد في الأرض، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أنّه سيكون من ذلك الخليفة رسل وأنبياء، وقوم صالحون

---

(١) «سفك، سفح» على التوالي، انظر لهما: العين ٥: ٣١٥ و٣: ١٤٧، جمهرة اللّغة ٢: ٨٤٧ و١: ٥٣٢، غريب القرآن لليزيديّ: ٦٧، غريب السجستانيّ: ١٤٥، تهذيب اللّغة ١٠: ٧٨ و٤: ٣٢٥، المحيط في اللّغة ٦: ١٩٠ و٢: ٤٩١، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٧٢٦ و٣: ٢٠٤، الصحاح ٤: ١٥٩٠ و١: ٣٧٥، معجم مقاييس اللّغة ٣: ٨١ و٧٨، مجمل اللّغة ١: ٤٦٣ و٤٦٤، لسان العرب ١٠: ٤٣٩ و٢: ٤٨٥، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٤١٣.

وساكنوا الجنّة[١].

وأقوى هذه الوجوه قول من قال: إنّ الملائكة إنّما قالت: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا**﴾ لا على وجه التعجّب من هذا التدبير ولا الإنكار له، ولكن على وجه التألُّم والتوجّع والاغتمام والاستعلام لوجه التدبير فيه. فقال الله: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ من وجه المصلحة في خلقهم، وما يكون فيهم من الخير والرشد والعلم، وحسن التدبير، والحفظ والطاعة ما لا تعلمون.

فإن قيل: الملائكة ما عرفت ذلك، إذ لم يمكنها أن تستدرك ذلك بالنظر والفكر؟

قلنا: قد يجوز أن لا يكون خَطَرَ ببالها ذلك إلّا عندما أعلمهم الله، فلمّا علموا ذلك فزعوا إلى المسألة عنه؛ لأنّ المسألة لمن يُتوقَّع سرعة جوابه ويوثق بعلمه وخبره يقوم مقام النظر والفكر.

وقولهم: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا**﴾، يريدون: ولد آدم الذين ليسوا أنبياء، ولا أئمّة معصومين، لا آدم نفسه ومن يجري مجراه من الأنبياء والمعصومين.

فكأنّه قال تعالى: إنّي جاعل في الأرض خليفة يكون له وُلدٌ ونسلٌ يفعلون كيت وكيت. فقالوا: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا**﴾، يريدون: الوُلد.

وقد بيّنا أنّ الخليفة هو من يخلف مَن تقدَّمه، جماعة كانوا أو واحداً[٢]، فلمّا أخبر الله تعالى الملائكة: إنّه يخلق في الأرض عباداً هم آدم وولده، ويكونون خليفة لمن تقدَّمهم من الجنّ أو غيرهم؛ قالوا ما قالوه.

---

(١) نقلت الآراء في تفسير جامع البيان ١ : ١٦٢، تاريخ مدينة دمشق ٧ : ٣٩٩.
(٢) تقدَّم في صفحة : ١٦.

ويحتمل أنْ يكون قوله: ﴿ **مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا** ﴾ يريدون: البعض لا الكلّ. كما يقال: بنو شيبان يقطعون الطريق. ويراد بعضهم دون جميعهم.

وقوله: ﴿ **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾:

فالتسبيح: هو التنزيه من السوء على وجه التعظيم. وكلّ من عمل خيراً قصد به الله فقد سبّح، يقال: فرغت من سَبْحَتي، أي: من صلاتي.

وقال سيبويه: معنى سبحان الله: براءة الله وتنزيه الله من السوء. قال أعشى بني ثَعْلَبَة:

أَقُولُ ـ لمَّا جَاءَنِي فَخرُهُ ـ: سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ[1] [١٥٥]

أي: براءة من علقمة[2].

وهو مشتقّ من السَّبْح الذي هو الذَّهاب. قال الله تعالى: ﴿ **إنَّ لَكَ**

---

(١) البيت من قصيدة للأعشى ميمون بن قيس، يُحَكِّم فيها ويُنَفِّرُ عامرَ بن الطفيل العامريّ المشرك على ابن عمّه الصحابيّ علقمة بن علاثة الكلابيّ العامريّ، ويهجوه فيها في قصة مذكورة. وقيل: إنّ النبيّ الأكرم ﷺ قد نهى عن روايتها، وترجمته في الاصابة ٤: ٢٦٤ ت ٥٦٦٩.

ومعنى البيت: هو التعجّب من منافرة ومفاخرة الصحابيّ علقمة لابن عمّه المشرك عامر.

الشاهد فيه: ما أشار إليه المصنّف ﵀ وهو الشطر الثاني.

هذا، وقد اختلفت المصادر في ضبط «الفاخر»، إذ رويت في بعضها «فاجر»، وهكذا هي نسخة «و».

انظر الديوان: ١٨٩ ق ١٨ ب ٣٠، وقد استشهد به جمع لمحل الشاهد، للمثال انظر: المقتضب ٣: ٢١٨، شرح المفصّل ١: ٣٧، شرح أبيات سيبويه: ١٣١ ت ٣٠٤، النكت في تفسير الكتاب ١: ٣٧٣، الخصائص ٢: ١٩٧ و٤٣٥، مفردات ألفاظ القرآن: ٣٩٢، أساس البلاغة: ٢٠٠، خزانة الأدب للبغدادي ٣: ٣٩٧، وغيرها.

(٢) الكتاب ١: ٣٢٤، ونَسَبَهُ لأبي الخطّاب، الأخفَش الكبير عبدالحميد بن عبدالمجيد، وانظر لسان العرب ٢: ٤٧٠ «سَبَحَ».

فِى ٱلنَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾[١][٢].

ولا يجوز أن يُسبَّح غير الله تعالى وان كان منزّهاً؛ لأنّه صار علماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقّها سواه. كما أنّ العبادةَ هي غايةٌ في الشكر لا يستحقّها سواه.

وقال ابن عبّاس وابن مسعود: **﴿نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾** بمعنى: نصلّي لك، كما قال: **﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِين﴾**[٣] أي: من المصلّين.

وقال مجاهد: معناه نعظّمك بالحمد والشكر على نعمك.

وقال قَتادة: هو التسبيح المعروف.

وقال المفضّل: هو رفع الصوت بذكر الله[٤]. كما قال جرير:

قَبَحَ الإلٰهُ وُجُوهَ تَغلِبَ كُلَّما ... سَبَحَ الحجِيجُ وَهَلَّلوا إهْلالا[٥] [١٥٦]

---

(١) سورة المزمّل ٧٣: ٧.

(٢) اللّغة ـ لـ«سَبَحَ» ـ انظر: العين ٣: ١٥١ جمهرة اللّغة ١: ٢٧٧، تهذيب اللّغة ٤: ٣٣٧، المحيط في اللّغة ٢: ٤٩٥، الصحاح ١: ٣٧٢، لسان العرب ٢: ٤٧٠.

(٣) سورة الصافّات ٣٧: ١٤٣.

(٤) الآراء تجدها منثورة في: تفسير مجاهد: ١٩٩، تفسير زيد الشهيد: ٨٠، تفسير سفيان الثوريّ: ٤٤ ت١١٤، مجاز القرآن ١: ٣٦، تفسير الصنعانيّ ١: ٣٦٥ ت ٣٧، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٢٠، غريب القرآن لليزيديّ: ٦٧ ت ٣٠، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ٩٣، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٧٩ ت ٣٢٩، غريب القرآن للسجستانيّ: ٣٤٤، تفسير بحر العلوم ١: ١٠٨، تفسير النكت والعيون ١: ٩٧، تفسير الوسيط ١: ١١٥، تفسير السمعانيّ ١: ٦٤، تفسير المحرّر الوجيز ١: ١٦٦.

(٥) استشهد بهذا المفضّل، وهو على روايته في شطره الثاني. وكذا في تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٢٧٦، وقبله الماورديّ ١: ٩٧.

وأمّا في جمهرة أشعار العرب ٢: ٨٩٧ ت ٤٤ ب ١٩ بدل «سَبحَ»: لَبّى. وفي

⇐

وأصل التَّقدِيس : التَّطْهِير . ومنه قوله : ﴿ **الأرضَ المُقَدَّسَة** ﴾[1] أي : المُطَهَّرَة . قال الشاعر :

فأدْرَكْنَهُ يأْخُذْنَ بالسّاقِ والنَّسا كَما شَبْرَقَ الوِلْدانُ ثَوْبَ المُقَدِّسِ[2] [١٥٧]

أي : المطهَّر .

وقال قوم : معنى ﴿ **نُقَدّسُ لَكَ** ﴾ : نُصَلّي لك .

وقال آخرون : نُطهّر أنفسنا منَ الخطايا والمعاصي .

وقال قوم : نُطهِّرَك من الأدناس ، أي : لا نضيف إليك القبائح .

والقَدْسُ : السَّطْلُ الذي يُتَقَدَّس منه ، أي : يُتطهَّر منه[3] .

ويوصَف تعالى بأنّه قُدُّوسٌ سُبُّوحٌ ، أي : بريء أن يكون شريكاً

↩نقائض جرير والأخطل ، والديوان بشرح محمّد بن حبيب ١ : ٤٧ ق ١ ب ٢٠ والديوان : ٣٦٠ ب ٢٠ ، فقد وردت بدل «سَبحَ» : شبَحَ ، وبدل «هَلّلوا» : كبَّروا ، وكذا في نسخة «خ» .

الشاهد فيه : سَبَحَ ، بمعنى رفع الصوت بالتسبيح ، وعلى الرواية الثانية : رفع الأيدي بالدُّعاء ، لكنّه خارج عن مورد الشاهد .

(١) سورة المائدة ٥ : ٢١ .

(٢) البيت لامْرِئ القيس في مقطوعة يصف ـ في أبيات منها ـ مهاجمة كلاب الصيد للثور . الديوان تحقيق أبو الفضل : ١٠٤ ق ١٢ ب ١٢ .

فأدركنه : فاعله الكلاب ، ومفعوله الثور المقدّم ذكرهما . النّسا : عرق في الساق بأخذه تُشلّ حركة الحيوان . شَبْرَقَ : خرق ومزق . المقدّس : الراهب الآتي من بيت المقدس ، أو المطهّر ؛ لاجتماع الصبيان حوله حين نزوله من صومعته ممزّقين وخارقين ثيابه تبرّكاً .

الشاهد فيه : استعمال : المقدّس بمعنى المُطَهَّر .

(٣) إضافة إلىٰ أغلب مصادر الهامش : «٤» ، صحيفه ٢٤ ، انظر من كتب اللّغة : العين ٥ : ٧٣ ، الجمهرة ٢ : ٦٤٦ ، تهذيب اللّغة ٨ : ٣٩٥ ، المحيط في اللّغة ٥ : ٢٨٤ ، المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٢٢٥ ، الصحاح ٣ : ٩٦٠ ، تاج العروس ٨ : ٤٠٧ ، لسان العرب ٦ : ١٦٨ في الجميع «قَدَس» .

لغيره، طاهرٌ منْ كلّ عيب.

وقوله: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾:

قال قوم: أراد ما أظهره إبليس من الكِبْر والعُجْب والمعصية لمّا أمره الله تعالى بالسجود لآدم. ذهب إليه ابن مسعود، وابن عبّاس.

وقال قَتادة: أراد مَنْ في ذرّيّة آدم من الأنبياء والصالحين.

وقال قوم: أراد به ما اختصّ بعلمه من تدبير المصالح(١).

فإن قيل: لو كان آدم قادراً على أن لا يأكل من الشجرة، لكان قادراً على نقض ما دبّره الله فيه؛ لأنّه لو لم يأكل منها للبث في الجنّة، والله تعالى إنّما خلقه؛ ليجعله خليفة في الأرض؛ فهذا يدلّ على أنّه لم يكن له بُدّ من المخالفة.

قلنا: عن هذا جوابان:

أحدهما: إنّ الجنّة التي خلق الله تعالى فيها آدم، لم تكن جَنّة الخُلْد، وإنّما كانت في الأرض حيث شاء الله، وأنّه حيث كان في الأرض كان خليفة في الأرض. وفي هذا إسقاط السؤال.

والثاني: إنّ الله تعالى عَلِم أنّ آدم سيخالف، وأنّه يُهبطه إلى الأرض فيستخلفه فيها، فأخبر الله تعالى بما علم.

وقولُهم: إنّه لو كان قادراً على أنْ لا يخالف لكان قادراً على نقض

---

(١) الآراء تجدها في: تفسير مجاهد: ١٩٩، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٦٥ ت ٣٦، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ٩٣، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٧٩ ت ٣٣٣ ـ ٣٣٥، تفسير بحر العلوم ١: ١٠٩، تفسير النكت والعيون ١: ٩٧، تفسير الوسيط ١: ١١٦، تفسير الوجيز ١: ٩٩، تفسير المحرّر الوجيز ١: ١٦٧، وتفسير زاد المسير ١: ٦١.

تدبيره.

جهلٌ؛ لأنّ الله تعالى قد أمره بألّا يقرب الشجرة. فهل يجب بأن يكون أمرَه بأن ينقض تدبيره؟ فإذا قالوا: لا. قيل: فكذلك الله قد أقدره على ألّا يخالف فيلبث في الجنّة. ولا يجب بذلك إنْ يكون أقدره على نقض تدبيره.

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ الملائكة سألت الله تعالى أنْ يجعل الخليفة منهم. وقالوا: نحن نقدِّسُكَ ونُطيعُكَ ولا نعصيكَ كغيرنا. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «فلمّا أُجيبوا بما ذكر الله في القرآن، علموا أنّهم قد تجاوزوا (ما ليس لهم)[1]، فلاذوا بالعرش استغفاراً، فأمر الله آدمَ بعد هبوطه أنْ يبنيَ له[2] في الأرض بيتاً يلوذ به المخْطئون، كما لاذ بالعرش الملائكة المقرّبون. فقال الله تعالى للملائكة: إنّي أعْرَفُ بالمصلحة منكم، وهو معنى قوله: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾»[3].

قوله تعالى:

﴿**وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ**﴾ آية (٣١) آية واحدة بلا خلاف.

روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: (خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ـ وقيل: قبضها ملك الموت ـ فجاء بنو آدم على قدر ذلك، منهم: الأسود، والأحمر، والأبيض، والسهل، والحزن، والخبيث،

---

(١) بدل المحصورة في «خ»: ما لهم. ولها وجه.

(٢) عوض: له، في «خ»: للملائكة.

(٣) نحوه في: شرح الأخبار للقاضي النعمان ٣: ٢٧٩، علل الشرائع: ٤٠٦ ح ٧.

والطيّب)[١].

وقال أبو العبّاس[٢]: في اشتقاق آدم قولان:

أحدهما: إنّه مأخوذ من أَديم الأرض. قال: فإذا سَمَّيت به في هذا الوجه ثمّ نكّرته، صرَفْتَه.

والثاني: إنّه مأخوذ من الأُدْمَةُ على معنى اللّون والصفة، فإذا سمّيت

---

(١) ذكرته جملة من المصادر، فمن الحديثيّة: مسند أحمد بن حنبل ٤: ٤٠٠، ٤٠٦، سنن الترمذيّ ٥: ٢٠٤ ت ٢٩٥٥، سنن أبي داوُد ٢: ٤١٠، صحيح ابن حبّان ١٤: ٢٩، السنن الكبرى للبيهقيّ ٩: ٣، المستدرك للحاكم ٢: ٢٦١، تلخيص المستدرك ٢: ٢٦١، الأسماء والصفات: ٣٨٥، حلية الأولياء ٨: ١٣٥، فتح الباري ٦: ٢٥٧.

ومن كتب التاريخ: الطبقات الكبرى ١: ٢٥، ٣٩، تاريخ اليعقوبيّ ١: ٥، تاريخ الطبريّ ١: ٨٩ و١٠٤، البدء والتاريخ ٢: ٨٣، مروج الذهب ١: ٣٣، الروض الأُنف ١: ٨٢، الكامل في التاريخ ١: ١٤٠ وما بعدها وانظر فهرسته، المنتظم لابن الجوزيّ ١: ١٩٨.

ونحوه في مصادر الشيعة، انظر للمثال: تفسير عليّ بن إبراهيم ١: ٣٥، علل الشرائع: ١ ب ١ قطعة من الحديث ١ و: ١٤ ب ١٠ ح ١، عيون أخبار الرضا ١: ٢٤٠ ب ٢٤ ح ١ قطعة منه، سعد السعود: ٦٤ ت ١٦، قصص الأنبياء: ٤١ فصل ٢ ح ٤، البرهان في تفسير القرآن ١: ١٧٥ ت ٣٩٠ و٣٩١ و... ، بحار الأنوار ١١: ٩٧ ب ١، الأحاديث.

وغيرها كثير ولدى الفريقين.

(٢) هو: المبرَّد، محمّد بن يزيد بن عبدالأكبر، أبو العبّاس الأزديّ، البصريّ، الأخباريّ، مقدّم في النحو والأدب، أخذ عن المازنيّ والسجستانيّ، وعنه أخذ الخرائطيّ ونفطويه والقطّان. له: الكامل في اللّغة والأدب، والمقتضب، وغيرهما، توفّي عام: ٢٨٦ هـ.

لترجمته انظر: سيَر أعلام النبلاء ١٣: ٥٧٦ ت ٢٩٩، الوافي بالوفيات ٥: ٢١٦ ت ٢٢٨٢، إنباه الرواة ٣: ٢٤١ ت ٧٣٥، بغية الوعاة ١: ٢٦٩، ت ٥٠٣.

به في هذا الوجه ، ثمّ نكّرته ، لم تَصْرِفه[١] .

والأُدْمَةُ والسُّمْرَةُ ، والدُّكْنَةُ ، والوُرْقَةُ متقاربة المعنى في اللّغة .

وقال صاحب العين : الأدْمَةُ في الناس : شَرْبَةٌ منْ سَواد . وفي الإبِلِ والظِّباءِ : بياضٌ .... وأدمَةُ الأرض : وَجْهُها . والمؤْدَمُ من الجِلْد خلاف المُبْشَر . وأَدْمأ أُنثى . وآدم ذكر . وهي الأَدَمْ في الجَماعَة . وآدَمُ أبو البَشَرِ . والأُدْم : ما يُؤْتَدَمُ به ، وهو الإدام . والأدَم : جماعة الأَدِيْم . وأَدِيمُ كلِّ شيء : وَجهُهُ[٢] .

و(**كُلّ**) لفظة عموم على وجه الاستيعاب . وقال الرمّانيّ : حدّه الإحاطة بالأبعاض ، يقال : أبَعْضُ القوم جاءَك أم كلُّهم ؟

وتكون تأكيداً مثل « أجمعين » ، غير أنّه يُبتدأ في الكلام بكلّ ، كَقوله

---

(١) مع كثرة التتبّع لم نجد النسبة ، ولعلّها في غير المتوفّر لدينا ممّا لأبي العبّاس المبرّد من مؤلّفات .

هذا ، وقد نسب الرأي الأوّل إلىٰ : ابن عبّاس ، وابن جبير ، والزجّاج .

والثاني : للضحّاك ، وابن شميل ، وقطرب .

وقد اختلف في صرفه وعدمه ؛ للعجمة ـ إذ ادّعي أنّه سريانيّ ـ والتعريف ، أو للعلمية ووزن الفعل ، حيث يذهبون إلى أنّ وزنه أَفْعِلْ ، فهو بهمزتين لُيّنت الثانية منها ، فإذا احتيج إليها في الجمع ـ مثلاً ـ قلبت واواً فقيل : أوادم .

للإفادة من كتب الحديث انظر الهامش «١» ، صفحة : ٢٨ .

ومن كتب اللّغة والأدب «أَدَمَ» في : الاشتقاق : ٧١ ، تهذيب اللّغة ١٤ : ٢١٤ ، المحيط في اللّغة ٩ : ٣٨٤ ، المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ٣٨٧ ، الصحاح ٥ : ١٨٥٨ ، معاني القرآن ١ : ١١٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٧٤ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٤٨ ، إملاء ما مَنّ به الرحمن ١ : ٢٩ ، مشكل إعراب القرآن ١ : ٣٨٠ ت ٧٥ ، عمدة الحفّاظ ١ : ٧٧، المعرَّب : ١٣ . وغيرها .

(٢) العين ٨ : ٨٨ ، تهذيب اللّغة ١٤ : ٢١٤ ، المحيط في اللّغة ٩ : ٣٨٤ ، الصحاح ٥ : ١٨٥٨ ، لسان العرب ١٢ : ٨ ، «أَدَمَ» فيها ، وانظر الافصاح في فقه اللّغة ٢ : ١٢٣٣ .

تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[1]؛ لأنّ «كلاًّ» قد يلي العوامل ويبتدأ، و«أجمعون» لا تكون إلّا تابعة.

ويقال: عَرَضَ عَرْضاً. قال صاحب العين: عَرَضَ علينا فُلانٌ المتاعَ، يَعْرِضُ عَرْضاً، للشراء والهبة[2].

وقال الزجّاج: العَرْضُ أصله في اللّغة: الناحية من نواحي الشيء، فمن ذلك العَرْضُ خِلافَ الطُّول.

وعِرْضُ الرَّجُل: قال بعضهم: ما يُمدحُ منه أو يُذمُّ، وقيل عِـرْضُهُ: خَلِيقَتُه المحْمُودَة. وقيل: عِرْضُه: حَسَبُه.

وقال الرمّانيّ: ناحيته التي يصونها عن المكروه.

وحقيقة العَرْض: الإظْهارُ للشيء؛ ليُتَصَفَّح[3].

والإنباءُ والإعلام والإخبار: واحد.

قال صاحب العين: النبأ، ـ مهموز ـ: هو الخبر المنبئ والمخبر، ولفلان نَبَأ، أي: خبر، ويقول: نَبأتُه وأنْبَأتُه واسْتَنْبَأتُهُ، والجمع: الأنْبَاءُ.

والنبوّة ـ إذا أُخذت من الإنْباء فهي مهموزة، لكنْ رُوي عن

---

(١) سورة الحجر ١٥: ٣٠.

(٢) في العين ١: ٢٧١ «عَرَض» لفظه: وفُلانٌ يَعْرِضُ عَلَيْنا المَتاعَ عَرْضاً للبَيْع والهبة ونحوهما.

(٣) للّغة ينظر: العين ١: ٢٧١، تهذيب اللّغة ١: ٤٥٤، المحيط في اللّغه ١: ٣٥، الصحاح ٣: ١٠٨٢، معجم مقاييس اللّغة ٤: ٢٧٣، وبتفصيل في لسان العرب ٧: ١٦٥ ـ ١٨٧. مادّة «عَرَض» فيها. وأمّا النسبة ـ للزجّاج والرّمانيّ ـ فلم نجدها في المتوفر من المصادر.

النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: (لا تَنْبِزْ باسمي) لرجل قال له: يا نبيء الله[1].

والنَّبيءُ ـ بالهمز ـ: الطَّرِيقُ الواضِحُ يَأْخُذُ بِكَ إلى حَيْثُ تُرِيْدُ. والنَّبْأَةُ: صَوْتُ الكِلَابِ نَبَأَ به نَبْأً[2]. وحقيقة الإِنْباء: الإظْهارُ للخبر. قال الشاعر:

أدانَ وَأَنْبَأَهُ الأَوَّلُونَ ... بأَنَّ المُدانَ مَلِئٌ وَفِيّ[3] [١٥٨]

والفَرق بين الإخبار والإعلام:

إنّ الإعلام: قد يكون بخلقِ العلم الضروريِّ في القلب، كما خلَق الله

---

(١) ردُّ النبيّ صلى الله عليه وآله ورد في الأحاديث ومصادر الأدب واللّغة بنحوين:
فتارة (لا تنبر باسمي) لمن قال له: يا نبيء الله.
وأُخرى: (لستُ بنبيء الله ولكنّي نبيّ الله).
للاستزاده انظر: معاني الأخبار: ١١٤، المستدرك للحاكم ٢: ٢٣١، الفردوس بمأثور الخطاب ٣: ٤٢٠ ح ٥٢٨٤، كنز العمّال ١١: ٤٥٧ ح ٣٢١٤٨، الدرّ المنثور ١: ٣٨٨، الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣١، بحار الأنوار ١١: ٢٩، التبيان في إعراب القرآن ١: ٦٩، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ١٤٥، البيان ١: ٨٨، حجة القراءات ١: ٩٩، وللمزيد ينظر بحث الهمزة في شرح المفصّل ٩: ١٠٧، وانظر الهامش الآتي.

(٢) اللّغة تجدها في: العين ٨: ٣٨٢ و٤: ٢٥٨، تهذيب اللّغة ١٥: ٤٨٥ و٢: ٤١٥ و٧: ٣٦٤، المحيط في اللّغة ١٠: ٤٠٤ و٤: ٣٣٥، الصحاح ١: ٧٤، معجم مقاييس اللّغة ٢: ٢٤٠، مجمل اللّغة ٣: ٨٥، المخصّص ٥: ٧٢٠، لسان العرب ١: ١٦٢ و١٢: ٤١٦ و٤: ٢٢٦، عمدة الحفّاظ ٤: ١٣٤ مادّة «نبأ، علم، خبر» على التوالي في الجميع؛ وانظر ما يأتي عند تفسير الآية ٦١ من هذه السورة، فإنّ المصنِّف سوف يتكلّم عن ذلك بتفصيل.

(٣) لأبي ذُؤَيْب خُوَيْلد بن خالد الهُذَليّ. وهو ب ٣ ق ٧ في شرح أشعار الهُذليّين للسكّريّ ١: ٩٩. وفي ديوان الهُذليّين ١: ٦٥: ورد عجز الشطر الثاني معرّفاً، أي: الملئ الوفيّ.
أدان: باع إلى أجل. أنبأه الأوّلون: أخبره الناس الكبار والمسنون. المدان: من عليه الدين، الدائن، المشتري. مَلِئٌ: موسرٌ صاحب مال وثروة. وفيّ: يفي بوعده.
المعنى: واضح.
الشاهد فيه: استعمال أنبأه بمعنى: أخبره.

من (كمال العقلِ العلمَ بالمشاهدات)[١]؛ وقد يكون بِنَصب الأدلّة على الشيء.

والإخبار هو: إظْهار الخبرِ، عُلم به أو لم يُعلم. ولا يكون مخبراً بما يُحدثه من العلم في القلب. كما يكون معلماً بذلك.

وقوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾:

إنّما لم يقل: ثمّ عرضها، إذْ كانت الأسماءُ لا تَعقِل؛ لأنّه أراد به أصحاب الأسماء وفيهم ما يعقل فَغلَّبَ حكم ما يعقل. كما يُغلّب المذكّر إذا اجتمع مع المؤنث؛ لأنّهم يقولون: إنّ أصحابَكَ وإماءكَ جاؤوني.

وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: عرض الخلق.

وقال مجاهد: عرض أصحاب الأسماء.

وقوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾:

معناه: إنّه علّمه معاني الأسماء، من قِبَلِ أنّ الأسماءَ بلا معانٍ لا فائدة فيها، ولا وجه لإشادة الفضيلة بها. وقد نبّه الله الملائكَةَ على ما فيه من لطيف الحكمة، فأقرّوا ـ عندما سُئلوا عن ذكرها والإخبار عنها ـ أَنّه لا علم لهم بها. فقال: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾. وهو قول قتادة.

وظاهر العموم يقتضي أنّه علّمه جميع الأسماء. وبه قال ابن عبّاس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة. وأكثر المتأخّرين: كالبلخيّ والجُبّائيّ

---

(١) كذا في النسخ «خ، ؤ، ل، الحجرية». وفي النسخة «هـ»: من كماله العقلَ والعلمَ بالمشاهدات.

هذا، ولعلّ الواو ـ والعلمَ ـ زائدة؛ إذ مفعول خلقَ هو العلم.

وابن الإخشيد[١] والرمّانيّ[٢].

وقال الطبريّ (بما يُحكى)[٣] عن الربيع وابن زيد: إنّهما قالا: علّمه الله أسماء ذرّيّته، وأسماء الملائكة. وقال: هو الاختيار دون قول ابن عباس.

وقال: إنّ قولهم: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ إنّما يكون لِمَنْ يعقل في الأظهر من

---

(١) في ضبطه اختلاف كثير، إذ يرد تارة بالدّال، وأُخرىٰ بالذّال، وتارة الأخشاذ، وكلّها واحد، وكذا أُختلف في جدّه بين بَيْغَجُور ومعجور.

وعلى كلّ فالمراد منه: أبو بكر أحمد بن عليّ من رؤوس المعتزلة ومتكلّميهم ومصنّفيهم في بغداد، وإلى الكعبيّ والجُبّائيّ بعده انتهت الرياسة. له مؤلّفات، منها: الإجماع، نقل القرآن، مختصر الطبريّ، وغيرها. توفّي عام: ٣٢٦.

له ترجمة في: الفهرست للنديم: ٢٢٠، تاريخ بغداد ٤: ٣٠٩ ت ٢٠٩٩، طبقات المعتزلة: ١٠٠، سيَر أعلام النبلاء ١٥: ٢١٧ ت ٨١، وانظر صفحة: ٢٣١ هامش ١.

(٢) في حقيقة المعروض على الملائكة ـ والذي علّمهُ الباري جلّ وعلا لآدم عليه السلام ـ اختلاف كثير بين الأوائل.

يذهب جمع إلى أنّه المسمّيات لا الأسماء. وآخرون إلى أنّه الأسماء، وثالث إلىٰ أنّه أسماء أو مسمّيات خاصة.

للاطّلاع على الآراء ـ ومن دون نسبة غالباً ـ ينظر:

التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام: ٢١٦ ت ١٠٠، تفسير القمّيّ ١: ٤٥، تفسير العياشيّ ١: ٣٢ ت١١ ـ ١٣، تفسير فرات الكوفيّ: ٥٦ ت ١٥، تفسير البرهان ١: ١٦٣ ت ٣٦٨ ـ ٩٢، كمال الدين وتمام النعمة ١: ١٣ ـ ١٤، بصائر الدرجات: ١٠٣ و١٠٦ و٤٣٨.

تفسير مجاهد: ١٩٩، معاني القرآن للأخفش ١: ٢١٩، معاني القرآن للفرّاء ١: ٢٦، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٦٥، غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٥ ت ٣١، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٨٠ ت ٣٣٦ ـ ٣٤٢، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ١١٠، تفسير بحر العلوم ١: ١٠٨، تفسير النكت والعيون ١: ٩٨، تفسير الوسيط ١: ١١٦، تفسير الوجيز ١: ٩٩، تفسير السمعانيّ ١: ٦٥، تفسير المحرّر الوجيز ١: ١٦٨، باهر البرهان ١: ٥٩، معالم التنزيل ١: ٦٣، تفسير زاد المسير ١: ٦٢.

وغيرها للفريقين كثير.

(٣) بين القوسين مطموس في «خ»، وواضح في باقي النسخ.

كلام العرب[١].

وهذا غلط؛ لما بيّناه من حكم التغليب وحُسنه. كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾[٢] وهذا يبطل ما قاله، ويبقى اللّفظ على عمومه.

وظاهر الآية وعمومها يدلّ على أنّه علّمه جميعَ اللّغات، وبه قال الجُبّائيّ والرمّانيّ.

قالوا: فأخذ عنه وُلْده اللّغات، فلمّا تفرّقوا تكلّم كلّ قوم بلسان أَلِفوه واعتادوه، وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسَوْه؛ ويجوز أن يكونوا عالمين بجميع تلك اللّغات إلىٰ زمن نوح عليه السلام فلمّا أهلك الله جميع الخلائق إلّا نوحاً ومن معه، كانوا هم العارفين بتلك اللّغات، فلمّا كثروا وتفرّقوا اختار كلّ قوم منهم لغة تكلّموا بها، وتركوا ما سواه، وانقرض ونسوه.

والخبر الذي يُروى ـ: إنّ الناس أمسوا ولغتهم واحدة، ثمّ أصبحوا وقد تغيّرت ألسنتهم، وكان لا يعرف كلّ فريق منهم إلّا كلام من كان على لغتهم[٣] ـ خبرٌ ضعيفٌ.

وأيضاً، فلا يجوز أنْ ينسىٰ العاقلُ ما كان في أمسه من جلائل الأُمور مع سلامة عقله.

---

(١) تفسير جامع البيان ١ : ١٧١، بتصرّف.

(٢) سورة النور ٢٤ : ٤٥. وانظر: ما تقدّم عند تفسير **﴿ثمّ عرضهم على الملائكة﴾** : ٣٨٣.

(٣) لم نجده في ما توفّر لدينا من المصادر.

قالوا : فاللّغات جميعاً إنّما سُمعت من آدم ، وعنه أُخذت .

وقال ابن الإخشيد : إنّ الله فتق لسان إسماعيل بالعربيّة ، ولذلك صار أصلاً للعرب من ولده ؛ لأنّه تكلّم بها على خلاف النشُوء والعادة ، بل على أنّه ابتدأه بها وألهمه إيّاها[1] .

فإن قيل : ما معنى قوله : ﴿ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ما الذي ادّعوا حتّىٰ قيل لهم هذا ؟

قيل : عن ذلك أجوبة كثيرة للعلماء :

---

(١) اختلاف من القِدَم ولا زال في اللّغة أهي : وضع ، أم إلهام ، أم وحي . توقيفيّة هي أم اصطلاح وتواضع ، ثمّ من هو الواضع ؟ أهو الباري تعالى ، أم واحد من الناس ، أو مجموعهم ؟ هذا ، ويذهب البعض إلىٰ أنّ أصل اللُّغات إنّما هو الأصوات المسموعة لدوّي الريح ، وخرير الماء ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس و . . . .

وقد انسحب هذا الاختلاف على أُصول الفقه ـ وقبله على علم الكلام ؛ لتفريعه على مسألة خلق الأعمال لدى البعض ـ بنحو وبآخر حتّىٰ عُدّ أحد أعمدة ما يبحث عنه فيه لدى علماء الفريقين ؛ لترتّب آثار على ذلك . وعلى كلّ حال فإلى كلّ جهة مال بعض واستدل على مذهبه بأمور لا يسعنا التعرّض لها فالدَّلالة على المدوّنات أفضل .

فللاستزادة انظر :

من كتب الأدب مثلاً : البيان والتبيين ٣ : ٢٩٥ ، الصاحبيّ : ٥ ، المخصّص ١ : ٤ ، الخصائص ١ : ٤٠ ، المزهر في علوم اللّغة ١ : ٨ .

ومن كتب الأُصول الشيعية للتنوير انظر :كفاية الأُصول : ٢٠١ ، وقاية الأذهان : ٦١ ، هداية المسترشدين في شرح معالم الدين : ٢٥ بدايع الأفكار : ٣٤ ، الفصول الغرويّة ١٤ ، محاضرات في أُصول الفقه للشيخ الفياض ١ : ٣٢ ، مقالات الأُصول ١ : ٨٣ ، منتقى الأُصول ١ : ٤٣ وغيرها كثير .

وأمّا من العامة فلاحظ : التقريب والإرشاد ١ : ٣١٩ ، العُدّة للقاضيّ ١ : ١٩ ، المعتمد ١ : ١٤ ، بيان المختصر ١ : ١٤٩ ، المستصفى ٣ : ٧ ، الإحكام في أُصول الأحكام ١ : ١٤ ، البحر المحيط ٢ : ٧ ، المحصول ١ : ١٧٧ ، التحصيل ١ : ١٩٤ ، الكاشف ١ : ٤٢٩ وغيرها كثير .

أحدها: إنّ الملائكة لمّا أخبرهم الله عزّ وجلّ أنّه جاعل في الأرض خليفة، هجس في نفوسها: إنّه لو كان الخليفةُ منهم ـ بدلاً من آدم وذرّيّته ـ لم يكن فسادٌ ولا سَفْكُ دماء، كما يكون من ولد آدم. وأنّ ذلك أصلح لهم، وإنْ كان الله عزّ وجلّ لا يفعل إلّا ما هو الأصلح في التدبير والأصوب في الحكمة. فقال الله تعالى: ﴿**أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ في ما ظننتم من هذا المعنى؛ ليَدِلَّهم على أنّهم إذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا، كانوا مِنْ أنْ يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد.

والثاني: إنّه وقع في نفوسهم أنّه لمْ يخلقِ اللهُ خَلقاً إلّا كانوا أفضل منه في سائر أبواب العلم، فقيل: إنْ كنتم صادقين في هذا الظنّ فأخبروا بهذه الأسماء.

والثالث: قال ابن عبّاس: إنْ كنتم تعلمون لِمَ أجعلُ في الأرض خليفةً (فـ ﴿**أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾؛ لأنّ كلّ واحد من الأمرين من علم الغيب، فكما لا تعلمون ذا؛ لا تعلمون الآخر)[١].

والرابع: ما ذكره الأخفش والجُبّائيّ وابن الإخشيد والرّمانيّ: إنْ كنتم صادقين في ما تخبرون به من أسمائهم. كقول القائل للرجل: أخبرني بما في يدي إن كنتَ صادقاً. أي: إن كنتَ تَعْلم فأخبر به؛ لأنّه لا يمكن أنْ يصدق في مثل ذلك إلّا إذا أخبر عن عِلم منه، ولا يصحّ أنْ يُكلَّف ذلك إلّا مع العلم به، ولا بُدَّ إذا اسْتُدعُوا إلى الإخبار عمّا لا يعلمون من أنْ يُشْرَطَ

---

(١) بدل ما بين القوسين في «خ»: «أي أنبئهم أنّ كلّ واحد من الأمرين من علم الغيب، فكما لا يعلمون ذا؛ لا يعلمون الآخر». وفي «ؤ» مطابقة إلّا الجملة الأخيرة فجاءت: «وكما لا تعلمون ذا؛ لا تعلمون الآخر».

بهذا الشَّرْط ، ووجه ذلك التنبيه كما يقول العالم للمتعلّم : ما تقول في كذا ؟ ويعلم أنّه لا يحسن الجوابَ ؛ لينبِّهه عليه ، ويحثّه على طلبه ، والبحث عنه . فلو قال له : أخبر بذلك إنْ كنتَ تعلم ، أو قال له : إنْ كنتَ صادقاً ؛ لكان حسناً . فإذا نبّهه على أنّه لا يمكنه الجواب أجابه حينئذ ، فيكون جوابُه بهذا التدريج أثبت في قلبه ، وأوقع في نفسه .

وقوله : ﴿ **أنبِئُونِى** ﴾ :

قال قوم : هو أمر مشروط . كأنّه قيل : إنْ أمْكَنكُم أنْ تُخبِروا بالصّدق فيه فافعلوا .

وقيل : إنّ لفظه لفظ الأمر ومعناه التنبيه ، على ما بيّناه في سؤال العالم للمتعلِّم[1] .

ولا يجوز أنْ يكون ذلك تكليفاً ؛ لأنّه لو كان تكليفاً لم يكنْ تنبيهاً لهم على أنّ آدم يعرف منْ أسماءِ هذه الأشياءِ ـ بتعريف الله إيّاه ذلك ـ ما لا يعرفون . فلمّا أراد تعريفَهم ما خصّ الله به آدم من ذلك علمنا أنّه ليس بتكليف .

ومعنى قوله : ﴿ **إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ :

شرط ، كأنّه قيل : إنْ كنتم صادقين في الإخبار بذلك .

وليس ﴿ **إنْ** ﴾ بمعنى «إذْ» على ما حكاه الكِسائيّ عن بعض المفسّرين ؛ لأنّها لو كانت كذلك ، لكانت «أَنْ» بفتح الهمزة ، وتقديره : أَنْ كنتم مُحقِّقين أيمانكم ، فافعلوا كذا وكذا ؛ لأنّ (إذْ) إذا تقدّمها فعلٌ مستقبل

---

(١) قبل أسطر .

صارت علّة للفعل وسبباً له. كقولك: أَقومُ إذْ قُمتَ، أي: من أجل أَنْ قُمتَ، فلو كانت ﴿إنْ﴾ في الآية بمعنى «إذْ» لكان التقدير: أنبئوني بأسماء هؤلاء من أجل أنّكم صادقين، وإذا وضعت «إنْ» مكان ذلك وجب أنْ تفتح الألف، وذلك خلاف ما عليه جميع القرّاء.

والإنباء: قال قوم: أصله الإعلام، كقولهم: أنبأت عمراً زيداً أخاك، بمعنى أعلمت، ولا يصحّ هاهنا أخبرت. إلّا أنّه يتأوّل ﴿أنبِئُونِى﴾ ها هنا بمعنى أخبروني على وجه المجاز والتوسّع؛ لتقارب المعنى في الإخبار والإنباء؛ لأنّ الله تعالى عالم بالأشياء في ما لم يزل، فلا يجوز أنْ يقولَ: أعلموني لِما هو عالم به.

ومن قال: أصله الإخبار، تعلّق بظاهر القرآن.

وفي كيفية عرضهم قولان:

أحدهما: إنّه عرضهم بعد أنْ خلقهم.

والثاني: إنّه عرضهم بأنْ صوّرهم لقلوب الملائكة.

وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من حيث إنّ الله تعالى لمّا أراد تشريف آدم اختصّه بعلْم أبانه به من غيره، وجعل له الفضيلة به.

وفي كيفيّة تعليم الله تعالى آدم الأسماء: قال البلخيّ: يجوز أنْ يكون أخبره الله تعالى فوعاه في وقت قصير بما أعطاه من الفهم والحفظ. أو: بأن دَلَّه ومكّنَه، ورَسَم له رَسْماً فابْتدع هو لكلّ شيء اسماً يُشاكلُه. ولا بدّ أن يكون إعلامُه له بلغةٍ قد تقدّمت المواضَعة عليها حتّىٰ يَفهم بالخطاب المراد به. وتلك: المواضعة لا بدّ أنْ تستند إلىٰ سمع عند قوم.

وعند أبي هاشم[١] وأصحابه: لا يصحّ ذلك[٢].

فأمّا الذي عُرض على الملائكة:

قال قوم: عُرضت الأسماءُ دون المسمّيات.

وقال قوم آخرون: عُرضت المسمّيات بها.

وهو الأقوى؛ لقوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾. وفي قراءة ابن مسعود: «ثمّ عرضهنّ». وفي قراءة أُبَيّ[٣]: «عرضها»[٤].

---

(١) عبد السلام بن محمّد بن عبد الوهّاب بن سلام، أبو هاشم الجُبّائيّ المعتزليّ، أخذ عن والده، له آراء تفرّد بها، تبعته فرقة من المعتزلة تسمّىٰ البهشميّة، توفّي عام: ٣٢١ هـ.

انظر: سيَر أعلام النبلاء ١٥: ٦٣ ت ٣٢، طبقات المعتزلة: ٩٤ ط ٩، مرآة الجنان ٢: ٢١١، تاريخ بغداد ١١: ٥٥ ت ٥٧٣٥.

(٢) كتبهم ـ أبو هاشم، البلخيّ ـ وخصوصاً ما كان منها في التفسير لم تر النور بعد.
ولاحظ التفسير الكبير ٢: ١٧٥، متشابه القرآن للقاضيّ: ٨٣.

(٣) أُبَيّ بن كعب بن قيس المدنيّ، أبو المنذر الأنصاريّ الصحابيّ، شهد العقبة وبدراً وغيرها، حدّث عنه جمع منهم: أنس بن مالك، سليمان بن صُرَد، ابن المسيب وغيرهم كثير، عُدّ من كبار القرّاء، أخذ القراءَةَ عنه جمع منهم السُّلَميّ، توفّي أيّام حكومة عثمان عام: ٣٠ هـ.

لترجمته ينظر: سيَر أعلام النبلاء ١: ٣٨٩ ت ٨٢، طبقات القرّاء ١: ٩ ت ٣، أُسد الغابة ١: ٦١ ت ٣٤.

(٤) اختلفت القراءات باعتبار الاختلاف في عائد الضمير وما أُريد منه.

فمن قرأ: «عرضهم» فباعتبار عوده إلى أفراد المسمّيات، فجعله مذكراً.

ومن قرأ: «عرضها» أعاده إلى الجمع، أو أنّه غَلَّبَ ما لا يعقل.

ومن قرأ: «عَرَضَهُنّ» فإنّه أعاده على لفظة المسمّيات وهي جمع مؤنث.

للمزيد انظر: معاني القرآن للفرّاء ١: ٢٦، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ١١١، معاني القرآن للأخفش ١: ٢١٩، مختصر ابن خالويه: ٤، أمالي المرتضى ١: ٧٥، الصاحبي: ٧، البيان في إعراب غريب القرآن ١: ٧٢، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٤٥، التبيان في إعراب القرآن ١: ٤٨.

وقال قوم : إنّه عرضهم بعد أنْ خلق المسمّيات وأحضرها ؛ لقوله : ﴿أَسْماءِ هٰؤُلَاءِ﴾ وذلك إشارة إلىٰ الحاضرة .

وقال آخرون : إنّه صوّرهم لقلوب الملائكة ، ثمّ عرضهم قبل خلقهم .

وقيل إنّ قوله : ﴿هٰؤُلَاءِ﴾ : إشارة إلىٰ الأسماء التي علّمها آدم[١] .

و﴿أنْبِئوني﴾ : أكثر القرّاء على أنّه يُهمز . وروي عن الأعمش ترك الهمز فيه ، وهي لغة قريش[٢] .

﴿هٰؤُلَاءِ﴾ : لغة قريش ومن جاورهم بإثبات ألف بين الهاء والواو ، ومدّ الألف الأخيرة . وتميم وبكر وعامّة بني أسد يقْصرون الألف الأخيرة . وبعض العرب يُسقط الألف الأُولى التي بين الهاء والواو . ويمدّ الأخيرة[٣] .

وأنشد :

تَـجَلَّدْ لا يَـقُلْ هَـؤلاءِ : هـذا بَكـى لمّـا بَكـى أسَـفاً عَـلَيْكا[٤] [١٥٩]

---

(١) إضافة لمصادر الهامش السابق انظر مصادر الهامش : ٢ صفحة : ٣٣ .

(٢) إضافة إلىٰ المصنّف ، فقد أشار إليها الأندلسيّ في بحره المحيط ١ : ١٤٦ .

(٣) اسم الإشارة «هؤلاء» أصله : أولاء ، قرنت به هاء التنبيه ، وفيه لغات ثلاث ، وهناك من يبدِّلُ الهمزة الأخيرة هاءً فيقول : أولاه .

للتفصيل ينظر : شرح المفصّل ٣ : ١٣٦ ، شرح الكافية ٢ : ٤٧٦ ، تذكرة النُّحاة : ٥٠٦ ، ومفصّلاً في ارتشاف الضرب من لسان العرب ٢ : ٧٢٩ ـ ٧٣٣ .

(٤) شاهد لم يعرف قائله ، ولم ينسب لأحد .

وقد اختلفت المصادر والنسخ في ضبط رويّه بين المثبت ، و : «وغيظا ، وعيبا ، وعييا» ولا مرجّح ظاهراً .

الشاهد فيه : قوله : «هَوْلاء» ، فإنّها مخفّفة : «ها أُلاءِ» حيث حذفت ألف «ها» ⇐

وحقّق الهمزةَ ابن عامر وأهلُ الكوفة إذا اتّفقا من كلمتين.

وقرأ أبو عمرو وأحمد بن صالح[١]، عن قالون[٢]: بتحقيق الأُولى وحَذف الثانية.

وقرأ ورش وقنبل وأبو جعفر ورويس: بتحقيق الأُولى وتليين الثانية.

وقرأ ابن كَثير - إلّا قُنبلاً - ونافع - إلّا ورشاً - وأحمد بن صالح: بسكون الأُولى وتحقيق الثانية في المكسورتين والمضمومتين، وفي المفتوحتين بتحقيق الأُولى وحذف الثانية[٣].

وقلبت همزة أُلاء واواً، فأصبحت: «هؤلاءِ».

المعنى: تَجَلّدْ: أمرٌ من الجَلادة وهي التحفّظ من الجزع.

ممّن استشهد به: ابن يعيش في شرح المفصّل ٣: ١٣٦، والرضيّ في شرح الكافية ٢: ٤٧٧ ت ٣٩٨، وابن حيان الأندلسيّ في تذكرة النُّحاة: ٥٠٦، وفي تفسير البحر المحيط ١: ١٣٨، والسمين الحلبيّ في تفسير الدرّ المصون ١: ١٨٢ ت ٣٥١، والبغداديّ في خزانة الأدب ٥: ٤٣٧ ت ٤١٠.

(١) أحمد بن صالح، أبو جعفر الطبريّ، المصريّ المقرئ. سمع سفيان بن عيينة، وابن أبي فديك، وحرمي، وأخذ القراءة عن ورش وقالون. توفّي عام: ٢٤٨هـ.

ترجمته في: طبقات القرّاء ١: ٢١٣ ت ١١٢ ومصادره، تاريخ بغداد ٤: ١٩٥ ت ١٨٨٦.

(٢) قالون: كلمة روميّة تعني: جَيِّدَ القراءة. وبها لقَّبَ نافعٌ: عيسى بن ميناء بن وردان الزهريّ، أبو موسى الزُّرَقيّ المدنيّ. قارئ المدينة المنوّرة، وربيب نافع وراويته قراءة وحديثاً. مات عام ٢٢٠ هـ.

له ترجمة في طبقات القرّاء للذهبيّ ١: ١٧٤ ت ٧٨ ومصادره، غاية النهاية ١: ٦١٥ ت ٢٥٠٩.

(٣) انظر صفحة: ١٩٧ و٢٣٧ من الجزء الأوّل هامش ١ فيهما ما جاء فيها حول كلمة «تحقيق».

قوله تعالى :

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آية (٣٢) .

هذه الآية فيها إخبار من الله تعالى عن ملائكته : بالرجوع إليه والأوبة وتسليمِ أنّهم[(١)] لا يعلمون إلّا ما علّمهم الله .

وقوله : ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ :

نَصْب على المصدر ، ومعناه : نُسَبِّحُكَ[(٢)] ، وسُبْحان مصدر لا ينصرف .

وقدّ بيّنا في ما مضى أنّ معنى التسبيحَ : التنزيه[(٣)] ، ومعناه ها هنا : تَبَرّياً منهم أنْ يعلموا الغيبَ ، وإقراراً أنّه المُخْتَصُّ به تعالى دون غيره .

وقوله : ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ :

معنى عليم : إنّه عالِم ، وفيه مبالغة ، وهو من صفات ذاته ، وإذا كانت كذلك أفادت أنّه عالِم بجميع المعلومات ، ويوصف به في ما لم يزل ؛ لأنّ ذلك واجب في العالِم لنفسه .

وقوله : ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ :

يحتمل أمرين :

أحدهما : إنّه عالِم ؛ لأنّ العالِم بالشيء يسمّى بأنّه حَكِيم ، فعلى هذا

---

(١) في «وَ ، هـ» : والتسليم وأنّهم ، وفي : «س ، حجري» : والتسليم أنهم ، والمثبت من «خ» .

(٢) في «خ» : تَسْبيحُك ، والمثبت من باقي النسخ .

(٣) مضى في تفسير الآية «٣٠» ، وانظر : الكتاب ١ : ٣٢٤ ، الزاهر في معاني كلمات الناس ١ : ١٤٤، معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٢٠ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٤٩ .

يكون من صفات الذات، مثل العالم وقد بيّناه[١].

والثاني: أن يكون من صفات الأفعال، ومعنى ذلك: إنّ أفعاله مُحْكَمَةٌ مُتْقنَةٌ وصوابٌ، وليس فيها وجه من وجوه القُبْح ولا التفاوت، ولا يوصف بذلك في ما لم يزل.

وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: العليم: الذي كَمُلَ عِلْمُه، والحَكِيمُ: الذي كَمُلَ في حِكْمتِهِ[٢].

وقد قيل في معنى حَكِيم: إنّه المانِع من الفَساد. ومنه سُمّيت حَكَمَةُ اللِّجام؛ لأنّها تمنع الفرسَ من الجرْي الشديد[٣]. قال جرير:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهاءَكُمْ ... إنِّي أَخافُ عَلَيْكُمُ أنْ أَغْضبا[٤] [١٦٠]

أي: امنعوهم.

والإحكام، والإتقان، والاتّساق، والانتظام متقاربة.

والحِكْمَةُ: نقيض السَّفَه، يقال: حَكَمَ حُكْماً وأَحْكَمَ إحْكاماً. ويقال: أَحْكَمَ فُلانٌ عَمَلَه، إذا بالغ فيه فأصاب حقيقتَه.

---

(١) قبل أسطر.

(٢) صحيفة عليّ بن أبي طلحة: ٨٢ ت ١٦.

(٣) تفسير النكت والعيون ١: ١٠١، وانظر مصادر الهامش ٣ من صفحة ٤٤.

(٤) وبعده:

أبَني حَنِيفَةَ إنّني إنْ أَهْجُكُمْ ... أَدَعِ اليَمامَةَ لا تُوَارِي أَرْنَبا

البيتان للشاعر جرير، يهجو بهما بني حنيفة ويحذّرهم وينبّههم إلى ضرورة منع وكفّ صبيانهم وسفهائهم؛ حذراً من هجوه لهم.

الشاهد فيه: «أحكموا» أي: امْنَعُوا أو كُفُّوا. من الحَكَمَة التي تحيط بَحَنَكي الفرس لِكَبْح جُماحه.

انظر: الديوان بشرح محمّد بن حبيب ١: ٤٦٦ ت ١٠٩، الديوان: ٤٧.

والحِكْمةُ: هي التي تقف بك على مُرّ الحقّ الذي لا يخلطه باطل، والصدق الذي لا يشوبه كذْب. ومنه قوله: ﴿حِكْمَةٌ بَـٰلِغَةٌ﴾[1].

والحَكَمُ بين الناس: هو الذي يُرضى به؛ ليقف الأشياءُ مواضعها. ومنه قوله: ﴿فَابْعَثُواْ حَكَماً مِنْ أَهلِهِ وحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا﴾[2].

والحاكِم: القاضي بين الناس، ليقفهم على الحقّ.

ويقال: رجلٌ حَكِيمٌ، إذا كان ذلك شأنه وكانت معه أُصولٌ من العلْم والمعرفة.

وإذا حَكَمَ بين الرجلين يقال: حَكَمَ يَحْكُمُ. وإذا صار حَكِيماً قيل: حَكُمَ يَحْكُمُ. وأمرٌ مُسْتَحْكَمٌ: إذا لم يكن فيه مطعن.

وفي الحديث: (في رأسِ كلِّ عبدٍ حَكَمة إذا همَّ بسيّئةٍ، وشاء الله أنْ يَقْدَعَهُ بها، قَدَعَه)[3] يعني: منَعه.

---

(١) سورة القمر ٥٤ : ٥.

(٢) سورة النساء ٤ : ٣٥.

(٣) قريب منه في الكافي ٢ : ٢٣٥ ح ١٦ عن أمير المؤمنين عليه السلام، وبلفظ المتن في بحار الأنوار ٧٣ : ٢٢٤ ذيل ح ١٦. الحَكَمَة: حديدة في اللِّجام تكون على أنف الفرس أو حَنَكِهِ إذا سُحِب اللِّجام منعت الحيوان من مخالفة الراكب.

وقَدَعَ: نهى، أو ردع، أو كفَّ الكبيرُ مَنْ دونَه باليد أو اللسان أو الرأي. قَدِعَ يَقْدَعُ قَدْعاً.

وما ورد في بعض النسخ: بالذال عوض الدال لا محصّل له؛ لأنّه بمعنى الشتم وهو غير مراد.

انظر: العين ٣ : ٦٦ و١ : ١٤٤، جمهرة اللّغة ١ : ٥٦٤ و٢ : ٦٦١، تهذيب اللّغة ٤ : ١١٠ و١ : ٢٠٨، المحيط في اللّغة ٢ : ٣٨٦ و١ : ١٥٣، الصحاح ٥ : ١٩٠١ و٣ : ١٢٦٠، المحكم والمحيط الأعظم ٣ : ٤٩ و١ : ١٨١، لسان العرب ٨ : ٢٦٠ و١٢ : ١٤٤، تاج العروس ١٦ : ١٦٠ و١١ : ٣٥٦، والنهاية لابن الأثير ١ : ٤٢٠ ⇙

والحِكْمَةُ في الإنسان هي: العلم الذي يمنع صاحِبَه من الجهل.

ومعنى قول الملائكة: ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾: يحتمل أمرين:

أحدهما: ما قدّمناه. وهو قول ابن عبّاس قال: ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ تنزيهاً لله من أن يكون أحدٌ يعلم الغيب سواه.

والثاني: إنّهم أرادوا أنْ يُخَرِّجُوا الجواب مخرج التعظيم لله. فكأنّهم قالوا: تنزيهاً لك عن القبائح. فعلى هذا الوجه يحسُن وإن لم يعلّقه بعلم الغيب كما علّقه في الأوّل.

وفي الناس من استدلّ بهذه الآية على بطلان الأحكام في النجوم. وهذا يمكن أنْ يكون دلالة على من يقول: إنّها موجبات لا دلالات.

فأمّا من يقول: إنّها دلالات على الأحكام نصبها الله. فإنّه يقول: نحن ما عَلِمْنا إلّا ما عَلَّمَنا الله؛ لأنّه الذي جعل النجوم أدلّة لنا، كما أنّ ما عَلِمْناه استدلالاً غير ضرورة مضاف إليه أيضاً من حيث نَصب الدلالةَ عليه.

واستدلّ جماعة من المفسّرين بهذه الآية والآيتين قبلها على صدق النبيّ صلى الله عليه وآله، وجعلوها من جملة معجزاته، إذ كان إخباراً بما لا تعلَمه العرب، ولا يوصل إليه إلّا بقراءة الكتب، والنبيّ صلى الله عليه وآله لم يُعرف بشيء من ذلك، مع العلم بِمَنْشَئِهِ ومبتدأ أمره ومنتهاه.

مادتي «حَكَمَ، قدع» في الجميع.

وأمّا لمصدر الحديث فانظر: الكافي ٢: ٣١٢ ح٦. وباختلاف في ذيله، المصنّف لابن أبي شيبة ١٤: ٤٢ ت ١٧٤٩٦، المعجم الكبير للطبراني ١٢: ٢١٨ ت ١٢٩٣٩، تاريخ بغداد ٤: ٤٠١ ت ٢٣٠١. وبعض مصادر اللّغة.

وهذا يمكن أنْ يُذكر على وجه التأكيد والتقوية لآياته ومعجزاته من غير أنْ يكون لو انفرد لكفى في باب الدلالة ؛ لأنّ لقائل أنْ يقول : إنّه قرأ الكتب سِرّاً ، وأخذ عمّن قرأها خفيّاً ، فلا طريق للقطع على ذلك ، وإنّما تغلّب في الظنّ .

فإن قيل : ما الفائدة في الجواب بقولهم : **﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾** ؟

قلنا : لو اقتصروا على قولهم : **﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾** لكان كافياً ؛ لكن أرادوا أنْ يُضيفوا إلى ذلك التعظيم له والاعتراف بأنّ جميع ما يعلمونه من تعليمه ، وأنّ هذا ليس من جملة ذلك واختصروا ، وذلك أدلّ على الشكر لنعمه .

وقوله : **﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾** :

وقيل في معنى «عليم» أمران :

أحدهما : إنّه عالم بغير تعليم ؛ بدلالة أنّهم أثبتوا لله ما نفوه عن أنفسهم بقولهم : **﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾** أي : نحن مُعَلَّمون وأنْتَ العليم غير المُعلَّم .

والثاني : إنّه العليم الحكيم .

وكلاهما حسن . والأوّل أحسن ؛ لأنّه أكثر فائدةً وأولى في تقابل البلاغة .

وقد تضمّنت الآية الدلالة على أنّه لا علم لأحد إلّا ما علّمه الله إمّا ضرورة أو بالدلالة .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ آية (٣٣) آية بلا خلاف .

روى الدَّاجُونيّ[1] ، عن هشام : أَنْبِئْهِمْ ، ونَبِّئْهِم - في الحِجر والقمر[2] - بقلب الهمزةِ وكسر الهاء .

وروى الزّينبيّ[3] - من طريق المالكيّ[4] والعطّار[5] - كسر الهاء

---

(١) الدّاجونيّ الكبير ، محمّد بن أحمد بن عمر ، أبو بكر الرّمليّ الضرير ، نسبة إلىٰ داجون من قرى الرَّملة ، قرأ على هارون الأخفش والرّقيّ وغيرهما ، وعليه قرأ ابن مجاهد والدَّاجونيّ الصغير ، والشذّائيّ بقراءة هشام . توفّي عام : ٣٢٤ .
انظر : طبقات القرّاء ١ : ٣٣٧ ت ٢٦٧ ، غاية النهاية ٢ : ٧٧ ت ٢٧٦٥ ، معرفة القرّاء الكبار ١ : ٢٦٨ .

(٢) إشارة إلىٰ الآية الكريمة : ٥١ ، من سورة الحجر : ١٥ . والآية الكريمة : ٢٨ ، من سورة القمر : ٥٤ .

(٣) الزَّيْنَبِيّ ، محمّد بن موسى بن سليمان ، أبو بكر الهاشميّ ، المقرئ البغداديّ . أخذ القراءة عن قُنبل والخزاعيّ وغيرهما ، وعنه الشذّائيّ والشنبوذيّ وغيرهما ، توفّي : ٣١٨ .
ترجمته في : غاية النهاية ٢ : ٢٦٧ ت ٣٤٨٩ ، طبقات القرّاء ١ : ٣٥٦ ت ٢٨٧ ، معرفة القرّاء الكبار ١ : ٢٨٥ .

(٤) المالكيّ : لعلّه : عليّ بن محمّد بن إبراهيم بن خُشْنام أبو الحسن المالكيّ . قيل : كان شيخاً فاضلاً زاهداً من المياسير . عرض على أبي بكر محمّد بن موسى الزّينبيّ ، وقرأ عليه . مات عام ٣٧٧ هـ .
غاية النهاية ١ : ٥٦٢ ت ٢٣٠٠ .

(٥) مشترك بين جمع ، انظر : طبقات القرّاء للذهبيّ ترجمة ٥٦٩ ، ٤٧٠ وغيرها .

وتحقيق الهمزة .

والباقون بضمٍّ الهاء وتحقيق الهمزة .

قال أبو عليّ : من ضمَّ الهاء حملها على الأصل ؛ لأنّ الأصل أنْ تكون هاء الضمير مضمومة ، مثل قولهم : ضربهُم وأنبأهُم .

وإنّما تُكسر الهاءُ إذا وَليها كسرة أو ياء ، نحو بِهِم وعليْهِم . ومع هذا يضمُّها قوم حملاً على الأصل .

ومن كسر الهاءَ التي قبلها همزةٌ مخفّفةٌ ، فإنّه أَتبعَ كسرةَ الهاءِ الكسرةَ التي قبلها . وإن كان بينهما حاجز . كما قالوا : هـذا المَـرْءُ ، رأَيْتُ المَـرْءَ ، ومررت بالمِرْءِ ، فاتبعوا مع هذا الفصل[1] .

وحكي عن أبي زيد أنّه قال : قال رجلٌ من بكر بن وائل : أخذتُ هذا مِنْهِ يا فتى ، ومِنْهِمَا ، ومِنْهِمِي . وَكَسَرَ الهاءَ في الإدراج والوقف . وحكـي عنه : لم أَعْرِفِهِ ولم أضْرِبِهِ فكسر ، وقال : لم أضْرِبِهِما . فكسر الهاء مع الباء . ويحتمل أن يكون ما اعتدّ بالحاجز بين الكسـرة والهـاء ؛ لسكـونها فكأنّ

ﭬ ولعلّه : محمّد بن الحسن بن يعقوب ، أبو بكر البغداديّ ، المقرئ النحويّ العطّار ، أخذ عن الحدّاد وداوُد بن سليمان ، وعنه إبراهيم الطبريّ والنهروانيّ والفحّام ، وأخذ الأدب عن ثعلب ، قيل : كانت له آراء منكرة استتيب منها ، توفّي سنة ٣٥٤ هـ .
انظر طبقات القرّاء ١ : ٣٨٦ ت ٣١٨ ، ومصادره .

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١٠ ـ ١١ وانظر : السبعة في القراءات : ١٥٤ ت ١٦ ، إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢١١ ، إعراب القراءات السبع ١ : ٨٢ ، الحجّة في القراءات السبع : ٧٥ ، مختصر في شواذّ القرآن : ١٢ ، المحتسب ١ : ٦٦ ـ ٧١ ، التذكرة في القراءات ١ : ٢٠٠ ، التيسير في القراءات السبع : ٣٩ ، التلخيص في القراءات الثمان : ١٤٨ ، إعراب القراءات الشواذّ ١ : ١٤٦ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٥٠ ، إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ٢٩ ، النشر في القراءات العشر ١ : ٣٩٠ باب في الهمزة المفردة ، بشيء من التفصيل . وتفسير المحرّر الوجيز ١ : ١٧٤ .

الكسرة وَلِيَتِ الهاءَ[١].

ومعنى ﴿أَنْبِئْهُمْ﴾:

خطاب لآدم، يعني: أخبر الملائكة؛ لأَنّ الهاءَ والميم كنايةٌ عنهم، وموضعهما النصب.

﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾:

يعني بأسماء الذين عرضهم على الملائكة. والهاء والميم في أسمائهم كناية عن المرادين بقوله: ﴿بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ﴾. وقد مضى بيانه[٢].

وقوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾:

فالإبداء، والإعلان، والإظهار بمعنى واحد. يقال: بدا وعَلَنَ وظَهَرَ.

وضِدّ الإبداء: الكتمان، وضِدّ الإظْهار: الإبطان، وضِدّ الإعلان: الإسرار.

يقال: بَدَا يَبْدُو بَدْواً: من الظهور، وبَدَأَ يَبْدَأُ بَدْأً - بالهمز - بمعنى استأنف.

قال صاحب العين: بَدَا الشيءُ يَبْدُو بَدْوَاً: إذا ظَهَرَ. وبَدا له في الأمْر بَدَاءً وبَدْوَاً. والباديةُ: اسْم الأرض التي لا حضرَ فيها. وإذا خرج الناس من الحضر إلى الصحراء والمراعي، يقال: بَدَوا بَدْوَاً واسمه البَدْو. ويقال: أهْلُ البَدْوِ، وأهْلُ الحَضَر[٣].

---

(١) يبدو أنّ الحاكي أبو عليّ الفارسيّ في الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١١ - ١٢ .

(٢) تقدّم في تفسير الآية : ٣١ .

(٣) العين ٨ : ٨٣. وانظر: جمهرة اللّغة ٢ : ١٠١٩، تهذيب اللّغة ١٤ : ٢٠٢، المحيط في اللّغة ٩ : ٣٧٣ - ٣٧٤ «بَدَوَ - بَدَءَ» فيها.

وأصْلُ الباب: الظُّهور.

والخَفاءُ: نَقيضُ الظُّهور.

وقال الرمّانيّ: حدّ الظُّهور: الحصُولُ على حقيقة يمكنُ أنْ تُعلم بسهولة. والله ظاهر بأدلّته باطن عن إحْساسِ خلقه. وكلّ استدلال فإنّما هو ليظهر شيءٌ بظهور غيره.

والإسرار والإخفاء بمعنى واحد.

قال صاحب العين: الكِتْمان: نَقِيضُ إعْلانِ السرّ ونحوه. وناقَةٌ كَتُومٌ: وهي التي لا ترغو إذا رَكِبَها صاحِبُها، أي: لا تَصِيحُ. والكاتِمُ مِنَ القِسِيِّ: التي لا تُرِنُّ إذا أُنْبِضَتْ[١].

والألف في قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ أَلِفُ تَنبيه. كقول القائل: أَما ترىٰ اليومَ ما أطيبه؟ لمن يعلم ذلك إلّا أنّك تريد أنْ تُحضّر ذهنه، وأنّ ليس مثله ممّا يخفى عليه، كقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرَ﴾.

وحُكي عن سيبويه: أما ترى أيَّ برق ها هنا[٢]؟

وهي ألف تنبيه، أصلُها الاستفهام.

ومن الناس من قال: إنّ معناه التوبيخ. ومَنْ لم يُجز على الملائكة المعصيةَ منعَ من ذلك.

فإن قيل: ما الفائدة في إنباء آدم عليه‌السلام الملائكة بذلك دون إعلامِه تعالى إيّاهم بذلك؟

---

(١) العين ٥: ٣٤٣. وانظر: تهذيب اللّغة ١٠: ١٥٤، المحيط في اللّغة ٦: ٢٣٠، لسان العرب ١٢: ٥٠٦، «كَتَمَ» فيها.

(٢) انظر: الكتاب ١: ٢٣٦ ب مالا يعمل فيه ما قبله من الفعل.

قلنا : أراد الله بذلك تَكْرِمةَ آدم عليه السلام وتشريفه ، وإجلالَ المنَّةِ عليه ، وتعظيمَ النعمةِ عليه ، وجميعُ قصّة آدم تؤذن بذلك .

فإن قيل : ما معنى ﴿ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ والله تعالى لا يغيب عنه شيء ؟

قيل معناه : إنّه يعلم ما غاب عنهم فلم يشاهدوه ، كما يعلم ما حضرهم فشاهدوه .

وقوله : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ :

قيل فيه أقوال :

أحدها : إنّه يعلم سرّهم وعلانيتهم ، وذكر ذلك تنبيهاً لهم على ما يجبلهم عليه من الاستدلال ؛ لأنّ الأصول الأُوَل التي يُستدلّ بها إنّما تُذكر على وجه التنبيه ؛ ليُسْتخرج بها غيرها ، فيُستدلُّ بعلم الغيب أنّه خلق عباده على ما خلقهم عليه ؛ للاستصلاح في التكليف وما توجبه الحكمة .

والثاني : ما يُسرّون ، يعني : ما أضمره إبليس من المعصية والمخالفة . وما يعلنون : قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ .

قال الرمّانيّ : وهذا الوجه غلط ؛ لأنّ إبليس ليس من الملائكة وظاهر الخطاب إنّما هو للملائكة ، ولأنّ القول على العموم فلا يجوز أنْ يُصرف إلىٰ الخصوص بغير دلالة .

وهذا الوجه اختاره الطبريّ ، وقال : هو بمنزلة قولهم : قُتِلَ الجيشُ وهزموا ، وإنّما قُتل البعض[1] .

قال الرمّانيّ : إنّما يقال ذلك إذا حلّ قتلُ الواحد محلّ الجميع ، مثل :

---

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن ١ : ١٧٧ .

قتْل الرئيس أو من يقوم مقامه. ولا يقال أيضاً إلّا والدلالة عليه ظاهرة. وليس كذلك الآية. وقد روى روايات في هذا المعنىٰ.

والوجه في هذا: إنّ إبليس لمّا دخل معهم في الأمر بالسجود، جاز أنْ يُستثنى من جملتهم[١].

الثالث: قيل: إنّ الله تعالى لمّا خلق آدم، مرّت به الملائكة قبل أنْ تُنْفَخ فيه الروح ـ ولم تكن رأت مثله قبل ـ فقالت: لن يخلق الله خلقاً إلّا كنّا أكرم منه وأفضل عنده؛ فزعموا أنّ هذا هو الذي أخْفوه في نفوسهم وأنّ الذي أبْدوه قولهم: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا**﴾ روي ذلك عن الحسن[٢].

والوجه الأوّل أقوى؛ لأنّه أعمّ، ويدخل فيه هذا الوجه، ولا دلالة يُقطع بها على تخصيص الآية.

فإن قيل: ما وجه ذكره تعالى لهم الأسرار من علم الغيب؟

قلنا: على معنى الجواب في ما سألوا عنه من خلق من يُفسد ويَسفك الدّماء، وذلك على وجه التعريض بالجواب دون التصريح؛ لأنّه لو صرّح به لقال: خَلَقْتُ منْ يُفسدُ ويَسفكُ الدّماءَ لِما أعلم في ذلك من المصلحة لجملة عبادي في ما كلفتهم إيّاه وأمرتُهم به. فدلّ بالإحالة في الجواب على

---

(١) يأتي البحث عنه بتفصيل عند تفسير: الآية «٣٤».

(٢) الأقوال تجدها في: تفسير الحسن البصريّ (جمع) ١: ٣٦ ت ٣٧، تفسير الشهيد زيد: ٨٠، التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام: ٢١٦ ت ١٠٠، تفسير جامع البيان ١: ١٧٧، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٨٢ ت ٣٥٤، تفسير الوسيط للواحديّ ١: ١١٨، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٦٦، تفسير بحر العلوم ١: ١٠٩، تفسير النكت والعيون ١: ٩٧، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ٩٦، تفسير المحرّر الوجيز ١: ١٧٤.

وأمّا الرمّانيّ ـ كما تقدّم ـ: فإنّ كتبه المختصّة لم ترَ النور بعد.

العلم بباطن الأمور وظاهرها أنّه خلقهم لأجل علمه بالمصلحةِ في ذلك، ودَلّهم بذلك على أنّ عليهم الرضا والتسليم لقضاء الله؛ لأنّ الله يعلم من الغيب ما لا يعلمونه، ويعلم منْ مصالحهم ما لا يعلمونه في دينهم ودنياهم.

فإن قيل: وأيّ شيء في تعليم الله آدم الأسماء كلّها ممّا يدلّ على علم الغيب.

قلنا: لأنّه تعالى علّمه الأسماء كلّها بما فيها من المعاني التي تدلّ عليها على جهة فتق لسانه بذلك عزّ وجلّ، وإلهامه إيّاها، وهي معجزة أقامها الله تعالى للملائكة فيه تدلّ على جلالته وارتفاع قدره بما اختصّه به من العلم العظيم الذي لا يصل إليه إلّا بتعليم الله عزّ وجلّ (ودلَّهم على ذلك بأنْ قرّرهم أوّلاً، فأقرّوا أنّه لا علم لهم به، ثمّ أظهر لهم أنّ آدم يعلمه بتعليم الله إيّاه[1]) فبانَ بذلكَ الإعجازُ بالاطّلاع على ما لا سبيل إلىٰ علمه إلّا من علّام الغيوب.

ففيه من المعجزة: إنّه فتق لسانه على خلاف مجرى العادة. وإنّه علّمه من لطائف الحكمة فيه ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها، وإنّها أعرف الخلق بربّها، فعرفوا ما دلّهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكّداً لما يعلمونه من ذلك بالأدلّة العقليّة. ولذلك نبّههم فقال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: قد دللتكم على ذلك قبلُ وهذه دلالة بعدُ.

وقيل: افتتح الله الدلالة على الإعجاز بالكلام في آدم، ثمّ ختم به في محمّد صلى الله عليه وآله.

---

(١) بين القوسين أُثبت من «خ، هـ» والمختصرة، ويساعد عليه مجمع البيان ١: ١٥٦.

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ آية (٣٤) آية واحدة .

ضَمَّ التاءَ[1] من ﴿لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ أبو جعفر وحدهُ حيث وقع ؛ أتبع ضمّة الجيم ، وقيل : إنّه نقل ضمّة الهمزة وابتدأ بها[2] .

والأوّل أقوى ؛ لأنّ الهمزة ألف وصل تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تُنقل ؛ فالوجه الأوّل هو المعتمد .

والصحيحُ ما عليه القرّاء من كسر التاء بلام الجرّ .

و﴿إِبْلِيسَ﴾ : نُصب بالاستثناء من الإثبات[3] .

---

(١) في النسخ عوض المثبت : ضَمّ الهاء ـ عدا الحجرية حيث صحّحت إلى المثبت ـ . ولا يمكن المساعدة عليه ؛ نظراً للمصادر المذكورة إضافة للتفاسير المتعرِّضة للقراءات .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١ : ١١١ ، إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢١٢ ، المُحْتَسَب ١ : ٧١ ، إعراب القراءات الشواذّ ١ : ١٤٧ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٥٠ ـ ٥١ ، النشر في القراءات العشر ٢ : ٢١٠ .

وحيث وقع : إشارة إلىٰ تكرّر المقطع ـ ﴿لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ ـ في : سورة الأعراف ٧ : ١١ وسورة الإسراء ١٧ : ٦١ وسورة الكهف ١٨ : ٥٠ وطه ٢٠ : ١١٦ .

(٣) هذا على الاختلاف في كون إبليس من الملائكة أم لا ؟ فعلى أنّه منهم فالاستثناء من الإثبات «متّصل» . وعلى القول بأنّه ليس منهم فهو منقطع . وسيُشير إلىٰ ذلك المصنّف ﷺ قريباً .

وعلى كلا الحالين فالنصب هو ، وإنّما الاختلاف في العامل .

وأمّا صرفه وعدمه فهو إلى الخلاف في كونه أعجميٌّ أو مشتقّ من : أَبْلَسَ يُبْلِسُ ، إذا يَئِسَ مِنْ رحمة ربّه ، بعد الاتّفاق على عَلَمِيَتِهِ .

ويكره الوقف على قوله: ﴿فَسَجَدُوا﴾ وعلى ﴿إلّا﴾ حتّىٰ يقول: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وكذلك كلّ استثناء.

وظاهر الآية يقتضي أنّ الأمر كان لجميع الملائكة بالسجود؛ لعمومها.

وقال قوم: إنّ الأمر كان خاصّاً لطائفة من الملائكة كانوا مع إبليس طهّر الله بهم الأرض من الجنّ.

والأقوى الأوّل.

والسُّجُودُ، والخضوع، والتذلّل بمعنى واحد في اللّغة.

ونقيض التذلّل: التكبّر.

يقال: سَجَدَ يَسْجُدُ سُجُوداً. وأسْجَدَ إسْجاداً: إذا خَفَضَ رَأْسَهُ مِنْ غَيْرِ وَضْعٍ لِجَبْهَتِهِ. قال الشاعر:

فكِلْتاهُما خَرّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُها ... كَما سَجَدَتْ نَصْرانَةٌ لَمْ تَحَنَّفِ[1] [١٦١]

﴿ للاستزادة انظر: مجاز القرآن ١: ٣٨، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١: ١١٣، مشكل إعراب القرآن ١: ٣٧ ت ٧٥، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢١٢، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٧٤، التبيان في إعراب القرآن ١: ٥١، أمالي ابن الشجريّ ٣: ١٦٧م ٨٠، المعرّب للجواليقيّ: ٢٣، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ١: ٦١٤، ٦٢٨، وانظر: صفحة ٦١.

(١) استشهد به جمع ناسبينه إلىٰ الراجز الحمّانيّ أبي الأخزر. والأغلب من دون نِسْبة.
المعنى: الشاعر يصف ناقتين قد أجهدهما وأتعبهما السير حتّىٰ كلّتا فطأطأتا الرأس من شدّة الإعياء. مشبّهاً ذلك برأس النّصرانية؛ لأنّها تطأطأه حينما تصلّي.
الشاهد فيه: استعماله «أَسْجَدَ» وأراد الخفض.
انظر: الكتاب ٣: ٤١١، الإنصاف ٢: ٤٤٥ ت ٢٨٠، لسان العرب ٢: ٢١١ ﴾

والسُّجُودُ في الشرع: عبارةٌ عنْ عَمَلٍ مخْصوصٍ في الصّلاة ـ كالركوع والقنوت كذلك ـ وهو: وضع الجَبْهَةِ على الأرْضِ. ويقال: سَجَدْنا للهِ سُجُوداً. وقومٌ ونِساءٌ سُجَّدٌ.

والسُّجَّدُ من النِساءِ: الفاتِرَاتُ الأعْيُنِ. قال الشاعر:

أغَرَّكِ مِنّا أنّ دَلَّكِ عِنْدَنا ... وَإسْجادَ عَيْنَيْكِ الصَّيُودَيْن رابِحُ[1] **[١٦٢]**

وعزائم السُّجُودِ من ذلك.

وقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ للَّهِ﴾[2] قيل: إنّه السُّجُودُ. وقيل: إنّه المواضِعُ منَ الجَسَدِ التي يُسْجَدُ عَلَيْها. واحدها مَسْجَدٌ.

والمَسْجدُ: اسمٌ جامِعٌ لِجَميع المَسْجَدِ، وَحَيْثُ لا يُسْجَدُ بعدَ أنْ يَكُونَ أُتُّخِذَ لِذلِكَ. فأمّا المَسْجَدُ مِنَ الأرضِ فهوَ: مَوْضِعُ السُّجُودِ بَعيْنِه.

وقال قوم: معنى السُّجُودِ في أصْلِ اللّغة: الخُضُوع والانْحِناء، وقيل: التَّذَلُّل. قال الشاعر:

ناسبينه للحمّانيّ.

وأمّا: الكتاب ٣: ٢٥٦، الزاهر في معاني كلمات الناس ١: ١٤١، شرح أبيات سيبويه للنحّاس: ٢٤٠ ت ٦٦١ والنكت في تفسير كتاب سيبويه ٢: ٨٤٣، تهذيب اللّغة ١٢: ١٦٠، معاني الزجّاج ١: ١٤٧، الصحاح ٢: ٨٢٩ فمن دون نسبة هذا، وقد اختلف في ضبطه بما لا يخلّ بمحلّ الشاهد.

(١) من قصيدة للشاعر كُثَيِّر عَزَّة يذكر فيها حبيبته عَزّة.

المعنى: يخاطب حبيبته مذكراً إيّاها أنّ كلّ هذا التمنُّع وخلف الوعد إنّما هو نتيجته لِدَلالِكِ وإسجاد عينيك اللّتين تصيدين العاشق بسحرهما.

الشاهد فيه: «إسْجاد» استعملها بمعنى فتور العين وغضّها.

انظر: الديوان: ٦٩، قصيدة ٢٥ ب ٢١.

(٢) سورة الجنّ ٧٢: ١٨.

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراتِهِ   تَرى الأُكْمَ فيه سُجَّداً لِلحَوافِرِ[1]   [١٦٣]

كأنّه قال : مذلّلة للحوافِر[2] .

والسُّجُودُ على أربعة أقسام : سَجْدَةُ الصلاة ، وسَجْدَةُ التِّلاوة ، وسَجْدَةُ الشكر ، وسَجْدَةُ السَّهو .

وقوله : ﴿ أَبَىٰ ﴾ :

معناه : ترك وامتنع . والإباءُ ، والامْتِناعُ ، والتَّرْكُ بمعنى .

ونقيض « أبىٰ » أجابَ . يقال : أَبَىٰ يَأْبَىٰ إباءً ، وتَأَبّى تأبِّياً .

قال صاحب العين : أَبَىٰ يَأبَىٰ إباءً : إذا ترك الطاعةَ ومالَ إلىٰ المعصية ، كقوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾[3] . وكُلُّ مَنْ تَرَكَ أَمْراً وَرَدَّهُ فَقَدْ أباه . ورَجُلٌ أَبِيٌّ وقوم أَبِيّونَ وأُباةٌ ، قال الشاعر :

---

(١) البيت للشاعر المُقلّ زيد الخيل يصف جيشاً بالكثرة حتّىٰ أنّ الخيلَ البُلْقَ ـ البيضاء في سواد ـ لشهرة منظرها واختلاف لونها لا يهتدي إليها أربابُها إذا ضلّت عنهم في أطرافه . هذا ويستمرّ في مبالغته قائلاً : إنّ الأكم ـ التلال الصغير ـ تُرى ، بل تصير مذلّلة مسطّحة تحت وقع حوافر الخيل . وهذا على مذهب العرب في تفخيم الأمور الصغيرة حيث قيل : إنّ الجيش هذا كان ثلاثة أشخاص بثلاثة أفراس .

الشاهد فيه : استعمال «سجّداً» بمعنى التذلّل .

انظر : تأويل مشكل القرآن : ٤١٧ ، ديوان المعاني الكبير ٢ : ٨٩٠ ، الكافي في الأدب ٢ : ٧٣٤ ، الأضداد للأنباريّ : ٢٩٥ ت ١٩٥، الصاحبيّ : ٤٥٣ .

ولاحظ الديوان : ٦٥ قطعة ٢٨ ب ٢ . جمع د . القيسي .

(٢) اللّغة ينظر لها : العين ٦ : ٤٩ ، جمهرة اللّغة ١ : ٤٤٧ ، تهذيب اللّغة ١٠ : ٥٦٩ ، المحيط في اللّغة ٧ : ٦ ، مفردات الراغب : ٣٩٦ ، لسان العرب ٣ : ٢٠٤ ، عمدة الحفّاظ ٢ : ١٧٢ ، بصائر ذوي التمييز ٣ : ١٨٨ ت٨ . «سَجَدَ» في الجميع . ولاحظ الزاهر في معاني كلمات الناس ١ : ١٤١ .

(٣) سورة طه ٢٠ : ٥٦ .

. . . . أَبِيِّ الضَّيْمِ، مِنْ قَوْمٍ أُباةٍ[(١)(٢)] [١٦٤]

وليس الإباء بمعنى الكراهة؛ لأنّ العربَ تُمْدح بأنـها تأبـى الضـيم، ولا مَدْح في كراهة الضيم، وإنّما المدحُ في المنع منه. كقوله: ﴿ **وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ** ﴾[(٣)] أي: يمنع الكافرين من إطفاء نوره.

والاسْتكبارُ والتَّكَبُّرُ، والتَّعَظُّم والتَّجَبُّر نظائر. وضدّه التواضع.

يقال: كَبُرَ كُبْراً، وأَكْبَرَ إِكْباراً، واسْتَكْبَرَ اسْتِكْباراً، وتَكَبَّر تَكَبُّراً، وتَكابَرَ تَكابُراً، وكابَرَهُ مُكابَرَةً، وكَبَّرَ تَكبيراً.

قال صاحب العين: الكِبْرُ: العَظَمَةُ. والكِبْر: الإثمُ الكَبِيرُ جُعل اسماً من الكبيرة؛ كالخِطءِ والخَطِيئَةِ. وكُبْرُ كُلِّ شَيءٍ مُعْظَمُه. والكِبَرُ: مصدرٌ الكَبيرِ في السنّ مِنْ جَميع الحيوان. فإذا أَرَدتَ الأَمْرَ العَظِيمَ قُلتَ: كَبُرَ هذا الأَمْرُ كَبارَةً. والكُبارُ في معنى الكَبير[(٤)].

ويقال: أَكْبَرْتُ الشَيءَ: إذا أَعْظَمْتَهُ. ومنه قوله: ﴿ **فَلَمَّا رَأَيْنَهُ**

---

(١) من قصيدة للطرِّماح الحكم بن حكيم بن الحكيم الطائيّ ت ح١١٠هـ، وتمامه:

نماني كلُّ أَصْيَدَ من أمـانٍ . . . .

المعنى: نماني: رفعني، نسبني. الأَصْيَد: العزيز النفس المتكبّر. أمان: أحد أجداد الشاعر.

الشاعر يفخر بحسبه وأجداده وصفاتهم، ومنها: إبائهم الضَّيم.

الشاهد فيه: استعمال «أبيّ» بمعنى ذو إباء وترك وامتناع. هذا، وفي الديوان عوض «قوم» جاء: «نَفَرٌ» ولا ضير فيه إذ هما بمعنى واحد.

انظر: الديوان: ٦٢ ق٣ ب٤١.

(٢) العين ٨: ٤١٨. وانظر: تهذيب اللّغة ١٥: ٦٠٤، المحيط في اللّغة ١٠: ٤٤٨، الصحاح ٦: ٢٢٥٩، لسان العرب ١٤: ٣، «أبى» فيها.

(٣) سورة التوبة ٩: ٣٢.

(٤) انظر العين ٥: ٣٦١ «كَبَرَ»، وانظر الهامش «٢» الآتي.

أَكْبَرْنَهُ﴾[١].

والتَّكْبِيرُ في الصلاة: تَفْعِيلٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَللهُ أَكْبَر.

وأَصْلُ الباب: الكِبْرُ وهو العُظْم. ويقال على وجهين: كِبْر الجُثَّةِ، وهو الأَصل، وذلك لا يجوز عليه تعالى. وكِبْرُ الشَأْنِ، والله تعالى الكَبِيرُ مِنْ كِبر الشَّأنِ. وذلك يرجع إلىٰ سعة مَقْدُورِهِ ومَعْلُومِهِ. وتَحْقِيقُه: إنّه قادرٌ على ما لا يُتناهَى مِنْ جَمِيعِ أجناس المَقْدُورات. وعالِمٌ بِكلّ مَعْلوم.

والاسْتِكْبارُ: الأَنَفَةُ مِمّا لا يَنْبَغِي أنْ يؤنف مِنْه[٢].

وموضع ﴿**إِذْ**﴾ في قوله: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا**﴾ نَصْبٌ؛ لأنّه عطف على «إذ» الأُولى[٣]، كأنّه قال: واذكر إذ.

وقال أبو عُبَيْدَة: لا موضع لها من الإعراب؛ لأنّها زائدة. وأنشد:

[١٤٦] حَتّى إذا أَسْلَكُوهُمْ في قَتائِدَةٍ   شَلّاً كَما تَطْرُدُ الجَمّالَةُ الشُّرُدا

وقال: المراد...[٤] واستشهد به على وجهين كلّ واحد منهما ينقض الآخر.

فأحد الوجهين قوله: ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا**﴾[٥] فلم يأت لـ﴿**إِذْ**﴾ جواب.

---

(١) سورة يوسف ١٢: ٣١.

(٢) وللتوسعة في المادة «كَبَرَ» انظر: تهذيب اللّغة ١٠: ٢٠٩، المحيط في اللّغة ٦: ٢٥٦، المحكم والمحيط الأعظم ٧: ١١، الصحاح ٢: ٨٠١، لسان العرب ٥: ١٢٥، بصائر ذوي التمييز ٤: ٣٢٣، عمدة الحفاظ ٣: ٣٦٥.

(٣) في الآية الكريمة: ٣٠.

(٤) الظاهر وجود سقط هنا لم نصل إليه. وفي «خ»: قال المبرّد: واستشهد...، ولم نجده سواء في مصنّفاته المتوفّرة أو في المحكيّ عنه.

(٥) سورة الزمر ٣٩: ٧١.

والوجه الآخر استشهد به على زيادة ﴿إذْ﴾ في هذا الموضع.

وكلا الوجهين خطأ عندي؛ لأنّ الجواب في قوله: قتائدة، هو قوله: شَلّاً، بوقوعه موقع: شَلّوهم شَلّاً، كما يقول القائل: إذا أتيتَ الحربَ فضرباً وطعناً.

وأما الزيادة فقد بيّنا وجه الخطأ فيها في ما تقدّم[1].

واخْتلف في أمر الملائكةِ والسجودِ لآدم على وجهين:

الأوّل: قال قوم: إنّه أمرَهُم بالسجود له تَكْرِمة له وتعظيماً لشأنه. وهو المرويّ في تفاسيرنا وأخبارنا[2]، وهو قول قَتادة وجماعة منْ أهل العلم، واختاره ابن الإخشيد والرمّانيّ، وجرى ذلك مجرى قوله: ﴿**وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّداً**﴾[3] في أولاد يعقوب، ولأجل ذلك جعل أصحابُنا هذه الآية دلالةً على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة من حيث أمَرهم بالسجود له والتعظيم على وجه لم يثبت ذلك لهم، بدلالة امتناع إبليس من السجود له وأنَفَتِه من ذلك، وقوله: ﴿**قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً**﴾[4] ولو كان ذلك على وجه كونه قبلة لما كان لذلك وجه، ولا فيه أَنَفَة.

ولا يحسن أن يُؤمر الفاضل بتعظيم المفضول على نفسه؛ لأنّ ذلك

---

(١) انظر البحث كاملاً في: ٧ ـ ١٠، واختلاف النقل عن أبي عبيدة في: ٨ هامش ٣.

(٢) أشارت إليه المصادر التالية: تفسير القميّ ١: ١٨، التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ٣١٩، عيون الأخبار للصدوق ١: ٢٦٢ ح٢٢ ضمن حديث المعراج الطويل، والحظ: تفسير جامع البيان ١: ١٨١، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٨٢ ت ٣٥٩، تفسير الحسن البصري ٢: ٣٧ ت ٣٩، وغيرها.

(٣) سورة يوسف ١٢: ١٠٠.

(٤) سورة الإسراء ١٧: ٦٢.

سفه . وسنبيّن قول من خالف فيه وشُبَهَهُم .

وقال الجُبائيّ والبلخيّ وجماعة : إنّه جعله قبلةً لهم فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم . وفيه ضرب من التعظيم له .

وهذا ضعيف ؛ لأنّه لو كان على وجه القبلة لما امتنع إبليس من السجود ، ولما استعظمته الملائكة ، ولكن لمّا رأوا أنّ ذلك تعظيم له على وجه ليس بثابت لهم ، امتنع إبليس وتكبّر[1] .

واختلفوا في إبليس هل كان من الملائكة أم لا ؟

فقال ابن عبّاس وابن مسعود وابن المسيّب وقتادة وابن جريج والطبريّ : إنّه كان منهم ؛ بدلالة استثنائه من جملتهم هاهنا في قوله : ﴿ إِلَّا

---

(١) من البحوث القديمة في التراث العقائديّ المعرفيّ الإسلاميّ بحث تفضيل الأنبياء على الملائكة ، وقد اختلفت الآراء فيه بين المدارس الكلاميّة فبعض قدّم الأنبياء على الملائكة مثل الشيعة الاثنى عشرية وبعض من غيرهم . وآخرون ـ كالمعتزلة ـ ذهبوا إلى العكس . ولكلٍّ دليله ولا يسع الهامش التعرّض له فيه . للتوسعة انظر : علل الشرائع ١ : ٥ ب ٧ الأحاديث ، كمال الدين وتمام النعمة ١ : ٢٥٤ ب ٢٣ ح ٤ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٦٢ ب ٢٦ ح ٢٢ ، بحار الأنوار ١١ : ١٤٩ ب ٢ ح ٢٥ ، و٢٦ : ٣٣٥ ب ٨ ح ١ . أوائل المقالات : ٨٣ ، أمالي المرتضى ٢ : ٣٣٣ ، رسائل الشريف المرتضى ١ : ١٠٩ م ٣ ، تفسير الحسن البصريّ (جمع) ٢ : ٣٧ ت ٣٩ ، تفسير زيد الشهيد : ٨٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٨٣ ت ٣٥٩ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٠١ ، تفسير القرآن للسلميّ ١ : ١١٦ ، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١ : ٩٦ ، تفسير الوسيط ١ : ١١٩ ، وانظر : تفسير المحرّر الوجيز ١ : ١٧٧ ـ ١٨١ ، تفسير معالم التنزيل ١ : ٦٥ ، معاني القرآن للفرّاء ٢ : ٨٨ ، الزاهر في معاني كلمات الناس ١ : ١٤٢ ، تفسير غرائب القرآن للنيسابوريّ ١ : ٢٣٩ ، التفسير الكبير للفخر الرازيّ ٢ : ٢١٥ ، أحكام القرآن للجصّاص ١ : ٣٧ ، اللباب في علوم الكتاب ١ : ٥٢٩ ، الأربعين في أُصول الدين للرازيّ : ١٧٧ م ٣٣ ، أُصول الدين للبغداديّ : ٢٩٥ م ١ . وانظر : معجم العناوين الكلامية : ٤٢ ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة للشيخ الطهرانيّ ٤ : ٣٥٥ ت ١٥٥٣ وما بعده مدخل «التفضيل» .

إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[(١)] مع قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِأَدَمَ﴾، وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام والظاهر في تفاسيرنا[(٢)].

ثمّ اختلف من قال: إنّه كان منهم:

فمنهم من قال: إنّه كان خازناً على الجنان.

ومنهم من قال: كان له سُلطان سماءِ الدّنيا وسُلطان الأرض.

ومنهم من قال: إنّه كان يسوس ما بين السماء إلىٰ الأرض.

---

(١) سورة الأعراف ٧: ١٢.

(٢) اختلف السلف ـ وبمختلف مدارسهم الكلاميّة ـ في أنّ إبليس من الملائكة أم من الجنّ؟ وإلىٰ كلٍّ ذهبت فرقة مستدلّين بأدلّة.

وقد توسّع الخلاف حتّىٰ انسحب إلى النحويّين في توضيح حال الاستثناء هل هو متّصل أم منقطع، وأنّ «كان» في الآية هنا وفي سورة الكهف ١٨: ٥٠ تامّة أم ناقصة، وإلىٰ كلٍّ ذهب جمع.

والتعرّض إلىٰ التفصيل لا يسعه المقام فالإحالة أفضل انظر:

تفسير محمّد بن إسحاق «جمع»: ٢٠، تفسير الحسن البصريّ «جمع» ٢: ٣٨ ت ٤٠، تفسير جامع البيان ١: ١٨٠، تفسير علي بن إبراهيم القمّي ١: ٣٥، المجموعة الفاخرة: ٤٨٧، تفسير العيّاشيّ ١: ٣٢٨ ح ٣٦، أوائل المقالات: ١٤٩، معاني القرآن للزجّاج ١: ١١٣، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٨٤ ت ٣٦١، كتاب العظمة لأبي الشيخ: ٤١٦ باب ذكر الجنّ وخلقهم ت ١٠٩٣ وما بعده، تفسير النكت والعيون ١: ١٠٢ و٣: ٣١٣، تفسير السلميّ ١: ١١٦، وضح البرهان ١: ٦٥، تفسير السمعانيّ ١: ٦٦، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٢٩٤، تفسير الوسيط ١: ١٢٠، تفسير المحرّر الوجيز ١: ١٧٧ ـ ١٨١، تأويلات أهل السنّة ١: ٣٧، تفسير الكشّاف ١: ٢٧٣، التفسير الكبير ٢: ٢١١ و٢٢: ١٣٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي زَمَنين ١: ٦٨، اللُّباب في علوم الكتاب ١: ٥٤٠ بتفصيل و١٢: ٥٠٧، البرهان في تفسير القرآن ١: ١٦٩ وما بعدها، ولاحظ: تفسير معالم التنزيل ١: ٦٥ و٣: ٥٧٥، تفسير زاد المسير ١: ٦٥، وانظر: أعلام القرآن: ٣٢.

وقال الحسن البصريّ، وقتادة ـ في رواية ابن زيد ـ والبلخيّ، والرمّانيّ وغيره من المتأخّرين: إنّه لم يكن من الملائكة، وأنّ الاستثناء في الآية استثناءٌ مُنقَطِع، كقوله تعالى: ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾[1]، وقوله: ﴿ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا ﴾[2]، وكقوله: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾[3]، وكقول الشاعر ـ وهو النابغة ـ:

[٥١] وَقَفْتُ فيها أُصَيْلالاً أُسائِلُها ... عَيَّتْ جَواباً، وَما بالرَّبْعِ مِنْ أحَدِ
إلّا الأَوارِيَّ لأياً ما أُبَيِّنُها ... والنُّؤْيُ كالحَوْضِ بالمَظْلومَةِ الجَلَدِ

وأنشد سيبويه:

والحَرْبُ لا يَبْقى لِجا ... حِمِها التَّخَيُّلُ والمِراحُ [١٦٥]
إلّا الفَتى الصَّبّارُ في الـ ... نَّجَداتِ وَالفَرَسُ الوَقاحُ[4]

---

(١) سورة النِّساء ٤ : ١٥٧.

(٢) سورة يس ٣٦ : ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) سورة هود ١١ : ٤٣.

(٤) من قصيدة لسعد بن مالك يتعرّض فيها للحارث بن عبّاد؛ لاعتزاله حربَ البسوس بين أبناء العمّ ـ تغلبَ وبكر ابني وائل ـ ولم يندفع لخوض غمارها إلّا حين علم بقتل ابن أخيه.

الجاحم: الجحم الشديد من كلّ شيء، شديد الاشتعال، شدّة القتل في الحرب، وشدّة اضطرام الحرب. المراح: النشاط. النجدة والنجدات: الشدّة والشدائد، والبأس. الوقاح: الحافر الشديد والصلب للفرس، ومنه: الوقاحة. التّخيل: التكبّر، من الخيلاء. الصبّار: مبالغة في الصابر.

تعرّض للقصيدة واستشهد بالأبيات جمع، انظر: الكتاب ٢ : ٣٢٤، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٢ : ٢٠١، الحماسة لأبي تمام: ١٤٤ ت ١٦٨، شرح المرزوقيّ للحماسة ٢ : ٥٠٠ ت ١٦٨، شرح التبريزيّ للحماسة ٢ : ٢٩، الأغاني ٥ : ٤٦، خزانة الأدب ١ : ٤٦٨، ش ٨١، وانظر: معجم الشعراء الجاهليّين: ١٦٥.

وقال آخر:

وَبَلْدةٍ لَيْسَ بِها أَنِيسُ إلّا اليَعافِيرُ وَإلّا العِيسُ[١] [١٦٦]

واستدلّ الرمّانيّ على أنّه لم يكن من الملائكة بأشياء:

منها: قوله تعالى: ﴿ **لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾[٢] فنفى عنهم المعصية نفياً عامّاً.

والثاني: إنّه قال تعالى: ﴿ **إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ** ﴾[٣] ومتى أُطلق لفظُ الجنّ لم يجز أنْ يعني به إلّا الجنسَ المعروفَ المباين لجنس الإنس والملائكة.

والثالث: إنّ إبليس له نسل وذرّيّة. قال الحسن: إبليس أبو الجنّ، كما أنّ آدم أبو الإنس. وإبليس مخلوقٌ من النار، والملائكة روحانيّون

---

(١) رُزِقَ البيت هذا حظاً من الشهرة في مصادر الأدب واللّغة والاستشهاد به، إلى جنب مقدار من التصحيف والاختلاف لا يستهان به. فعلى رواية المصنّف:

البلدة: قطعة من الأرض. الأنيس: المؤنس من الناس. اليعافير: جمع يعفور وهو: التراب، أو ولد الظّبية، وقيل: ولد البقرة الوحشّية. العيس: الإبل البيض التي يخالط بياضها سمرة، جمع أعيس وعيساء.

الشاهد فيه: الاستثناء، حيث إنّ المستثنى ـ اليعافير والعيس ـ من غير جنس المستثنى منه، والشاعر اعتبرها منه توسّعاً. والاستثناء منقطع والرفع على البدليّة.

للتوسعة ينظر: معاني القرآن للفرّاء ١: ٢٨٨ و٢: ١٥، المقتضب ٤: ٤١٤، الكتاب ١: ٢٦٣ و٢: ٣٢٢، النكت في تفسير كتاب سيبويه ١: ٦٢٥، شرح أبيات سيبويه للنحّاس: ٥٣ ت ٦٨، الإنصاف ١: ٢٧١ ت ١٦٠، الصاحبيّ: ١٨٧، شرح المفصّل ٢: ٨٠، خزانة الأدب ١٠: ١٥ ش ٨٠٤، مجالس ثعلب ١: ٢٦٢ و٢: ٣٨٤، وانظر ديوان جران العُود النميريّ صنعة محمّد بن حبيب: ٩٧. وانظر مجموع ما نُسب للعجّاج ذيل ديوانه ٢: ٤٨٦ ت ٦. وغيرها كثير.

(٢) سورة التحريم ٦٦: ٦.

(٣) سورة الكهف ١٨: ٥٠.

خلقوا من الريح ، في قول أبي عليّ[١]. وقال الحسن : خُلقوا من النّار لا يَتناسلون ولا يَطعَمون ولا يَشربون .

وقال الله تعالىٰ في إبليس وولده : ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ** ﴾[٢].

والرابع : ـ وهو أقواها عنده ـ ، قوله تعالى : ﴿ **جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ** ﴾[٣] فعمَّها بالوصف بالرِّسالة. ولا يَجوز على رُسُل الله أنْ يكفروا ولا يفسقوا كالرُسل من البشر .

والجواب عمّا ذكره أوَّلاً : إنّ قوله : ﴿ **لا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُم** ﴾[٤] صفةٌ لخزَنة النيران لا لجميع الملائكة ، يدلّ على ذلك قوله : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾[٥]. وليس إذا كان هؤلاء معصومين وجب ذلك في جميعهم .

والجواب عمّا ذكره ثانياً : إنّ قوله : ﴿ **كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ** ﴾[٦] معناه : صار . ذكر ذلك الأخفش وجماعة من أهل اللّغة .

وقيل أيضاً : إنّ إبليس كان من طائفة من الملائكة يُسَمَّوْن «جنّاً» من حيث كانوا خزنة الجنّة .

وقيل : سمّوا بذلك ؛ لاختفائهم عن العيون . كما قال أعشى قيس بن

---

(١) ما ذكر تجده ضمن المصادر المتقدِّمة في : ٦٢ هامش ٢ ولكن من دون نسبة .

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٥٠ .

(٣) سورة فاطر ٣٥ : ١ .

(٤) سورة التحريم ٦٦ : ٦ .

(٥) سورة التحريم ٦٦ : ٦ .

(٦) سورة الكهف ١٨ : ٥٠ .

ثعلبة:

وَلَوْ كانَ شَيءٌ خالِداً أَوْ مُعَمَّراً لَكانَ سُلَيمانُ البَريءُ مِنَ الدَّهْرِ [١٦٧]
بَراهُ إلٰهِي وَاصْطَفاهُ عِبادَهُ وَمَلَّكَهُ ما بَيْنَ ثريا إلىٰ مِصْرِ
وسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الملائِكِ تِسْعَةً قِياماً لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلا أَجْرِ[1]

وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلوا بَيْنَهُ وَبَينَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾[2]؛ لأنّ قريشاً قالت: الملائكة بنات الله[3].

والجواب عمّا ذكره ثالثاً ـ إنّ إبليس له نسل وذرّية ـ: طريقه الآحاد. ولو كان صحيحاً لم يمنع أنْ يكون اللهُ تعالى ركّب فيه شهوة النكاح؛ تغليظاً عليه في التكليف، وإنْ لم يكن ذلك في باقي الملائكة، فلا وجه لاستبعاده.

والجواب عمّا ذكره رابعاً ـ قوله: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِى

---

(١) الأبيات تخلو منها طبعات الديوان المتوفّرة. قيل: إنّها في طبعة المستشرق جاير، وفي الملحقات منه: ٢٢٣ مثبة.
وقد نسبها إلى الأعشى أغلب من ذكرها منهم: محمّد بن إسحاق في تفسيره ٢٠، والطبريّ في جامعه ١: ١٧٩، والأنباريّ في أضداده: ٣٣٥ ت ٢٢٣، والماورديّ في نكته ١: ١٠٣.
المعنى العام والمراد واضح. والدهر: كناية، أو هو: الحوادث والمصائب.
ثريا: كذا، وفي الأضداد: ترني محلٌّ في ديار بني سعد، معجم ما استعجم ١: ٣١٠، ولم نجد لها ذكراً في ما توفّر لدينا من معاجم البلدان والأمكنة على تعدّدها.
الشاهد: قوله «من جِنِّ الملائك». حيث أراد من «الجِنِّ» كل ما استتر ولم يظهر ولم يُر، وأُطلق على الملائكة «جنّاً»؛ لاستتارها وعدم رؤيتها.
(٢) سورة الصافّات ٣٧: ١٥٨.
(٣) مصادر الأقوال ضمن المصادر المتقدّمة في ٦٢ هامش ٢.

أَجْنِحَةٍ﴾(١) ـ: فمعارض بقوله: ﴿**ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا**﴾(٢) فإنْ كان ظاهر تلك يقتضي العموم فظاهر هذه يقتضي التخصيص؛ لأنّ «مِنْ» للتبعيض بلا خلاف، ولو لم يكن كذلك لجاز لنا أنْ نُخِصَّ هذا العموم بقوله: ﴿**إِلَّآ إِبْلِيسَ**﴾(٣)؛ لأنّ حمل ظاهر الاستثناء على أنّه منقطع حمْل له على المجاز. كما أنّ تخصيصَ العموم مجاز، وإذا تعارضا سقطا.

فأمّا ما روي عن ابن عبّاس: من أنّ الملائكة كانت تقاتل الجِنَّ، فسُبي إبليس، وكان صغيراً فكان مع الملائكة فتعبّد معها، فلمّا أُمروا بالسجود لآدم فسجدوا وأبىٰ إبليس، فلذلك قال الله تعالى: ﴿**إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ**﴾(٤).

فإنّه خبر واحد لا يصحّ.

والمعروف عن ابن عبّاس ما قلناه: إنّه كان من الملائكة فأبىٰ واستكبر وكان من الكافرين(٥).

ومن قال: إنّ إبليس خُلقَ من نار ومن مارج(٦)، والملائكة لم يخلقها

---

(١) سورة فاطر ٣٥ : ١.

(٢) سورة الحجّ ٢٢ : ٧٥.

(٣) مقطع من آية تكرّر في: سورة البقرة ٢ : ٣٤، وسورة الأعراف ٧ : ١١، وسورة الإسراء ١٧ : ٦١، وسورة الكهف ١٨ : ٥٠، وسورة طه ٢٠ : ١١٦، وسورة ص ٣٨ : ٧٣ ـ ٧٤.

(٤) سورة الكهف ١٨ : ٥.

(٥) تقدّم في صفحة ٦٢.

(٦) لعلّه إشارة إلىٰ ما ورد في سورة الرحمٰن ٥٥ : ١٥.

والمارج: الشعلة الساطعة ذات اللّهب الشديد، المختلطة بسواد النار، أو التي لا دخان لها لشدّتها.

من ذلك .

فقوله ضعيف ؛ لأنّه لا يمتنع أنْ يكون الله تعالى خلق الملائكة أصنافاً : صنفاً من نار ، وصنفاً من نور ، وصنفاً من غير ذلك ، وصنفاً اخترعهم لا من شيء ، فاستبعاد ذلك ضعف معرفة .

وإبليس : قال الزَّجّاج والرمّانيّ وغيرهما من النحويّين : إنّه ليس بمأخوذ من الإبلاس ، كقوله : ﴿ مُبْلِسُونَ ﴾[1] أي : آيسون من الخير . قالوا : لأنّه أعجميّ معرّب ، بدلالة أنّه لا يصرف ؛ للعجمة والتعريف[2] .

وقال الطبريّ : هو مشتقّ من الإبلاس ووزنه إفعيل . وأنشد للعجّاج :

يا صاح، هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَسَاً؟

قال : نَعَمْ ، أَعْرِفُهُ . وَأَبْلسَا[3] [١٦٨]

انظر : العين ٦ : ١٢٠ ، جمهرة اللّغة ١ : ٤٦٦ ، تهذيب اللّغة ١١ : ٧١ ، المحيط في اللّغة ٧ : ١٠٣ الصحاح ١ : ٣٤٠ ، لسان العرب ٢ : ٣٦٤ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٧٦٤ ، «مَرَجَ» فيها .

(١) وردت في سورة الأنعام ٦ : ٤٤ ، سورة المؤمنون ٢٣ : ٧٧ ، سورة الروم ٣٠ : ٤٩ ، سورة الزخرف ٤٣ : ٧٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١ : ١١٤ ، مجاز القرآن ١ : ٣٨ ، مشكل إعراب القرآن ١ : ٣٧ ت ٧٥ ، وانظر : المُنْصف ١ : ١٢٧ ، إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢١٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٧٤ ، إملاء ما منَّ به الرحمٰن ١ : ٣٠ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٥١ ، ولاحظ : المعرَّب للجواليقيّ : ٢٣ .

ومن كتب اللّغة ينظر «بَلَسَ» في : العين ٧ : ٢٦٢ ، تهذيب اللّغة ١٢ : ٤٤١ ، المحيط في اللّغة ٨ : ٣٢٨ ، الصحاح ٣ : ٩٠٩ ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ١٤٣ ، وانظر هامش : ٣ من صفحة : ٥٤ و٦٢ ، هامش ٢ .

(٣) الديوان ١ : ١٨٥ ق ١١ ب ١ .

المُكْرَس : المُتَلَبِّد من كثرة البَعْر والبَوْل عليه حتّىٰ يكون طرائق بعضه فوق بعض . أبْلَسَ : سَكَتَ حُزناً وغمّاً ؛ أو إذا انقَطَعَت حُجّته ولم يَحِرْ جواباً .

وقال رؤبة :

وَعَرَفَتْ يَوْمَ الخَمِيسِ الأَخْماسْ [١٦٩]

وَفِي الوُجُوه صُفْرَةٌ وإبْلاسْ [١]

يعني : اكتئاباً وكسوفاً .

وقال : إنّما لم يُجَرَّ استثقالاً ؛ من حيث كان اسماً لا نظير له من أسماء العرب فشُبّه بأسماء العجم التي لا تنصرف .

وزعم أنّ «إسحاق» لا يُجَرُّ ، وهو مِنْ أَسْحَقَه الله إسْحاقاً ، وأنّ «أيّوب» من آب يؤوب على زِنَة فَيعول ، كقيّوم من قام يقوم[٢] .

قال الرمّانيّ : غَلِطَ في جميع ذلك ؛ لأنّها ألفاظ عُرِّبت من العجمية ووافقت ألفاظ العربية[٣] . وكان ابن السَّراج يمثّل ذلك ـ على جهة التبعيد ـ بمن زعم : أنّ الطير ولد الحوت[٤] .

---

(١) من أُرجوزة في الديوان : ٦٦ ق٢٤ ب٣٩ و٤١ وهما شطران متتاليان لبيتين ، هكذا :

وعَرَفتْ يوم الخميس الأخماس
وقدْ نزت بين التراقي الأنفاس
وفي الوجوه صُفرة وإبلاس
منْ يَردِ الموت وقد هاب الناس

اختلف في سبب إنشائها . واختلفت المصادر والديوان في الضبط . وليس له على الشاهد تأثير .

الشاهد : ما ذكره المصنّف ﷺ من استعمال «إبلاس» بمعنىٰ الاكتئاب والانكساف .

(٢) تفسير جامع البيان ١ : ١٨٠ . وانظر : تفسير الشهيد زيد بن عليّ : ٨١ ، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٣ ت ٥ .

(٣) المتوفّر من مؤلّفاته لدينا لا يفي بالمراد .

(٤) نسب إليه في المعرب للجواليقيّ : ٣ عن كتابه الاشتقاق ، وانظر المزهر ١ : ٣٥١ .

وغَلِطَ أيضاً في قوله: إنّه لا نظير له في أسماء العرب؛ لأنّهم يقولون: إزمِيل للشَّفرَةِ، قال الشاعر:

هُمْ مَنَعُوا الشَّيْخَ المَنافِيَّ بَعْدَ ما   رَأىٰ حُمَّةَ الإِزْمِيلِ فَوْقَ البَراجِمِ[1] [١٧٠]

والإغرِيض: الطَّلع. والإخرِيضْ: صِبْغٌ أحمر، وقالوا: هو العُصْفُر. وسيف إصلِيت: ماضٍ، كثيرُ الماء. وثوب إضريج: مُشَبَّع الصبغ، وقالوا: هو من الصفرة خاصة[2].

---

(١) أقدم من ذكره ابن حبيب في المنمّق: ٦٩ ناسباً إيّاه له لشيبان بن جابر السلميّ، وهو ثالث بيت من ثلاثة.

المعنى: لمّا أرادت قريش عقاب سرّاق غزال الكعبة ـ وكان من الذهب ـ بالقطع، وصلت النوبة لأبي لهب وكان منهم، فحمته أخواله من خزاعة ومنعوا قطعه.

المعنى: هم: إشارة إلى خزاعة. الشيخ: إشارة إلىٰ أبي لهب. المنافي: من صدر منه عمل خلاف. حُمَّة: الحد. الإزميل: الشفرة. البراجم: الأصابع.

انظر: المنمّق: ٦٩، الاشتقاق: ١٢١، جمهرة اللّغة ٢: ٨٢٦.

(٢) معاني الألفاظ واللّغة:

إزميل: شَفْرَةُ الحَذّاء الشديدة والسريعة القطع، ومنه: رجل إزْميل: شديد الأكل.

إغرِيض: البَرَد، وقيل: طلْعُ النخْل قبل أنْ ينشقّ عنه كافوره، أي: غلافه. وكلّ أبيض طريّ.

الإحريض: الصّبْغُ الأحمرُ، وقيل العُصْفُر، والمُحَرَّض: المصبوغ به، وقيل: الساقِط الذي لا يقدر على النهوض، أو: من لا خير فيه.

الإصليت: السيف الصارم المُجَرّد المُصَلَّت، الماضي الضربة.

الإضريج: كساء يتخذ من أجود المرعزّى، والشديد العدو، والمتضرِّج بالحمرة أو الصفرة، ومنه: المضرَّج بالدّماء.

وأمّا اللّغة على التوالي ـ زَمَلَ، غَرَضَ، حَرَضَ، صَلَتَ، ضَرَجَ ـ انظرها في:

العين: ٧: ٣٧١، ٤: ٣٦٤، ٣: ١٠٣، ٧: ١٠٥، ٦: ٤١.

جمهرة اللّغة ٢: ٨٢٨، ٢: ٧٤٩، ١: ٥١٥، ١: ٤٠٠، ١: ٤٥٩.

تهذيب اللّغة ١٣: ١٧٤، ٨: ٦، ٤: ٢٠٣، ١٢: ١٥٣، ١٠: ٥٥٢.

وسبيل إبليس سبيل إنجيل في أنّه معرّب غير مشتقّ.

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾:

وحَدّ الاستكبار: الرفع للنفس إلى منزلة لا تُستحقّ.

قوله: ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾:

قال قوم: يدلّ على أنّه كان قبله قومٌ كفّار من الجنّ.

وقال آخرون: لا يدلّ، ويجري ذلك مجرى قول القائل: كان آدم من الإنس، ولم يكن قبله إنْسِيّ. وكان إبليس من الجِنّ، ولم يكن قبله جنّيّ[1].

ومعناه: صار من الكافرين.

ومن قال: إنّ إبليس لم يكن من جملة الملائكة، قال: كان من جملة المأمورين بالسجود لآدم بدلالة قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[2]؟ ولأنه لمّا استثناه مِنْ جملتهم ولم يكن منهم علمنا أنّه كان مِنْ جملة المأمورين بالسجود، كقول القائل: أُمِرَ أهلُ البصرة بدخول الجامع، فدخلوا إلّا رجلاً من أهل الكوفة. فإنّه يُعلم بهذا أنّ غير أهل البصرة كان مأموراً بدخول الجامع غير أنّ أهلَ البصرة كانوا أكثر؛ فلذلك خُصّوا بالذِّكر. وكذلك القول في الآية.

ومن استدلّ بهذه الآية: على أنّ أفعال الجوارح من الإيمان، من حيث لو لم يكن كذلك لوجب أنْ يكون إبليس مؤمناً بما معه من المعرفة

المحيط في اللّغة ٩: ٦٢، ٤: ٥٤٨، ٢: ٤٤١، ٨: ١٢٠، ٦: ٤٣٩.
الصحاح ٤: ١٧١٨، ٣: ١٠٩٤، ٣: ١٠٧١، ١: ٢٥٦، ١: ٣٢٦.
المحكم والمحيط الأعظم ٩: ٥٥، ٥: ٤٠٣، ٣: ١٢٤، ٨: ٢٩٥، ٧: ٢٥٤.
لسان العرب ١١: ٣٠٩، ٧: ١٩٣، ٧: ١٣٣، ٢: ٥٣، ٢: ٣١٣.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٨٤ ت٣٦١، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ٩٧، تأويلات أهل السنّة ١: ٣٧.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٢.

بالله وإنْ فَسِقَ بآياته .

فقد أبعد ؛ لأنّ المخالف يقول : إذا علمت كفره بالإجماع علمت أنّه لم يكن معه إيمان أصلاً ، كما إذا رأيت أنّه يُصلّي للشمس علِمت أنّ معه كفراً ، وإنْ كانت صلاته للشمس ليست كفراً .

فإن قيل : إذا كانت «إذ» لما مضى ، فما معنى قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾[1] ؟ وكيف قال : ﴿ **وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِى ٱلنَّارِ** ﴾[2] ؟ .

قيل : معنى ذلك كلّه على تقدير الاستقبال ؛ لأنّ ما تحقّق بمنزلة ما قد كان ، كما قال : ﴿ **وَنَادَىٰ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ** ﴾[3] .

قوله تعالى :

﴿ **وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ** ﴾ آية (٣٥) آية بلا خلاف .

السُّكُونُ ، والثُّبُوتُ ، والهِدُوء نَظائر .

ومِثْلُه : الاسْتِقْرارُ ، والاطْمِئْنانُ ، والثَّباتُ .

والمَسْكَنُ[4] ، والمَأوىٰ ، والمَثْوىٰ بمعنى .

تقول : سَكَنَ يَسْكُنُ سُكُوناً : إذا لَبِثَ في المكانِ . وَسَكَنَ إذا سَكَتَ .

---

(١) سورة المائدة ٥ : ١١٦ .

(٢) سورة غافر ٤٠ : ٤٧ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ٤٤ .

(٤) في «ؤ» : والسكن .

ويُقال : سَكَنَتِ الرِّيحُ ، وسَكَنَ المَطَرُ ، وسَكَنَ الغَضَبُ .

والسَّكْنُ : هم العيالُ ، وهم أَهْلُ البَيْتِ ، قال سَلَامَةُ بن جَنْدَل :

لَيْسَ بِأَسْفَىٰ وَلَا أَقْنَىٰ وَلا سَغِلٍ يُسْقى دَواءً، قَفِيَّ السَّكْنِ مَرْبُوبُ[1] [١٧١]

والمَسْكَنُ[2] : المَنْزِل ، والسَّكْنُ : السُّكّان ، والسُّكْنى : أَنْ يَسْكُنَ إنْسانٌ مَنْزِلاً بلا كِراءٍ .

والسَّكِينةُ : الوَداعَةُ والوَقار . والسَّكَنُ : الرَّحْمَةُ والبَرَكَةُ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[3] .

والمِسْكِينُ : الذي لا شَيْءَ لَه ، عند أبي عبيدة ، والفَقِير : الذي لَهُ شَيْءٌ وإنْ كانَ قَليلاً ، قال الشاعر :

أَمّا الفَقِيرُ الذي كانَتْ حَلُوبَتُهُ وَفْقَ العِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبَدُ[4] [١٧٢]

---

(١) ب ٨ ق ١ في ديوانه : ١١ ، والمُفَضَّلِيّات : ١١٩ ت ٢٢ ب١٥ .

في البيت وسابقه يصف فرساً يودُّ امتلاكها وركوبها في الحروب والغارة .

الأَقْنىٰ : الحاد الأنْف من الخيل ، صفة مذمومة فيها ، والمحمودة هي سهولة الوجه . الأَسْفىٰ : الخفيف شعر الناصية والذيل . السَّغِلُ : المهزول ، أو المضطرب الأعضاء ، أو الغذاء السيئ ، أو اضطراب الخلق . القفُّ : سَقْيُ اللَّبن بحيث يؤثّر في المَسْقيّ ، أو الذي يُختصّ بالشيء دون السَّكَن . السَّكن : وهو محلّ الشاهد حيث أراد منه أهْلَ البيت والعيال . يريد أنّ فرسَه غير متّصف بهذه الصفات المذمومة ، بل على العكس ، حتى أنّه يؤثره على أهله وعياله ؛ لصفاته الحميدة .

هذا ، وقد استشهدت بالبيت عدّة من المصادر منها : العين ٥ : ٢٢٣ ، معجم مقاييس اللّغة ٢ : ٣٨٢ ، الصحاح ١ : ١٣٠ ، لسان العرب ١١ : ٣٣٧ ، تاج العروس ١٤ : ٣٤٧ ، وفي مواد مختلفة ، وانظر : اصلاح المنطق : ٥٥ ، المعاني الكبير ١ : ٤١٥ ، شرح العينية للفاضل الهندي : ٣٠٧ ، وغيرها .

(٢) في «ؤ ، خ» : والسكن .

(٣) سورة التوبة ٩ : ١٠٣ .

(٤) البيت : ٦١ ، من القصيدة : ١٦ للشاعر الأُمَوِيّ عُبَيْد بن الحُصَيْن الشهير بالراعي ⇐

وقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾[(١)]

قال أبو حاتم[(٢)]: أحسبه ـ والله أعلم ـ أنّهم كانوا شُرَكاءَ في سفينةٍ لا يملكون سواها. فهذا يخالف أبا عبيدة.

وسُكّانُ السَّفِينَةِ: مَعْروفٌ، عَرَبِيّ، اشْتِقاقُه مِنْ أنّها تَسْكُنُ بِهِ عن الحَرَكَةِ والاضْطِراب[(٣)].

↵النُّمَيْريّ، يمدح فيها عبدالملك بن مروان ويشكوه السّعاة من عمّاله، الديوان: ٥٤.

وقبله:

أَزْرَى بِأَمْـوالِنا قَـوْمٌ أَمَـرْتَهُمُ ... بالعَدلِ فينا فَما أبْقَوا وَما قَصَدُوا

نُعْطِي الزَّكاةَ فَما يَرْضىٰ خَطِيبُهُمُ ... حَتّىٰ نُضاعِفَ أَضْعافاً لَها عُدَدُ

الحَلُوبَة: المحلوبة من ناقة أو شاة، وقيل: اللّبن المحلوب. وَفْق العيال: ما يكفي عَيالَهُ من اللّبن لا فضل فيه. سَبَدٌ: الشعر أو الوبر، فإذا قيل: ما له سبد ولا لبد، فهو كناية عن الإبل والغنم، وقيل: المعز والظأن، وهذا مثل يُضرب للفقر وعدم المال.

(١) سورة الكهف ١٨: ٧٩.

(٢) أبو حاتم السِّجستانيّ، سهل بن محمّد الجُشَميّ. النحويُّ اللُّغويُّ المقرئ، نزيل البصرة وعالمها، عالم باللّغة والشعر، روىٰ عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعيّ، اعتمده ابن دريد كثيراً في اللّغة، له مصنّفات في اللّغة والقرآن منها: إعراب القرآن، المذكّر والمؤنث، فعلت وأفعلت، المقصور والممدود وغيرها، توفّي بالبصرة عام ٢٥٥ هـ.

ترجمته في: إنباه الرواة ٢: ٥٨ ت ٢٨٢، شذرات الذهب ١: ١٢١ طبقات المفسّرين للداوديّ ١: ٢١٦ ت ٢٠٣ تاريخ الإسلام للذهبيّ حوادث عام ٢٥١ هـ: ١٦٢ ت ٢٥٢.

(٣) اللّغة والآراء ينظر لها: جمهرة اللّغة ٢: ٨٥٥، وراجع: العين ٥: ٣١٢، تهذيب اللّغة ١٠: ٦٤، المحيط في اللّغة ٦: ١٨٧، الصحاح ٥: ٢١٣٦، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٧١٨، المفردات: ٦٤١، كنز الحفّاظ: ١٥ ب٢، لسان العرب ١٣: ٢١١ و٥: ٦٠، فقه اللّغة: ٥٢، أدب الكاتب: ٢٩، الاقتضاب ٢: ٢٢ و٣: ٤٢.

↵

ومعنى ﴿ ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ : اجعلها مأوىٰ ، تأوي فيه وتسكن إليه .

وقد أعظَم الله النِّعمة علىٰ آدم بما اختصّه من علمه ، وأسجَد له ملائكته ، وأسكنه جنّته ، وتلك نعمة على ولده ، فلزمَهم الشكر عليها والقيام بحقّها .

والجنّة التي أُسكن فيها آدم ، قال قوم : هي بستان من بساتين الدنيا ؛ لأنّ جنة الخُلد لا يصل إليها إبليس فيوسوسه .

واستدلّ البَلْخيّ على أنّها لم تكن جنّة الخلد بقوله تعالى ـ حكاية عن إبليس لمّا أغوى آدم قال له ـ : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾ [١] فلو كانت جنّة الخُلد لكان عالماً بها ، فلم يَحْتَجْ إلى دلالة .

وقال الحسن البصريّ ، وعمرو بن عُبيد [٢] ، وواصل بن عَطاء [٣] ،

↵ هذا ، وقد تعرّض لهذا البحث الفقهاء في كتاب الزكاة غالباً ، وأوسع من تعرّض للآراء ومناقشتها : تذكرة الفقهاء ٥ : ٢٣٧ ، مفتاح الكرامة ١١ : ٤٣٧ .

والمفسّرون أغلبهم عند الآية ٦٠ من سورة التوبة .

(١) سورة طه ٢٠ : ١٢٠ .

(٢) عمرو بن عُبيد بن باب ، أبو عثمان البصريّ القدريّ ، من رؤوس المعتزلة ، لهشام ابن الحكم معه مناظرات مشهورة أفحمه فيها وألقمه حجراً ، وقال الفسويّ : كان نسّاجاً ثمّ شرطيّاً للحجّاج ، اغترّ بزهده المنصور الدوانيقيّ فعظّمَه غافلاً عن بدعه . له في التفسير والعدل والتوحيد مؤلّفات مفقودة . مات في مَرّان عند منصرفه إلى البصرة عام : ١٤٤ هـ .

انظر : سيَر أعلام النبلاء ٦ : ١٠٤ ت ٢٧ تاريخ الإسلام ، حوادث ١٤١ ـ ١٦٠ : ٢٣٨ ، تاريخ بغداد ١٢ : ١٦٦ ت٦٦٥٢ ، وفيات الأعيان ٣ : ٤٦٠ ت ٥٠٣ .

(٣) واصل بن عَطاء الغَزّال ، أبو حُذيفة ، مولى بني ضَبّة ، رأس المعتزلة ورئيسها ومُنظّرها ، إليه تنسب الواصليّة منهم . له : أصناف المرجئة ، المنزلة بين المنزلتين ، ↵

وأكثر المعتزلة كأبي عليّ ، والرمّانيّ ، وأبي بكر بن الإخشيد ، وعليه أكثر المفسّرين : إنّها كانت جنّة الخُلد ؛ لأنّ الألف واللّام للتعريف وصار كالعلم عليها .

قالوا : ويجوز أنْ تكون وسوسة إبليس من خارج الجنّة ، فيسمعان خطابه ويفهمان كلامه .

قالوا : وقول من يقول : إنّ جنّة الخُلد مَنْ يدخلها لا يخرج منها .

لا يصحّ ؛ لأنّ معنى ذلك إذا استقرّ أهلُ الجنّة في الجنّة للثواب ، وأهل النّار فيها للعقاب لا يخرجون منها ، فأمّا قبل ذلك فإنّها تفنىٰ ؛ لقوله تعالى : ﴿ **كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾[1][2] .

﴿ **وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾ :

معاني القرآن ، كلّها مفقودة . مات عام : ١٣١ هـ .

انظر : طبقات المعتزلة : ٢٨ ، سيَر أعلام النبلاء ٥ : ٤٦٤ ت ٢١٠ ، وفيات الأعيان ٦ : ٧ ت٧٦٨ .

(١) سورة القصص ٢٨ : ٨٨ .

(٢) وهذا أيضاً من الخلاف الذي شغل الرأي والفكر زمناً .

فمن ذاهب إلىٰ أنّها جنّة الدنيا مستدلّين عليها بآيات من القرآن الكريم وغيرها ، منهم المعتزلة والقدرية .

وآخرون ردّوا عليهم ذلك مثبتين أنّها جنّة الخُلد .

وجمع ثالث ذهب إلى إمكان الكلّ .

والأدلّة النقليّة ضعيفة في المقام ومتعارضة فلزوم التوقّف وترك القطع أفضل .

والبحث بين هؤلاء سجال ، ولِرَوْمِ التوسعة يُنظر على المثال : تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٣٠٢ ، تفسير الفخر الرازيّ ٣ : ٤ ، تفسير البحر المحيط ١ : ١٥٦ ، بحار الأنوار ١١ : ١٤٣ حديث ١٢ وما بعده ، البرهان في تفسير القرآن ١ : ١٨٠ ب ٤٠٠ ، مفتاح دار السعادة ١ : ١٢ ـ ٣٢ . وغيرها كثير .

الزوج : بطرح الهاء ، قال الأَصْمَعِيّ[1] : هو أكثر كلام العرب .

وقال الكِسائيّ : أكثر كلام العرب بالهاء ، وطرْح الهاء لغة لأزد شنوءة[2] ، ولفظ القرآن لم يجئ إلّا بطرح الهاء .

وقال المبرّد : الوجهُ طرح الهاءِ من الزوجة ، وأنشد :

وَأَراكُمْ لَدىٰ المُحاماتِ عِنْدِي مَثْلَ صَوْنِ الرّجالِ لِلأَزْواجِ[3] [١٧٣]

جَمعُ زَوْج ، ولا يجوز أنْ يكون جَمْع زَوجة .

وقال الرمّانيّ : قول الأصمعيّ أجود ؛ لأنّ لفظ القرآن عليه[4] .

والعِلّة في ذلك : إنّه لما كانت الإضافة تلزم الاسم في أكثر الكلام كانت مُشْبهة له ، وكانت بطرح الهاء أفصح وأخفّ مع الاستغناء بدلالة

---

(١) عبدالملك بن قُرَيْب بن عبدالملك بن علي بن أصمع ـ ومنه أتاه اللّقب ـ ، أبو سعيد الأصمعيّ البصريّ ، قدم بغداد أيّام الرشيد ، يُبالَغ في حفظه ، كان رأساً في اللّغة ، له مؤلّفات عدّة ، منها : خلق الإنسان ، المقصور والممدود ، الإبل ، الشّاء ، الوحوش ، ما اختلف لفظه واتّفق معناه وغيرها ، مات عام : ٢١٣ هـ ، وقيل غير ذلك .

ترجمته في : سيَر أعلام النبلاء ١٠ : ١٧٥ ت ٣٢ ، إنباه الرواة ٢ : ١٩٧ ت ٤٠٨ ومصادرهما ومقدّمات كتبه .

(٢) اختلف في ضبطها ولا يهمّ ، وهي إحدىٰ الفروع الأربع للأزد القحطانيّة اليمانيّة المنتسبة للأزد بن الغوث بن سبأ ، تفرّقوا بعد خراب سدّ مأرب ، اختصّوا ببعض اللّهجات .

للتوسعة ينظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي : ٢٨٢ ت ١١٠٩ ، لسان العرب ١ : ١٠٢ ، تاج العروس ١ : ١٨٣ ، «شنأ» في الجميع ، ولاحظ معجم قبائل العرب لكحّالة ١ : ١٥ .

(٣) البيت لم نجده إلّا في المخصّص لابن سيده ومن دون نسبة ٢ : ٢٦٤ .

الشاهد فيه : استعمال كلمة الأزواج مسقطاً عنها الهاء ؛ لما أفاده في المتن .

(٤) إشارة إلىٰ ما ورد في سورة البقرة ٢ : ١٠٢ ، سورة النساء ٤ : ٢٠ ، سورة الأعراف ٧ : ١٩ ، سورة طه ٢٠ : ١١٧ ، سورة الأنبياء ٢١ : ٩٠ ، سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٧ وغيرها .

الإضافة عن دلالة هاء التأنيث[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَكُلَا ﴾:

فالأكلُ، والمضغُ، واللَّقمُ متقاربة.

وضدّ الأكل الأزْمُ[٢].

وسأل عمرُ بن الخطّاب الحارثَ بن كَلَدة[٣] طبيب العرب، فقال: ياحار، ما الدواء؟ قال: الأزْمُ. أي: ترك الأكل.

والأَكْلَةُ: مَرّةٌ، والأُكْلَةُ: اسْمٌ كاللُّقْمَة.

والأكُولَة: الشاةُ، والغَنَمُ التي تُرعىٰ للأَكْل لا لِلنَسْل، والأُكَال: أنْ يَتَأكَّل عُودٌ أو شَيءٌ، وأَكِيْلُ الرَّجُلِ: مُواكِلُهُ، وأكِيْلُ الذِّئب: الشاةُ وغيرُها إذا أرَدْتَ معنى المأكُولَةِ، وإذا أردت به اسماً قلت: أكيلَةَ ذِئب. والمأْكَلَةُ: ما جُعِلَ للإنْسان لا يُحاسَبُ عليه. ورَجُلٌ وامْرَأَة أَكُوْلٌ: كَثِيرُ الأكْلِ.

---

(١) تعرّضت لذلك كثير من كتب التفسير والأدب واللّغة بين مُفَصِّل ومُجْمِل على اختلاف في نسبة الأقوال، انظر للمثال: الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١: ١٢١، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٢٤٠، تفسير زاد المسير ١: ٦٥، المخصّص ٢: ٢٦٤، المذكر والمؤنث للأنباريّ ١: ٤٦٠، النوادر لأبي زيد: ١٩٤، لسان العرب ٢: ٢٩١، تهذيب اللّغة ١١: ١٥١، تاج العروس ٣: ٣٩٥.

(٢) الأزْمُ: الحُمْيَة، أو أنْ لا يأكل الإنسان إلّا بمقدار، أو أنْ لا يُدخل طعاماً على طعام، وقيل: الإمساك، والعضُّ، أو أَشَدُّه.

انظر: العين ٧: ٣٩٥، جمهرة اللّغة ٢: ١٠٧١، تهذيب اللّغة ١٣: ٢٧٤، المحيط في اللّغة ٩: ١٠٧، الصحاح ٥: ١٨٦١، لسان العرب ١٢: ١٦.

(٣) الحارث بن كَلَدة بن عمرو الثَّقَفيّ الطبيب. عربيّ من مدينة الطّائف جاب البلاد وتعلّم الطِّبّ، كانت سميّة أُمّ زياد مولاته، وفي إسلامه ترديد، بقي ـ على ما قيل ـ حتّىٰ حكومة معاوية. وفد على كسرى فاختبره وأحسن وفادته.

السؤال في المصادر تارة ينسب إلىٰ عمر، وأُخرى إلى معاوية وإلىٰ غيرهما.

انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء: ١٦١، ومصادر الهامش المتقدِّم.

والمأكَل : كالمَطْعَم والمَشْرَب . والمُؤْكِل : المُطْعِم .

وأصل الباب : الأَكْل ، وهو : المَضْغُ لِذي الطَّعْمِ[1] .

ويقال : اللّذة التي يشترك الحيوان كلّه فيه سوى الملائكة : المَأْكَلُ ، والمَشْرَبُ ، والمَنْكَحُ .

و«الرَّغْدُ» : النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء .

وقال صاحب العين : عَيْشٌ رَغِيدٌ : رَغْدٌ رَفِيهٌ . وَقَوْمٌ رَغْدٌ ونِساءٌ رَغْدٌ .

قال امرؤ القيس بن حُجْر[2] :

بَــيْنَمَا المَــرْءُ تَــراهُ نــاعِمَاً يَأْمَنُ الأَحْداثَ فِي عَيْشٍ رَغَدْ[3] [١٧٤]

---

(١) اللّغة ينظر لها : العين ٥ : ٤٠٨ ، جمهرة اللّغة ٢ : ١٠٨٣ ، تهذيب اللّغة ١٠ : ٣٦٥ ، المحيط في اللّغة ٦ : ٣٢٩ ، الصحاح ٤ : ١٦٢٤ ، مجمل اللّغة ١ : ١٠٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ٨٦ ، لسان العرب ١١ : ١٩ «أَكَلَ» فيها .

(٢) حندج بن حُجْر ـ آكل المُرار ـ الكندي ، لقّبَ بامرئ القيس ؛ لمّا جرىٰ عليه من شدائد ومصائب ، وذلك أنّ معنىٰ امرئ القيس : رجل الشِّدَة ، وكنيته أبا وهب أو أبا الحارث ، أشهر من أن يُعرّف ، اقترن اسمه باحدىٰ المعلّقات السبع ، حاول الثأر من بني أسد لقتلهم أبيه فلم يوفق لمراده تماماً ، قيل مات عام ٨٠ ق هـ .

انظر مقدمة الديوان تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، معجم الشعراء الجاهليين : ٣٢ ومصادرهما والقائمة غنية جداً .

(٣) نَسب البيت إلى امرئ القيس بن حجر كلّ من استشهد به على مورد الشاهد لدى المصنّف ، ولكن تخلو طبعات الديوان منه .

الشاهد فيه ـ هنا ولدى الجميع ـ : استعمال «رَغِد» وإرادة العيش الهنئ الذي لا عناء فيه .

انظر : الديوان تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، رغم أنّه أهم طبعاته وأجمعها فهو خال منه .

وانظر : تفسير جامع البيان ١ : ١٨٢ ـ ١٨٣ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٣٧ ، تفسير الوسيط ١ : ١٢١ ، تفسير البحر المحيط ١ : ١٥٥ ، تفسير الدرّ المصون ١ : ١٩٠ ت ٣٧٠ ، تفسير اللُّباب في علوم الكتاب ١ : ٥٥٤ ت ٣٩١ ، وفي الجامع لأحكام القرآن ١ : ٣٠٣ بلا عزو .

والرَّغِيدَةُ: الزُّبْدَةُ في بَعْضِ اللُّغات. وأَرْغَدَ الرَّجُلُ ماشِيَتَهُ: إذا تَرَكَها وسَوْمَها[١].

والمِشيئَةُ والإرادَةُ بمعنى واحد، وكذلك المَحَبَّةُ والاختيارُ والإيثار، وإن كان لها شروط ذكرناها في الأُصول[٢].

﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾:

القُرْبُ والدُّنوّ، والمُجاوَرَةُ متقارب المعنى. وضِدّ القُرْبِ: البُعْدُ، يقال: قَرُبَ يَقْرُبُ قُرْباً واقْتَرَبَ اقْتِراباً.

قال صاحب العين: القَرَبُ: طَلَبُ الماءِ ليلاً، يقال: قَرَبَ الماءَ يَقْرَبُ وقد قَرَبَهُ قَرْباً: إذا طَلَبَهُ لَيْلاً، ولا يُقال لِطالِبِ الماءَ نهاراً: قارِب.

والقِرابُ: للسَّيْف والسِّكّينِ، والفِعْلُ منه: قَرَّبْتُ قِراباً، وقيل: أَقْرَبْتُ قِراباً.

والقُرْبانُ: ما تَقَرَّبْتَ بِهِ إلىٰ الله تعالى، وقُرْبانُ المَلِكِ وقَرابينُه: وُزَراؤُه.

والقُرْبى: حَقُّ ذي القرابة. وقَرِبَ فُلانٌ أَهْلَهُ: إذا غَشِيَها، قُرْباناً. وما قَرِبْتُ هذا الأَمْرَ ـ ولا فلاناً ـ قُرْباناً وقُرْباً[٣].

---

(١) «رَغَدَ» أنظرها في: العين ٤: ٣٩٢، جمهرة اللّغة ٢: ٦٣٣، تهذيب اللّغة ٨: ٧١، المحيط في اللّغة ٥: ٣٩، الصحاح ٢: ٤٧٥، مُجْمَل اللّغة ٢: ٣٨٨، لسان العرب ٣: ١٨٠.

(٢) لعلّه عند بحث الإرادة في تمهيد الأُصول: ١٠٨ ـ ١١٠، وانظر ٢٨٩ ـ ٢٩٠ منه.

ولمعرفة مختلف الآراء الكلاميّة يستحسن مراجعة معجم العناوين الكلاميّة: ١٢ ـ ١٦ و١٢٧، شرح المصطلحات الكلاميّة: ١١ ت ٥٤ و١٤ ت ٦٢ و١٧ ت ٦٧ و٣٢٠ ت ١١٢٨.

(٣) لضبط اللّغة انظر: العين ٥: ١٥٢، جمهرة اللّغة ١: ٣٢٤، تهذيب اللّغة ٩: ←

والشَّجَرَة : كُلُّ ما قامَ على ساقٍ مِنَ النبات . وهو اسم يَعُمُّ النَّخْلةَ والكَرْمَةَ وغيرَهما . وما لَمْ يقمْ على ساق لا يُسمّى شَجَراً كالبَقْلِ والحَشِيش .

وأمّا اليقطين كالقَرَع والبَطّيخ فقد سُمّي شَجَراً ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ ﴾[1] .

قال صاحب العين : الشَّجَرَةُ واحِدَةٌ ، تُجْمعُ على الشَّجَر والشَّجَراتُ والأَشْجار[2] .

واختلفوا في الشجرة التي نهى الله آدم عنها .

فقال ابن عبّاس : هي السُّنبلة .

وقال ابن مسعود ، والسُّديّ ، و(جَعْدَةَ بن هُبَيْرَة)[3] : هي الكَرْمَة .

وقال ابن جريج : هي التّينة .

وروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال : «شَجَرة الكافور» .

---

١٢٢ ، المحيط في اللّغة ٥ : ٤٠٣ ، الصحاح ١ : ١٩٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٣٨٨ ، مجمل اللّغة ٣ : ٧٥٠ ، لسان العرب ١ : ٦٦٢ «قَرَبَ» في الجميع .

(١) سورة الصّافّات ٣٧ : ١٤٦ .

(٢) العين ٦ : ٣٠ ، واعطف على : جمهرة اللّغة ٢ : ٤٥٨ ، تهذيب اللّغة ١٠ : ٥٢٨ ، المحيط في اللّغة ٦ : ٤٢٦ ، الصحاح ٢ : ٦٩٣ ، لسان العرب ٤ : ٣٩٤ .

(٣) في النسخ والحروفيات : جعفر بن زهير ، وفي «خ» : جعفر بن هبيرة . ولم أجد له اسماً ولا ترجمة في المصادر ولا كتب التراجم .

هذا والظاهر أنّه مصحّف الذي ذكرناه فإنّه قريب جدّاً ، ويدلّ عليه ما روي عنه في المصادر الراوية مثل : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ، جامع البيان وغيرهما .

وجَعْدَة بن هُبَيْرةً المخزوميّ ، اُمّه اُمّ هاني ، تابعيّ ولد على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله ولم تثبت له صحبة ، له مواقف وشدّةُ بلاءٍ في صفّين مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . ولّاه خاله أمير المؤمنين عليه السلام خراسان . ووُصف بالعلم والفقه . روىٰ عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وعنه ابنه عبدالله ، وأبو فاختة ، ومجاهد ، وأبو الضحىٰ .

له ترجمة في : تنقيح المقال ٤ : ٣٤٤ ت ٣٧٥٠ ، تهذيب الكمال ٤ : ٥٦٣ ت ٩٢٩ وانظر مصادره .

وقال الكلبيّ : شَجَرة العلم ، علم الخير والشرّ .

وقال ابن جُدعان[١] : هي شجرة الخُلد التي كانت تأكل منها الملائكة .

والأقاويل الثلاثة الأوّلة أقرب[٢] .

﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ :

الظُّلم والجور والعُدوان متقارب . وضدّ الظُّلم : الإنصاف ، وضدّ الجور : العَدل .

وأصل الظُّلم انتقاص الحقّ ؛ لقوله تعالى : **﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً ﴾**[٣] أي : لم تنقص .

وقيل : أصله وضع الشيء في غير موضعه ، من قولهم :

[١٠٧] .... (من أَشْبَهَ أَباهُ فَما ظَلَمْ)

---

(١) عليّ بن زيد بن جُدعان . أبو الحسن البصريّ الضرير . حدّث عن : أنس ، وابن المسيّب ، والحسن البصريّ ، وعروة . وعنه : شُعْبة ، والسفيانان ، وابن سلمة . قال الذهبيّ : من أوعية العلم علىٰ تشيّع فيه قليل ، ولعلّه السبب في ذمِّهم إيّاه ورميه بالضّعف علىٰ ما هو ديدنهم في من نُسِبَ الىٰ التشيّع . مات عام : ١٣١ هـ .

ترجمته في : سيَر أعلام النبلاء ٥ : ٢٠٦ ت ٨٢ ، تهذيب الكمال ٢٠ : ٤٣٤ ت ٤٠٧٠ .

(٢) تعدّدت الأقوال في نوعية الشجرة . ولعلّها ممّا يتساوىٰ فيه العلم والجهل ، وعلىٰ كلٍّ تجد الآراء مبثوثة في : تفسير الشهيد زيد بن عليّ : ٨١ ، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه‌السلام : ٢٢١ ت١٠٣ ، ١٠٤ ، عيون أخبار الرضا عليه‌السلام ١ : ١٩٥ ب١٥ ت١ و٣٠٦ ب٢٨ ت ٦٧ ، معاني الأخبار : ١٢٤ ت١ ، تفسير الحسن البصريّ «جمع» ٢ : ٣٩ ت ٤٢ ، تفسير جامع البيان ١ : ١٨٤ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٠٥ ، تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ٩٨ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٨٦ ت٣٧٦ ـ ٣٨٢ ، تفسير الوسيط ١ : ١٢١ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١١ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ٦٨ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ١٨٤ ، باهر البرهان ١ : ٦٧ ، اللّباب في علوم الكتاب ١ : ٥٥٦ ، وغيرها .

(٣) سورة الكهف ١٨ : ٣٣ .

أي : فما وضع الشبه غير موضعه . وكلاهما مُطَّرِد .

وعلى الوجهين فالظُّلْم اسمُ ذَمٍّ . ولا يجوز أن يُطلق على غير مستحِقّ اللَّعن ؛ لقوله : ﴿ **أَلَا لَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ** ﴾[١] ولا يجوز إطلاقه على أنبياء الله تعالى ولا الأئمّةِ المعصومين .

وظالمٌ ومُسِيءٌ وجائرٌ : اسم ذمّ ، وهو فاعل لما يَستحق به الذمّ من الضرر .

وضِدُّه : عادل ، ومنصف ، ومحسن ، وهي من صفات المدح .

ويقول المعتزلة لصاحب الصغيرة : ظالم لِنفسه .

ومن نفىٰ الصغيرة عن الأنبياء من الإمامية قال : يجوز أن يقال : ظالم لنفسه إذا بَخسها الثواب . كقوله : ﴿ **ظَلَمْتُ نَفْسِي** ﴾[٢] وقوله : ﴿ **إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ** ﴾[٣] حكاية عن يونس من حيث بَخَس نَفْسَه الثوابَ بتركِ المندوب إليه[٤] .

والظُّلْمُ هو : الضَّرَرُ المَحْضُ الذي لا نفع فيه يوفىٰ عليه عاجلاً أو آجلاً ، ولا فيه دفع ضرر أعظم منه ، ولا هو واقع على وجه المدافعة ، ولا هو مستَحَقّ . فما هذه صفته يُستَحَقّ به الذَّمّ إذا وقع من مختارٍ عالمٍ بقبحه أو متمكّنٍ من العلم به[٥] .

---

(١) سورة هود ١١ : ١٨ .

(٢) تكرّرت في سورة النمل ٢٧ : ٤٤ ، وسورة القصص ٢٨ : ١٦ .

(٣) سورة الأنبياء ٢١ : ٨٧ .

(٤) انظر الموضوع مفصّلاً في : تنزيه الأنبياء للسيّد الشريف المرتضى ؛ فإنّه خير من أشبع البحث قولاً وتنقيباً وجمعاً للآراء ، ولاحظ ما يأتي في : ٨٦ هامش ١ .

(٥) للتوسعة ينظر : الذخيرة في علم الكلام : ٢١٦ ، تمهيد الأصول : ٢٢٥ ، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد : ٨٣ .

وروي: إنّ الله تعالى ألقىٰ علىٰ آدم النَّومَ، وأخذ منه ضِلعاً فخلق منه حوّاء[١].

وليس يمتنع أن يخلق الله حوّاءَ من جُملةِ جسد آدم بعد أنْ لا يكون جُزءً ممّا لا يتمّ كون الحيِّ حيّاً إلّا معه؛ لأنّ ما هذه صفته لا يجوز أنْ يُنقلَ إلى غيره، أو يُخلق منه حيٌّ آخر من حيث يؤدّي إلى أنْ لا يصل الثوابُ إلى مستحِقّه؛ لأنّ المستحقَّ لذلك الجملةُ بأجمعها. وهذا قول الرمّانيّ وغيرهُ من المفسّرين؛ ولذلك قيل للمرأة: ضلع أعوج.

وقيل: سمّيت امرأة؛ لأنّها خُلقت من المرء.

فأمّا تَسميتها حوّاء: فقال قوم: لأنّها من حيّ، ذكر ذلك ابن عبّاس وابن مسعود. وقال آخرون: سمّيت بذلك لأنّها اُمّ كلّ حيّ.

وقال ابن عبّاس وابن مسعود: خلقت حوّاء لمّا اُدخل آدم الجنّة وحده واُخرج منها إبليس ولُعن وطُرد فاسْتَوحش، فخلقت ليسكن إليها. فقالت له الملائكة ـ تَجربة لعلمه ـ: ما اسمها؟ قال: حَوّاء. قالوا: لم سُمّيت حَوّاء؟ قال: لأنّها خُلقت من شيء حيّ.

وقال ابن إسحاق[٢]: خُلقت من ضلعه قبل دخوله الجنّة، ثمّ دخلا

---

(١) رواه الشيخ المجلسي في البحار ٥٧: ٢٦٥ ح٥ عن العلل «مخطوط» لمحمّد بن علي بن إبراهيم، وانظر متشابه القرآن لابن شهرآشوب ١: ٩.

(٢) الظاهر أنّه: محمّد بن إسحاق بن يسار الأخباريّ أبو بكر القُرشيّ المطّلبيّ مولاهم صاحب السيرة. كان جدّه من سبي عين التَّمر، عاصر أنس وسعيد بن المسيّب. ضعّفه جمع وشكّك في مرويّاته؛ إذ لها غالباً اُصول سريانيّة، وآخرون وثّقوه حتّىٰ عدّوه أمير المحدثين. مات عام: ١٥١، وقيل غير ذلك.

لترجمته انظر: سيَر أعلام النبلاء ٧: ٣٣ ت ١٥ ومصادره.

معاً الجنّة ؛ لقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[١] .

وقال الحسن : إنّ الجنّة التي كان فيها آدم في السماء ؛ لأنّه تعالى أهبطهما منها .

وقال أبو مسلم محمّد بن بحر : هي في الأرض ؛ لأنّه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نُهيا عنها دون غيرها من الثمار[٢] .

و ﴿ حَيْثُ ﴾ :

مبنيّة على الضمّ كما تُبنى الغاية ، نحو : ﴿مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾[٣] ؛ لأنّه مُنعَ من الإضافة كما مُنعت الغاية الإضافة إلى مُفرد .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ :

صيغَتُه صيغةُ النهي ، والمراد به الندب عندنا ؛ لأنّه دلَّ الدليل على أنّ النهيَ لا يكون نهياً إلّا بكراهيّة المنهيّ عنه . والله تعالى لا يكره إلّا القبيحَ . والأنبياءُ لا يجوز عليهم القبائح ، لا صغيرها ولا كبيرها .

وقالت المعتزلة : إنّ ذلك كانت صغيرةً من آدم ، على اختلافهم في أنّه كان منه عمداً أو سهواً أو تأويلاً .

وإنّما قلنا : لا يجوز عليهم القبائح ؛ لأنّها لو جازت عليهم لوجب أنْ

---

(١) تعرضت لهذا البحث ولأقوال الرواة جملة من المصادر ، منها : تفسير محمّد بن إسحاق : ٢٠ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ١٨١ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٨٥ ت ٣٧٢ و ٥ : ١٤٤٨ ت ٨٢٧٧ ، تفسير القرآن للسمعاني ١ : ٣٩٣ ، الأسماء والصفات للبيهقيّ : ٨٢٠ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ١٨٢ ، تفسير جامع البيان ١ : ١٨٢ ؛ وانظر : طبقات ابن سعد ١ : ٣٩ ، وتاريخ دمشق ٧ : ٤٠٢ و١٠٢٦٩ ، المعارف لابن قتيبة : ١٠١ ، تاريخ الطبري ١ : ١٠٤ ، الكامل في التاريخ ١ : ٣١ ، والتفاسير أغلبها متعرِّضة لها عند الآية هذه تارة وأخرى في سورة الأعراف ٧ : ١٩ .

(٢) تقدّمت الإشارة إلى الأقوال وأمثالها ضمن بداية تفسير هذه الآية صفحة : ٧٥ .

(٣) سورة الروم ٣٠ : ٤ .

يستحقّوا بها ذمّاً وعقاباً ولعنة وبراءةً؛ لأنّ المعاصي كلّها كبائر عندنا.

والإحباط باطل.

ولو جاز ذلك لنفَّر عن قبول قولهم. وذلك لا يجوزُ عليهم، كما لا يجوزُ كلُّ منفِّر عنهم من الكبائر، والخلق المشوَّهة، والأخلاق المنفِّرة[١].

---

(١) لزوم اجتناب الذنوب كبيرها بل وصغيرها، أو ما يصطلح علىٰ تسميته بالعصمة هو: بحث عقائديّ مهمّ جدّاً تشارك فيه مختلف الطوائف الإسلاميّة، بل والمذاهب الكلاميّة قديماً وحديثاً، وكلّ يُدلي بدلوه ويفيض من جهة ما يمليه عليه معتقده ويبني عليه تصحيح حكومة من يتولّاه.

أمّا الإماميّة الإثنى عشرية فهم قائلون بوجوب عصمة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام من كبير الذنب بل وصغيره حتّىٰ اللّمم مستدلّين على ذلك في كتبهم الكلاميّة.

والكلام حول الموضوع منشعب طويل، لزيادة الاطّلاع إليك ثبتاً لتسهيل الرجوع:

فالمختصة بها ومن الفريقين اُنظر:

تنزيه الأنبياء للشريف المرتضىٰ، مادة عصم في الحدود والحقائق ضمن رسائل الشريف المرتضىٰ ٢: ٢٧٧، رسائل الشريف المرتضىٰ ٣: ٣٢٣، المسألة ٥٠، العصمة للسيد الحيدري، الجزء الخامس من موسوعة مفاهيم القرآن الكريم للشيخ السبحاني، وانظر تنزيه الأنبياء عمّا نسب إليهم حثالة الأغبياء.

وللشاملة لغيرها أيضاً من الخاصة اُنظر:

تقريب المعارف: ٩٥ ـ ١١٥، الشافي في الامامة للشريف المرتضىٰ ٢: ٣٠٠، أوائل المقالات: ١٢٢ و٢١٤، الذخيرة: ٣٣٧، العدّة للشيخ الطوسي ٢: ٥٦٦، تمهيد الأُصول في علم الكلام: ٢٠٨ و٣١٢ و٣٢٠ و٣٤٩، تلخيص الشافي للشيخ الطوسي ١: ١٨١، اللوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميّة: ١٦٩ و١٧١ و٢٦٨، إرشاد الطالبين: ٢٩٥، التنبيه بالمعلوم للحرّ العاملي، حقّ اليقين في معرفة أُصول الدين، لوامع الحقائق في أُصول العقائد: ١٧، وغيرها.

ومن العامة اُنظر:

المغني للقاضي ١٥: ٢٨١، ٣٠٤، شرح الأُصول الخمسة: ٧٨٠، الإرشاد للجويني:

ولا خلاف أنّ النهي تناول الأكلَ دون القُرب ، كأنّه قال : لا تقربا بأكل ؛ لأنّه لا خلاف أنّ المخالفة وقعت بالأكل لا بالدّنوّ منها ، ولذلك قال : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ فَتَكُونَا ﴾ :

يحتمل أنْ يكون جواباً للنهي ، فيكون موضعه نصباً .

وهو الأقوى .

ويحتمل أنْ يكونَ عطفاً على النهي فيكون موضعه جزماً .

وكلاهما جيِّد محتمل .

ومتى كان جواباً كان تقديره : إنْ قربتما كُنتما من الظالمين ؛ لأنّه يتضمّن معنى الجزاء .

وإذا كان عطفاً على النهي فكأنّه قال : لا تكونا من الظالمين .

وأجاز البصريّون من أهل العدل أنْ يبتدِئَ اللهُ الخلقَ في الجنّةِ فيُنَعِّمَهُم فيها مؤبّداً تَفضُّلاً منه لا على وجه الثواب ؛ لأنّ ذلك نعمةٌ منه تعالى ، كما أَنّ خلْقَهم وتكليفهم وتعريضَهم للثواب نعمةٌ منه ، وله أنْ يفعل ما يشاءُ من ذلك .

وقال أبو القاسم البَلْخيّ : لا يجوز خلقُهم في الجنّة ابتداءً ؛ لأنّه لو جاز ذلك لما خلقهم في دار المحنة ، ولما ابتلى من يعلم أنّه يكفرُ ويصير إلىٰ عذابه .

وإنّما لم يجز أنْ يخلقهم ابتداءً في الجنّة ؛ لأنّه لو خلقهم فيها

↩ ٥٩٨ ، شرح المقاصد ٥ : ٤٩ ، وغيرها كثير . للتوسعة أُنظر معجم العناوين الكلاميّة والفلسفيّة : ٩٤ ، شرح المصطلحات الكلامية : ٢١٦ ت ٧٤١ .

(١) سورة طه ٢٠ : ١٢١ .

لم يَخْلُ: إمّا أنْ يكونوا متعبّدين بالمعرفة بالله والشكر له، أو لا يكونوا كذلك؛ فلو كانوا غيرَ متعبّدين كانوا مُهمَلين وذلك لا يجوز. ولو كانوا متعبّدين لم يكن بُدّ من ترغيب وترهيب، ووعد ووعيد. ولو كانوا كذلك كانوا على ما هم عليه في دار الدنيا وكان لا بدّ من دار أُخرى يُجازَون فيها ويخلَّدون.

وأجاب عن ذلك الأوّلون بأن قالوا: لو ابتدأ خلقهم في الجنّة لاضطرّهم إلىٰ معرفته، وألجأهم إلى فعل الحسن وترك القبيح، ومتى راموا القبيح مُنعوا منه، فلا يؤدّي ذلك إلى ما قاله، كالحور العين والأطفال والبهائم إذا حشرهم الله يوم القيامة.

قوله تعالىٰ:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ آية (٣٦) آية بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده: **فَأَزالَهُما** بألف وتخفيف اللّام. الباقون بتشديد اللّام وحذف الألف[١].

الزَّلَّةُ والمَعْصِيَةُ والخَطِيئَةُ والسَّيِّئَةُ بمعنى واحد. وضدّ الخطيئة الإصابة.

---

(١) أشارت إلىٰ القراءة أغلب كتب القراءات، منها: السبعة في القراءات: ١٥٤ ت١٧، معاني القراءات: ٤٨، الحجّة في القراءات: ٧٤، مختصر في شواذّ القراءات: ١٢، إعراب القراءات السبع ١: ٨١، الحجّة للقرّاء السبعة ١: ١٤، حجّة القراءات: ٩٤، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٢، الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٣٥. إضافة إلى بعض كتب اللّغة التي سيشار إليها. وانظر تفسير سفيان الثوريّ: ٤٤ ت١٢.

ويقال: زَلَّ زَلَّةً، وأَزَلَّهُ إزلالاً، واسْتَزَلَّهُ استزلالاً.

وقال صاحب العين: زَلَّ السَّهْمُ عن الدِّرْعِ زَليلاً، وزَلَّ فُلانٌ عَن الصَّخْرِ زَليلاً. فإذا زَلَّتْ قَدَمُهُ قلت: زَلَّ زَلّاً. فإذا زَلَّ في مَقالة أو خُطبة قلت: زَلَّ زَلَّةً. قال الشاعر:

هَلّا على غَيْرِي جَعَلْتَ الزَّلَّة[1] [١٧٥]

وأَزَلَّهُ الشَّيْطانُ عَنِ الحقّ: إذا أزاله. والمُزِلَّةُ: المكان الدَّحْضُ[2]. والمَزَلَّةُ: الزَّلَلُ في الدَّحْضِ. والزَّلَلُ: مِثْلُ الزَّلَّةِ في الخطأ. والإزْلالُ: الإنْعامُ. وفي الحديث: (مَنْ أُزِلتْ إليهِ نِعْمَةٌ فَلْيَشْكُرْها)[3]. بمعنى أُسْدِيَت.

قال كثيِّر[4]:

---

(١) رجز في ثلاث أشطر هكذا:

قد كانت الفَعلةُ منّي ضَلّة
هَلّا على غيري جَعلتَ الزَلَّة
فسَوفَ أعْلو بالحُسام القُلَّة

وقد نُسب للبرّاض النَمْريّ الكنانيّ، أحد خلعائها قاله عندما قَتلَ عروة الرّحال الكلابيّ سيّد هوازن في قصة مذكورة في قضايا حرب الفجّار الرابعة.

للتفصيل انظر: العِقْد الفريد ٥: ٢٥٤، أيام العرب للتّيميّ ٢: ٥٠٦. نهاية الأَرب للنويري ١٥: ٤٢٦، تهذيب اللّغة ١٣: ١٦٤، لسان العرب ١١: ٣٠٦، تاج العروس ١٤: ٣١٠.

(٢) الدَّحَضُ ـ بفتح الحاء وسكونها ـ: المكان الزلق، العين ٣: ١٠١، الصحاح ٣: ١٠٧٥، «دَحَضَ» فيها.

(٣) مسند الشهاب ١: ٢٣٨ ت٢٧١ ح٣٧٦، المبسوط للسرخسيّ ٧: ٦١، غريب الحديث لابن سلّام ١: ٢٠، الصحاح ٤: ١٧١٨، مفردات ألفاظ القرآن: ٣٨٢، النهاية في غريب الحديث ٢: ٣١٠، الفايق في غريب الحديث ٢: ١١٩.

(٤) كُثَيِّر عَزّة أبو صخر، كُثَيِّر بن عبدالرحمٰن بن الأسود الخزاعيّ المدنيّ، من فحول

وإنّي ـ وإنْ صَدَّتْ ـ لَمُثْنٍ وَصَادِقٌ　　عَـلَيْها بِـما كـانَتْ إلَـيْنا أزَلَّتِ[١] [١٧٦]

ويقال منه : أزْلَلْتُ إلى فُلانٍ نِعْمَةً ، فَأنَا أُزِلُّها إزْلالاً .

والأصْلُ في ذلك الزّوال .

والزَّلَّةُ : زَوالٌ عن الحقّ[٢] .

ومعنى «أزالهما» : نحّاهما . من قولك : زِلْتُ عن المكان : إذا تَنَحَيْتَ منـه .

والوجه ما عليه القرّاء ؛ لأنّ هذا يؤدّي إلىٰ التكرار ؛ لأنّـه قـال بـعد

شعراء العصر الإسلاميّ الثاني . أحب عَزَّة حُبّاً عفيفاً واشتهر بها حتىٰ عفت علىٰ نسبه. كان مجاهراً في موالاته لأهل البيت عليهم‌السلام عدّ من أصحاب الإمام الباقر عليه‌السلام له فيهم شعر كثير . مدح حاكم وقته عبدالملك بن مروان. شعره مليئ بالحكم والأمثال السائرة ، منه :

وَمَنْ لا يُغمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ　　وَعَنْ بَعْض ما فيه يَمُتْ وَهُوَ عائبُ
وَمَـنْ يَـتَتَبَّعْ جـاهِداً كُـلَّ عَـثْرَةٍ　　يَجِدْها ، وَلا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرَ صاحِبُ

مات في المدينة المنوّرة عام : ١٠٥ هـ ، ومشىٰ في جنازته الإمام البـاقر عليه‌السلام علىٰ ما قيل .

له ترجمه في : وفيات الأعـيان ١ : ٥٤٧ ، معجم الشـعراء للـمرزبانيّ : ٢٤٢ ، معجم مشاهير شعراء الشيعة ٣ : ٣٨٣ ت ٧٤٤ ، الشعر والشعراء ١ : ٥٠٣ ت٩١ ، معجم الشعراء للجبوري ٤ : ٢٢٤ ومصادرهم .

(١) البيت ٣٣ من تائية مطوّلة برقم ٢١ تعدّ من منتخبات شعره يمدح فيها عَزَّة ويذكر بدايات حُبِّه إيّاها .

المعنى واضح .

والشاهد : استعمال : أَزَلّت بمعنى أسدت وقَدَّمَت .

انظر : الديـوان : ٥٤ ق٢١ ب٣٣ . وأمـالي القـالي ٢ : ١٠٨ ، مـنتهى الطـلب ٤ : ١١٢ ق ١٩٩ ب ٢٨ .

(٢) مادة «زَلَلَ» انظرها في : العين ٧ : ٣٤٨ ، جمهرة اللّغة ١ : ١٣٠ ، تـهذيب اللّـغة ١٣ : ١٦٣ ، المحيط في اللّغة ٩ : ١١ ، الصحاح ٤ : ١٧١٧ ، لسان العرب ١١ : ٣٠٦ وملاحظة بعض كتب القراءات في الهامش : ١ صفحة ٨٨ لا تخلو من فائدة .

ذلك: ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ فيصير تقدير الكلام: فأخرجهما الشيطان عنها فأخْرَجَهما. وذلك لا يجوز. ويَحسنُ أن يقول: اسْتَزَلَّهما فأَخْرَجَهُما.

ومن قرأ: ﴿ فَأَزَالَهُمَا ﴾، أراد المقابلة بين قوله: «أزالهُما» وبين قوله: ﴿ ٱسْكُنْ ﴾؛ لأنّ معناه: اسْكُن واثْبُت أنتَ وزوجُك. وتقديره: اثْبُتا، فأراد أنْ يقابل ذلك فقال: «فأزالهما» فقابل الثبات بالزوال.

وإنّما نُسب الإزلال والإخراج إلى الشيطان لَمّا وقع ذلك بدعائه ووسوسته وإغوائه.

ولم يكن إخراجهما من الجنّة على وجه العقوبة؛ لأنّا قد بيّنا أنّ الأنبياء لا يجوز عليهم القبائح على حال[1]. ومن أجاز عليهم العقاب فقد أَعْظَمَ الفِرْية وقَبَّحَ الذِّكر على الأنبياء.

وإنّما أخرجهم من الجنّة؛ لأنّه تغيّرت المصلحة لمّا تناول من الشجرة، واقتضى التدبير والحكمة تكليفه في الأرض وسَلْبه ما ألبسه الله تعالى من لباس الجنّة.

وقال قوم: إنّ إلباسَ اللهِ له ثيابَ الجنّة كان تفضّلاً. وللمتفضِّل أنْ يمنع ذلك تشديداً للمحنة. كما يُفقِر بعد الغنى، ويُمِيت بعد الإحياء، ويُسقِم بعد الصحّة.

فإن قيل: كيف وصل إبليس إلىٰ آدم حتّىٰ أغواه ووسوس إليه وآدم كان في الجنّة، وإبليس قد أُخرج منها حين تأبّىٰ من السجود؟

قيل: عن ذلك أجوبة:

---

(١) انظر صفحة: ٨٦ هـ ١.

أحدها[1] : إنّ آدم كان يخرج إلى باب الجنّة ، وإبليس لم يكن ممنوعاً من الدنوّ منه ، وكان يكلّمه ويُغْويه .

الثاني : وقال آخرون : إنّه كلَّمهما من الأرض بكلام فهماه منه وعرفاه .

والثالث : قال قوم : إنّه دخل في فَقْم الحيّة ، وخاطبهما من فقمها . والفَقْمُ : جانب الشدق .

والرابع : قال قوم : راسلهما بالخطاب .

وظاهر الكلام يدلّ على أنّه شافههما بالخطاب .

والخامس : وقال قوم : يجوز أنْ يكون قَرُبَ من السماء فكلّمهما .

فأمّا ما روي عن سعيد بن المسيّب : إنّه كان يحلف ولا يستثني : إنّ آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل ، ولكنْ حوّاء سقته الخمر حتّىٰ إذا سكر قادته إليها فأكل[2] .

فإنّه خبر ضعيف .

وعند أصحابنا : إنّ الخمرة كانت محرّمة في سائر الشرائع .

ومن لم يقل ذلك ، يقول : لو كان كذلك ، لما توجّه العتب على آدم ، ولا كان عاصياً بذلك ، والأمر بخلاف ذلك . وإنّما قلنا ذلك ؛ لأنّ النائم غير مكلّف في حال نومه ؛ لزوال عقله ، وكذلك المغمى عليه ، وكذلك

---

(١) اختلفت النسخ في التسلسل إثباتاً وعدماً ، آثرنا الإثبات ؛ للوضوح والسهولة .

(٢) انظر : تفسير جامع البيان ١ : ١٨٨ ، تاريخ الأمم والملوك ١ : ١١١ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٠٦ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ١٨٣ ، المنتظم ١ : ٢٠٦ .

السكران. وإنّما يؤاخذ السكران بما يفعله في شرعنا لمّا ثبت تحريم ما يتناولُه اسمُ المسكر. وإلّا فحكمه حكم النائم عقلاً.

وقد قلنا: إنّ أكلهما من الشجرة كان على وجه ترك الندب، دون أنْ يكون ذلك محظوراً عليهما، لكن لمّا خالفا في ترك المندوب إليه تغيّرت المصلحة، واقتضت إخراجَهما من الجنّة. وقد دللنا على ذلك في ما مضى[1].

والسادس: وقال قوم: تعمّد ذلك.

والسابع: وقال آخرون: نُهي عن جنس الشجرة، وأخطأ.

والثامن: وقال قوم: إنّه تأوّل النهي الحقيقي، فحمله على الندب، فأخطأ.

وقد بيّنا ما عندنا فيه[2].

فإن قيل: كيف يكون ذلك ترك الندب مع قوله: ﴿ **فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ** ﴾[3]؟

قلنا التوبة: هي الرجوع. ويجوز أنْ يرجع تاركُ الندب عن ذلك، ويعزم على أن لا يعود إلى مثله فيكون تائباً.

ومن قال: وقعت معصيته مُحبِطة. يقول: إنّه تاب توبة صحيحة؛ لأنّ بها يخرج عن الإصرار. كما تجدّد التوبة بعد التوبة، وإن كانت الأُولى أسقطت العقاب.

فإن قيل: كيف يكون ذلك ندباً أو صغيرة وإبليس يقول لهما:

---

(١) مضى في صفحة: ٨٦.

(٢) انظر صفحة: ٨٦.

(٣) سورة البقرة ٢: ٣٧.

﴿ مَا نَهَـٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ۞ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾[1] ؟

قيل : ما قبلا ذلك من إبليس ، ولو قبلا كانت المعصية أعظم . فلمّا لم يعاتبهما الله على ذلك ، دلّ على أنّهما لم يقبلاه .

وهذا جواب من يقول : إنّه كان صغيرة أو كان ناسياً .

وعلى ما قلناه ـ إنّ ذلك كان ندباً ـ لا نحتاج إلىٰ ذلك ، بل نقول : دليلُ العقل أمَّنَنا من وقوع قبيح من آدم والأنبياء . فلو كان صريحاً لتركنا ظاهره ؛ لقيام الدليل على خلافه . على أنّه لا يمنع أنْ يقاسمهما : إنّه لمن الناصحين في ترك الندب . وأنّ ما ظاهره النهي ترْكُه يُوجب أنْ يصيرا من الخالدين .

وقوله : ﴿ مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ :

يحتمل أنْ يكون أراد : من لباسهما حتّىٰ بدت لهما سوآتهما .

ويحتمل أنْ يكون : من الجنّة ، حتّىٰ أُهبطا .

ويحتمل أن يكون أراد : من الطاعة إلىٰ المعصية .

وقوله : ﴿ ٱهْبِطُوا ﴾ :

فالهبوط ، والنزول ، والوقوع نظائر .

ونقيضُ الهبوط والنزولِ : الصعودُ .

يُقال : هَبَطَ يَهْبطُ : إذا انْحَدَرَ في هُبُوطٍ من صُعُودٍ . والهَبوطُ اسم كالحُدُورِ ، وهو : الموضع الذي يُهْبِطُك من أعلى إلى أسفل . والهُبُوط :

---

(١) سورة الأعراف ٧ : ٢٠ و ٢١ .

المصدر. قال ابن دُرَيْد[١]: هَبَطْتُه وأَهْبَطْتُه [لغتان فصيحتان][٢].

والعَداوَةُ، والبَراءَةُ، والمُباعَدَةُ، نظائر، وضدّ العَدُوِّ الوليُّ.

والعَدْوُ: ـ خفيف ـ الحُضْرُ[٣]. والعَدُوُّ ـ ثقيل ـ يقال: في التعديّ.

وقُرِئَ: ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ وعُدُوّاً[٤] ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٥].

والعُدْوانُ: الظُّلْم. والعَدْوَى: طَلَبُكَ إلى والٍ ليُعْدِيكَ على من ظَلَمَك، أي: ينتّقم لك.

والعَدُوُّ: اسْمٌ جامعٌ للواحِدِ والاثْنَيْنِ والجَمْع والمذكّر والمؤنّث. فإذا

---

(١) محمّد بن الحسن بن دريد، أبو بكر الأزديّ اللّغويّ، ورد بغداد، حدَّث عن الرّياشي والسجستانيّ. روىٰ عنه السيرافيّ والمرزبانيّ وغيرهم، له: جمهرة اللّغة، الاشتقاق، المجتني، المقتبس، الملاحن، غريب القرآن، وغيرها كثير. مات عام: ٣٢١ هـ.

له ترجمة في المنتظم ١٣: ٣٢٩ ت٢٣٢٨، إنباه الرواة ٣: ٩٢ ت ٦١٩، مرآة الجنان ٢: ٢١٢، سيَر أعلام النبلاء ١٥: ٩٦ ت ٥٦ ومصادره، إضافة لمقدّمات كتبه المطبوعة.

(٢) الزيادة مُوَضِّحةٌ من جمهرة اللّغة ١: ٣٦٣ تخلو منها جميع النسخ، وانظر المادّة اللّغوية «هَبَطَ» إضافة إلى الجمهرة في: العين ٤: ٢١، تهذيب اللّغة ٦: ١٨١، المحيط في اللّغة ٣: ٤٣٦، الصحاح ٣: ١١٦٩، لسان العرب ٧: ٤٢١.

(٣) الحُضْرُ والإحْضار: ارتفاع الفرس في عدوه ومنه الحديث (.... ثمّ كَحُضْرِ الفرس...) لسان العرب ٤: ٢٠١ (حَضَرَ).

(٤) وثالثة: (عَدُوّاً) بفتح العين وتشديد الواو. انظر: معاني القرآن للأخفش ٢: ٥١ معاني القراءات: ١٦٤، مختصر في شواذّ القرآن: ٤٥، إعراب القرآن للنحّاس ٢: ٨٩، الغاية في القراءات العشر: ٢٤٧، المحتسب ١: ٢٢٦، التذكرة في القراءات ٢: ٤٠٦ ت ٣٨، التلخيص في القراءات الثمان: ٢٦٠، الموضح في وجوه القراءات وعللها ١: ٤٩٠، غاية الاختصار ٢: ٤٨٤ ت٨٥٧، إعراب القراءات الشواذّ ١: ٥٠٧. وغيرها كثير.

(٥) سورة الأنعام ٦: ١٠٨.

جَعَلتَه نعتاً ، قُلت : الرجلان عَدوّاكَ ، والرِّجال أعْداؤُك ، والمرأتان عَدوَّتاك ، والنِّسْوة عَدوَّاتُك .

وأصل الباب : المجاوزة . يقال : لا يَعْدُوَنَّك هذا الأمر ، أي : لا يَتَجاوَزَنَّك[1] .

وقوله : ﴿ اَهْبِطُوا ﴾ :

إنّما قال بالجمع ؛ لأنّه يُحتمل أشياء :

أحدها : إنّه خاطب آدم وحوّاء وإبليس ، فيصلح ذلك ، وإنْ كان إبليس أُهبط منْ قبْلهما . يقال : أُخْرِجَ جَمْيعُ مَنْ في الجيشِ وإنْ أُخرجوا متفرّقين . اختار هذا الزجّاج[2] .

والثاني : إنّه أَراد آدم وحوّاء والحيّة .

والثالث : آدم وحوّاء وذرّيّتهما .

والرابع : قال الحسن : إنّه أراد آدم وحوّاء والوسوسة .

وظاهر القول وإنْ كان أمراً فالمراد به التهديد . كما قال : ﴿ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾[3][4] .

---

(١) لمادّة «عَدَوَ» وتفصيلاتها انظر : العين ٢ : ٢١٣ ، جمهرة اللّغة ١ : ٦٦٦ ، تهذيب اللّغة ٣ : ١٠٨ ، المحيط في اللّغة ٢ : ١٢٢ ، الصحاح ٦ : ٢٤١٩ ، لسان العرب ١٥ : ٣١ ، تاج العروس ١٩ : ٦٥٨ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١ : ١١٥ .

(٣) سورة فصلت ٤١ : ٤٠ .

(٤) الآراء تجدها منسوبة وغير منسوبة في : تفسير مجاهد بن جبر : ٢٠٠ ، تفسير الحسن البصريّ «جمع» ٢ : ٤١ ، التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه‌السلام : ٢٢٢ ←

وقوله: ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾:

قرار؛ لقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ قَرَاراً﴾[1]. وقيل معناه: مستقرٌّ في القبور. والأوّل أقوىٰ وأحسن.

والقَرارُ: الثبات. والبَقاء مِثْلُه.

وضدّ القرار: الانزعاج. وضدّ الثبات: الزوال، وضدّ البقاء: الفناء.

ويقال: قرَّ قَراراً، وأقَرَّهُ إقْراراً.

والاسْتِقْرار: الكون أكثر من[2] وقت واحد على حال.

والمستقرُّ: يحتمل أن يكون بمعنى الاسْتِقْرار، ويحتمل أنْ يكون بمعنى المكان الذي يُسْتَقَرُّ فيه[3].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾:

فالمتاع، والتُّمتُّع، والتُّلَذّذ، والمُتْعَةُ متقارب المعنى.

وضدّه: التألُّم.

ت١٠٤، تفسير جامع البيان ١: ١٩٠، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٨٨ ت٣٩١ ـ ٣٩٧، تفسير بحر العلوم ١: ١١٢، أمالي المرتضى ٢: ١٥٤، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ٩٩، تفسير النكت والعيون ١: ١٠٧، وفيه: والمُوَسْوِسُ، تفسير الوسيط ١: ١٢٢، تفسير السمعانيّ ١: ٦٩، تفسير المحرّر الوجيز ١: ١٨٩، تفسير زاد المسير ١: ٦٨، تفسير البرهان ١: ١٧٨ ت ٣٩٩ وما بعدها.

(١) سورة غافر ٤٠: ٦٤.

(٢) اختلفت النسخ في ضبط التعريف ففي «س، ل، خ»: المثبت، ولعلّه الصحيح. وفي «هـ، ؤ»: الكون في وقت. والحجريّة: الكون من وقت واحد.

(٣) المادّة اللُّغوية «قَرَرَ» ومطابقتها ينظر لها: العين ٥: ٢١، تهذيب اللّغة ٨: ٢٧٦، المحيط في اللّغة ٥: ٢٠٦، الصحاح ٢: ٧٨٨، لسان العرب ٥: ٨٢، مفردات ألفاظ القرآن: ٦٦٢، عمدة الحفّاظ ٣: ٢٩٣، وقبلها الأفعال لابن القوطيّة: ٥٤، تاج العروس ٧: ٣٧٨.

ويقال: أَمْتَعَهُ به إمْتاعاً، وتَمَتَّعَ تَمَتُّعاً، واسْتَمْتَع اسْتِمتاعاً، ومَتَّعَهُ تَمتِيعاً. ومَتَعَ النَّهارُ مُتُوعاً: وذلك قبل الزّوال.

والمَتاعُ من أَمْتِعَةِ البيت: ما يَسْتَمْتِعُ به الإنسان من حوائجه. وكلُّ شيءٍ تَمَتَّعْتَ بهِ فهو مَتاعٌ.

ومنه مُتْعَةُ النكاحِ، ومُتْعَةُ المُطَلَّقةِ، ومُتْعَةُ الحَجِّ[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿إلىٰ حِين﴾:

فالحِينُ، والمُدَّةُ، والزَّمانُ متقارب.

والحَيْنُ: الهلاك، حان يَحِينُ؛ وكلُّ شيءٍ لم يُوَفَّقْ للرشاد فقد حان حَيْناً.

والحِينُ: وَقْتٌ مِنَ الزّمان، وجمعه: أَحْيانٌ. وجمع الجمع: أَحايِين. ويقال: حان يَحِينُ حَيْنُونَةً. وَحَيَّنْتُ الشيءَ: جَعَلْتُ له حيناً. وحينئذ: تبْعِيدُ قولك: الآن. فإذا باعدوا بين الوقتين، باعدوا بـ: (إذ) فقالوا: حِينَئِذٍ.

والحِينُ: يومُ القيامة.

وأصل الباب: الوقت. فالحَيْنُ: وقت الهلاك، ثمّ كثر فسمّي الهلاك به. والحِين: الوقت الطويل[2].

وقيل: إنّ الحين في الآية يعني إلى الموت. وقيل: إلى القيامة. وقيل: إلىٰ أجل.

---

(١) «مَتَعَ» لغة تجدها في: العين ٢: ٨٣، جمهرة اللّغة ١: ٤٠٣، تهذيب اللّغة ٢: ٢٩٠، المحيط في اللّغة ١: ٤٥٠، الصحاح ٣: ١٢٨٢، لسان العرب ٨: ٣٢٨.

(٢) لمصادر لغة «حَيَنَ» ينظر: العين ٣: ٣٠٤، ١: ٥٧٥، تهذيب اللّغة ٥: ٢٥٥، المحيط في اللّغة ٣: ٢١٦، الصحاح ٥: ٦ ـ ٢١، لسان العرب ١٣: ١٣٣.

وقال ابن السرّاج: إذا قيل: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ ﴾ ظُنَّ أنّه غير منقطع. فقيل: ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: حين انقطاعه[١].

والفرق بين قول القائل: هذا لك حيناً، وبين قوله: إلىٰ حين: إنّ «إلىٰ» تدلّ على الانتهاء، ولا بدّ أنْ يكون له ابتداءٌ، وليس كذلك الوجه الآخر.

ومعنى قوله تعالىٰ: ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾:

قال الحسن: بني آدم، وبني إبليس[٢].

وليس ذلك بأمرٍ على الحقيقة؛ بل هو تحذير؛ لأنّ الله لا يأمر بالعداوة.

وفي الآية دلالة على أنّ الله تعالى لا يريد المعصية. ولا يَصُدُّ أحداً عن طاعته، ولا يُخرجُه عنها.

ولا تُنسب المعصيةُ إليه؛ لأنّه نسبها إلىٰ الشيطان، وهو يتعالى عمّا عابَ به الأبالسة والشياطين.

قوله تعالىٰ:

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ آية (٣٧).

قرأ ابن كَثير: (آدمَ) بنصب الميم، (كلماتٌ): برفع التاء[٣].

---

(١) الآراء في المصادر التالية منسوبة وغير منسوبة في: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١ : ١١٥، تفسير جامع البيان ١ : ١٩٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١ : ٩٠ ت٤٠٣، تفسير بحر العلوم ١ : ١١٢، تفسير النكت والعيون ١ : ١٠٨، تفسير الوسيط ١ : ١٢٤، تفسير كلام الله العزيز ١ : ٩٩، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ١٨٩.

(٢) تفسير الحسن البصريّ (جمع) ٢ : ٤١ ت٤٥، تفسير النكت والعيون ١ : ١٠٨.

(٣) أشارت أغلب كتب القراءات إلى هذه، وفي البعض توجيه لها، لمزيد الفائدة ←

يقال: لَقِيَ زَيْدٌ خَيْرَاً، فيتعدّى الفعلُ إلى مفعولٍ واحد. ومنه قوله: **﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾**[1]. وقوله: **﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾**[2] و**﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هٰذَا نَصَباً﴾**[3].

فإذا ضُعِّفَت العينُ؛ تعدّى إلىٰ مفعولين، تقول: لَقَّيْتُ زَيداً خَيراً، قال الله تعالى: **﴿وَلَقَّـٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾**[4].

وتقول: أَلْقَيْتُ بعضَ مَتاعِكَ على بَعْضٍ، فتُعَدِّيهِ إلىٰ مفعولٍ واحد؛ لأنّه بناء مُفْرد لا لأنه منقول من لقيه؛ لأنّه لو كان منقولاً لتعدّى إلى مفعولين. وتقول: لَقِيتهُ لَقْيَةً واحدةً، في التّلاقي والقتال. ولَقِيتُهُ لِقاءً ولِقْياناً ولَقاةً.

وقوله: **﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾**[5] معناه يَلْقَونَ ثَوابَهُ بخلاف قوله: **﴿يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾**[6].

انظر: السبعة في القراءات: ١٥٤، معاني القراءات: ٤٨، إعراب القراءات السبع ١: ٨٢، الحجّة في القراءات السبع: ٧٥، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٢٣، حجّة القراءات: ٩٤، الغاية في القراءات العشر: ١٧٦، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٢ ت٩، الكشف عن وجوه القراءات ١: ٢٣٦ ت ٢١، التيسير في القراءات السبع: ٧٢.

(١) سورة محمّد ﷺ ٤٧: ٤.

(٢) سورة الأنفال ٨: ٤٥.

(٣) سورة الكهف ١٨: ٦٢.

(٤) سورة الإنسان ٧٦: ١١.

(٥) سورة الأحزاب ٣٣: ٤٤.

(٦) سورة مريم ١٩: ٥٩.

ومعنى ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ : تعلّمها . يقال : تَلَقَّيْتُ هذا مِنْ فلانٍ ، أي : قَبِلَهُ فهمي مِنْ لفظه . قال أبو عبيدة : قال أبو مهديّ[١] ـ وتلا علينا الآية قال ـ: تَلَقَّيْتُها منْ عمّي ، تَلَقّاها منْ أبي هُرَيْرَة[٢] ، تَلَقّاها من رسول الله ﷺ[٣] .

وأصل المُلاقاة المُلاصَقَةُ : لكنّه كثُر حتّىٰ قيل : لاقى فُلانٌ فُلاناً : إذا قارَبَه ، وإنْ لم يُلاصِقْه . وكذلك تَلاقى الجَيْشان ، وتَلاقى الفُرْسانُ . ويقال : تَلاقى الخَطّان ، أي : تَماسّا .

وتقول : تَلَقَّيْتُ الرجلَ ، بمعنى اسْتَقْبَلْتُه . وتَلَقّاني : اسْتَقْبَلَني .

فعلى هذا يجوز في العربيّة رفعُ آدم ، ونصبُه ، مع رفع الكلمات . والاختيار قراءة الأكثر ؛ لأنّ معنى التَّلَقِّي ههنا القبولُ . فكأنّه قال : فَقَبِلَ آدمُ من رَبِّه كلمات .

---

(١) في النسخ «ؤ ، ل ، الحجريّة» : أبو مهديّة وليس له ترجمة في ما توفّر من المصادر الرجاليّة لدينا ، وفي مجاز القرآن و«خ ، هـ» المثبت ، ولم يترجم بأكثر من أنّه : أبو مهديّ الأعرابيّ من شيوخ الأصمعيّ ومن فصحاء الناس ، روى عن أبي هريرة توسّط عمّه ، خولط آخر عمره .

انظر لسان الميزان ٨ : ٣١ ت ١٠٧٤٨ .

(٢) أبو هريرة الدَوْسيّ ، شيخ المضيرة ، اختُلف في اسمه وسبب كنيته كثيراً ولا يضرّ ، إذ هو بكنيته أشهر وأعرف ، عدّ في الصحابة وكانت صحبته للنبيّ ﷺ فترة قصيرة ، رُوي عنه من الأحاديث عدداً مدهشاً بالنسبة لصحبته ، اختلف في شأنه كثيراً ، والموسوعات هي الكفيلة في البيان . مات عام : ٥٩ هـ .

انظر : تاريخ الإسلام حوادث ٤١ ـ ٦٠ هـ : ٣٤٧ ، سيَر أعلام النبلاء ٢ : ٥٧٨ ت١٢٦ ، أبو هريرة الدَوْسيّ لأبي ريّة وغيرها كثير .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٣٨ ، إعراب القراءات السبع ١ : ٨٣ .

وإنّما جاز نصب «آدم»؛ لأنّ الأفعال المتعدّية إلىٰ المفعول به على ثلاثة أقسام:

أحدها: يجوز أنْ يكون الفاعلُ له مفعولاً به والمفعول به فاعلاً. نحو: أكْرَمَ بِشْرٌ بَكْراً، وشَتَمَ زَيدٌ عَمْراً.

[ثانيها:] ومنها: ما لا يكون فيه المفعول به فاعلاً، نحو: أكَلْتُ الخُبْزَ، وسَرَقْتُ دِرْهماً، وأعطيت ديناراً، وأمْكَنني الغوص.

وثالثها: ما يكون إسنادُه إلىٰ الفاعل في المعنى كإسناده إلى المفعول به، نحو: أَصَبْتُ ونِلْتُ وتَلَقَّيْتُ. تقول: نالني خيرٌ، ونِلْتُ خَيراً. وأصابني خَيرٌ، وأَصَبْتُ خَيراً. وَلَقِيني زَيْدٌ، ولَقِيتُ زيداً. وتَلقّاني، وَتَلَقّيته. وقال تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾[1]. وقال: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيّاً﴾[2].

فعلى هذا الرفع والنصب في المعنى واحدٌ في الآية.

وإنّما اُختير رفعُ آدم؛ لأنّ عليه الأكثر وشواهده أكثر، كقوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾[3] فأسندَ الفعل إلى المُخاطَبين، والمفعول به كلامٌ يُتَلَقّى. كما أنّ الذي تَلَقّى آدمُ كلاماً مُتَلَقّىً، وكما اُسْندَ الفعل إلى المخاطبين والمفعول به كلام فجُعل التلَقّي لهم، كذلك يلزم أنْ يُسند الفعلُ إلى آدم، فيُجعل التَّلقّي له دون الكلمات.

فأمّا على ما قال أبو عبيدة أنّ معناه: قَبِلَ الكلمات، فالكلماتُ مَقبولةٌ، فلا يجوز غير الرفع في آدم.

ومثل هذا في جواز إضافته تارةً إلى الفاعل، واُخرى إلى المفعول.

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٤٠.

(٢) سورة مريم ١٩: ٨.

(٣) سورة النور ٢٤: ١٥.

قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[١]. وفي قراءة ابن مسعود: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّالِمُونَ﴾[٢].

والكلمات: جمع كلمة. والكلمة: اسم جنس؛ لوقوعه على الكثير والقليل. يقولون: قال امرؤ القَيْس في كلمته، يعني قصيدته. وقال قُسٌّ[٣] في كلمته، يعنون خُطبته. فوقوعها على الكثير نحو ما قلناه، ووقوعها على القليل فإنَّ سيبويه قد أوقعها على الاسم المفرد، والفعل المفرد، والحرف المفرد.

فأمّا الكلام فإنّ سيبويه قد استعمله في ما كان مُؤَلَّفاً من هذه الكلم فقال: لو قلتَ: إنْ يَضْرِبَ يأتينا، وأشباه هذا لم يكن كلاماً. وقال أيضاً: (إنَّ «قُلْتُ» إنّما وقعت في كلام العرب على أنْ يُحكى بها، وإنّما تحكي بعد

---

(١) سورة البقرة ٢ : ١٢٤.

(٢) أُشير إليها في: مختصر في شواذّ القرآن: ١٦، معاني القرآن للفرّاء ١ : ٢٨، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٤١.

(٣) قِسّ ـ بالفتح والكسر ـ: رتبة دينية عند النصارىٰ، وبالضمّ المراد: قُسّ بن ساعِدَةَ ابن عَمْرو بن عَدّي بن مالك الإياديّ، أُسْقُف نجران، من حكماء العرب، عَمَّرَ حتّىٰ أدرك النبيّ ﷺ، عدّت له بعض الأوّليات، كان مُقرّاً بالبعث، له القول المشهور: «ما لي أرى الناسَ يذهبون فلا يَرجعون! أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تُركوا فناموا؟ سَبيل مؤتلف وعمل مختلف».

له أبيات حكمية منها:

في الذاهبينَ الأوّلينَ مِنَ	القرونِ لنا بصائرْ
لمّا رأيتُ موارداً	للموتِ ليس لها مصادرْ
ورأيتُ قومي نحوَها	يمضي الأكابرُ والأصاغرْ
أيقنتُ أنّي لا محا	لةَ حيثُ صارَ القومُ صائرْ

قال عنه النبيّ ﷺ: «قُسّ يُحشر أُمّةً وحده».

له ترجمة في: ثمار القلوب: ١٢١ ت١٧٢، مروج الذهب ١ : ٧٦ ت١٣٥، خزانة الأدب للبغدادي ٢ : ٧٧ ـ ٩١ ش٩٢، المعارف لابن قتيبة: ٦١، الإصابة ٥ : ٢٨٥ ت ٧٣٣٤. وغيرها كثير.

القول ما كان كلاماً لا قولاً)[١] . وأوقع الكلام على المتألّف .

والذي حرّره المتكلّمون : إنّ حدّ الكلام ما انتظم منْ حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة ، إذا وقع ممّن تصحّ منه أو من قَبِيله الإفادة ، ثمّ ينقسم قسمين : مفيد ، ومهمل[٢] .

فالذي أراد سيبويه أنّه لا يكون كلاماً ، أنّه لا يكـون مُـفيداً ، وذلك صحيح .

فأمّا تسميته بأنّه كلامٌ ، فصحيح[٣] . وكيف لا يكون صحيحاً ، وقد قسّموه إلى قسمين : مهمل ، ومفيد ، فأَدْخَلوا المهمَلَ الذي لا يفيد في جملة الكلام ؟!

والكَلِمَةُ ، والعبارةُ ، والإبانةُ نظائر ، وبينها فروق .

والفَرقُ بين الكَلِمَة والعِبارة : إنّ الأظهر في الكلمة هي الواحدةُ مـن جملة الكلام ، وإنْ قالوا في القصيدة : إنّها الكَلِمَة .

والعبارةُ : تَصْلَحُ للقليل والكثير[٤] .

وأمّا الإبانة : فقد تكون بالكلام وبالحال وغيرهما من الأدلّة كالإشارة والعلامة وغير ذلك .

وأمّا النُّطْق : فيدلّ على إدارة اللّسان بالصوت ، وليس كذلك الكلام .

---

(١) الجملة المحصورة المحكيّة عن سيبويه مضطربة في النسخ المخطوطة والمطبوعة صُحِّحت الىٰ المثبت بالاعتماد علىٰ «الكتاب» ١ : ١٤ و ١٢٢ . ولاحظ الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٣٢ ، لسان العرب ١٢ : ٥٢٢ .

(٢) للمثال ينظر : العدّة في أُصول الفقه ١ : ٢٨ فصل ٤ حقيقة الكلام ، تمهيد الأُصول : ١١٧ تقريب المعارف : ٦٦ . وغيرها ، ومن العامة : المحصول ١ : ١٧٧ ، الإرشاد للجوينيّ : ١٠٧ وغيرها كثير .

(٣) من نسخة «هـ» ، وفي الباقي : صحيح ، ولا يمكن المساعدة عليه .

(٤) معجم الفروق اللّغوية : ٤٥٧ ت ١٨٣٦ .

ولهذا يقولون : ضربتُه فما تكلّم . ولا يقولون : فما نطق ، إذا كان صاح . وكذلك لا يجوز أن يقال في الله : إنّه ناطق .

وأمّا اللّفظ فهو من قولك : لَفَظْتُ الشيء ، إذا أَخْرَجْتَه من فمك . وليس في الكلام مثل ذلك . ويقال : كلَّمتُه تَكْلِيماً وتَكَلُّماً . وتكلَّم تكلّماً ولذلك لا يجوز أن يقال فيه تعالى : لَفظَ ، ولا : إنّه لافظ .

والكَلْمُ : الجُرْحُ . والجمع : الكُلوم . تقول : كَلَمْتُه أَكْلِمُهُ ، فأنا كالِم ، وهَوُ مَكْلوم .

وكَلِيمُكَ : الذي يُكَلِّمُكَ . ويُقال : كَلِمَةٌ ، وكَلِم ، لغة تميمية ، وقيل : إنّها حجازيّة ، وتميم حكي عنها كِلْمَة بكسر الكاف وتسكين اللّام ، وحكي تسكين اللّام مع فتح الكاف[1] .

وأصل الباب : إنّه أثرٌ دالّ .

والكَلْمُ : أثر دالّ على الجارح .

والكلام : أثر دالّ على المعنى الذي تحته .

والمتكلّم : من وَقَعَ منه ما سمّيناه[2] كلاماً بحسب دواعيه وأحواله ، وربّما[3] عُبِّر عنه بأنّه الفاعل للكلام .

---

(١) اللّغة ينظر لها : العين ٥ : ٣٧٨ ، جمهرة اللّغة ١ : ٩٨١ ، تهذيب اللّغة ١٠ : ٢٦٤ ، المحيط في اللّغة ٦ : ٢٧٣ ، المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ٤٩ ، الصحاح ٥ : ٢٠٢٣ ، لسان العرب ١٢ : ٥٢٢ ، عمدة الحفّاظ ٣ : ٤١٨ ، ولاحظ : تاج العروس ١٧ : ٦٢٣ «كَلَمَ» في الجميع .

(٢) اختلفت النسخ في الضبط ، ففي «خ» : من وَقَعَ ما سميناه ، وفي الباقي : من رَفَعَ ما سميناه رفع . والمثبت : (وَقَعَ منه ما سميناه) من «س» ، ولعلّ لكلٍّ وجهاً .

(٣) المثبت من «خ» ، وفي «وُ ، ل» قديماً ، وكذا الحجرية واستظهر في هامشها المثبت .

وليس المتكلّم من حلّه الكلام ؛ لأنّ الكلام يحلُّ اللِّسان والصدى ولا يوصفان بذلك .

وقد بيّنا فساد الكلام النفسيّ في كتاب العُدّة في أُصول الفقه . وقلنا : إنْ اختصر ذلك ، هل هو إلّا الخبر ، أو ما معناه معنى الخبر ، وإن كان لكلّ قسم معنى يخصّه [١] ؟ .

والكلمات التي تلقّاها آدم قال الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : هي قوله : ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ** ﴾ [٢] فإنّ في ذلك اعترافاً بالخطيئة ؛ ولذلك وقعت موقع الندم ، وحقيقة الإنابة .

وحُكي عن مجاهد أنّه قال : هي قول آدم : اللّهمّ لا إله إلّا أنت ، سبحانك وبحمدك ، ربِّ إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي إنّك خير الغافرين . اللّهمّ لا إله إلّا أنت سبحانك وبحمدك ، ربِّ إنّي ظلمت نفسي فارحمني ، إنّك أنت خير الراحمين . اللّهمّ لا إله إلّا أنت سبحانك وبحمدك ، ربِّ إنّي ظلمت نفسي ، فتب عليَّ إنّك أنت التوّاب الرحيم .

وروي مثل ذلك عن أبي جعفر عليه السلام .

وحكي عن ابن عبّاس : إنّ آدم قال لربّه إذ عصاه: ربِّ أرأيت إن تُبتُ وأصلحت؟ . فقال له تعالى : إنّي راجعك إلى الجنّة . وكانت هذه الكلمات .

وروي في أخبارنا : إنّ الكلمات هي توسّله بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبأهل بيته .

---

(١) لعلّه من سهو القلم ؛ إذ البحث مستوفى في تمهيد الأُصول في علم الكلام : ١١٧ وما بعدها ، ولاحظ العدّة في أُصول الفقه ١ : ٢٨ فصل ٤ في حقيقة الكلام .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ٢٣ .

وكلّ ذلك جائز[١].

قوله تعالىٰ: ﴿ فَتَابَ عَلَيْه ﴾:

فالتوبة، والإنابة، والإقلاع نظائر في اللّغة. وضدّ التوبة: الإصرار، يقال: تاب يَتُوبُ تَوْبَةً، وتواباً واستتابة. والله تعالى يوصف بالتوّاب. ومعناه: إنّه يقبل التوبة عن عباده.

وأصل التوبة: الرجوع عمّا سلف، والندم على ما فرَّط.

والله تعالى تائب على العبد بقبول توبته. والعبد تائب إلى الله بمعنى نادم على معصيته.

والتائب: صفة مدح لقوله تعالىٰ: ﴿ التَّـٰئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ﴾[٢].

والتوبة من شرطها الندم على ما مضى من القبيح، والعزم على أنّ لا يعود إلى مثله من القبيح؛ لأنّ هذه التوبة هي المُجمع على سقوط العقاب عندها، وما عداها فمختلف فيه.

وقد يقول القائل: قد تُبت من هذا الأمر، يعني قد: عزمت ألّا أفعله،

---

(١) الرواية عن المعصومعليه السلام والأقوال تجدها في: تفسير مجاهد: ٢٠٠، تفسير الحسن البصريّ ٢: ٤٢ ت ٤٦، تفسير زيد الشهيد: ٨١، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٦٧ ت٤٤، التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٢٤ ت١٠٥، الكافي ٨: ٣٠٤، تفسير فرات الكوفيّ: ٥٧، تفسير العياشيّ ١: ١٢٩ ت١٢٨، تفسير عليّ بن إبراهيم القمّيّ ١: ٤٤، معاني الأخبار: ١٢٥، تفسير جامع البيان ١: ١٩٣، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٩٠ ت٤٠٦، تفسير بحر العلوم ١: ١١٢، تفسير النكت والعيون ١: ١٠٩، تفسير الوسيط ١: ١٢٤، تفسير السمعانيّ ١: ٦٩، تفسير المحرّر الوجيز ١: ١٩٠، متشابه القرآن ومختلفه: ٢١٤، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٥٠، تفسير زاد المسير ١: ٦٩، تفسير نور الثقلين ١: ٦٧ ت١٤٢، تفسير البرهان ١: ١٩١ ت٤١٦.

(٢) سورة التوبة ٩: ١١٢.

وصرتُ بمنزلة التائب ، وذلك مَجاز .

وكلّ معصية لله تعالى فإنّه يجب التوبة منها .

والطاعة لا يصحّ التوبة منها.

والتوبة يجب قبولها ؛ لأنّها طاعة . فأمّا إسقاط العقاب عندها فتفضل منه تعالى . وقالت المعتزلة ومن وافقها : ذلك واجب . وقد بيّنّا الصحيح من ذلك في شرح الجمل .

والتوبة إذا كانت منْ تَرْكِ ندبٍ عندنا تصحّ ، وتكون على وجه الرجوع إلى فعله . وعلى هذا تحمل توبة الأنبياء كلّهم في جميع ما نطق به القرآن ؛ لأنّا قد بيّنّا أنّه لا يجوز عليهم فعل القبيح[1] .

والمطبوع على قلبه له توبة ، وبه قال أهل العدل[2] .

وقالت البَكرية[3] : لا توبة له .

وهو خطأ ؛ من قِبَلِ أنّه لا يصحّ تكليفه إلّا وهو مُمَكَّنٌ من أنْ يتخلّص من ضرر عقابه . وذلك لا يتمّ إلّا بأنْ يكون له طريق إلى إسقاط عقابه . وقد وعد الله بذلك ـ وإن كان تفضّلاً ـ إذا حصلت التوبة .

---

(١) تمهيد الأُصول : ٢٧١ ـ ٢٧٢ ، وانظر ما تقدم في : ٨٦.

(٢) اصطلاح كلاميّ يشير إلىٰ المعتزلة والشيعة الإمامية الاثنىٰ عشرية .
للبحث انظر : اوائل المقالات للشيخ المفيد : ١١٦ ت ١٢٢ ، المغني ١٤ : ٣٧٤ ، متشابه القرآن ١ : ٥١ و٢١١ وانظر الفهرس ٢ : ٧٨٣ وهما للقاضي عبد الجبار .

(٣) البَكريّة : أصحاب بَكر بن زياد ، ابن أُخت عبدالواحد بن زيد الزاهد ، فرقة مستقلّة بين الأشاعرة والمعتزلة ، لهم آراء وافقوا النظّام في بعضٍ وانفردوا بأُخرى ، كفّرهم المسلمون عليها .
انظر : مقالات الإسلاميين : انظر الفهرس ، التبصير في الدين : ١٠٩ ، الفَرق بين الفِرق : ٢١٢ ت١١٧ ، معجم الفِرق الإسلاميّة : ٦٠ ، موسوعة الفِرق والجماعات الإسلاميّة : ١٥٥ ت١٦٣ الملل والنحل للبغدادي : ١٤٦ .

واختلفوا في التوبة من الغصب، هل تصحّ مع الإقامة على منع المغصوب؟

فقال قوم: لا تصحّ.

وقال آخرون: تصحّ، وهو الأقوى. إلّا أنّه يكون فاسقاً بالمنع يعاقب عقاب المانع، وإنْ سقط عنه عقاب الغصب.

والصحيح: إنّ القاتل عمداً تصحّ توبته. وقال قوم: لا تصحّ.

والتوبة من القتل الذي يُوجب القَوَد، قال قوم: لا تصحّ إلّا بالاستسلام لوليّ المقتول، وحصول الندم، والعزم على أن لا يعود.

وقال آخرون: تصحّ التوبة من نفس القتل، ويكون فاسقاً بترك الاستسلام. وهذا هو الأقوى، واختاره الرمّانيّ.

فأمّا التوبة من قبيح بفعل قبيح آخر، فلا تصحّ على أصلنا كالتائب من الإلحاد بعبادة المسيح.

وقال قوم: تصحّ. وأجراه مجرى معصيتين يترك بإحداهما الأُخرى، فإنّه لا يؤخذ بالمتروكة.

وقال قوم: التوبة من اعتقاد جهالة إذا كان صاحبها لا يعلم أنّها معصية، بأنّه يعتقد: أنّه لا محجوج إلّا عارف. فإنّه يتخلّص من ضرر تلك المعصية إذا رجع عنها إلى المعرفة، وإن لم يوقع معها توبة.

وقال آخرون: لا يتخلّص إلّا بالتوبة؛ لأنّه محجوج فيه، مأخوذ بالنزوع عن الإقامة عليه، وهو الأقوى.

فأمّا ما نَسِيَ من الذنوب، فإنّه يجري مجرى التوبة منه على وجه الجَملة.

وقال قوم: لا يجري. وهو خطأ؛ لأنّه ليس عليه في تلك الحال أكثر

ممّا (علم)[١].

فأمّا ما نَسِيَ من الذنوب ممّا لو ذكر لم تكن عنده معصية هل يدخل في الجملة إذا أوقع التوبة من كلِّ خطيئة ؟

قال قوم : يدخل فيها .

وقال آخرون : لا يدخل فيها ، لكنّه يتخلّص من ضرر المعصية ؛ لأنّه ليس عليه أكثر ممّا علِم في تلك الساعة .

والأوّل أقوى ؛ لأنّ العبد إذا لم يذكر صُرِفتْ توبته إلىٰ كلِّ معصية هي في معلوم الله معصية .

فأمّا المشرك إذا كان يُعرف قبل توبته بفسق ـ إذا تاب من الشرك ـ هل يدخل فيه التوبة من الفسق في الحكم ، وإن لم يُظهر التوبة منه ؟ .

قال قوم : لا يزول عنه حكم الفسق ، وهو قول أكثر المعتزلة .

وقال قوم : يزول عنه حكم الفسق .

وقال الإخشيد : القول في هذا باجتهاد .

والذي يقوى في نفسي أنّه يزول ؛ لأنّ الإسلامَ الأصلُ فيه العدالة إلىٰ أنْ يتجدّد منه بعد الإسلام ما يوجب تفسيقه .

فأمّا التوبة من قبيح مع الإقامة على قبيح آخر ، يَعلم ويَعتقد قُبحه ، فعند أكثر من تقدّم : صحيحة . وقال أبو هاشم ، وأصحابه : لا تصحّ .

وقد قلنا ما عندنا في ذلك ، في شرح الجمل[٢] .

واعتمد الأوّلون على أنْ قالوا : كما يجوز أنْ يمتنع من قبيح لقبحه ويفعل قبيحاً آخراً وإن علم قبحه ، كذلك جاز أنْ يندم من القبيح مع المقام

---

(١) في نسخة «هـ» : عمل ، والمثبت من باقي النسخ يساعد عليه السياق .

(٢) اسمه : تمهيد الإصول في علم الكلام : ٢٧٢ ، وانظر : الهامش الآتي .

على قبيح آخر يعلم قبحه. وهذا إلزام صحيح معتمد(١).

(١) نَقْرأُ مقاطع من دعاءٍ في التوبة للإمام الرابع للشيعة الإماميّة عليّ بن الحسين سيّد الساجدين عليه السلام يصف فيها التوبة وكيفيّتها وشروطها حيث يقول: «اللّـهُمَّ يا مَنْ لا يَصِفُهُ نَعْتُ الواصِفينَ وَيا مَنْ لا يُجاوِزُهُ رَجاءُ الرّاجينَ وَيا مَنْ لا يَضيعُ لَدَيْهِ أجرُ المُحْسِنينَ وَيا مَنْ هُوَ مُنْتَهىٰ خَوْفِ العابِدينَ وَيا مَنْ هُوَ غايَةُ خَشْيَةِ المُتَّقينَ هذا مَقامُ مَنْ تَداوَلَتْهُ أَيْدي الذُّنُوبِ وَقادَتْهُ اَزِمَّةُ الخَطايا وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطانُ فَقَصَّرَ عَمّا أَمَرْتَ بِه تَفْريطاً...».

«اللّهُمَّ إنّي أَتُوبُ إلَيكَ فِي مَقامي هٰذا مِنْ كَبائِرِ ذُنُوبي وَصَغائِرِها وَبَواطِنِ سَيِّئاتي وَظَواهِرِها وَسَوالِفِ زَلّاتي وَحَوادِثِها تَوْبَةَ مَنْ لا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ وَلا يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ في خَطيئَةٍ وَقَدْ قُلْتَ يا إلهي في مُحْكَمِ كِتابِكَ إنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِكَ وَتَعْفو عَنِ السَّيِّئاتِ وَتُحِبُّ التَّوّابينَ فَاقْبَلْ تَوْبَتي كَما وَعَدْتَ وَاَعْفُ عَنْ سَيِّئاتي كَما ضَمِنْتَ وَاَوْجِبْ لي مَحَبَّتَكَ كَما شَرَطْتَ وَلَكَ يارَبِّ شَرْطي أَلّا أَعودَ في مَكْروهِكَ وَضَماني أنْ لا أَرْجِعَ في مَذْمُومِكَ وَعَهْدي أَنْ أَهْجُرَ جَميعَ مَعاصيكَ...».

«اللّهُمَّ وَإنَّهُ لا وَفاءَ لي بالتَّوْبَةِ إلّا بِعِصْمَتِكَ وَلا آسْتِمْساكَ بي عَن الخَطايا إلّا عَنْ قُوَّتِكَ فَقَوّني بِقُوَّةٍ كافِيَةٍ وَتَوَلَّني بِعِصْمَةٍ مانِعَةٍ.

اَللّهُمَّ أَيُّما عَبْدٍ تابَ إليكَ وَهوَ في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ فاسِخٌ لِتَوْبَتِهِ وَعائِدٌ في ذَنْبِه وَخَطيئَتِهِ فَانّي أَعوذُ بِكَ أَنْ أكونَ كَذلِكَ فَاجْعَلْ تَوْبَتي هذهِ تَوْبَةً لا أَحْتاجُ بَعْدَها إلىٰ تَوْبَةٍ تَوْبَةً موجِبَةً لِمَحْوِ ما سَلَفَ وَآلسَّلامَةِ فيما بَقِيَ.

اَللّهُمَّ إنّي أَعْتَذِرُ إليكَ مِنْ جَهْلي وَآستوهِبُكَ سوءَ فِعْلي فَاضْمُمْني الىٰ كَنَفِ رَحْمَتِكَ تَطَوُّلاً وَآسْتُرْني بِسِتْرِ عافِيَتِكَ تَفَضُّلاً...».

«اللّهُمَّ إنْ يَكُنِ النَّدَم تَوْبَةً إليكَ فَأَنا أَنْدَمُ النّادِمينَ وَإنْ يَكُنِ التَّرْكُ لِمَعْصِيَتِكَ إنابَةً فَأنا أَوَّلُ المُنيبينَ وَإنْ يَكُنِ الاسْتِغْفارُ حِطَّةً لِلذُّنُوب فَإنّي لَكَ مِنَ المُسْتَغْفِرينَ.

اللّهُمَّ فَكَما أمرتَ بِالتَّوْبَةِ وَضَمِنْتَ القَبُولَ وَحَثَثْتَ عَلَىٰ الدُّعاءِ وَوَعَدْتَ الإجابَةَ فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاَقْبَلْ تَوْبَتي وَلا تَرْجِعْني مَرْجَعَ الخَيْبَةِ مِنْ رَحْمَتِكَ إنَّكَ أنتَ التَّوّابُ عَلىٰ المُذْنِبينَ وَالرَّحيمُ للخاطِئينَ المُنيبينَ...»، الصحيفة السجّادية الجامعة: ١٥١، دعاؤه في ذكر التوبة وطلبها، رقم ٨٠.

وروي عن المعصوم سلام الله عليه أنّه قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»، الكافي ٢: ٣١٦ ح١٠.

....

هذا هو رأي الشيعة الإماميّة الاثني عشريّة في التوبة وما يحيط بها .

ثمّ إنّ الفروع والآراء التي أشار إليها الشيخ المصنِّف وكيفيّتها وشروطها متشعّبة ومتفرّقة ، ولكن الإشارة إلى بعض مصادرها لمعرفة الآراء والمذاهب فيها حسن ، فمن المصادر الشيعيّة للمثال انظر : أوائل المقالات للشيخ المفيد : ٤٨ ، ٨٥ ، ٨٦ - ٨٨ ، ١١٦ ، شرح جمل العلم والعمل للشريف المرتضىٰ : ١٤٨ ، المنقذ من التقليد للرازيّ ٢ : ٨٢ - ١٢٠ ، الذخيرة في علم الكلام للشريف للمرتضى : ٣٠٢ ، تمهيد الأصول للشيخ الطّوسيّ : ٢٧١ - ٢٨٨ ، النهاية للشيخ الطوسيّ : ٣٧٦ ، متشابه القرآن ومختلفه لابن شهرآشوب : ٢١٤ ، تجريد الاعتقاد لنصير الدين الطّوسيّ : ٣٠٥ ، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلّامة الحليّ : ٤١٧ ، قواعد المرام في علم الكلام لابن ميثم البحراني : ١٦٨ ، مناهج اليقين في أُصول الدين للعلّامة : ٣٦١ ، الباب الحادي عشر للعلّامة مع شرحيه النافع يوم الحشر للسيوريّ : ٥٧ ، ومفتاح الباب : ٢١٥ ، إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين للسيوريّ : ٤٣٠ ، المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء للفيض ٧ : ٥ ، بحار الأنوار للمجلسيّ في موارد متفرّقة مثلاً ٦ : ٢٨ وما بعدها ، وانظر سفينة البحار للقميّ ١ : ٤٧٥ مادة (التوبة) ، إضافة إلى فهارس البحار ، رياض السّالكين لابن معصوم المدني ، ينظر الفهارس منه ٢ : ٢٦٠ ، حقّ اليقين في معرفة أُصول الدين لعبدالله شبرّ: ٢٨٥ ، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للنجفي ٤١ : ١٠٩ - ١١٦ ، موسوعة المواضيع في المصادر الإسلامية ١ : ١٥٩ .

ومن المصادر السنيّة للمثال انظر : التوبه للمحاسبيّ ، آداب النفوس : ٦٥ ، الرعاية لحقوق الله للمحاسبيّ : ٦ و١٢٩ و١٣١ ، تنبيه الغافلين للسمرقنديّ : ١٠٢ - ١١١ ، التعرّف للكلاباذيّ : ١٠٧ ، مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعريّ لابن فورك : ١٥٩ - ١٦٠ ، ١٦٦ - ١٦٧ ، شرح الأُصول الخمسة للقاضي : ٧٨٩ ، ٧٤٧ ، المغني في أبواب التوحيد والعدل للأسدآباديّ ١٤ : ٣١١ - ٤٦١ ، الملل والنحل للبغداديّ : ١٣٢ ، اللّمع للشيرازيّ : ٤١ - ٤٢ ، الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أُصول الاعتقاد للجوينيّ : ٣٣٧ ، الذّريعة إلى مكارم الشّريعة للراغب : ١٧٧ - ١٧٨ ، إحياء علوم الدين للغزاليّ ٤ : ٢ ، الأربعين في أُصول الدين للغزاليّ : ١١٥ - ١٢٠ ، تفسير الكشاف للزمخشريّ ١ : ٥١٢ - ٥١٣ ، تفسير المحرّر الوجيز للأندلسيّ ٤ : ٥١ -

واختلفوا في التوبة عند ظهور أشراط الساعة ، هل تصحّ أم لا؟ فقال الحسن : يحجب عنها عند الآيات الست . ورواه عن النبيّ ﷺ أنّه قال : (بادِرُوا بالأعْمالِ ستّاً : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبها ، أو الدَّجالُ ، أو الدُّخَانُ ، أو دابّةُ الأرْض ، أو خُوَيْصَةَ أحَدِكم ـ يعني : الموت ـ أو أَمْرُ العامَّة . يعني : القيامة)[1] .

وقال قوم : لا شكّ أنْ بعض الآيات يحجب ، وباقيها محجوز ، وهو الأقوى .

وقوله : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ :

يعني : قَبِلَ تَوبته ؛ لأنّه لمّا عرّضه للتوبة بما ألقاه من الكلمات فَعَلَ التوبةَ ، وقَبِلَها الله تعالى منه .

[وقيل : تابَ عليه . أي : وُفِّقَ للتوبة ، وهداه إليها][2] فقال : اللّهمّ تُبْ عَلَيَّ . أي : وَفِّقْنِي للتوبة . [فلقّنه الكلمات حتّىٰ قالها ، فلمّا قالها قبِل توبته][3] .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوابُ ٱلرَّحِيم ﴾ :

إنّما ذكر ﴿ ٱلرّحيم ﴾ ؛ ليدلّ بذلك على أنّه متفضّل بقبول التوبة ،

↵ ٥٢ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٥ : ٩٠ ـ ٩٣، شرح العقيدة الطحاوية للدمشقيّ ٢ : ٤٥١، شرح المواقف للجرجانيّ ٨ : ٣١٤.

(١) انظر الحديث ولعله بتقديم وتأخير صحيح مسلم ٤ : ٢٢٦٧ ب٢٥ ح١٢٩ ت ٢٩٤٧م ، مسند أحمد ٢ : ٣٣٧ و٣٧٢ ، ٤٠٧ ، ٥١١ و٥٣٢ ، سنن ابن ماجة ٤ : ٤٣٠ ب٢٨ ح٤٠٥٦ ، مستدرك الحاكم ٤ : ٥١٦ وللمزيد لاحظ معجم ألفاظ الحديث النبويّ ج١ مادة «توب» .

(٢ و٣) الجملتان المحصورتان أثبتناهما من نسخة «خ» فقط ؛ لاضطراب العبارة من دونهما ، ومساعدة ما في مجمع البيان ١ : ١٧٥ عند تفسير الآية .

ومُنعم به ، وأنّ ذلك ليس هو على وجه الوجوب ، على ما يقوله المخالف .

ومن خالف في ذلك يقول : لمّا ذكر ﴿ التَّوَّابُ ﴾ بمعنى : الغفّار بإسقاط العقوبة ، وصلَ ذلك بذكر النعمة ؛ ليَدلّ على أنّه مع إسقاط العقوبة لا يُخلي العبد من النعمة الحاصلة ترغيباً له في الإنابة والرجوع إليه بالتوبة .

و« تَوّاب » بمعنى : إنَّه قابل التوبة ، لا يطلق إلّا عليه تعالى ، ولا يطلق في الواحد منّا .

وإنّما قال : ﴿ فَتَابَ عَلَيْه ﴾ . ولم يقل : فتاب عليهما ؛ لأنّه اختصر كما قال : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ (١) . ومعناه : أن يرضوهما ، كذلك معنى الآية : فتاب عليهما ، ومثل ذلك قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْواً ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ (٢) وقال الشاعر :

رَمانِي بأَمْرٍ ، كُنْتُ مِنْهُ وَوالِدي   بَرِيئاً ، وَمِنْ أجل الطَّوِيِّ رَمانِي (٣) [١٧٧]

---

(١) سورة التوبة ٩ : ٦٢ .

(٢) سورة الجمعة ٦٢ : ١١ .

(٣) اختلف في عزوه كما اختلف في بعض ألفاظه .

المعنى : كانت بين الشاعر وغريمه خصومة في عائِدية بئر ، فهجاه الخصم ونسب إليه ما هو أولى به . وبعده :

دعاني لِصّاً في لِصوص وما دعا   بها والدي فيما مضى رجلان

الطَّوِيّ : البئر المبنيّة بالحجارة . الجول ـ وهي الرواية الثانية ـ : أطراف البئر والصحيح المثبت كما لا يخفى . رماني : قذفني كما يدلّ عليه البيت اللاحق .

الشاهد فيه : افراد الخبر «بريئاً» اعتماداً علىٰ أنّ خبر الثاني معلوم لمحل العطف بينهما ؛ إذ لا يجوز أن يخبر بالمفرد عن المثنى .

ديوان عمرو بن أحمر الباهليّ : ١٨٦ ، واحتمل فيه نسبته إلىٰ طرفة بن العَمرّد .

وانظر : الكتاب ١ : ٧٥ ، مجاز القرآن ٢ : ١٦١ ، معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٥٣ ت٢٩ ، شرح أبيات سيبويه : ٥١ ت٦١ ، النكت في تفسير كتاب سيبويه ١ : ٢١٢ ، ←

وقال آخر:

نَحْنُ بِما عِنْدَنا، وَأَنْتَ بِما عِنْدَكَ راضٍ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ[1] [١٧٨]

وحكي عن الحسن، أنّه قال: لم يخلق الله آدم إلّا للأرض، ولو لم يعص لخرج على غير تلك الحال[2].

وقال غيره: يجوز أنْ يكون خلقه للأرض إنْ عصى، ولغيرها إنْ لم يعص[3].

شرح الحماسة للمرزوقيّ ٢: ٩٣٦، شرح الحماسة للتبريزيّ ٣: ٣، إعراب القرآن (المنسوب للزجّاج) ٢: ٦١١.

(١) بيت شعرٍ حَكَميّ، كثير الدوران في المصنّفات، استشهد به النّحاة والمعانيّون، اختلف في عزوه إلى خمسة شعراء.

المعنى: واضح.

الشاهد فيه: إفراد الخبر «راض» اعتماداً على ظهور حكم الآخر منه لمحلّ العطف فيهما؛ لكون الخبر هذا مفرداً ولا يُخبر به عن الجمع.

انظر: لنسبته إلىٰ قيس بن الخطيم: الكتاب ١: ٧٥، النكت في كتاب سيبويه ١: ٢١٢، معاهد التنصيص ١: ١٨٩ ت٣٤، وانظر الديوان: ٢٣٨ ت ١٨ ب٣ وانظر: ١٠١ ت ٥ منه.

وإلى: عمرو بن امْرئ القيس الخزرجيّ: مجاز القرآن ١: ٣٩، معجم الشعراء: ٥٦، خزانة الأدب للبغدادي ٤: ٢٧٥ ش٢٩٨ وفيه بحث ظريف حول الشعر والنسبة.

وإلى درهم بن زيد: الانصاف ١: ٩٥ ت٤٧.

ولمرّار الأسديّ: معاني القرآن للفرّاء ٢: ٣٦٣.

ومن دون نسبةٍ: المقتضب ٣: ١١٢ و٤: ٧٣، الصاحبي: ٣٦٢، تأويل مشكل القرآن: ٢٨٩، معاني القرآن للفرّاء ١: ٤٣٤ و٤٤٥، المذكّر والمؤنث ٢: ٢٩٨، أمالي الشجريّ ٢: ٢٠ و٤٥ م٣٧، ٣٨ و٣: ١١٣ م٧٧، مغني اللّبيب ٢: ٨١٠ ت ١٠٤٩.

(٢) تفسير الحسن البصريّ (جمع) ٢: ٣١ ت٣٠، تفسير النكت والعيون ١: ١١٠.

(٣) تفسير النكت والعيون ١: ١١٠.

وهو الأقوى ؛ لأنّ ما قاله لا دليل عليه .

وروي عن قتادة : إنّ اليوم الذي قبل الله توبة آدم فيه يوم عاشوراء[1] . ورواه أيضاً أصحابنا[2] .

---

(١) رويت تارة عن قتادة ، وأُخرى عن عكرمة ، وثالثة عن ابن عباس .
انظر : المصنّف لعبد الرزاق ٤ : ٢٩١ ت ٧٨٥٢ ، فضائل الأوقات : ١١٩ ت ٢٨٢ ، تفسير مقاتل ٢ : ٣٢ ، العلل ومعرفة الرجال ٢ : ٥٨٨ ت ٣٧٩١ ، المجروحين لابن حِبّان ١ : ٢٦٦ .

(٢) اختلف لسان الروايات في ذلك ، وقد جمع بينها الشيخ الطوسيّ ، انظر للجميع : أمالي الصدوق : ١١٠ ح١ م٢٧ ، تهذيب الأحكام ٤ : ٢٩٩ ح ٩٠٥ ـ ٩١٢ ، وانظر : الكافي ٤ : ١٤٥ باب ٦١ .

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى :

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ آية ﴿٣٨﴾ آية بلا خلاف .

﴿ٱهْبِطُوا﴾ :

قد بيّنا معنى الهبوط في ما مضى بما فيه كفاية[١] .

وقال الجُبائيّ : الهُبُوطُ الأوّل : هو الهُبُوطُ من الجنّة إلى السّماء ، وهذا الهُبُوطُ من السّماء إلى الأرض[٢] .

وقد يستعمل الهبوط في غير النزول من مكان عالٍ إلى استفال . يُقال : هَبط فلانٌ إلى أرض كذا ، إذا أتاها ، وإنْ لم يُرد به النزول الذي هو استفال . إلّا أنّ فيه إيماءً إلى هبوط المنْزِل[٣] . قال لَبِيد :

كلُّ بني حُرَّةٍ مَصِيرُهُمُ ... قُلٌّ ، وإنْ أَكْثَرُوا مِنَ العَدَدِ [١٧٩]
إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا ، وإنْ أَمِرُوا ... يَوْماً ، فَهُمْ لِلفناءِ وَالفَنَدِ[٤]

---

(١) في صفحة : ٩٤ .

(٢) نسبه إليه الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٣ : ٢٦ ، ورده .

(٣) «هَبَطَ» تقدّمت الإشارة إليها . وأمّا «سَفَلَ» فانظر : تهذيب اللُّغة ١٢ : ٤٣٠ ، المحيط في اللُّغة ٨ : ٢٦ ، الصحاح ٥ : ١٧٣٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٥٠٢ ، لسان العرب ١١ : ٣٣٧ ، بصائر ذوي التمييز ٣ : ٢٢٧ .

(٤) من مقطوعة يرثي بها أخاه أرْبَدْ ، وقد أُختلف في ضبط ألفاظٍ منها بعد أنْ كان المعنى المراد منها واحداً .

المعنى : الحُرَّةُ : كنايةٌ عن الزوجة . قُلٌّ : الواحد أو الوِحْدة . الغِبْطَة : الفرح .

الفَنَدَ : الهرم .

والإتيان والمجيء والإقبال نظائر ، ونقيضه : الذهاب والانصراف .

ويقال : أتى إتْياناً ، وأَتى أتْيَاً ، وتَأَتّى تَأْتِّياً ، وأَتى تَأْتِيَةً ، وآتَيْتُ فُلاناً على أَمْرِهِ مُواتاةً ، ولا تقل واتَيْتُهُ إلّا في لغة قبيحة لتيم[1] .

قوله تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ :

ودخلت «ما» في قوله أمّا مع «أنْ» التي للجزاء ؛ ليصحّ دخول النون للتوكيد في الفعل ، ولو أُسقطت لم يجز دخول النون ؛ لأنّها لا تدخل في الخبر الواجب إلّا في القَسَم ، أو ما أشبه القَسَم ، كقولك : زيدٌ لَيَأْتِيَنَّك ، ولو قلت بغير اللّام لم يجز ، وكذلك تقول : (بعينٍ ما أَرَيَنَّكَ)[2] . ولو قلت : بعينٍ أَرَيَنّكَ ، بغير «ما» لم يجز ، فدخول «ما» هاهنا كدخول اللّام في أنّها تؤكد أوّل الكلام ، وتؤكد النون آخره .

والأمر والنهي والاستفهام تدخل النون فيه وإنْ لم يكن معه «ما» إذا

يَهْبَطوا: الهَبْطُ : الموت ، أي : يموتوا . أَمِرُوْا : أمِرَ القوم أي : كَثروا ، والفعل منه : أمِرَ يأْمِرُ أمْراً . الفَنَد : العجز وضعف العقل من الهرم .

الشاهد : استعمال كلمة : الهُبُوط وإرادة نزول الحال وتغيُرها إلى سفال .

انظر الديوان ٤٩ ق ١٢ ، وشرح الديوان تحقيق : إحسان عباس : ١٥٨ ق ١٨ ب ٧ ـ ٨ ، سيرة ابن هشام ٢ : ١١٥ ، مجاز القرآن ١ : ٣٧٣ ت ٤٣٤ ، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٣ : ٢٣٢ ، الأغاني ١٧ : ٦٢ ، معجم مقاييس اللُّغة ١ : ١٣٨ ، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن ١ : ٧٠ ت ٥١ ـ ٥٢ ، لسان العرب ٧ : ٤٢٢ .

(١) انظر : العين ٨ : ١٤٥ ، جمهرة اللُّغة ١ : ٢٣٠ ، تهذيب اللّغة ١٤ : ٣٥٠ ، المحيط في اللُّغة ٩ : ٤٨٧، المحكم والمحيط الأعظم ٩: ٥٤٥، الصحاح ٦: ٢٢٦١ ، لسان العرب ١٤ : ١٣ ونسبها إلى لغةٍ لأهل اليمن، تاج العروس ١٩: ١٣٦، «أَتَيَ» في الجميع.

(٢) هذا هو الصحيح ، وما ورد في بعض النسخ : بغير ما أرينك ، أريتك ، لا يمكن المساعدة عليه ، وانظر له : جمهرة الأمثال ١ : ٢٣٦ ت ٣٠٣ ، مجمع الأمثال ١ : ١٧٥ ت ٤٩٤ ، المستقصى ٢ : ١١ ت ٣١ .

كان الأمر والنهي ممّا تشتدّ الحاجة إلى التوكيد فيه، والاستفهام مشبّه به إذا كان معناه: أَخْبِرني، و«النون» إنّما تُلحق للتوكيد، فلذلك كان من مواضعها، قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً﴾**[1].

فإنْ قيل: أين جواب إمّا؟ وأين جواب من؟

قيل: الجزاء وجوابه بمنزلة المبتدأ والخبر؛ لأنّ الشرط لا يتم إلّا بجوابه، كما لا يتمّ الابتداء إلّا بخبره، ألا ترى أنّك لو قلت: إنْ تقم، وَسَكَتَ لم يجز، كما لو قلت: زيد، لم يكن كلاماً حتّىٰ تأتي بالخبر. ولك أنْ تجعل خبر المبتدأ جملة هي أيضاً مبتدأ وخبر، كقولك: زيدٌ أبوهُ منطلقٌ.

وكذلك «إنْ» التي للجزاء، إذا كان الجواب بالفاء، ووقع بعد الفاء الكلام مستأنفاً صَلُحَ أنْ يكون جزاءً وغير جزاء، تقول: إنْ تأتِني فأَنْتَ محمودُ. ولك أن تقول: إنْ تأتني فمَنْ يُكرِمْكَ أُكْرِمْهُ. وإن تأتني فمن بَغَضَكَ فَلا وَضِيعَةَ عليه.

فقوله: **﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾**: شرط، وجوابه الفاء، وما بعده من قوله: **﴿فَمَنْ﴾**: شرط آخر، وجوابه الفاء التي بعده من قوله: **﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾**. وهو نظير المبتدأ والخبر الذي يكون خبره مبتدأً وخبراً وهذا في المقدّمات القياسيّة يسمّى: الشرطية المركّبة؛ وذلك أنّ المقدم فيها إذا وجب وجب التالي المركّب عليه.

و(**الهدى**): المذكور في الآية يحتمل أمرين:

أحدهما: البيان والدلالة.

والآخر: الأنبياء والرُّسل.

---

(١) سورة الكهف ١٨ : ٢٣.

وعلى القول الأخير يكون قوله: ﴿قلنا اهبطوا﴾ لآدم وحوّاء وذرّيتهما. كما قال: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[1] أي أتَيْنا بما فينا من الخلق طائعين.

وقوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾:

فالاتّباعُ والاقْتِداء والاحْتِذاء نظائر. ونقيض الاتّباع: الابتداع.

تقول: تَبِعَهُ تِبَاعاً وأَتْبَعَهُ إِتْباعاً. وتَتَبَّعَ تَتَبُّعاً. واستَتْبَعَ اسْتِتْباعاً وتابَعَهُ مُتابَعَةً. والتّابع: التالي. ومنه: التَتَبُّع. والتَبِيعُ: ما تَبِعَ أَثَر شَيءٍ فهو يَتْبَعُه. والتَّتَبُّعُ: فِعلُك شيئاً بَعدَ شَيءٍ. تقول: تَتَبَّعْتُ عَليه آثارَه.

وفي الحديث: (القادة والأتباع)[2]. والقادة: السادة. والأَتْباعُ: القَومُ الذّين يَتْبعُوْنَهم.

والقَوائمُ يقال لها: تَبَعْ.

والتبيع من ولد البقر: العجل المُدرِك؛ لأنّه يَتْبَعُ أُمَّه بعَدْوٍ. وثلاثة أَتْبِعَةٍ، والجميع: أتابيع جمع الجمع. وبَقَرَةٌ مُتْبع: خَلفَها تَبِيعٌ. وخادم مُتْبع: معها وَلَدُها يَتْبَعُها حَيْثُما أَقْبَلَتْ وأَدْبَرَتْ. وأَتْبَعَ فُلانٌ فُلاناً. وأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ: إذا تَبِعَهُ يُريدُ بهِ شَرّاً. كما أَتْبَعَ فِرعَونُ موسى. قال الله تعالى:

---

(١) سورة فصلت ٤١: ١١.

(٢) قطعة من حديث نبويّ ورد في أحد الموارد السبعة التي لَعن النبيّ بها أبا سفيان وغيره من المشركين، وقد ورد في موارد متكرّرة منها: يومي أُحد والحديبية وغيرهما، تجده في مصادر كثيرة منها: الخصال للشيخ الصدوق: ٣٨، شرح الأخبار للقاضي ٢: ١٦٥ حديث ٥٠٢ وانظر الهامش عليه، الاحتجاج ١: ٤٠٨، إقبال الأعمال ٣: ٦٦، شرح نهج البلاغة للحديدي ٦: ٢٩٠، جواهر المطالب ٢: ٢٢٤، وغيرها.

﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[١]. وفُلانٌ تَتَبَّعَ فُلاناً: إذا تَتَبَّعَ مساوِئَه في مُهْلَةٍ. والتَّتابُعُ بينَ الأشْياء: إذا فُعِلَ هذا في أَثْرِ هذا بلا مُهْلَةٍ. ومنه تَتابَعَتِ الأمْطارُ: وتَتابَعَتِ الأشْياءُ. والتُّبَّعُ: الظلّ[٢].

وأصْلُ البابِ كلّه. الإتْباع: وهو أنْ يَتْلو شيءٌ شَيْئاً.

قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾:

فالخوف والجزع والفزع نظائر. ونقيض الخوف: الأمن.

يقال: خافَه يَخافُه خَوْفاً، وأَخافَهُ إخافَةً، وتَخَوَّفَ تَخَوُّفاً، وخَوَّفَهُ تَخْوِيفاً. وطَرِيقٌ مَخُوفٌ: يَخافُه الناس. وطَرِيقٌ مُخِيْفٌ: يُخِيفُ النّاسَ.

والتَّخَوُّف: التَّنَقُّص. يقال: تَخَوَّفْناهُم: تَنَقَّصْناهُم. ومنه قوله: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾[٣]، أي: على تَنَقُّصٍ.

وأصلُ الباب: الخَوْفُ الذي هو الفَزَعُ. والخوْفُ كُلُّه مِنَ الضَّرر. ويقال: فلان يَخافُ الأسدَ، أي: يَخافُ ضَرَرَهُ. ويَخافُ اللهَ، أي: يَخافُ عِقابَه[٤].

والحُزْنُ والغَمّ والهَمّ نظائر. ونقيضه السرور.

يقال: حَزَنَ حُزْناً، وحَزَنَهُ حُزْناً، وتَحزَّنَ تَحَزُّناً، وحَزِنَ تَحْزِيناً.

---

(١) سورة الأعراف ٧: ١٧٥.

(٢) لغةُ «تَبَعَ» انظرها في: العين ٢: ٧٨، جمهرة اللّغة ١: ٢٥٤، تهذيب اللّغة ٢: ٢٨١، المحيط في اللّغة ١: ٤٤٨، الصحاح ٣: ١١٨٩، المحكم والمحيط الأعظم ٢: ٥٦، لسان العرب ٨: ٢٧، عمدة الحفّاظ ١: ٢٥٥.

(٣) سورة النحل ١٦: ٤٧.

(٤) لاشتقاق «خَوَفَ» ولغتها انظر: العين ٤: ٣١٢، جمهرة اللّغة ١: ٦١٧، تهذيب اللُّغة ٧: ٥٩٢، المحيط في اللُّغة ٤: ٤٢٣ المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٣٠٥، الصحاح ٤: ١٣٥٨، لسان العرب ٩: ٩٩.

والحُزْنُ والحَزْنُ لغتان. وحَزَنَني وأَحْزَنَني لغتان. وأنا مَحْزُونٌ ومُحْزَنٌ. وإذا أفردوا الصوت أو الأمر قالوا: مُحْزِنٌ لا غير. والحَزْنُ مِنَ الأرْضِ والدَّوابِ: ما فيه خُشُونَةٌ. والأُنثى: حَزْنَةٌ. والفعْل: حَزُنَ حُزُوْنَةً.

وقولهم: كَيْفَ حَشَمُكَ وحُزانَتُكَ؟ أي: كَيْفَ منْ تَتَحَزَّنُ بأمْرِهِ[1].

وأصل الباب: غِلْظُ الهَمِّ.

وقوله: ﴿**فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾:

عُمومه يقضي أنّه لا يلحقهم خوفُ أهوالِ القيامة. وهو قول الجُبّائيّ.

وقال ابن الإخشيد: لا يدلّ على ذلك؛ لأنّ الله تعالى وصف القيامة بعِظَم الخوف. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَاهُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللهِ شَدِيدٌ**﴾[2].

ولأنّه روي: أنّه يلجمُ الناسَ العرقُ[3]. وغير ذلك من الشدائد.

وهذا ليس بمعتمد؛ لأنّه لا يمتنع أنْ يكون هؤلاء خارجين من ذلك العموم.

وأمّا الحُزن، فانّه لا خلاف أنّه لا يلحقهم. ومن أجاز الخوف فرَّق بينه وبين الحُزن، بأنّ الحُزن إنّما يقع على ما يغلُظ ويعظُم من الغَمِّ والهَمِّ؛

---

(١) لغةُ واشتقاقُ «حَزَنَ» تجدها في: العين ٣: ١٦٠، جمهرة اللّغة ١: ٥٢٩، تهذيب اللّغة ٤: ٣٦٤، المحيط في اللّغة ٣: ١٠، الصحاح ٥: ٢٠٩٨، المحكم والمحيط الأعظم ٣: ٢٢٥، لسان العرب ١٣: ١١١، عمدة الحفّاظ ١: ٣٩٩.

(٢) سورة الحجّ ٢٢: ١ ـ ٢.

(٣) إشارة إلى ما ورد في أحاديث صفة أهوال يوم القيامة، انظر: كنز العمّال ١٤: ٣٦٧ ح٨ ـ ٣٨٩٦٥ وغيرها كثير.

فلذلك لم يُوصَفُوا بذلك. ولذلك قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[١]؛ لأنّ ما يلحقهم لا يلبث، ويزول وشيكاً.

قالوا: ويدلّك على أنّ الحزْن ما ذكرناه أنّه مأخوذ من الحَزَن، وهو: ما غَلُظَ من الأرض. فكان ما غلُظ من الهمّ.

فأمّا لحوق الخَوف والحُزن في دار الدنيا فلا خلاف أنّه يجوز أنْ يلحقهم؛ لأنّ من المعلوم أنّ المؤمنين لا ينفكّون منه.

و﴿هدايَ﴾:

بتحريك الياء. ورُوي عن الأعرج[٢] «هُدَايْ» بتسكين الياء. وهو غلط، إلّا أنْ ينوي الوقف[٣].

وإنّما كرّر ﴿اهبطوا﴾؛ لأنَّ أحدهما كان من الجنّة إلى السماء. والثاني من السماء إلى الأرض، عند أبي عليّ[٤].

وقيل: المعنى واحد، وكرّر تأكيداً.

وقيل: هو على تقدير اختلاف حال المعنى لاختلاف الأحوال، كما يقول: اذهب مُصاحَباً، اذهب سالِماً مُعْافَىً. فكأنّه على تقدير: ذَهابٌ

---

(١) سورة الأنبياء ٢١ : ١٠٣ .

(٢) عبدالرحمن بن هُرْمُز المدنيّ الأعرج، أبو داوُد، أخذ القراءة عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهم، قرأ عليه نافع بن أبي نعيم وغيره، وحدَّث عنه الزهريّ وابن كيسان وابن لَهِيْعَة وغيرهم، وهو بالحديث أشهر، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤليّ. توفّي في الاسكندرية عام ١١٧ هـ.
ترجمته في: طبقات القرّاء ١ : ٥٥ ت ٣١، غاية النهاية ١ : ٣٨١ ت ١٦٢٢ .

(٣) أُشير إلى القراءة في المصادر التالية منسوبة إلى نافع. وهو ممّن أخذ القراءة عن الأعرج.
انظر: إعراب القراءات السبع ١ : ٨٣ ت ٢٨، الحجّة في القراءات السبع : ٧٥، حجّة القراءات : ٩٥ .

(٤) هو الجُبائيّ، وانظر: التفسير الكبير ٣ : ٢٦ .

يجامع ذَهاباً، وإن كان حقيقته واحدة.

وإنّما كرّر ﴿إمّا﴾ في قوله: ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[١] ولم يكرّر هاهنا؛ لأنّها هناك للعطف، وهاهنا للجزاء. وإنّما هي «إنْ» ضمّ إليها «ما» كقوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾[٢].

وهدايَ: مثل هوايَ. وهي لغة قريش وعامّة العرب.

وبعض بني سُليم يقولون: هَوَيَّ. مثل: عَلَيَّ، ولَدَيَّ. قال أبو ذؤيب:

سَبَقُوا هَوَيَّ وأَعْنَقُوا لِهَواهُمُ ... فَتُخُرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ[٣] [١٨٠]

وروي: (هُدَيَّ) في الآية عن الجُحْدَرِيّ، وابن أبي إسحاق[٤]، وعيسى[٥].

---

(١) سورة الإنسان «الدهر»: ٧٦: ٣.

(٢) سورة الأنفال آية: ٨: ٥٨.

(٣) من قصيدة يرثي بها خمسة أبناءٍ له هلكوا بالطاعون في يوم واحد.

المعنى: مات الأولاد قبلي ولم يَبقُوا لهواي إذ كان يجب أنْ أموت قبلهم، بل مضوا لهواهم. أعنقوا: أسرعوا. التخرّم: الأخذ واحداً واحداً. ولكلّ جنب: أي كلّ إنسان يموت.

الشاهد فيه: إيراد «هَوَيَّ» على لغة هذيل ويريد: هَوايَ.

انظر: ديوان الهُذَليِّين ١: ١ ق ١ ب ٦، وشرح أشعار الهذليِّين ١: ٤ ق ١ ب٧.

(٤) عبدالله بن أبي إسحاق الحضرميّ، مولاهم المقرئ النحويّ له باع في العربية، أخذ القراءة عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم. توفّي عام: ١١٧هـ.

له ترجمة في: طبقات القرّاء لابن الجزريّ ١: ٤١٠، إنباه الرواة ٢: ١٠٤ ت ٣١٦، ومصادره.

(٥) عيسى بن عمر الثقفيّ، أبو عمر البصريّ، النحويّ وبه أشهر من القراءة، له في العربية: الجامع، والإكمال مفقودان، أخذ القراءة عن عاصم الجحدريّ، وعنه أخذ الأصمعيّ والخليل وهارون. مات عام: ١٥٠هـ.

له ترجمة في معجم الأدباء ١٦: ١٤٦ ت ٢١، طبقات القرّاء ١: ١٢٧ ت ٥٣، سيَر أعلام النبلاء ٧: ٢٠٠ ت ٧٧ ومصادرهما.

والصواب ما عليه القرّاء .

والفرق بين هَدَيَّ ولَدَيَّ وعَلَيَّ : هو أنّ إليَّ ولَدَيَّ وعَلَيَّ ممّا يلزمها الإضافة ، وليست بمتمكنة . ففصلوا بينها وبين الأسماء المتمكّنة ، كما فصلوا بين ضمير الفاعل وضمير المفعول حين قالوا : ضَرَبْتَ، فسكّنوا لأجل التاء ، ولم يسكّنوا في : ضَرَبَكَ ؛ إذ الفاعل يلزم الفعل .

قوله تعالى :

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (٣٩) آية .

قد بيّنا في ما مضى معنى الكفر والتكذيب[1] ، فلا وجه لاعادته .

والاستدلال بهذه الآية : على أنّ منْ مات مُصّراً على كفره غير تائب منه ، وكَذَّبَ بآيات ربّه ، فهو مخلّد في نار جهنّم . صحيح ؛ لأنّ الظاهر يفيد ذلك .

والاستدلال بها : على أنّ عمل الجوارح من الكفر ، من حيث قال : **﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾** فبعيد ؛ لأنّ التكذيب نفسه وإنْ لم يكن كفراً ـ وهو لا يقع إلّا من كافر ـ فهو دلالة عليه ، كالسجود للشمس وغيره .

وقوله : **﴿أَصْحَابُ﴾** :

فالاصْطِحابُ ، والاقتران والاجْتماع نظائر . وكذلك الصاحب والقرين. ونقيضه : الافتراق .

يقال : صَحِبَهُ صُحْبَةً ، وأَصْحَبَهُ إِصْحاباً ، واصْطَحَبوا اصْطِحاباً

---

(١) تقدّم في ١: ١٩٣ ضمن تفسير الآية ٦ من هذه السورة .

وتَصاحَبُوا تَصاحُباً، واسْتَصْحَبوا اسْتِصْحاباً، وصاحَبَهُ مُصاحَبَةً.

والصَّحْبُ: جَماعةٌ. والصَّحْبُ والأَصْحابُ: جماعة الصَّاحب، ويقال أيضاً: الصُّحْبَان والصُّحْبَة، والصِّحاب.

والصَّحابَةُ: مَصْدَرُ قولك: صَحِبَكَ اللهُ، يعني: بالسلامة وأحسن صَحابَتَكَ.

ويقال للرجل عند التوديع: مُعَاناً مُصَاحَباً، ومَصْحُوبٌ، ومُصاحَبٌ. ومن قال: مُصاحَبٌ مُعانٌ، فأنَّما معناه: أَنْتَ المُصاحَبُ المُعانُ.

والصُّحْبَةُ: مَصْدَرُ صَحِبَ يَصْحَبُ. وقد أَصْحَبَ الرَّجُل: إذا صار صاحِباً.

ويقال: قد أَصْحَبَ الرّجُلُ وقد أَشْطَأَ: إذا بَلَغَ ابْنُهُ مَبْلَغَ الرِّجال، أي: صار ابنه مثله. وأَشْطَأَ الزَّرْعُ: إذا لحقته فراخه. ويقال له: الشَّطْءُ[١].

قال أبو عبيدة، وابن دريد: قوله: ﴿وَلَا هُم مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾[٢] أي: لا يحفظون.

وأَدِيمٌ مُصْحَبٌ: إذا دَبَّغْتَه وتَرَكْتَ عليه بَعْضَ الصُّوفِ أو الشَّعر.

وأصل الباب الصُّحْبة المقارنة.

والصاحِبُ: هو الحاصل مع آخَر مدة؛ لأنّه إذا اجتمع معه وقتاً واحداً لا يقال: صاحِب، ولكن يقال: صَحِبَهُ وقتاً من الزمان ثمّ فارقه.

والفرق بين المصاحِبَة والمُقَارَنَة: إنّ في المصاحِبة دلالة على الممالاة، وليس ذلك حاصلاً في المقارنة.

---

(١) تهذيب اللّغة ١١ : ٣٩١، جمهرة اللّغة ٢ : ١٠٧٥ «شَطَأَ» فيهما.

(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ٤٣، وقول أبي عبيدة يخلو منه مجازه، وعنه حكاه ابن دريد في جمهرته ١ : ٢٨٠، وانظر: المخصّص ٥ : ٦٢١، الغريبين للهروي ٤ : ١٠٦٣.

وأَتْباعُ الرئيس : أصْحابُه[١] .

و(آيات الله) : دلائله وكتبه التي أنزلها على أنبيائه . والآية : الحُجّة .

والدلالة والبيان والبرهان واحد في أكثر المواضع ، وإن كان بينها فرق في الأصل ؛ لأنّك تقول : دلالة هذا الكلام كذا ، ولا تقول : آيته ، ولا علامته . وكذلك تقول : دلالة هذا الاسم ، ولا تقول : برهانه .

و﴿أَصْحَابُ ٱلنَّارِ﴾ :

هم الملازمون لها . كما تقول : أصحاب الصَّحْراءِ ، يعني : القاطِنينَ فيها ، الملازِمِين لها .

﴿خَالِدُونَ﴾ :

والخلود : بضرب من العرف[٢] ، يدلّ على الدوام ؛ لأنّهم يقولون : ليست الدنيا دار خُلود ، وأهل الجنّة مخلّدون . يريدون الدَّوام . فأمّا في أصل الوضع ، فإنّه موضوع لطول الحبس (يقولون : خُلّد فلان الحبسَ ، يريدون به المبالغة في طول حبسه ، وإنْ لم يكن دائماً ، وكذلك خُلد

---

(١) مادة «صَحِبَ» لغة مختلف في ضبطها ومذكورة إجمالاً في المصادر الآتية : العين ٣ : ١٢٤ ، جمهرة اللُّغة ١ : ٢٨٠ ، تهذيب اللُّغة ٤ : ٢٦١ ، المحيط في اللُّغة ٢ : ٤٦٧ ، الصحاح ١ : ١٦١ ، ديوان الأدب : موارده متفرقة انظر : الفهرست ، لسان العرب ١ : ٥١٩ . مفردات ألفاظ القرآن : ٤٧٥ ، عمدة الحفّاظ ٢ : ٣٢٠ ، بصائر ذوي التمييز ٣ : ٣٨٦ ، شمس العلوم ٦: ٣٦٧٥ ـ ٣٦٨٢.

(٢) اختلفت النسخ في ضبط الكلمة ـ العرف ـ بين : معرب ، معرّب ، معرّف . والمثبت من: «خ» يُطمَأَنُّ إليه ؛ بدليل المقابلة بين : لأنهم ، وعود الضمير إلى العرف واضح ، وبين : فأمّا في أصل الوضع . إضافةً إلى ما يأتي في تفسير الآية ٢٣ من سورة التوبة ٩ .

الكتاب الديوان)[١].

فإنْ قيل: لم دخلت الفاء في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ في سورة الحج ولم تدخل هاهنا في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ﴾[٢]؟

قيل: لأنّ ما دخلت فيه الفاء من خبر «الذي وأخواته» مشبه بالجزاء. وما لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر.

وإذا قلت: ما لي فهو لك، جاز على وجهٍ، ولم يجز على وجهٍ. فإنْ أردت أنّ معنى «ما»: الذي، فإنّه جائز. وإنْ أردت أنّ «مالي» تريد به المال ثمّ تضيفُه إليك كقولك: غلامي لك، لم يجز كما لا يجوز غلامي فهو لك.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ﴾:

وموضع ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يحتمل ثلاثة أشياء:

أحدها: أنْ يكون بدلاً من ﴿الَّذِينَ﴾، أو يكون عطف بيان، و: ﴿أَصْحَابُ ٱلنَّارِ﴾ بيان عن ﴿أُولَٰئِكَ﴾ مجراه مجرى الوصف. والخبر ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

والثاني: أنْ يكون ابتداءً وخبراً في موضع الخبر الأوّل.

والثالث: أن يكون على خبرين بمنزلة خبر واحد، كقولهم: حلو حامض.

---

(١) زيادة من «خ».

(٢) سورة الحج ٢٢ : ٥٧.

قوله تعالى:

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ آية(٤٠) آية بلا خلاف.

﴿يا﴾:

حرف نداء.

﴿بني﴾:

جمع ابن. والابْنُ والوَلَدُ والنَّسْلُ والذُّرِّيةُ متقارب المعاني. إلّا أنّ الابْنَ: المذكّر، والوَلَد يقع على الذكر والأُنثى. والنَّسْلَ والذُّرِّيةَ تقع على جميع ذلك.

وأصله، من البناءِ، وهو: وَضْعُ الشَّيء على الشَّيء. والابْنُ مَبْنِّيٌ على الأب تشبيهاً بالبناء على الأصل؛ لأنّ الأبَ أصلٌ والابن فرع.

ويقال: تَبَنّى تَبَنّياً، وَبَنى بِناءً، وابْتَنى ابْتِناءً، وباناهُ مُباناةً.

والبُنُوَّةُ: مَصْدَرُ الابْنِ ـ وإن كان من البناء ـ كما قالوا: الفُتُوَّةُ: مَصْدَرُ الفَتى. وثَنّوا الفتى: فَتَيان[1].

ويقال: فُلانٌ ابنُ فُلانٍ على التَّبَنّي. ولا يطلق ذلك إلّا على ما كان من جِنْسه وشَكْله تشبيهاً بالابن الحقيقيّ؛ ولهذا لا يقولون: تبنّى زيدٌ حماراً؛ لمّا لم يكن من جنسه. ولا: تبنّى شابٌ شيخاً؛ لمّا لم يكن ذلك فيه.

والفرق بين اتّخاذ الابن وبين اتّخاذ الخليل: إنّ اتّخاذ الخليل يكون به خليلاً على الحقيقة؛ لأنّه بالمحبّة والاطّلاع على الأسرار المهمّة يكون

---

(١) لغة «ابن» في: العين ٨: ٣٨٠، تهذيب اللُّغة ١٥: ٤٩٠، المحيط في اللُّغة ١٠: ٤٠٥، الصحاح ٦: ٢٢٨٦، لسان العرب ١٤: ٨٩.

خليلاً على الحقيقة. وليس كذلك الابن؛ لأنّ البُنُوَّة في الحقيقة إنّما هي الولادة للابن.

و: ﴿بني﴾:

في موضع نصب؛ لأنّه منادى مضاف.

و: ﴿إسرائيلَ﴾:

في موضع جرّ؛ لأنّه مضاف إليه. وفُتح؛ لأنّه أعجميّ لا ينصرف.

وإسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

وقيل: إنّ أصل الاسم مضاف؛ لأنّ «إسرا» معناه: عبد، و«ئيل»: هو الله بالعبرانية، فصار مثل عبدالله. وكذلك جبرائيل، وميكائيل.

ومَن حذف الألف من جبرائيل، حذفه للتعريب ـ كما يلحق الأسماءَ التغييرُ إذا عُرِّبت ـ فيلخِّصون حروفها على العربية[1].

وفي «إسرائيلَ» خمس لغات: حكى الأخفش: إسرائِل، بكسر الهمزة من غير ياء. وحكى: إسْراءَل، بفتح الهمزة. ويقول بعضهم: إسرييِل، فيُميلون. وحكى قُطْرُبْ: إسرال، من غير همز ولا ياء، وإسرائين، بالنون. والخامس ـ إسرائيل، قراءة الناس. وحمزة وحده: مدّ بغير ألف[2].

وقال أكثر المفسِّرين: إنّ المَعْنِيَّ بـ: ﴿يا بني إسرائيل﴾: أحبارُ اليهود

---

(١) المُعَرَّب للجواليقيّ: ١٤.

(٢) معاني القرآن للأخفش ١: ٢٤٢ و ٣٢٤. وللتوسعة ينظر: إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢١٧، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٥٣، البيان في إعراب القرآن ١: ٥٧، المحتسب ١: ٧٩ ـ ٨٠ والتفاسير أغلبها عند الآية منها: تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٣٣١، تفسير الكشّاف ١: ٢٥٧، تفسير البحر المحيط ١: ٢٧٧، تفسير فتح القدير ١: ٧٤، تفسير الدرّ المصون ١: ٢٠٢، السبعة في القراءات: ١٣٥.

الذين كانوا بين ظهراني مهاجري رسول الله ﷺ . وهو المحكيّ عن ابن عبّاس[١] .

وقال أبو عليّ الجُبائيّ : المَعْنِيّ به : بنو إسرائيل من اليهود والنصارىٰ . ونسبهم إلى الأب الأعلى ، كما قال : ﴿يٰبني ءادم خُذُواْ زينتكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٢] .

قوله : ﴿اذكروا﴾ :

فالذِّكْرُ والتَّنَبُّهُ والتَّيَقُّظُ نظائر . ونقيضه : التغافل .

يقال : ذَكَرَهُ يَذْكُرُهُ ذِكْراً ، وأَذْكَرَهُ إذكاراً ، واسْتَذْكَرَهُ اسْتِذْكاراً ، وتَذَكَّرَهُ تَذَكُّراً ، وذَكَّرَهُ تذكاراً ، واذّكّر إذكاراً .

وقال صاحب العين : الذِّكْرُ : الحِفْظُ للشَّيءِ تَذْكُرُهُ . تقول : هو مِنِّي على ذِكْرٍ .

والذِّكْرُ : جَرْيُ الشَّيءِ علىٰ لِسانِك . تقول : جَرىٰ مِنْهُ ذِكْر .

والذِّكْرُ : الشَّرَفُ ، والصَّوْتُ[٣] ؛ لقوله : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[٤] .

والذِّكْرُ : الكِتابُ الذي فِيه تَفْصِيل الدين . (وكلُّ كِتابٍ من كتب الأنبياء)[٥] : ذِكْرٌ .

---

(١) حكاه ابن أبي حاتم الرازيّ في تفسيره ١ : ٩٥ ت ٤٣٤ ، وانظر : تفسير جامع البيان ١ : ١٩٧ .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ٣١ .

(٣) بدلها في بعض مصادر اللُّغة الآتية ونسخة «هـ» : الصِّيت ، واعتبر من المجاز .

(٤) سورة الزخرف ٤٣ : ٤٤ .

(٥) في نسختي «وَ، هـ»: وكلّ كتاب كُتِبَ للأنبياء . والمثبت من الباقي مؤيداً بالمصادر الآتية .

والذِّكْرُ: الصَّلاةُ لله، والدُّعاء. وقيل: كانت الأنبياء إذا حَزَبَهُمْ أَمْرٌ فَزِعُوا إلى الذِّكْرِ، أي: الصَّلاةُ، يقومون فيُصَلّون.

وذِكْرُ الحَقِّ: هو الصَّكُّ[1]. والذِّكْرى: هو اسم للتَّذْكِير.

والذَّكَرُ: ذَكَرُ الرَّجُل مَعْروفٌ، والجمع: الذِّكَرَةُ؛ ولهذا يسَمِّي ما ينسب إليه: المَذاكِير، ولا يُفْرَد. وإنْ أُفْرِدَ: فَمُذَكَّرٌ، مثل مُقَدَّمٌ وَمَقادِيمٌ.

والذَّكَرُ: خِلافُ الأُنْثىٰ. وجمعه: ذُكُور، وذُكْران. ومن الدَّوابّ: ذُكُورَةٌ لا غير.

والذَّكَرُ منَ الحديد: أَيْبَسُهُ وأَشَدُّهُ؛ ولذلك يُسَمّى السَّيْف: مُذَكَّراً.

وامْرأةٌ مُذَكَّرَةٌ، وناقةٌ مُذَكَّرَةٌ: إذا كانت خِلْقَتُها تَشْبَه خِلْقَةَ الذَّكَر، أو أَشْبَهَتْه في شَمائِلِها.

وامْرَأَةٌ مِذْكار: إذا أَكْثَرَتْ وِلادَةَ الذُّكُورِ ـ وعكسه: مِئْناثٌ ـ ويقال للحُبْلى: أَيْسَرَتْ وأَذْكَرتْ، أي: يَسَّرَ عليها وَوَلَدَتْ ذَكَراً.

والذِّكْرُ: ضِدُّ النِّسْيان. ورَجُلٌ ذَكَرٌ: شَهْمٌ مِنَ الرِّجال، ماهِرٌ في أُمُورِهِ[2].

وأصلُ الباب: الذِّكْرُ الذي هو التَّنْبِيهُ على الشَّيْءِ. والذِّكْرُ: الوَصْفُ بالمدحِ والثَّناء، أو بالذَّمِ والهِجاءِ.

---

(١) في «هـ»: والذكر الحقّ هو الصلاة. والمثبت من: «خ، و» وتساعد عليه المصادر الآتية.

(٢) إضافة للعين ٥: ٣٤٦، تُنظر لغة (ذَكَرَ) في جمهرة اللُّغة ٢: ٦٩٤، تهذيب اللُّغة ١٠: ١٦٢، المحيط في اللُّغة ٦: ٢٣٥، الصحاح ٢: ٦٦٤، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٧٨٧، لسان العرب ٤: ٣٠٨.

وقوله: ﴿نِعْمَتِيَ﴾:

المراد بها: الجماعة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1] والنِّعْمة وإن كانت على أسلافهم جاز أنْ تضاف إليهم. كما يقول القائل إذا فاخر غيره: هَزَمْناكُم يومَ ذي قار، وقَتَلناكُم يومَ الفِجار، وبَدَدْنا جَمْعَكُم يومَ النِّسَار[2].

والمراد بذلك: جميع النِّعم الواصلة إليهم، ممّا اختصّوا به، دون آبائهم، أو اشتركوا فيها معهم، وكان نعمةً على الجميع. فمن ذلك: تبقية آبائهم حتّى تناسلوا، فصاروا من أولادهم. ومن ذلك: خَلْقه إيّاهم على وجه يمكنهم الاستدلال على توحيده، والوصول إلى معرفته، فيشكروا نعمه، ويستحقّوا ثوابه. ومن ذلك ما لا يخلون منه في كلّ وقت من منفعة ودفع

---

(١) سورة إبراهيم ١٤ : ٣٤ وسورة النحل ١٦ : ١٨.

(٢) ثلاثة أيّام من أيّام العرب المشهودة تفخر بها شعراً ونثراً:

١ ـ يوم ذي قار: وَقْعَةٌ بين العرب ـ بَكْر ـ على الفرس أيّام كسرى، إبّان بعثة النبيّ ﷺ، وفيها قوله المشهور: (اليوم انتصفت العرب من العجم بي) حيث أخبر المسلمينَ بانتصار العرب قبل وصول الأخبار إلى الحجاز. وسببها الحسد والفرقة والمكر والخديعة بين العرب أنفسهم في قصّة عَدِيّ بن زيد.

٢ ـ يوم الفِجَار: عدّة أيّام وقعت فيها حروب مدمِّرة بين العرب أنفسهم، بين كنانة وهوازن، وقريش وقيس عيلان، وغيرهم.

٣ ـ يوم النِّسار: حرب وقعت بين بني أسد وغطفان وطيء من جهة وبني عامر في المقابل. وقيل غير ذلك.

أنباءُ هذه الأيّام والوقائع تجدها منتشرة في المصادر التالية وغيرها على الترتيب: أيّام العرب قبل الإسلام للتيميّ ٢ : ٤٨٩ و٥٠٣ و٥٢٧، العقد الفريد ٥ : ٢٦٢ و٢٥١ و٢٤٨، نهاية الأرب ١٥ : ٤٣١ و٤٢٣ و٤٢١، أيّام العرب في الجاهلية: ٣٧٨ و٣٢٢ ـ ٣٣٧ و٣٧٨، وأغلب مصادر التاريخ مثل الكامل في التاريخ، وتاريخ الأُمم والملوك وغيرهما كثير.

مضرّة.

فالقول الأوّل: هو التذكيرُ بالنِّعمة عليهم في أسلافهم.

والقول الثاني: تذكيرٌ بجميع النِّعَم عليهم والنِّعَمِ التي على أسلافهم ما ذكره في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُلُوكاً وَآتَاكُم مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِينَ**﴾[1].

وقوله: ﴿**أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**﴾:

في موضِع جزم؛ لأنّه جواب الأمر.

قال صاحب العين: تقول: وَفَيْتُ بِعَهْدِكَ وَفاءً. ولغة أهل تهامة: أَوْفَيْتُ بِعَهْدِك. وهي: لغَةُ القرآن.

قال الشاعر في الجمع بين اللّغتين:

أمّا ابنُ طَوْقٍ فَقَد أوْفى بِذِمَّتِهِ ... كَما وَفَى بِقِلاصِ النَّجْمِ حَادِيها[2] **[١٨١]**

يعني به الدَّبران. وهو التالي:

---

(١) سورة المائدة ٥: ٢٠.

(٢) البيت للشاعر طفيل الغَنَوِيّ، وهو بيت مفرد في ديوانه: ١١٣ رقم ٤٦.

المعنى: يصفُ الشاعرُ ابنَ طوقٍ ـ أو ابن عوف، أو ابن أبيض، على الاختلاف في الرواية والنسخ ـ بالوفاء وملازمة أصحابه، مشبّهاً له بالدَّبران في ملازمته الأنجم مثله. القلاص: عشرون نجمة منثورة تأتي بعد الثُّريا والدَّبران حيث يأتي بعدها، كأنّه حادٍ وراعٍ لها.

هذا وقد استشهدَ به لمحلّ الشاهد أيضاً: الزجّاج في معانيه ١: ١٢٢، والمبرّد في كامله ٢: ٧١٨، وابن منظور في لسانه ١٥: ٣٩٨ وغيرهم.

وتقول: وَفَى يَفي وَفاءً. وأَوْفَى يُوْفِي إيفاءً. واسْتَوْفى اسْتِيفاءً. وتوفّىٰ توفّياً. وَوَفّى تَوْفِيَةً. وتَوافى تَوافِياً. ووافاهُ مُوافاةً. وكلُّ شيءٍ بلغَ تمامَ الكلامِ فقد وفى وتَمَّ.

وكذلك درهمٌ وافٍ؛ لأنّه درهم وَفى مِثْقالاً. وكَيْلٌ وافٍ، ورَجُلٌ وفيٌّ: ذو وفاء.

وأوْفى فُلان على شَرفٍ من الأرض: إذا أشْرفَ فَوْقَها.

وتقول: أَوْفَيْتُهُ حَقَّهُ. وَوَفَّيْتُهُ أجْرَهُ.

والوَفاةُ: المَنِيَّةُ، تُوُفِّيَ فُلانٌ، وتَوَفَّاهُ الله: إذا قَبَضَ نَفْسَه[1].

وأصل الباب: الوفاء، وهو الإتمام.

ومنْ أكْرَمِ أخْلاقِ النفس: الوَفاءُ. ومن أدْوَنِها وأرْذَلِها: الغَدْر.

ومعنى قوله: ﴿**أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**﴾:

قال ابن عبّاس: أوفوا بما أمرتكم من طاعتي، ونهيتكم عن معصيتي في النبيّ ﷺ وغيره ﴿**أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**﴾ أي: أرضى عنكم، وأُدخلكم الجنّة[2].

وسمّي ذلك عهداً؛ لأنّه تقدّم بذلك إليهم في الكتب السابقة كما قال: ﴿**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[3].

---

(١) «وَفَيَ» لغةً تجدها في: العين ٨: ٤٠٩، جمهرة اللُّغة ١: ٢٤٤، تهذيب اللُّغة ١٥: ٥٨٣، المحيط في اللُّغة ١٠: ٤٣٦، الصحاح ٦: ٢٥٢٦، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٥٤٩، لسان العرب ١٥: ٣٩٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٩٥ ـ ٩٦ ت ٤٣٧ و٤٣٨ و٤٤٠ و٤٤١، تفسير جامع البيان ١: ١٩٨.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٤٦.

والعَهْدُ: هو العقد عليهم في الكتاب السابق بما أُمروا به، ونهوا عنه.

وقال بعضهم: إنّما جعله عهداً؛ لتأكيده بمنزلة العهد الذي هو اليمين، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ** ﴾[1].

وقال الحسن: العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال: ﴿ **خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ** ﴾[2] أي: بجدّ، ﴿ **وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ** ﴾[3] أي: ما في الكتاب في قوله: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ ٱلزَّكَاةَ وَآمَنْتُم بِرُسُلِي . . .** ﴾[4] إلى آخر الآية.

وقال الجُبّائيّ: جعل تعريفه إيّاهم نِعَمَهُ عَهْداً عليهم وميثاقاً؛ لأنّه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النِّعمة، كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يؤخذ عليهم.

والقول الأوّل أقوى؛ لأنّ عليه أكثر المفسِّرين، وبه يشهد القرآن.

قوله: ﴿ **وإيَّاي** ﴾:

ضمير منصوب، ولا يجوز أن يكون منصوباً بقوله: ﴿ **فارهبون** ﴾؛ لأنّه مشغول. كما لا يجوز في قولك: زيداً فاضربه، أن يكون منصوباً

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٨٧.

(٢ و٣) الآية ٦٣ من سورة البقرة ٢.

(٤) سورة المائدة ٥: ١٢.

بقوله : فاضربه ؛ لكنّه يكون منصوباً بفعل دلّ عليه ما هو مذكور في اللفظ ، تقديره : وإيّايَ ارهبوا ، ولا يظهر ذلك ؛ لأنّه استغنىٰ عنه بما يفسِّره ، وإن صحّ تقديره . ولا يجوز في مثل ذلك الرفع على أن يكون الخبر ﴿فَارْهَبُونِ﴾ إلّا على تقدير محذوف . كما أنشد سيبويه :

وَقائلةٍ: خَولانُ فانْكِحْ فَتاتَهُم ... وأُكْرُومَةُ الحَيَّيْنِ خِلْوٌ كما هيا[1] [١٨٢]

تقديره : وقائلةٍ: هذه خولان . وعلى هذا ، حمل قوله : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[2] وقوله : ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾[3] تقديره : في ما يُتلى عليكم السارق والسارقة ، وفي ما فرض عليكم الزانية والزاني .

وقوله : ﴿فَارْهَبُونِ﴾ :

فالرَّهْبَةُ والخَشْيَةُ والمخَافَةُ نظائر . وضدّها : الرَّغبة . (تقول : فَعَلْتُ

(١) البيت من شواهد سيبويه في «الكتاب» لم يسبق به ، فهو من الخمسين التي لم يُعرف لها قائل .
المعنى : خَوْلان : حيّ في اليمن ، أُكرومَة : المُكَرَّمة والمصونة . الحيَّين : حيُّ الأب وحيُّ الأُمّ . خِلْو : التي لا زوج لها . كما هيا : صفة والمراد منها أنّها ما زالت بكراً .
الشاعر يحرِّض مخاطَبه على اغتنام فرصة وجود حيّ خَولان ليتزوّج منهم ؛ لشرفهم وحسن نسائهم .
الشاهد فيه : ما أشار إليه المصنِّف ﷺ من عدم زيادة الفاء في «فانكح» وأنّ «خولان» خبر مبتدأ محذوف تقديره : هذه .
انظر : الكتاب ١ : ١٣٩ ، النكت في تفسير كتاب سيبويه ١ : ٢٦٦ ، معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٤٧ ، شرح المفصّل ١ : ١٠٠ ، خزانة الأدب للبغدادي ١ : ٤٥٥ ت ٧٧ ، وغيرها . وراجع مجلّة المورد العراقية . مجلّد ٩ عدد ٣ صفحة ٣٦٣ .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٣٨ .

(٣) سورة النور ٢٤ : ٤ .

كَذا رَغْبَةً أو رهبةً . والخوف نقيضه : الأمن)[1] . تقول : رَهِبَ رَهْبَةً ، وأرْهَبَهُ إرْهاباً . ورَهَّبَهُ تَرْهِيباً . واسْتَرْهَبَ اسْتِرْهاباً . ويقال : رَهِبَ فلانٌ يَرْهَبُ رُهْباً ، ورَهَباً ، ورَهْبَة : إذا خاف مِنْ شَيءٍ . ومنهُ اشْتقاقُ الرَّاهِب . والاسم : الرَّهْبَةُ .

ومن أمثالهم : رَهَبُوت خَيْرٌ مِنْ رَحَموتٍ[2] . أي : تُرْهِب خَيْرٌ مِنْ أن تَرْحَم .

والتَّرَهُّبُ : التَّعَبُّدُ في صَوْمَعَةٍ . والجمع : الرُّهْبان . والرَّهْابِنَةُ خطأ[3] .

والفرق بين الخوف والرَّهبة : إنّ الخَوْفَ هو الشَّكّ في أنّ الضَّرر هل يَقَعُ أم لا ؟ والرَّهْبَةُ : مَعَها العِلْمُ بوقوع الضَّرر عِندَ شَرْطٍ ، فإنْ لم يحصل ذلك الشَّرط لم يقع .

واختير تحريكُ الياء في قوله تعالىٰ: ﴿**نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ**﴾؛ لأنّه لقيها ألف ولام فلم يكن بُدٌّ من إسقاطها أو تحريكها وكان التحريك أولى ؛ لأنّه أدلُّ على الأصل وأشكل بما يلزم اللّام في الاستئناف من فتح ألف الوصل .

وإسكانُ الياءِ في قوله : ﴿**يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا**﴾[4] أجود ؛ لأنّ من حقّ ياء الإضافة ألّا تثبت في النداء ، وإذا لم تثبت فلا طريق إلى تحريكها . وقوله تعالىٰ : ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ**﴾[5] الاختيار

---

(١) بين القوسين زيادة من نسختي «ل ، خ» ، تخلو منها البواقي .

(٢) مثل معروف مشهور ، انظر : مجمع الأمثال ٢ : ٢٥ ت ١٥٢٧ ، فصل المقال : ٥٦ ، المستقصى ٢ : ١٠٧ ت ٣٨٣ ، الاشتقاق : ٤٣١ .

(٣) الضبط اللّغويّ ينظر له «رَهَبَ» في : العين ٤ : ٤٧ ، جمهرة اللّغة ١ : ٣٣٢ ، تهذيب اللّغة ٦ : ٢٩٠ ، المحيط في اللّغة ٣ : ٤٧٩ ، المحكم والمحيط الأعظم ٤ : ٣١ ، الصحاح ١ : ١٤٠ ، لسان العرب ١ : ٤٣٦ ، وغيرها .

(٤) سورة الزمر ٣٩ : ٥٣ .

(٥) سورة الزمر ٣٩ : ١٧ ـ ١٨ .

حذف الياء ؛ لأنّه رأس آية . ورؤوس الآي لا تثبت فيها الياء ؛ لأنّها فواصل ينوى فيها الوقف ، كما يُفعل ذلك في القوافي .

ومثلُ قوله : ﴿نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي﴾ قوله : ﴿أَخِي * ٱشْدُدْ﴾[1] في أنّ الاختيار تحريك الياء ، وإن كان مع الألف واللّام أقوى ؛ لما تقدّم ذكره من المشاكلة والردّ إلى الأصل . وفي ﴿أَخِي * ٱشْدُدْ﴾ : سببٌ واحد ، وهو أنّه أدلُّ على الأصل .

وأجمعوا على إسقاط الياء من قوله تعالى : ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾ . إلّا ابن كثير ، فإنّه أثبتها في الوصل دون الوقف ، والوجه حذفها ؛ لكراهيّة الوقف على الياء . وفي كسر النون دلالة على ذهاب الياء[2] .

---

(١) سورة طه ٢٠ : ٣٠ ـ ٣١ .

(٢) الياء على قسمين :

أ ـ ياء الإضافة ، وهي : في هذه الحالة ضميرٌ يتّصل تارة بالاسم فيكون مجروراً ، وأُخرى بالفعل ويكون منصوباً ، وثالثة بالحرف فهو منصوب أو مجرور .

ب ـ ياء الزيادة والحذف ، وهي : في هذه الحالة زوائد على الكلمة تأتي في آخرها ، وهي على نوعين :

١ ـ ما لحق آخر المنادىٰ وحذف ، نحو : يا قومِ ، يا أَبَتِ . فالياء منه تحذف بلا خلاف ويُعوّض عنها الكسرة .

٢ ـ ما لحق آخر الأسماء والأفعال ، نحو : الداع ، يسر ، وهذه محذوفة رسماً ، مختلف في إثباتها وحذفها وصلاً أو وقفاً .

والفرق بين القسمين :

أ ـ إنّ ياء الإضافة ثابتة في المصحف . والثانية محذوفة .

ب ـ إنّ ياء الإضافة تكون زائدة على الكلمة فلا تكون لام الفعل مثلاً . والثانية : تكون أصليّة وزائدة .

ج ـ الخلاف في ياء الإضافة بين الفتح والإسكان . وفي الثانية : بين الحذف والإثبات .

ثمّ إنّ مواردها كثيرة جدّاً والإشارة إليها مشكل . وليُسر الاطّلاع الإحالة إلى مَنْ

←

قـوله تعالى:

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّـٰىَ فَاتَّقُونِ﴾ آية (٤١) آية واحدة بلا خلاف.

﴿آمِنُوا﴾:

معناه: صدِّقوا؛ لأنّا قد بيّنا أنّ الإيمان هو التصديق[١].

﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾:

يعني: بما أنزلتُ على محمّد ﷺ من القرآن.

وقوله: ﴿مُصَدِّقاً﴾:

يعني: إنّ القرآن مُصدِّقٌ لما مع اليهود من بني إسرائيل مِنَ التوراة. فأمرَهم بالتصديق بالقرآن، وأخبرهم أنّ في تصديقِهم بالقرآن تصديقاً منهم للتوراة؛ لأنّ الذي في القرآن من الأمر بالإقرار بنبوّة محمّد ﷺ وتصديقه نظيرُ الذي في التوراة والإنجيل. وموافق لما تقدّم من الإخبار به، فهو مصداق ذلك الخبر.

وقال قوم: معناه أنّه يصدِّق بالتوراة والإنجيلِ؛ لأنّ فيه الدلالة على أنّه حقٌّ.

والأوّل الوجه؛ لأنّه على ذلك الوجه حجّة عليهم، دون هذا الوجه.

جمعَ مواضعها وفصّل الكلام فيها أفضل.

منهم: ابن غَلْبُون في التذكرة في القراءات ٢: ٨٢٧، وانظر الفهرس، والهمذانيّ العطّار في غاية الاختصار ١: ٣٣١ ـ ٣٧٣ فقرة ٤٤٠ ـ ٥٢١، وابن الجزريّ في النشر في القراءات العشر ٢: ١٦١ ـ ١٩٤، وأغلب كتب القراءات في آخر كلّ سورة.

(١) تقدّم في الجزء الأوّل عند تفسير ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ في الآية ٣ من سورة البقرة ٢.

ونُصب ﴿مُصَدِّقاً﴾ على الحال من الهاء المحذوفة، كأنّه قال: أنْزَلْتُهُ مُصَدِّقاً. ويصلح أن ينتصب بـ: ﴿آمِنُوْا﴾ كأنّه قيل: آمنوا بالقرآن مُصَدّقاً.

والمعنيّ بقوله: ﴿آمِنُوْا﴾: أهلُ الكتاب من بني إسرائيل؛ لأنّه في ذكرهم.

وفيه احتجاج عليهم؛ إذ جاء بالصفة التي تقدّمت بها بشارة موسى وعيسى عليهما السلام. وهو أمرٌ بالإقرار بالنبوّة وما جاءت به من الشريعة.

وإنّما وحَّد كافراً في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾، وقبله جمْع؛ لِما ذكره الفرّاء والأخفش: وهو أنّه ذهبَ مذهب الفعل، كأنّه قال: أوّل من كفر به. ولو أراد الاسم لما جاز إلّا الجمع[1].

ومثل ذلك قول القائل للجماعة: لا تكونوا أوّل رجل يفعل ذلك.

قال المبرّد: هذا الذي ذكره الفرّاء خارجٌ عن المعنى المفهوم؛ لأنّ الفعل ها هنا والاسم سواء، إذا قال القائل: زيدٌ أوّلُ رجل جاء، فمعناه أوّلُ الرجالِ الذين جاؤوا رَجُلاً رَجُلاً، ولذلك قال: أوّل كافر، وأوّل مؤمن، ومعناه: أوّل الكافرين وأوّل المؤمنين لا فصل بينهما في لغة ولا قياس. ألا ترى أنّك تقول: رأيت مؤمناً، ورأيت كافراً كما تقول: رأيت رجلاً لا يكون إلّا ذلك، لأنّك إنّما رأيت واحداً، كما تقول: رأيت زيداً أفضل مؤمن، وزيدٌ أفضل حرٍّ، وزيدٌ أفضل رجلٍ، وأنبل غلام، وليس بين ذلك اختلاف.

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ١ : ٣٢، معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج ١ : ١٢٣، وانظر تفسير جامع البيان ١ : ١٩٩، أمالي المرزوقي : ١٩٧.

قال: ولكن مجازه: ولا تكونوا أوّل قبيل كافر به، وأوّل حزب كافر به، وهو ممّا يسوغ فيه النعت، ويبين به الاسم؛ لأنّك تقول: جاءني قبيلٌ صالح، وجاءني حيّ كريم، فينعت به الجمع إذا كان الجمع اسماً واحداً لجميعه كقولك: نفر، وقبيل، وحزب، وجمع.

ولا تقول: جاءني رجل كريم، وأنت تريد برجل نفراً، كما تقول: نفرٌ كريم؛ لأنّ النعت جارٍ على المنعوت والاسم منفرد بنفسه[1].

ونظير قوله: ﴿أوّل كافر﴾، قول الشاعر:

فإذا هم طَعِمُوا فألأَمُ طاعمٍ   وإذا همُ جاعوا فشرُّ جِياعِ[2] [١٨٣]

ومعنى قوله: ﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾:

---

(١) خلاصة ما تقدّم: إنّ النكرة المضافة إلى أفعل التفضيل لها حالتان:
أ ـ أن لا تكون صفة، ومعه يكون أفعل مفرداً مذكّراً، والنكرة هي التي تطابق ما قبلها إفراداً وتثنية وجمعاً، نحو: زيد أفضل رجل، وفاطمة أفضل امرأة، والزيدان أفضل رجلين، وهكذا.
ب ـ أن تكون صفة وقبله ـ أفعل ـ جمعٌ، فأنت مخيّر بين المطابقة وعدمها. وعليه الشاهد الشعريّ بشقّيه، فإن كانت المطابقة كما في الشطر الثاني فهو.
وإن كانت عدم المطابقة كما في الشطر الأوّل فهنا معركة الآراء في التأويل، والتفصيل موكول إلى كتب النحو؛ لأنّه مستوفى فيها، وانظر: تفسير المحرر الوجيز ١: ١٩٩، تفسير اللباب في علوم الكتاب ٢: ١٤.

(٢) أقدم من رواه أبو زيد الأنصاريّ في النوادر: ١٥٢ آخر ثلاثة أبيات نسبها إلى أعرابيّ جاهليّ، وكذا روى الشاهد الفرّاء في معانيه ١: ٣٣، ٢٦٨، والطبريّ في جامعه ١: ١٩٩، وأبو حيّان في بحره ١: ١٧٧، وابن دريد في الاشتقاق: ٤١٧.
طَعِمُوا: شبعوا، ألأم: أخبث.
يصف الشاعر من يهجوهم بأنّهم أُناس لُؤماء إذا أكلوا لم يؤدّوا حقّ الطعام وإذا جاعوا فهم شرّ من جاع.
الشاهد فيه: إفراده طاعم مع تقدّم الجمع (طعموا)، وجمعه جياع مع تقدّم الجمع (جاعوا).

قال قوم : يعني بالقرآن من أهل الكتاب ؛ لأنّ قريشاً كانت كفرت به قبلهم بمكّة .

وقيل : معناه ﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ : لا تكونوا أوّل السابقين إلى الكفر فيه فيتبعكم الناس ، أي : لا تكونوا أئمّةً في الكفر به .

وقيل : ﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ : أوّل جاحدٍ ، إنّ صفته في كتابكم .

والأوّل والسابِق والمتَقَدِّم نظائر . ويقال أوّلٌ وآخِرٌ ، وأوّلٌ وثانٍ .

والأوّل : هو الموجود قبل آخر .

والأوّل قبلُ كلِّ شيءٍ ، يناقض وصفه بأنّه مُحدَثٌ (لكنْ يُعلم ذلك بدليل . والوصف بأنّه قديمٌ يناقضُ الوصف في أنّه محدث)[1] ، ويُعلم ذلك ضرورة .

والهاء في قوله : ﴿بِهِ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : إنّه يعود إلى ﴿ما﴾ في قوله : ﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ ، وهو الأجود .

والثاني : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي : بمحمّد صلى الله عليه وآله .

والثالث : أوّل كافر بما معكم ، من كتابكم ؛ لأنّهم إذا جَحدوا ما فيه من صفة النبيّ صلى الله عليه وآله فقد كفروا به .

والأوّل : قول ابن جريج . وإنّما كان هو الأجود ؛ لأنّه أشكَلُ بما تقدّم .

---

(١) زيادة من النسخة «خ» والمختصرة .

والثاني : قول أبي العالية[١].

والثالث : حكاه الزّجّاج وقوّاه : بأنّهم كفروا بالقرآن. وإنّما قيل : ولا تكونوا أوّل كافر بكتابكم، أي : صفة محمّد ﷺ فيه[٢].

وقال الرّمانيّ : وإنّما عظّم أوّل الكفر ؛ لأنّهم إذا كانوا أئمّة فيه وقُدوة في الضلالة كان كفرهم أعظم. كما رُويَ عن النبيّ ﷺ : (من سَنَّ سُنَّة حسَنةً فله أجْرُها وأجرُ منْ عملَ بها إلى يوم القيامة، ومنْ سنّ سنّة سيئةً كان عليه وزرُها ووزرُ منْ عملَ بها إلى يوم القيامة)[٣].

وليس في نَهيه ـ عن أن يكونوا أوّل كافر ـ دلالةٌ على أنّه يجوز أن يكونوا آخر كافر ؛ لأنّ المقصود من الكلام النهي عن الكفر على كلّ حال، وخَصّ الأوّل بالذكر ؛ لما قدّمناه من عِظَم موقعه كما قال الشاعر :

---

(١) رُفَيْعُ بن مِهران الرِّياحيُّ مولاهم البصريّ، تابعيّ، مُقرئ، حافظ، مُفسّر، أسلم بعد وفاة النبيّ ﷺ، روى عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عبّاس وابن مسعود وأبي ذرّ وغيرهم، وعنه قتادة والربيع وابن العلاء. مات عام : ٩٠هـ.

انظر : طبقات ابن سعد ٧ : ١١٢، المعارف لابن قتيبة : ٤٥٤، سيَر أعلام النبلاء ٤ : ٢٠٧ ت ٨٥ ومصادره.

(٢) الآراء منسوبة وغير منسوبة وإلى غيرهم تجدها في : تفسير الحسن البصريّ «جمع» ٢ : ٤٣ ت ٤٩ تفسير محمّد بن إسحاق «جمع» : ٢٢، السيرة النبويّة لابن هشام ٢ : ١٨١ ـ ١٨٢، تفسير جامع البيان ١ : ٢٠٠، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٩٧ ت ٤٤٦ ـ ٤٤٨، تأويلات أهل السنّة ١ : ٤٦، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١ : ١١٤، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٢، تفسير الوسيط ١ : ١٢٨، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ٧٢، معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج ١ : ١٢٢.

(٣) الحديث في : الكافي ٥ : ٩ ذيل الحديث ١، الخصال : ٢٤٠ ذيل الحديث ٨٩، تهذيب الأحكام ٦ : ١٢٤ ذيل الحديث ٢١٧، مسند أحمد ٤ : ٣٦٢، السنن الكبرى للبيهقيّ ٤ : ١٧٥، وفيها زيادة (في الإسلام)، السنن الكبرى للنسائيّ ٢ : ٣٩ ـ ٤٠ ذيل الحديث ٢٣٣٥، كنز العمّال ١٥ : ٤٢٠٧٨/٧٨٠ وغيرها.

مِـنْ أُنـاسٍ لَـيْسَ فِـي أخْـلاقِهِمْ عاجِلُ الفُحْشِ وَلا سُوءُ الجَـزَعْ[١] [١٨٤]

وليس يريد أنّ فيهم فحشاً آجلاً.

وقوله: ﴿ثَمَناً قَلِيلاً﴾:

فالثَّمَنُ والعِوَضُ والبَدَلُ نظائر. وبينها فرق:

فالثَّمَنُ: هو البَدل في البيع من العين أو الوَرِق. وإذا استعمل في غيرهما كان مشبَّهاً بهما ومجازاً.

والعِوض: هو البدل الذي يُنتفع به كائناً ما كان.

وأمّا البدلُ: فهو الجَعل للشيء مكان غيره.

ويقال: ثَمَّنه تَثْميناً. وثامَنَهُ مُثامَنَةً. ويُجمع الثَّمَنُ: أثْماناً وأَثْـمُناً.

ويروى بيت زهير:

.... وعـزَّت أَثْـمُنُ البـدنِ[٢] [١٨٥]

---

(١) للشاعر سويد بن أبي كاهل اليشكريّ، من قصيدة مفضّلية وصفت بأنّها من أغلى الشعر وأنفسه، وعلى كثرة ما للشاعر من شعر فقد فضّلتها العرب قديماً وسمّتها اليتيمة وعدّتها من حِكَمها؛ لما اشتملت عليه من الأمثال والحكم.

والبيت مقطع منها يفخر بقومه وشجاعتهم وشدّتهم وبسعة الأخلاق والإباء والرّفعة، ونافياً عنهم كلَّ شين.

ومعنى البيت: إنّه من قوم لا فحش عندهم ولا جَزع عند مصيبة أصلاً. لا كما قد يتصوّر أنّه نفى عنهم الفحش العاجل والجزع السيّئ. وإلّا أين المدح إذن؟!

الشاهد: أمرٌ معنويٌّ واضح من المعنى، وقد أشار إليه الشيخ المصنّف ﷺ.

انظر: المفضَّليات: ١٩٠ ت ٤٠ ب٣٢، شرح اختيارات المفضل ٢: ٨٦٧ ت ٣٩ ب ٣٢، أمالي المرتضى ١: ٢٣٠، شعراء النصرانيّة: ٤٢٥.

(٢) لزهير بن أبي سُلمىٰ وتمامه:

مَنْ لا يُذابُ لَهُ شَحْمُ النَّصِيبِ، إذا زار الشّـتاء، ....

الشاعر يمدح هَرِمَ بن سنان، ويصفه بإنّه ملجأ العشيرة والجائع منهم قائلاً: هو

جمع ثَمَنٌ . ومن روى : «أَثْمَنُ البُدُنِ» : أراد : الثَّمِينَةَ منها ، أي : أَكْثَرَها ثَمَناً .

والثَّمينُ والثُّمْنُ : جُزْءٌ مِنْ ثَمانِيَةِ أَجْزاء ، مِنْ أَيِّ مالٍ كان .

وثَوْبٌ ثَمِينٌ : إذا كانَ كَثيرَ الثَّمَن .

والفرق بين الثَّمَنِ والقِيمَةِ : إنّ الثَّمَنَ قد يكُونُ وِفْقَاً ، وقَدْ يكُونُ بَخساً ، وقد يكُونُ زائداً . والقيمة : لا تكُونُ إلّا مُساويَةَ المِقْدارِ للمُثْمَن مِنْ غَيرِ نُقصانٍ ولا زِيادةٍ . وكلّ ما لَهُ ثَمَنٌ فَهوَ مالٌ . وليس كلُّ مِلْكٍ لَهُ ثَمَنٌ[1] .

والقَليلُ والحَقِيرُ واليَسِيرُ نظائر . وضدّه : الكثير .

تقول : قَلَّ يَقِلُّ قِلَّةً . وأقَلّ مِنهُ إقْلالاً . واسْتَقَلَّ اسْتِقْلالاً . وتَقَلَّل تَقَلُّلاً . وقَلَّلَهُ تَقْلِيلاً . وقَلِيلٌ وقُلالٌ ، بمعنى .

ورَجُلٌ قَلِيلٌ ، أي : قصير . وقُلُّ الشَّيء : أَقَلُّهُ . والقِلَّةُ والقُلُّ لغتان .

والقُلَّةُ : رَأسُ كُلِّ شَيء . والرَّجُلُ يُقِلُّ شَيْئاً : يَحْمِلُهُ ، وكذلك يَسْتَقِلُّهُ . واسْتَقَلَّ الطائرُ : إذا ارْتَفَعَ .

وقُلَّةُ الجَبَل : أعلاه ، وهي : قِطعَةٌ تَستَدِيرُ في أَعْلاه . وهي القُلَّة .

الذي لا يأكل حصته . .

النصيب : الحصّة . وتروى السَّدِيف : السَّنام . عَـزّت : غَـلَت ، أو : قَـلَّت . زار : أتى .

الشاهد فيه قوله : «أَثْمُنُ» حيث هي جمع ثَمَن ، ورويت : «أَثْمَنُ» بمعنى الثمينة .

انظر : الديوان : ٩٦ ق ٦ ب ١٦ صنعة ثعلب ، وفي صنعة الأعلم : ٢٧٨ ق ٥٠ ب ١٦ .

(١) انظر : جمهرة اللُّغة ١ : ٤٣٣ ، تهذيب اللُّغة ١٥ : ١٠٦ ، المحيط في اللُّغة ١٠ : ١٥٧ ، الصحاح ٥ : ٢٠٨٨ ، لسان العرب ١٣ : ٨٠ ، مادة «ثَمَنَ» .

والقُلَّةُ التي جاءت في الحديث (مثل : قِلالُ هَجَر)[1] قيل : إنّها جِرارٌ عِظامٌ .

والقِلّةُ : النُّقْصانُ في العَدَدِ . وقيل : في الصِّغَرِ[2] .

وقوله : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ فأدخل «الباء» في الآيات دون الثمن ، وفي سورة يوسف أدخله في الثمن في قوله : ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾[3] .

قال الفرّاء : إنّما كان كذلك ؛ لأنّ العروض كلّها أنت مخيّر فيها في إدخال الباء وتركه ، إن شئتَ قلتَ : اشتريتُ الثوبَ بكساءٍ ، وإن شئتَ قلتَ : اشتريتُ بالثوبِ كساءً . أيُّهما جعلته ثَمناً لصاحبه جاز ، فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير ، وضعت الباء في الثمن كقوله : ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ؛ لأنّ الدراهم ثَمَنٌ أبداً[4] .

ورويَ عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً

---

(١) الحديث في : صحيح البخاريّ ٥ : ٦٨ ، سنن النسائيّ ١ : ٢٢٠ ، مسند أحمد ٣ : ١٦٤ ، ٤ : ٢٠٧ و٢٠٩ .

(٢) مادّة «قَلَلَ» تجدها في : العين ٥ : ٢٥ ، جمهرة اللُّغة ١ : ١٦٤ ، تهذيب اللُّغة ٨ : ٢٨٧ ، المحيط في اللُّغة ٥ : ٢١٢ ، الصحاح ٥ : ١٨٠٤ ، لسان العرب ١١ : ٥٦٣ .

وانظر : مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ٦٨٠ لتوضيح الجملة الأخيرة حيث يقول : القِلَّة والكثرة يستعملان في الأعداد ، كما أنّ العِظَمَ والصِّغَرَ يستعملان في الأجسام ، ثُمَّ يُستعار كلُّ واحد من الكثرة والعِظَم ومن القِلَّة والصِّغَر للآخر .

(٣) سورة يوسف ١٣ : ٢٠ .

(٤) قول الفرّاء في معانيه ١ : ٣٠ ، وحكاه الأزهريّ في التهذيب ١٥ : ١٠٦ ، وابن منظور في لسان العرب ١٣ : ٨٠ .

﴿قَلِيلاً﴾ قال عليه السلام: «كان لحُيَيِّ بن أخطب[١] وكعب بن أشرف[٢]، وآخرين منهم مأكُلة على يهود في كلّ سنة. وكرهوا بطلانها بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله فحرّفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره، فذلك الثمن القليل الذي أُريد به في الآية»[٣].

وتقييده بـ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ لا يدلُّ على أنّه إذا كان كثيراً يجوز مشترىً به؛ لأنّ المقصود من الكلام: إنّ أيَّ شيءٍ باعوا به آيات الله كان قليلاً، وأنّه لا يجوز أنْ يكون له ثمنٌ يساويه، كقوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللهِ إِلٰهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾[٤] إنّما أراد بذلك نفي البرهان عنه على كلّ حال، وأنّه لا يجوز أن يكون عليه برهان. ومثله قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ

---

(١) حُيَيِّ ـ بالضمّ والكسر ـ بن أخطب، رأس من رؤوس اليهود من بني قُرَيْظَة، أُسر في وقعتهم، وقتل عام خمس للهجرة، سُبيت ابنته صفيّة وهي من ذوات الشرف والعقل والجَمال، تزوّجها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وأصبحت إحدى أُمّهات المؤمنين.

انظر: المغازي للواقديّ ٢: ٥٣٠، المؤتلف والمختلف للدارقطنيّ ٢: ٧٨٦، سيرة ابن هشام ٢: انظر الفهرس، أعلام القرآن: ٥١٩ و٣٣٣.

(٢) كعب بن أشرف، من كبار اليهود، وأحد رؤوس الكفر، حرَّض المشركين على المسلمين بعد وقعة بدر، شَبَّبَ بنساء المسلمين، قتله المسلمون في عُقْر داره عام ثلاث للهجرة.

مبهمات القرآن ١: ١٢٢، السيرة النبويّة، لابن هشام: أُنظر الفهرس، أعلام القرآن: ٨٢٣، تاريخ الطبريّ ٢: ٥٢، تاريخ ابن الأثير ٢: ١٤٣.

(٣) مع كثرة التتبّع، لمصادر ما قبل الشيخ، لم نجدها فانفراد الشيخ رحمه الله بروايتها وارد وعن مصادره المفقودة فعلاً وما أكثرها.

هذا، وقد أشارت بعض التفاسير لذلك وانظر تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١: ١٠٢، وتفسير بحر العلوم ١: ١١٤، وتفسير الوسيط ١: ١٢٨، وكذا تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٧٢.

(٤) سورة المؤمنون ٢٣: ١١٧.

﴿ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[١] وإنّما أراد أنّ قتلهم لا يكون إلّا بغير حقّ، ونظائر ذلك كثيرة. ومثله قول الشاعر:

عَلىٰ لاحِبٍ لا يُهْتَدىٰ بِمَنارِهِ ....[٢] [١٨٦]

وإنّما أراد: لا منار هناك فيُهتدى به. ولذلك نظائرٌ نذكرها إذا انتهينا إليه إن شاء الله.

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آية (٤٢) آية واحدة بلا خلاف.

اللَّبْس والسَّتْر والتَّغْطِيَة والتَّعْمِيَة نظائر.

والفرق بين التَّعْمِيَة، والتَّغْطِيَة: إنّ التَّعْمِيَة قد تكون بالنّقصان والزيادة. والتَّغطية تكون بالزيادة.

وضدّ السَّتْر: الكَشْف. وضدّ اللَّبْس: الإيضاح.

يقال: لَبَسَ لَبْساً. وألبَسَه إلباساً. والتَبَسَ التِباساً. وتَلَبَّسَ تَلَبُّساً. ولَبَّسَهُ تَلْبِيساً ولابَسَهُ مُلابَسَةً.

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٢١.

(٢) من قصيدة رائية لامرئ القيس، قالها عندما استنجد بقيصر على بني أسد، وتمامه:

.... إذا سافَهُ العَوْدُ النَّباطِيّ جَرجَرا

المعنى: اللاحب: الطريق. المنار: العلم.

يريد: إنّه طريق لا علم فيه ولا منار يُهتدى به فهو طريق غير مسلوك.

الشاهد فيه: ما أشار إليه الشيخ ﷺ.

الديوان تحقيق: محمّد أبو الفضل: ٥٦ ق ٤ ب ٣٧.

واللِّباسُ : ما وارَيْتَ بهِ جَسَدَكَ . ولِباسُ التَّقْوى : الحياء . والفعل : لَبِسَ يَلْبَسُ .

واللَّبْسُ : خَلْطُ الأُمُورِ بَعْضَها بِبَعْض إذا الْتَبَسَتْ .

واللَّبُوسُ : الدُّرُوعُ ، وكُلُّ شَيءٍ تَحَصَّنْتَ بِهِ فهو لَبُوس ، قال الله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾[1] . قال الشاعر :

الْبَسْ لِكُلِّ حالةٍ لَبُوسَهَا

إمّا نَعِيمَها وإمّا بُوسَها[2] [١٨٧]

وثَوْبٌ لَبِيسٌ ، وجمعه : لُبُس . واللِّبْسَةُ : ضَرْبٌ مِنَ اللِّباسِ . والفِعْلُ : لَبِسَ يَلْبَسُ ؛ لُبْساً ، ولُبْسَةٌ واحدة .

ويقال : لَبَسْتُ الأَمْرَ أَلْبِسُهُ : إذا عَمَّيْتَهُ . ومنه قوله : ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ﴾[3] . ولابَسْتُ الرَّجُلَ مُلَابَسَةً : إذا عَرِفْتَ دَخْلَتَهُ . وفي فُلانٍ مَلْبَسٌ :

---

(١) سورة الأنبياء ٢١ : ٨٠ .

(٢) بيت رجز مفرد ، أُرسِلَ مثلاً ، قائله جاهليّ يسمّى بهيس الفزاريّ والملقّب بنُعمامة ، وقصّته : إنّه قُتل له سبعةُ إخوةٍ ، فجعل يُحَمِّق نفسه ويلبس القميص مكان السروال ، والعكس ، ويخرج سوءته ، فإذا سُئل عن ذلك أجاب بالبيت وأرسله مثلاً . وقد توصّل بهذه الحالة والحيلة إلى طلب قَتَلَة إخوته وقتلهم وجمعاً غيرهم .

الشاهد فيه : إنّ أصل لبوس هو اللِّباس أو ما يُلبس ، وبه اسْتُشهد في كتب اللُّغة لمحلّ الشاهد .

انظر : شرح الحماسة للمرزوقيّ ٢ : ٦٥٩ ، وشرحها للتبريزيّ ٢ : ١٠٢ ومفصّلاً مع القصّة في خزانة الأدب للبغدادي ٧ : ٢٩٦ .

ومن كتب اللُّغة : العين ٧ : ٢٦٢ ، الصحاح ٣ : ٩٧٤ ، لسان العرب ٦ : ٢٠٣ .

ومن كتب الأمثال : جمهرة الأمثال ١ : ١٩٧ ت ٢٣٤ ، المستقصى ١ : ٣٠٤ ت ١٣٠٨ ، وغيرها .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ٩ .

إذا كان فيه مُسْتَمْتَعٌ . وفي أَمْرِهِ لُبْسَةٌ ، أي : ليس بواضحٍ[١] .

وأصل اللَّبسِ : السَّتْرُ : قال الأخطل[٢] :

وَقَـدْ لَـبِسْتُ لِـهذا الدَّهْـرِ أعْـصُرَهُ ... حَتّى تَجَلَّلَ رَأْسِي الشَّيْبُ فاشْتَعَلا[٣] [١٨٨]

والفرق بين اللَّبْسِ والإخْفاءِ والرَّيْب والإشْكال :

إنّ الإخْفاء: يمكنُ أنْ يُدركَ معه المعنى. ولا يمكن إدراك المعنى مع اللّبس.

والرَّيْبُ : معه تُهْمَةٌ للمْشكُوكِ فيه .

والإشكال : قد يُدْرَك معه المعنى ، إلّا أنّه بصعوبة ؛ لأجْل التَّعْقِيد .

وأسباب الإلباس كثيرة :

منها : الاشتراك .

ومنها : الاختلاف .

---

(١) «لَبَسَ» لغة تجدها في : العين ٧ : ٢٦٢ ، جمهرة اللُّغة ١ : ٣٤١ ، تهذيب اللُّغة ١٢ : ٤٤٢ ، المحيط في اللُّغة ٨ : ٣٢٩ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٥١٠ ، الصحاح ٣ : ٩٧٣ ، لسان العرب ٦ : ٢٠٢ .

(٢) أبو مالكٍ ، غياث بن غوث بن الصَّلْت التغلبيّ شاعر نصرانيّ مُجيد ، من شعراء الدولة الأُمويّة ، أكثر من مدح ملوكها حتّىٰ هجا الأنصار بسببهم وتحريضهم .
اشتهر بالمهاجاة لجرير والفرزدق وهُما لَه .
انظر طبقات فحول الشعراء ٢ : ٢٩٨ ت ٣٩٠ والفهرس ، الشعر والشعراء ١ : ٤٨٣ ـ ٤٩٦ ت ٨٧ ، جمهرة أنساب العرب ١ : ٣٠٥ ، تاريخ الإسلام للذهبيّ (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠هـ) : ٢٨٤ ت ٢٠٨ .

(٣) من قصيدة يمدح فيها مَصْقَلَةَ بن هُبَيْرة الشيبانيّ .
المعنى : لقد تحمّلت من هذا الزمان واختلاف الأيّام ـ مرّها وحلوها ـ والشدائد والمحن حتّىٰ جَلَّلَ رأسي الشيب .
الشاهد فيه : استعمال كلمة : «لَبِسْتُ» وإرادة التستّر منها .
انظر : الديوان : ١٤٢ .

ومنها: الاختزال، وهو: حذف مقدمه أو شرطه أو ركنه.

ومنها: الاختلاط.

واللَّبس، وهو: المنع من إدراك الحقّ تشبيهاً بما منع من إدراكه بالسَّتْر والتَّغطية. ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام للحارث بن حوت[١]: «يا حار، إنّه مَلْبُوسٌ عليك. إنّ الحقَّ لا يُعرفُ بالرِّجالِ. اعْرِفِ الحقّ تَعْرِفْ أَهْلَه»[٢].

والبُطلانُ والفَسادُ والكِذْبُ والزُّورُ والبُهْتانُ نظائر.

وضِدّ الحقّ: الباطِل. يقال: بَطَلَ بُطُولاً، وبُطْلاً وبُطْلَاناً: إذا تَلَفَ. وأَبْطَلْتُهُ إبْطالاً: إذا أَتْلَفْتُهُ. والبَطَلُ والباطِلُ واحد.

وبَطُلَ الرَّجُلُ بُطُولَةً إذا صار بَطَلاً. ويقال: رَجُلٌ بَطَلٌ. و(لا)[٣] يقال:

---

(١) اختلفت مصادر التراجم والحديث والنّسخ في ضبطه، بين: خوط، حوط، حوت وإلىٰ كلٍّ ذهب جمع، وعلىٰ كلٍّ: هو الجدّ الأعلىٰ للحارث الأعور أبي زهير الهَمْدانيّ من أولياء وخواصّ أمير المؤمنين عليه السلام أشهر وأعرف من أن يعرّف بشيء، كان من أفقه الناس وأعلمهم خصوصاً في الفرائض والحساب والقراءة، تكلّم فيه بعض أصحاب التراجم والجرح على ما هو ديدنهم في رجالات الشيعة خصوصاً أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. مات عام: ٦٥هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ١: ٤٣٥ ت ١٦٢٧، تهذيب التهذيب ٢: ١٢٦، النجوم الزاهرة ١: ١٨٥، اختيار معرفة الناقلين: ٨٨، تنقيح المقال ١٧: ٤٥ ت ٤٣٣٤، سيَر أعلام النبلاء ٤: ١٥٢ ت ٥٤ ومصادره، غاية النهاية في طبقات القرّاء ١: ٢٠١. وغيرها كثير.

(٢) قطعة من حديث طويل تجده في أنساب الأشراف (بتحقيق الشيخ المحموديّ) ٢: ٢٣٨ ت ٢٦٩ و٢٧٤ ت ٣٥٨، وتاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢١٠، ورواه الشيخ المفيد في أماليه: ٣ م١ ح٣، والشيخ الطوسيّ في أماليه: ٦٢٦ قطعة من الحديث ١٢٩٢ من المجلس ٣٠، البيان والتبين ٣: ٢١١، نثر الدّر للآبي ١: ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٣) هكذا الخطيّات مؤيّدة بالجمهرة عن أبي زيد.

امرأة بَطَلَةٌ . وبَطِلَ بَطالَةً : إذا هَزَلَ ، وكان بَطّالاً . والأَباطِيل : جمع إِبْطالَة وأُبْطُولَة .

والباطِلُ : ضِدّ الحقّ .

وأَبْطَلْتُهُ : جَعَلْتُه باطِلاً . وأَبْطَلَ فُلانٌ : إذا جاء بِباطِلٍ .

والبَطَلُ : الشّجاعُ الذي يُبْطِلُ جُراحاتِه ، لا يَكْتَرِثُ لها ، ولا تَكُفُّهُ عَنْ نَجْدَتِهِ .

وأَصْلُ الباطِلِ : الخَبَرُ الكَذِب . ثُمّ كَثُرَ حتّى قِيلَ لِكُلّ فاسِدٍ .

ويقال : فِعْلٌ باطِلٌ ، أيْ : قَبِيحٌ . وبِناءٌ باطِلٌ ، أي : مُنْتَقِض . وزَرْعٌ باطِلٌ ، أي : مُخْتَرِقٌ تالِفٌ[1] .

ومعنى لَبْسهم الحقّ بالباطل : إنّهم آمنوا ببعض الكتاب ، وكفروا ببعض ، فخلطوا الحقّ بالباطل ؛ لأنّهم جحدوا صفة النبيّ صلى الله عليه وآله فذلك الباطل ، وأقرّوا بغيره ممّا في الكتاب .

(ويحتمل أن يكون لأجل تحريفهم الكلم عن مواضعه ، فتحريفهم باطل ، وتركهم ما في الكتاب)[2] على ما هو به حقّ .

وقال ابن عبّاس : لا تخلطوا الصِّدق بالكذب .

وقال الحسن : كتموا صفة محمّد صلى الله عليه وآله ودينه ، وهو الحقّ . وأظهروا

وأمّا : المخصّص ، المجمل ، اللّسان ، المحكم ، الصّحاح فقد حذفت «لا» .
وأمّا : العين والتهذيب فلم تتعرّض للتأنيث .
وانظر : مصادر الهامش الآتي .

(١) «بَطَلَ» تجدها في : العين ٧ : ٤٣٠ ، جمهرة اللّغة ١ : ٣٥٩ ، تهذيب اللّغة ١٣ : ٣٥٤ ، المحيط في اللّغة ٩ : ١٨١ ، الصحاح ٤ : ١٦٣٥ ، المخصّص ٢ : ٧٥ ، المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ١٧٧ ، مجمل اللّغة ١ : ١٢٨ ، لسان العرب ١١ : ٥٦ .

(٢) الجملة زيادة من «خ» .

دين اليهودية والنصرانية .

وقال ابن زيد : الحقّ : التوراة التي أنزلها الله على موسى . والباطل : ما كتبوه بأيديهم .

واللَّبْس في الآية : قيل معناه : التعمية . وقيل : خَلْطُ الحقّ بـالباطل ، عن ابن عبّاس . ومنه قوله : ﴿**وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ**﴾[١] أي : لخلطنا عليهم ما يخلطون .

قال العجاج :

لَمّا لَبَسْنَ الحَقّ بالتَّجَنِّي

غَنِيْنَ واسْتَبْدَلْنَ زَيْداً مِنِّي[٢] **[١٨٩]**

وقال بعضهم : الحقّ : إقرارهم بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله مبعوث إلى غيرهم . والباطل إنكارهم أن يكون بُعث إليهم[٣] .

وهذا ضعيف ؛ لأنّه إن جاز ذلك على نفر يسير ، لم يجز على الخلق الكثير ، مع إظهار النبيّ صلى الله عليه وآله وتكذيبهم فيه ، وإقامة الحجّة عليهم .

---

(١) سورة الأنعام ٦ : ٩ .

(٢) البيت : ٥ من القصيدة الرجزيّة : ١٦ في الديوان ١: ٢٧٨ .

المعنى : لَبَسْنَ : خَلَطْنَ . غَنِين : استغنى عن الحاجة : طَرَحها وسقطت من عينه ، ولم يعرها اهتماماً .

الشاهد : استعمال «لَبَس» وإرادةُ الخَلْطِ والتَعْمِيةِ منها . أي : لَبَسْن : خلطن وَعمَّيْنَ .

(٣) أُشير إلى الآراء متفرّقة ومجتمعة في : تفسير الحسن البصريّ «جمع» ٢ : ٤٥ ت ٥١ ، تفسير محمّد بن إسحاق «جمع» : ٢٢ ، السيرة النبويّة ٢: ٣٦ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٠١ معاني القرآن وإعرابه ١ : ١٢٤ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٩٨ ت ٤٥٤ ، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١ : ١٠٢ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ٧٢ ، تأويلات أهل السنّة ١ : ٤٦ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٢ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١٤ ، تفسير الوسيط ١ : ١٢٨ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٠٠ .

وقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ﴾ يحتمل أمرين من الإعراب:

أحدهما: الجزم على النهي، كأنّه قال: لا تلبسوا الحقّ، ولا تكتموه.

والآخر: النصب على الظرف، كأنّه قال: لا تجمعوا اللّبس والكتمان. كما قال الشاعر:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتيَ مِثْلَهُ عارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ[1] [١٩٠]

ومثله: لا يسعني شيء، ويعجز عنك، أي: (لا تجتمع السعة لي والعجز عنك)[2].

وعند الخليل وسيبويه، والأخفش، يُنتصب مثل ذلك بإضمار «أن». ويكون تقدير الكلام: لا يكنْ منكم لَبْس الحقّ وكتمانه. ودلّ ﴿تَلْبِسُوا﴾

---

(١) بيت شعر كثير التداول في كتب النحو والأدب والأخلاق وغيرها، متنازع على نسبته لعدد من الشعراء، منهم: أبو الأسود الدؤليّ، والمتوكّل الليثيّ، والأخطل، وسابق البربريّ، وحسّان، والأعرابيّ، والطرمّاح، والأعشى.

تتردّد النسبة بين الدؤليّ والليثيّ؛ لاتّساق (٣٠) بيتاً في قصيدة للأوّل و(٦) أبيات في مقطوعة للثاني.

المعنى: إذا أردت النُّصح بترك خُلق أو خَلّة فينبغي أن تكون تاركاً لها غير متّصف بشيء منها، وإلّا عُدَّ ذلك منك عجزاً ولحقك عار عظيم ولم يؤثّر نصحك.

الشاهد فيه: نصب «تأتي» بـ«أنْ» مضمرة، والعطف يؤدّي معنى الجمع.

انظر: ديوان أبي الأسود الدؤليّ: ٤٠٣ ق ٦٩ ب ٩، ديوان المتوكّل اللّيثيّ: ٢٨٣، المقطوعة ٥ ب ٦ من القسم الثالث ممّا ينسب له ولغيره، والتخريج لها فيهما.

ولاحظ: الجمل في النحو: ٦٨ ومصادره في الهامش، الكتاب ٣: ٤٢، شرح أبيات سيبويه للنحّاس: ٢٦١ ت ٥٨٠، النكت في شرح الكتاب ١: ٧١٧، الأغاني ١٢: ١٦٥، المستقصىٰ في الأمثال ٢: ٢٦٠ ت ٩٠٤، خزانة الأدب للبغدادي ٨: ٥٦٤ ش٦٧١، وأغلب كتب النحو وشرح شواهدها.

(٢) بين القوسين ساقط من «هـ، ؤ».

على اللَّبس و﴿تَكْتُمُوا﴾ على الكتمان[١].

كما تقول: من كذِب كان شرّاً له، فكذب دلَّ على الكذب، فكأنّه قال: من كذِب كان الكذب شرّاً له.

قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

قال قوم: هو متوجّه إلى رؤساء أهل الكتاب؛ ولذلك وصفهم بأنّهم يحرّفون الكلم عن مواضعه للتلبيس على أتباعهم. قالوا: وهذا تقْبيحٌ لما يفعلونه.

وكذلك قوله: ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ أي: تتركون الاعتراف به وأنتم تعرفونه، أي: تجحدون ما تعلمون. وجَحْدُ المعانِد أعظم من جَحْدِ الجاهل.

ومن قال هذا، لا يلزمه ما يتعلّق به أهلُ (المعارف)[٢]، من هذه الآية، من قولهم: إنّ الله أخبر أنّهم يكتمون الحقّ وهم يعلمون؛ لأنّه إذا خصّ الخطابَ بالرؤساء ـ وهم نفر قليل ـ فقد جوّز على مثلهم العناد والاجتماع على الكتمان. وإنّما يمنع ذلك في الجماعة الكثيرة، لما يرجع إلى العادات، واختلاف الدواعي. كما قيل في الفرق بين التواطئ والاتّفاق في العدد الكثير.

وقال بعضهم: معناه: وأنتم تعلمون البعثَ والجزاءَ.

فإن قيل: كيف يصحّ ذلك على أصلكم الذي تقولون به: إنّ من عرف اللهَ تعالى لا يجوز أن يُكَفَّر؟ وهؤلاء إذا كانوا كفّاراً، وماتوا على

---

(١) انظر لآرائهم علىٰ التوالي: الجمل في النحو: ٦٨، الكتاب ٣: ٤٤، معاني القرآن ١: ٢٢١.

(٢) في النسخ «التعارف» ولم نعرف له محصّلاً، والمثبت من «خ».

كفرهم. كيف يجوز أن يكونوا عارفين بصفة محمّد صلى الله عليه وآله، وأنّه حقّ، بما معهم من التوراة. وذلك مبنيّ على معرفة الله، وعندكم أنّهم ما عرفوا الله؟

قلنا: إنّ الذي يمنع من أن نُكفّر من عرف الله تعالى، إذا كانت معرفته على وجه يستحقّ بها الثواب، فلا يجوز أن يُكفَّر؛ لأنّه يؤدّي إلى اجتماع الثواب الدائم على إيمانه، والعقاب الدائم على كفره. والإحباط[1] باطل. وذلك خلاف الإجماع.

ولا يمتنع أن يكونوا عرفوا الله تعالى على وجه لا يستحقّون به الثواب؛ لأنّ الثواب إنّما يُستحقّ، بأن يكونوا نظروا من الوجه الذي وجب عليهم. فأمّا إذا نظروا بغير ذلك، فلا يستحقّون الثواب، فيكونوا على هذا عارفين بالله تعالى وبالكتاب الذي أنزله على موسى، وعارفين بصفات النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لكن لا يكونوا مستحقّين للثواب. وعلى هذا يجوز أن يُكَفَّروا.

وفي الناس من قال: استحقاقُهم للثواب على إيمانهم مشروط بالموافاة[2]. فإذا لم يوافوا به لم يستحقّوا الثواب.

---

(١) الإحباط: سواء أُريد منه الإبطال أو الإنقاص من المتقدِّم بسبب المتأخِّر فالكلام حوله طويل نفياً أو إثباتاً، فالإحالة على مصادر الاختصاص أفضل، انظر من الشيعة: الذخيرة للشريف: ٣٠٤، الاقتصاد: ١١٧، كشف المراد للعلّامة: ٤٢٩، اللّوامع الإلهيّة للسيوري: ٤٣٦، محاضرات في الإلهيّات للشيخ السبحانيّ بقلم الشيخ حسن مكيّ العامليّ ٤: ٣٦٣، المعجم في فقه لغة القرآن ١٠: ٦٦٦ - ٧٠٣.
ومن العامّة: شرح الأُصول الخمسة: ٦٢٦، الإرشاد للجويني: ٣٢٤، محصل أفكار المتقدّمين: ٣٤٢، شرح المواقف ٨: ٢٠٩، شرح المقاصد ٥: ١٤٠. وانظر: شرح المصطلحات الكلامية ٨ ت ٣٧.

(٢) اُختلف في معناها، والمراد منها بين المسلمين بما يرجع حاصله إلى أنّ الموافاة: بقاء الإنسان على الإيمان بالباري ومعرفته معرفة تامّة بلواحقها من أُصول الدين - العدل والنبوّة والإمامة و - والثبات عليها وعلىٰ فعل الطاعة إلىٰ آخر حياته وموته.

فعلى هذا أيضاً يجوز أن يكونوا عارفين وإن لم يكونوا مستحقّين لثواب يبطل بالكفر.

والمعتمد الأوّل.

وقال قوم: الآية متوجّهة إلى المنافقين منهم. وكأنّ خَلْطهم الحقّ بالباطل: ما أظهروا بلسانهم من الإقرار بالنبيّ صلى الله عليه وآله بما يستبطنونه من الكفر.

وهذا يمكننا الاعتماد عليه، ويكون قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ معناه: أنّكم تعلمون أنّكم تُظهرون خلاف ما تُبطنونه.

وهذا أسلم من كلّ وجه على أصلنا.

ويمكن أن يقال: معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: عند أنفسكم؛ لأنّهم إذا كانوا يعتقدون أنّهم عالمون بالتوراة، وبأنّها من عند الله، وفيها ذكر النبيّ، فهم عالمون عند أنفسهم بنبوّته؛ لكن يكابرون.

قوله تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ آية (٤٣)

آية بلا خلاف.

هذا، وقد اختلف المسلمون فيها إثباتاً ونفياً وكيفيّةً وشرطاً. وتفصيل ذلك يطول فالإحالة على المصادر أفضل. اُنظرها ضمن بحث الثواب، الموازنة، الجزاء، الوعد والوعيد و....

وللتسهيل ينظر: أوائل المقالات: ٩٧، إرشاد الطالبين: ٤١٩، اللوامع الإلهيّة: ٤٣٦، كشف المراد: ٤٣٨، مناهج اليقين: ٣٥١.

مقالات الإسلاميّين: ١٠٠، الفِصَل في المِلَلِ والأهواء والنِّحَل ٤: ٥٨، وغيرها كثير، وانظر: شرح المصطلحات الكلامية: ٣٥٤ ت ١٢٨٢.

الصلاة في أصل اللُّغة: الدعاء. قال الأعشى:

عَلَيْكِ مِثْلُ الّذي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي نوماً، فإنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعَا[1] [١٩١]

أي: دَعوتِ. وقال آخر:

[٧٠] وَقابَلَها الرِّيحُ في دَنِّها وَصَلّى عَلى دَنِّها وارْتَسَم

أي: ودعا.

وقيل: أصلها: اللّزوم. من قول الشاعر:

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُناتِها عَلِمَ اللهُ وإنّي لِحَرِّها اليَوْمَ صالِ[2] [١٩٢]

أي: ملازم لحرِّها.

وكأنّ معنى الصّلاة: ملازمةُ العبادة على الحدّ الذي أمر الله عزّ وجلّ به.

وقيل: أصلها: الصَّلا، وهو: عظْم العَجُز؛ لرفعه في الركوع والسجود، من قول الشاعر:

---

(١) من قصيدة يمدح فيها هوذة بن عليّ الحنفيّ في الديوان: ١٥١، ق ١٣ ب ١٢ منها.
المعنى: دعت البنت لأبيها في بيت أسبق قائلة: - يا ربِّ جنِّب أبي الأوصاب والوجعا - فأجابها الأب بدعاء مثله وطمأنها أنْ ليس للإنسان بدّ من الموت - فإنّ لجنب المرء - وإنّه لا يصيبه إلّا ما كتب له.
الشاهد: قوله: «صَلَّيت» أي: دعوت.

(٢) من مقطوعة للحارث بن عبّاد بن ضبيعة، وكان قد اعتزل حرب البسوس بين ابني وائل، حتّىٰ قتل ابن أخيه بجير بن جبلة غيلة - في قصّة مذكورة - اضطرّ علىٰ إثرها خوض الحرب مع بني بكر ضدّ بني تغلب وكان ما كان، وسمّي ذلك اليوم بيوم التحاليق؛ لحلق بني الحارث رؤوسهم.
المعنى: يصرِّح الشاعر بأنّه لم يكن من بغاة الحرب ولا من مسبّبيها، ولا رأي له فيها، ولكن دُفِع لخوضها لمّا قتل ابن أخيه بجير بلا سبب.
الشاهد: ما أشار إليه الشيخ ﷺ.
انظر: الحماسة البصريّة ١: ١٦ ت٣٧، الأغاني ٥: ٤٧، ذيل الأمالي: ٢٦ الأصمعيّات ٧٠ ت ١٧، الاقتضاب ٣: ٣٦٥ ت ٣١٦، الكامل في الأدب ٢: ٧٧٦، الحيوان ١: ٢٢، سِمط اللآلي ٢: ٧٥٧، تاريخ الأدب العربيّ ١: ١٢٧.

فــآبَ مُـصَلُّوهُ بـعينٍ جَـلِيَّةٍ   وَغُودِرَ بالجَوْلانِ حَزْمٌ ونائِلُ[(١)] [١٩٣]

أي: الذين جاؤوا في صَلا السابق.

والقول الأوّل أقرب إلى معنى الصلاة في الشرع.

وقد بيّنا معنى إقامة الصلاة فيما مضى[(٢)]، فلا وجه لإعادته.

وقوله: ﴿وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ﴾:

فالزّكاة والنّماء والزيادة نظائر في اللُّغة.

ونقيض الزّيادة: النّقصان.

يقال: زَكا، يَزْكُو زَكاءً. وتزَكّى تزكّياً، وزكّاه تَزْكِيَةً.

قال صاحب العين: الزّكاةُ، زَكاةُ المالِ، وهو تَطْهِيرُهُ. والفعل منه: زَكّى يُزَكّي تَزْكِيَةً. والزَّكاةُ: زكاة الصلاح[(٣)]. تقول: رَجُلٌ تَقِيٌّ زَكِيٌّ. ورجال أتْقِياءُ أزْكِياءُ.

والزرع: يَزْكُو زَكاً، ممدود. وَكُلُّ شَيءٍ يزداد وينمىٰ، فهو: يَزْكو زَكاءً.

وتقول: هذا لا يَزْكُو بِفُلانٍ، أي: لا يليقُ به. قال الشاعر:

---

(١) البيت للنابغة الذُّبيانيّ من قصيدة يرثي بها النعمان بن الحارث الغسّانيّ. الديوان: ١١٥ ق ٢٢ ب ٢٥.

المعنىٰ: آب: رجع. مُصَلُّوه: الثاني. بعين جَلِيَّة: خبر صدقٍ ويقين بموت النعمان. غُودِرَ: تُرك. الجولان: موضع بالشام. حزم ونائل: أي رجل ذو حزم وعقل وعطاء.

المعنى: رجع أوّل القوم بخبر دفن أو ترك رجل الحزم والعطاء في منطقة الجولان ولم أتمكنّ من التصديق إلّا بعد مجيء الثاني.

الشاهد: ما أشار إليه الشيخ المصنِّف ﷺ.

(٢) تقدّم ضمن تفسير الآية ٣.

(٣) في المصدر: والزكاة: الصلاح، ولعل له وجه، والمثبت من النسخ مدعوماً بالمحكي عن المصدر في المخصّص ٦: ١٢٤.

المـالُ يَـزْكُـو بِكَ مُسْـتَكْثِراً يَـخْتالُ قَـدْ أَشْـرَقَ لِلـنّاظِرِ[(١)] [١٩٤]

ومصدره الزَّكاء مَمْدُودٌ .

ويقال : إنّ فُلاناً لَزَكَاءَ النَّقْدَ ، أي : حاضِرُهُ وعَتِيْدُهُ

والزّكىٰ : الشَّفع ، مَقْصُورٌ[(٢)] ، قال الشاعر :

كانُوا خَسَاً أَوْ زَكاً مِنْ دُونِ أَرْبَـعَةٍ لَمْ يَخْلَقُوا وَجُدُودُ النّاسِ تَعْتَلِجُ[(٣)] [١٩٥]

والخَسَا[(٤)] : الوِتْر .

وأصل الباب : النُّمُوّ ، والزَّكاةُ تُنْمِي المالَ بالبَرَكَةِ التي يَجْعَلُ الله فيه .

وسُمِّي بالزكاة في الشريعة : ما يَجِبُ إخْراجه عن المالِ ؛ لأنَّهُ نِـماءٌ

---

(١) لم تثبت نسبته لشاعر ، استشهد به : الفراهيديّ في العين ٥ : ٣٩٤ ، والأزهريّ في التهذيب ١٠ : ٣٢٠ ، وابن منظور في اللّسان ١٤ : ٣٥٨ .

الشاهد فيه : استعمال «يزكو» وإرادة النّماء والكثرة منه .

(٢) مصادر اللّغة لمادتي «زكا ، زكاء» مشتركة غالباً ، ينظر لهما : العين ٥ : ٣٩٤، وجمهرة اللُّغة ٢ : ٨٢٥ و١٠٧١ ، تهذيب اللُّغة ١٠ : ٣١٩ ، المحيط في اللُّغة ٦ : ٣٠٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ٧: ١٢٦، المخصّص ٦ : ١٢٤ ، الصحاح ٦ : ٢٣٦٨ ، لسان العرب ١٤ : ٣٥٨ ، مجمل اللُّغة ٢ : ٤٣٧ ، معجم مقاييس اللُّغة ٣ : ١٧ ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ٣٨٠ ، عمدة الحفّاظ ٢ : ١٤٢ ، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢ : ١٨٦ ، تاج العروس ١٩ : ٤٩٤ .

(٣) لم ينسب لدى أغلب من استشهد به ، وبعضهم نسبه إلى الفرّاء ، وفي واللِّسان نِسْبَتُهُ إلى الدُبَيْرِيّة .

المعنى : الخسا : الفرد أو الوتر . زَكا : الزَّوج أو الشَّفع ، تعتلج : يصطرع بعضُها مع بعض ، أو : تشتبك ، أو : ترتفع ، من اعتلجت الأرض ، إذا طال نبتها واشتبك .

انظر : المقصور والممدود : ٦٨ ، والمنقوص والممدود : ٣٥ وهما للفرّاء ، تهذيب اللُّغة ٧ : ٤٨٥ ، الزاهر في معاني كلمات الناس ٢ : ١٨٧ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٠٣ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٣٤٣ ، لسان العرب ١٤ : ٢٢٨ .

(٤) يختلف ضبط آخر الكلمة حسب المراد منها ، على ما هو الملاحظ من مصادر اللّغة ، إذ لكلٍ معنى . وعلى أيّ إضافة لمصادر الهامش الثاني ينظر : العين ٤ : ٢٨٨ ، جمهرة اللُّغة ٢ : ١٠٥٤ ، تهذيب اللُّغة ٧ : ٤٨٣ ، الصحاح ٤ : ٣٨٤ .

ما ينقى. ويُثْمِر. وقيل: بل مَدْحٌ لما يَنْقىٰ؛ بأنه زَكِيٌّ، أي: مُطَهَّر. كما قال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾[١] أي: طاهرة.

وقوله: ﴿وَٱرْكَعُوا﴾:

فالركوع، والانحناء، والانخفاض نظائر في اللُّغة. يقال: ركع، ورفع. قال الشاعر:

[١٩٦]

لا تُـهِينَ الفَـقِيرَ عَـلَّكَ أَنْ ... تَرْكَعَ يَوْماً وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ[٢]

قال ابن دريد[٣]: الراكِعُ: الذي يَكْبُو على وَجْهِه. ومنه: الركوع في

---

(١) سورة الكهف ١٨: ٧٤.

(٢) للأضبط بن قريع السعديّ جاهليّ، فُقد شعره، والمتوفّر لدى الرواة منه تسعة عشر بيتاً موزّعة على خمسة مقاطع، منها: العينية الحكمية هذه وفيها يقول:

لِكُـلِّ هَـمٍّ مـن الهُـمومِ سَـعَةْ ... والمُسْى والصُّبح لا فَلَاحَ مَعَه

ما بالُ مَـنْ سَـرّه مُـصابُك لو ... يَمْلِك شـيئاً مـن أمْـرِه وَزَعَـه

أذُود عــن حَـوْضه وَيَـدْفَعُني ... يا قَوْمِ مَنْ عاذري من الخُدَعه

حتّىٰ إذا مـا ٱنجلت عَـمايَتُه ... أقْـبَلَ يَـلْحِى، وَغَـيُّه فَـجَعَه

قـد يـجمع المـالَ غـيرُ آكِـلِه ... ويأكلُ المالَ غيرُ مَـنْ جَـمَعَه

فاقْبَلْ من الدّهـر مـا أتـاك بـهِ ... مَـنْ قَـرَّ عَـيناً بِـعَيْشِه نَـفَعَه

وصِلْ حِبالَ البعيدِ إن وَصَلَ الـ ... ـحبلَ واقِصِ القريبَ إنْ قَطَعَه

ولا تُـهِينَ الفـقيرَ عَـلَّكَ أنْ ... تَرْكَعَ يوماً والدّهْرُ قـد رَفَـعَه

المعنى واضح. والأضبط: هو الذي يعمل بكلتا يديه باليسرى كاليمنى.

الشاهد فيه: «تركع» بمعنى تكبوا أو تنحني.

وقد اختلف في ضبط بعضها ولا يضرّ، انظر: البيان والتبيين ٣: ٣٤١، أمالي القالي ١: ١٠٧، الحماسة الشجريّة ١: ٤٧٣ ت ٣٩٥، الحماسة البصريّة ٢: ٢، الأغاني ١٨: ١٢٩، خزانة الأدب للبغدادي ١١: ٤٥٠ ش ٩٥٤، الشعر والشعراء ١: ٣٨٢ ت ٥٤، العقد الفريد ٢: ٣١٥، مجموعة المعاني: ٣١٩، عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢٤٧، شرح الحماسة للمرزوقيّ ٣: ١١٥١، المعاني الكبير ١: ٤٩٥، المقرب: ٣٦٩، الإنصاف ١: ٢٢١، شرح المفصّل ٩: ٤٣، الكامل ٢: ١٣٦، وغيرها.

(٣) في النسخ «وَ، هـ، س، حجري»: ابن زيد، والمثبت من «خ» هو الصحيح؛ ⇦

الصلاة . قال الشاعر :

وَأفْـلَـتَ حـاجِبٌ فَـوْقَ العَـوالِـي   عَلى شَقَّاءَ تَـرْكَـعُ فـي الظِّـرابِ[١] [١٩٧]

والرُّكْعَةُ : الهُوَّةُ في الأرض . لغةٌ يمانِيّة[٢] .

وقال صاحب العين : كلُّ شَيءٍ يَنْكَبُّ لَوَجْهِهِ ، فَتَمَسُّ رُكْبَتيْه الأرْضَ أو لا تَمَسُّها ، بَعْدَ أنْ يُطَأطِئ رَأْسَهُ فهو راكِعٌ . قال الشاعر :

ولكِـنّي أَنُـصّ العِـيسَ تَـدْمى   أيـاطلها وَتَـرْكَـعُ بـالحَزُونِ[٣] [١٩٨]

بدليلين : أولاً : لوجود النصّ كاملاً في الجمهرة ، وثانياً . نسب المؤلّف ذلك في المُفْصِح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام المطبوع ضمن (الرسائل العشر) : ١٣٢ ، إلى ابن دريد .

(١) لبشر بن أبي خازم الأسديّ ، قاله يوم النِّسار . هذا وفي ضبط عجزه اختلاف كثير بين المصادر والديوان .

المعنى : الشاعر يهجو رئيس بني تميم ـ حاجب ـ وإنّه انهزم في الحرب ولم يصمد .

أفلت : انهزم . حاجب : هو ابن زرارة رئيس تميم يوم النِّسار . العوالي : الرِّماح . شقّاء : المنبسطة الطويلة . تركع : تكبو على وجهها . الظِّراب : جمع لما ارتفع من الأرض ولم يبلغ الجبل ، أي : التلال والرَّوابي .

الشاهد فيه : استعمال «تركع» بمعنى الكبو على الوجه .

الديوان : ٢٠ ، بيت ١٨ قصيدة ٤ . وانظر : ديوان النقائض ١ : ٢٠٩ ، الملاحن : ١١١ ، مجاز القرآن ١ : ٥٤ ، جمهرة اللُّغة ٢ : ٧٧٠ ، لسان العرب ٨ : ١٣٣ . وفيها اختلاف في بعض ألفاظه .

(٢) جمهرة اللُّغة ٢ : ٧٧٠ . وانظر المصادر اللغوية في الهامش ٢ الآتي.

(٣) للطِرِّماح الطائي ، ب٣٥ ق ٣٥ في الديوان : ٢٨٩ .

النَّصُّ : استفراغ غاية القدرة والأمر على الشيء ، وهنا : السير السريع ، بل أشدّ السير وأسرعه . العيس : الإبل الشَّقراء يختلط بياضها مع الصّفرة . تدمى : الدم . أياطِلُها ، واحده أَيْطَل : وهي الخاصرة . الحزون : الأرض الخشنة الغير المستوية .

الشاهد فيه : تركع : بمعنى أنّ العيس لشدة جريها تكبو ، وقد تمسّ ركبتها الأرض مطأطأة رأسها .

وقال لبيد:

أُخَبِّرُ أَخْبارَ القُرُونِ التي مَضَتْ أَدِبُّ كَأَنِّي كُلَّما قُمْتُ راكِعُ[١][٢] [١٩٩]

وقيل: إنّه مأخوذٌ من الخُضُوعِ. ذهب إليه المفضّل بن سلمة والأصمعيّ[٣]. قال الشاعر:

[١٩٦] لا تُهِينَ الفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْماً والدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

والأوّل أقوى؛ لأنّ هذا مجاز مشبه به.

وقوله: ﴿وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾:

إنّما خصّ الركوعَ بالذكر من أفعال الصلاة؛ لما قال بعض المفسّرين: إنّ المأمورين هم أهل الكتاب، ولا ركوع في صلاتهم. وكان الأحسن ذكر المختصّ دون المشترك؛ لأنّه أبعد من اللّبس.

وقيل: لأنّه يُعبّر بالركوع عن الصلاة. يقول القائل: فرغت من

وقد استشهد به الفراهيدي في العين ١ : ٢٠١، والأنباري في الأضداد: ٢٩٦ لما استشهد به الشيخ المصنّف، وقد اختلف في ضبطه ولا يضرّ؛ لسلامة محل الشاهد في الجميع.

(١) للشاعر لَبيد بن ربيعة ضمن قصيدة ضمّنها حِكَماً ونصائح برقم ٢٤ ب ١٣ صفحة: ١٦٨ من الديوان.

يصف حاله: بأنّه بلغ من العمر مقداراً أصبح فيه قائماً على هيئة الراكع، أي: منحنياً مُطَأْطِأً رأسه بعد أن كان معتدلاً سويّاً.

الشاهد فيه: واضح وهو استعمال كلمة الركوع بمعنى الانحناء و...

(٢) من مصادر اللُّغة لمادّة «رَكَعَ»: العين ١ : ٢٠٠، جمهرة اللُّغة ٢ : ٧٧٠، تهذيب اللُّغة ١ : ٣١١، المحيط في اللُّغة ١ : ٢٢٢، المخصّص ٦ : ١٢١، المحكم والمحيط الأعظم ١ : ٢٧٥، الصحاح ٣ : ١٢٢٢، لسان العرب ٨ : ١٣٣.

(٣) هذا هو الرأي الثاني في معنى الركوع، وقد أشير إليه في البحر المحيط ١ : ١٧٣، والأوّل المتقدّم في صفحة: ١٦٥.

ركوعي، أي: من صلاتي. وإنّما قيل ذلك؛ لأنّه أوّل ما يُشاهد ممّا يدلّ على أنّ الإنسان في الصلاة، لأنّا بيّنا أنّ أصْلَ الركوع الانحناء[١].

فإن قيل: كيف أُمروا بالصلاة والزكاة وهم لا يعرفون حقيقتهما في الشريعة؟

قيل: إنّما أُمروا بذلك؛ لأنّهم أُحيلوا فيه على بيان الرسول إذْ قال: **﴿وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾**[٢]. ولذلك جاز أن يأمرهم بالصلاة على طريق الجملة، ويُحيلهم في التفصيل على بيان الرسول صلى الله عليه وآله.

وقد بيّنا تفصيل ما ورد الشرع به، من: الصلاة والزكاة، وفرائضها وسننها في كتاب: النهاية، والمبسوط، وغيرهما من كتبنا في الفقه[٣]،

---

(١) أُشير إلى الآراء في: تفسير النكت والعيون ١: ١٠١، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٧٢، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٠٢. وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١: ٣٤٥، تفسير البحر الزخّار ١: ١٨٠، التفسير الكبير ٣: ٤٧، تفسير زاد المسير ١: ٧٥، تفسير معالم التنزيل ١: ٧٤. وكذا في أحكام القرآن للجصّاص ١: ٣٢، أحكام القرآن للكيا الهراسيّ ١: ٩، أحكام القرآن لابن العربيّ ١: ٢٠، وانظر صفحة: ١٦٤.

(٢) سورة الحشر ٥٩: ٧.

(٣) للشيخ المصنّف رحمه الله ما يبلغ الخمسين مصنّفاً، ولعلّه أكثر في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية ـ كما تقدّم في المقدّمة ـ ويخصّنا منها هنا:

١ ـ النهاية في مجرّد الفقه والفتوى.
٢ ـ المبسوط دورة فقه كاملة.
٣ ـ الاقتصاد الهادي إلى الرَّشاد.
٤ ـ الخلاف في الأحكام. أو: مسائل الخلاف.
٥ ـ الإيجاز في الفرائض.
٦ ـ تهذيب الأحكام وهو شرح روائيّ لمقنعة الشيخ المفيد رحمه الله.
٧ ـ الاستبصار في الجمع بين الأخبار.

فلانطوّل بذكره في هذا الكتاب .

وقد ورد في القرآن على طريق الجملة آي كثير : نحو قوله : **﴿أَقِيمُوا ٱلْصَّلَاةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ﴾** وقوله: **﴿وأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾** وقوله : **﴿حافِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَاةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾** ، وقوله : **﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾**[1] .

ويمكن الاستدلال بهذه الآيات على وجوب جميع الصلوات ، وعلى صلاة الجنائز ، وصلاة العيدين ، وعلى وجوب الصلاة على النبيّ وآله في التشهّد ؛ لأنّه عامّ في جميع ذلك .

فإن قيل : قوله : **﴿وَأَقِيمُوا ٱلْصَّلَاةَ﴾** دخَل فيها الركوع ، فَلِمَ قال : **﴿وَٱرْكَعُوا﴾** ، هل هذا إلّا تكرار؟

قلنا : قد بيّنا أنّ هذا خطاب لأهل الكتاب ، وليس في صلاتهم ركوع ، فكأنّه أمرهم بالصلاة على ما يرونها ، وأمرهم بضمّ الركوع إليها .

ومن معنى قوله : **﴿وَٱرْكَعُوا﴾** أي : صلّوا ، نقول : إنّ ذلك تأكيد .

ويمكن أن يقال : فيه فائدة ، وهو أن يقال : إنّ قوله : **﴿أَقِيمُوا ٱلْصَّلَاةَ﴾** إنّما يفيد وجوب إقامتها ، ويحتمل أن يكون ذلك إشارةً إلىٰ صلاتهم التي يعرفونها ، ويمكن أن يكون إشارة إلى الصلاة الشرعيّة . فلمّا قال : **﴿وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾** يعني : مع هؤلاء المسلمين الراكعين ، تخصّصت بالصلاة المقرّرة في الشرع ، فلا يكون تكراراً ؛ بل يكون بياناً .

وقيل : إنَّ قوله : **﴿وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾** حثّ على صلاة الجماعة ؛

---

(١) على الترتيب : سورة البقرة ٢ : ٤٣ ، سورة النساء ٤ : ١٠٣ ، سورة البقرة ٢ : ٢٣٨ ، سورة المؤمنون ٢٣ : ١ ـ ٢ .

لتقدّم ذكر الصلاة المفردة في أوّل الآية[١].

قوله تعالى:

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَ أَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ آية (٤٤).

كلُّ طاعة لله تعالى فلا خلاف أنّها تُسمّى بِرّاً.

واختلفوا في المراد بهذه الآية:

فقال ابن عبّاس: المراد به التمسّك بكتابهم، فكانوا يأمرون أتباعَهم به، ويتركون هم التمسّك به؛ لأنّ جَحْدَهم النبيّ صلى الله عليه وآله هو: تَركُهم التمسّك به.

وقال قَتادة: كانوا يأمرون الناسَ بطاعة الله ويخالفون ذلك.

وقال قوم: إنّ معناه أنّهم كانوا يأمرون ببذل الصدقة ويضنّون بها.

وقال بعضهم: إنّ البِرَّ: الصدق، مِنْ قولهم: صَدَقَ وبَرَّ، ومعناه: إنّهم يأمُرونَ بالصِّدْق ولا يَصْدِقون[٢].

و﴿البِرُّ﴾ ـ في أصل اللُّغة ـ والصِّلَةُ والإحْسانُ نظائر، يُقال: هو بارٌّ وَصُولٌ مُحْسِنٌ. وضِدُّ البِرِّ: العُقُوق.

وقال ابن دريد: البِرُّ: ضِدُّ العُقُوق، ورَجُلٌ بارٌّ وبَرٌّ بمعنى واحد.

---

(١) تقدّم في الآية ٣، وفي بداية هذه الآية، وانظر: فقه القرآن للراونديّ ١: ١٣٩، كنز العرفان في فقه القرآن ١: ٢٧٧، زبدة البيان في أحكام القرآن ١: ١٢٦.

(٢) الآراء تجدها في: تنوير المقباس: ٨١، تفسير محمّد بن إسحاق: ٢٢، السيرة النبويّة لابن هشام ٢: ١٨٢، تفسير عبدالرزاق ١: ٢٦٨ ت ٤٦، تفسير جامع البيان ١: ٢٠٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٠١ ت ٤٧٥، تأويلات أهل السنّة ١: ٤٧، تفسير بحر العلوم ١: ١١٥، تفسير النكت والعيون ١: ١١٤، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٠٣. وانظر: التفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٣٣ ت ١١٣، تفسير القميّ ١: ٤٦.

وبَرَّتْ يَمينُهُ إذا لَمْ يَحْنَثْ. وبُرَّ حَجُّهُ، وبَرَّ لغتان. والبَرُّ: خِلافُ البَحْر.

والبُرُّ: مَعْروفٌ، أَفْصَحُ مِنَ الحِنْطَةِ والقَمْحِ، واحده: بُرَّةٌ، قال الهُذَليّ[1]:

لا دَرَّ دَرِّي إنْ أَطْعَمْتُ نازِلَهُمْ قِرْفَ الحَتِيِّ، وَعِنْدِي البُرُّ مَكْنُوزُ[2] [٢٠٠]

الحَتِيُّ: رَدِئُ المُقْلِ خاصَّةً.

ومِنْ أَمْثالِهم: «لا يَعْرِفُ الهِرَّ مِنَ البِرِّ»[3]، واخْتَلَفُوا في هذا المثل، فقال

---

(١) مردّد، والظاهر ـ أنّه: المُتَنَخِّل، مالك بن عُوَيْمِر بن عثمان، أبو أُثيلة الهُذَليّ. شاعر مُحسن مُجيد عُدّ من نوابغ هُذيل وفُحولُهم له أجود طائية قالتها العرب، عدّ من المخضرمين.

ترجمته في: الشعر والشعراء ٢: ٦٥٩ ت ١٣٣، المؤتلف والمختلف: ٢٧٢، معجم الشعراء للمرزبانيّ: ٢٥٧، الأغاني ٢٤: ١٠١، وانظر: الهامش الآتي.

(٢) بيت متنازع فيه، فقد نُسب للمُتَلَمِّس، كمّا في ملحقات ديوانه: ٢٩١. ولأبي ذُؤَيْب لدى الجاحظ في البيان والتبيين ١: ١٧، والحيوان ٥: ٢٨٥. وللمُتَنَخِّل الهُذَليّ ـ وهو الصحيح ـ انظر ديوان الهُذليّين ٢: ١٥، المعاني الكبير ٤: ٣٨، الأمثال للعسكريّ ٢: ٢١٠ ت ١٥٥٥، سمط اللآلي ١: ١٥٧. الصحاح ٦: ٢٣٠٨، معجم مقاييس اللُّغة ٢: ١٣٦، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٢٤٣، لسان العرب ٤: ٥٥ و٢٨٠ وغيرها.

المعنى: الدَّرُّ: كثرة نزول الحليب، ولا درّ درّه: كناية عن ذمّ الآخر، أي: لا كانت له حلوبة، أو لارزق له، أو لاخير يدرّ على الناس. القرف: القشر من كلّ شيء. الحَتيّ، رديء السويق، وقيل: رديء المُقل خاصّة.

الشاهد: استعماله «البُرّ» وإرادة الحنطة.

(٣) مثل مشهور أُختُلف في إعرابه؛ للاختلاف في المراد منه على أقوال خمسة، أشار الشيخ المصنِّف لبعضها وجمعها ابن الجوزي في غريب الحديث وغيره.

انظر: غريب الحديث ١: ٦٥، جمهرة الأمثال ٢: ٤٠١ ت ١٩٠٦، مجمع الأمثال ٣: ٢٥٣ ت ٣٧٩٧، المستقصى ٢: ٣٣٧ ت ١٢٣٨، فصل المقال: ٥١٥ ت ٢٣٧، مجمل اللّغة: ٨٩٠، تاج العروس ٧: ٦١٧.

الرُّماني[١] : الهِرُّ السِّنَّوْرُ ، والبِرُّ : الفَأرَةُ في بعضِ اللُّغات ، أو دُوَيْبَةٌ تَشْبَهُها .

وقال الأخفش : معناه لا يَعرِفُ مَنْ يَبرُّهُ مِمَّنْ يَهرُّ عَلَيْهِ[٢] .

وقَوْمٌ بَرَرَةٌ وأَبْرارٌ ، والمصدر : البِرُّ ، ويُقالُ : صَدَقَ وَبَرَّ ، وَبَرَّتْ يَمِينُهُ ، أي : صَدَقَتْ ، وكانت العرب تقول : فُلانٌ يَبَرُّ رَبَّهُ ، أي : يُطِيعُهُ ، قال الراجز :

لا هُمَّ إنَّ آل بَكْراً دُونَكا [٢٠١]

يَبَرُّكَ النّاسُ ويَفْجُرُونَكا[٣]

والإبرار : الغَلَبَةُ ، يقال : قد أَبَرَّ عَلَيْهِم فُلانٌ . قال طَرَفَة :

. . . . وَيُـبِرُّونَ عـلى الآبـي المُـبِرّ[٤] [٢٠٢]

---

(١) في «خ» : المازنيّ ، ونسب القول في الجمهرة إلى : أبي عثمان الأُشْنانْدانيّ . وهو سعيد بن هارون من شيوخ ابن دريد . انظر لترجمته : معجم الأدباء ١١ : ٢٣٠ ت ٧١.

(٢) جمهرة اللُّغة ١ : ٦٧ ونسبه : لقال آخرون ، وفي المخصّص ٥ : ٧١٧ نسبه : لابن قتيبة ، وفي المزهر للسيوطي ١ : ٥٠٠ نسبه : لبعض علماء الكوفة ، وفي الجميع باختلاف بسيط .

(٣) رجز اختلف في ضبطه ، ولم ينسب لأحد . وقيل : إنّه ورد في تلبية قيس ومن والاها قبل الإسلام ، وفيه تعريض لبني بكر بن كنانة لحرب وقعت بينهم في الجاهليّة .

الشاهد : استعمال : «يَبَرُّكَ» ، بمعنى : يطيعونك .

انظر : تاريخ دمشق ١٩ : ٥٠٢ ، العين ١ : ٢٢١ ، جمهرة اللُّغة ١ : ٤١٤ ، معجم مقاييس اللُّغة ١ : ١٧٧ ، أساس البلاغة ١ : ٤١ ، لسان العرب ٢ : ٣١٧ و٤ : ٥٢ ، تاج العروس ٣ : ٤٢٦ .

(٤) وصدره :

يَكْشِفونَ الضُّرَّ عَنْ ذي ضُرِّهِمْ . . . .

من قصيدة يفخر فيها بقومه ، ويصف أحواله وأحوالهم ومناقبهم . انظر الديوان : ٥٠ ق ٢ ت ٥٣ .

المعنى : يبرّون : يغلبون ، الآبي : الغالب الممتنع ، المبرّ : طالب الغلبة والسيطرة . أي : نحن نغلب الغالب الممتنع ونقهره .

الشاهد : «يبرّون» استعملها وأراد : يغلبون .

والبَرْبَرَةُ: كَثْرَةُ الكَلامِ، والجَلَبَةُ باللِّسانِ.

وأصْلُ البابِ كلِّه: البِرّ، وهو: اتّساعُ الخَيْر[١].

والفَرْقُ بين البِرِّ والخَيْر: إنَّ البِرَّ يَدُلُّ على قَصْد، والخَيْرُ قَدْ يَقَعُ على وَجْهِ السهْوِ[٢].

قوله: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾:

فالنسيان والسَّهْوُ والغَفْلَة نظائر. وضِد النسيان: الذِّكْر.

تقول: نَسِيَ نِسْياناً، وأَنْساهُ إنْساءً، وتَنَاسَاهُ تَناسِيَاً، وفلانٌ نَسِيٌّ: كَثِيرُ النِّسيان، والنَّسيُ والمَنْسِيُّ: الذي ذكره الله تعالى: ﴿وَكُنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾[٣].

وسُمِّيَ الإنْسانُ إنْساناً اشْتِقاقاً من النِّسيان، وهو في الأصل: إنْسِيانٌ، وكذلك إنْسانُ العَيْن، والجَمْعُ أَناسِيُّ.

والنَّسا: عِرْقٌ من مشق ما بين الفَخِذَيْن فَيَسْتَمرّ في الرجْل، وهُما نَسَيان، والجَمْعُ أَنْساءٌ وهو في الفَخِذ. ويُسَمّى في السَّاق: الطفل. وفي البطن: الحالِبَيْن. وفي الظهر: الأبْهَر. وفي الحلق: الوَرِيد. وفي القلب: الوَتِين. وفي اليد: الأكْحَلْ ـ وفي العين: الناظِر ـ يقال: هو[٤] نهر الجسد؛

---

(١) تجد «بَرَرَ، بَرَّ» في مصادر اللُّغة التالية: إضافة للجمهرة ١ : ٦٧ : العين ٨ : ٢٥٩، تهذيب اللُّغة ١٥ : ١٨٤، المحيط في اللُّغة ١٠ : ٢١٤، الصحاح ٢ : ٥٥٨، معجم مقاييس اللُّغة ١ : ١٧٧، مفردات ألفاظ القرآن: ١١٤، عمدة الحفّاظ ١ : ١٧٧، كنز الحفّاظ: ٢٦٩ و٧٧٧.

(٢) الفروق اللُّغوية للعسكريّ: ١٣٩، شمس العلوم ١ : ٤٠٤ وانظر الفهرست، فروق اللُّغات للجزائريّ: ٧١ ت ٦٧.

(٣) سورة مريم ١٩ : ٢٣.

(٤) الضمير ـ وحسب مصادر اللُّغة ـ يعود إلى الأكحل، أو الوتين.

لأنّه يمدّ جميعَ العروق[1] .

وأصل الباب : النِّسيانُ ضدُّ : الذِّكْر .

وقوله : ﴿نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[2] أي : تركوا طاعتَه فترك ثوابَهم ، ويقال : (آفة العلم النِّسْيان)[3] ، والمذاكرة تُحيي العلمَ .

وحدّ النسيان : عزوب الشيءِ عن النفس بعد حضوره لها .

والفرق بين النِّسيان والسهْو : إنّ السّهو يكون ابتداءً وبعد الذِّكْر ، والنِّسيان لا يكون إلّا بَعدَ الذِّكْر .

والذِّكْرُ والنِّسْيانُ معاً منْ فعل الله تعالى ؛ لأنّ الإنسان يجتهد أنْ يتذكّر شَيئاً فلا يذكره .

---

(١) من المصادر اللّغوية للمادة «نَسَأَ» وملحقاتها هي : (طَفَلَ ، بَهَرَ ، وَرَدَ ، وَتَنَ ، كَحَلَ ، نَظَرَ) تجدها وعلىٰ الترتيب في :

العين ٤ : ٤٨ ، ٨ : ٦٥ ، ٨ : ١٣٦ ، ٣ : ٦٢ ، ٨ : ١٥٤ .

جمهرة اللُّغة ٢ : ١٠٧٤ ، ١ : ٣٣١ ، ١ : ٤١٢ ، ١ : ٥٦٣ ، ٢ : ٧٦٣ .

تهذيب اللُّغة ١٣ : ٧٩ ، ٥ : ٨٧ و٤ : ١١٩ ، ٦ : ٢٨٥ ، ١٤ : ١٦٣ ، ١٤ : ٣٢٤ ، ٤ : ٩٩ ، ١٤ : ٣٧٠ .

المحيط في اللُّغة ٨: ٣٨٦، ٣: ٤٨٠، ٩: ٣٤٨، ٩: ٤٦٥ ، ٢ : ٣٨٠ ، ١٠ : ٢١.

الصحاح ٦ : ٢٥٠٨ ، ١ : ١١٥ ، ٢ : ٥٩٨ ، ٢ : ٥٥٠ ، ٦ : ٢٢١١ ، ٥ : ١٨٠٩ ، ٢ : ٨٣١ .

مجمل اللُّغة ٤ : ٨٦٦ ، ١ : ٢٤٨ ، ١ : ١٣٧ ، ٤ : ٩٢٣ ، ٤ : ٩١٥ ، ٣ : ٧٧٩ .

لسان العرب ١٥ : ٣٢١ ، ١ : ٣٣٣ ، ٤ : ٨٣ ، ٣ : ٤٥٩ ، ١٣ : ٤٤١ ، ١١ : ٥٨٦ ، ٥ : ٢١٦ .

تاج العروس ٢٠ : ٢٣٨ ، ٦ : ١٢٠ ، ١٨ : ٥٦٥ ، ١٥ : ٦٥١ .

ومعجم الأصمعيّ : ٣٩٠ و٥٠ ، المخصّص ١ : ٢٥٦ .

(٢) سورة التوبة ٩ : ٦٧ .

(٣) هذا من جملة حديث طويل رواه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله تجده في : التوحيد : ٣٧٥ ح٢٠ ، الخصال ٢ : ٤١٢ ب التسعة ح٧ .

ومعنى قوله: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تتركونها، وليس المراد بذلك ما يضادّ الذِّكْر؛ لأنَّ ذلك مِنْ فِعل الله لا ينهاهم عنه.

فإن قيل: إذا كان الواجبُ عليهم ـ مع ترك الطاعة والإقامة على المعصية ـ الأمرَ بالطاعة والنهي عن المعصية، فكيف قيل لهم هذا القول؟

قلنا: في أَمْرِهم بالطاعة ونَهْيِهم عن المعصية تعظيم لما يرتكبونه من معصية الله تعالى؛ لأنّ الزواجر كلّما كانت أكثر كانت المعصية أعظم، ففي نهيهم لغيرهم زاجر، فهو توبيخ على عظيم ما ارتكبوا من ذلك.

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ﴾:

فالتِّلاوَةُ، والقِراءَةُ، والدِّراسَةُ نظائرِ.

يقال: فلانٌ تَلا يَتْلُو تِلاوَةً، فهو تالٍ، بمعنى: قَرأ قِراءة.

وتَلا يَتْلُو تُلُوّاً: إذا تبع شيئاً فهو تال، أي: تابعٌ، والمَتالِي: الأُمَّهاتُ إذا تَلاهُنَّ الأَوْلادُ، والواحِدُ مُتْلٍ. وناقةٌ مُتْلِيَةٌ وهي: التي تُنْتِجُ في آخِرَ النِّتاجِ.

وأصل الباب: الإتْباعُ، فتُسمّى التِّلاوَةُ بذلك؛ لإتْباعِ بعضِ الحروفِ فيها بعضاً[1].

والفرق بين التِّلاوة والقراءة: إنَّ أصل القراءة: جمع الحروف، وأصل التِّلاوة: إتْباعُ الحروف، وكلّ قراءة تلاوة، وكلّ تلاوة قراءة[2].

---

(١) «تَلَوَ» تجدها في: العين ٨: ١٣٤، جمهرة اللُّغة ١: ٤١٠، تهذيب اللُّغة ١٤: ٣١٦، المحيط في اللُّغة ٩: ٤٦٠، الصحاح ٦: ٢٢٨٩، لسان العرب ١٤: ١٠٢، مفردات ألفاظ القرآن: ١٦٧.

(٢) هذا رأي المصنف ﷺ، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١٦٧، الفروق اللُّغوية: ٤٨، معجم الفروق اللُّغوية: ١٤٠ ت ٥٤٢، فروق اللّغات: ٨٦ ت ٩٣، الكليّات: ٣٠٨.

وحَدَّ الرّمانيّ التِّلاوة: بأنّه صوتٌ يتبع فيه بعضُ الحروف بعضاً.

والكتاب الذي كانوا يتلونه: التوراة، على قول ابن عبّاس وغيره[١].

وقال أبو مسلم: كانوا يأمرون العرب باتّباع الكتاب الذي في أيديهم، فلمّا جاءَهم كتابٌ مثْله لم يتّبعوه[٢].

وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

فالعَقْل، والفَهْم، واللُّب، والمعرفة نظائر.

يقال: فلانٌ عاقلٌ فَهِمٌ، لبيبٌ، أريبٌ، ذو مَعْرِفَة.

وضِدُّ العَقل: الحُمْق.

يُقال: عَقَلَ الشَّيْءَ عَقْلاً، وأَعْقَلَهُ غَيْرَه إعْقَالاً وتعاقل تعاقلاً واستعقل استعقالاً وَتَعَّقل تعقّلاً وعقّله تعقيلاً، ويقال: اعْتَقَلَهُ اعْتِقَالاً، وانْعَقَلَ انْعِقالاً.

وقيل لابن عبّاس: أَنّىٰ لكَ هذا العِلْم؟ قال: قَلْبٌ عَقُولٌ، ولِسانٌ سَؤُولٌ[٣].

---

(١) تجد الإشارة إلى هذا ـ وإن كان في أغلبها من دون نسبة ـ في المصادر الآتية: تفسير جامع البيان ١: ٢٠٦، تفسير بحر العلوم ١: ١١٥، تفسير الوسيط ١: ١٣٠، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٧٢، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٠٤. وانظر: تأويلات أهل السنّة: ١: ٤٧، تفسير النكت والعيون ١: ١١٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٠١ ت ٤٧٣ ت ٤٧٦، تفسير مقاتل ١: ١٠٢.

(٢) نقله عنه الفخر الرازيّ في تفسيره الكبير ٣: ٤٦.

(٣) انظر: البيان والتبيين ١: ٨٤، المصنّف للصنعانيّ ٤: ٣٧٦ ت ٨١٢٣، تاريخ جرجان: ٤٨٣ ت ٩٧١، المعجم الكبير للطبرانيّ ١٠: ٣٢٣ ت ١٠٦٢٠، حلية الأولياء ١: ٣١٨.

وقد ينسب لدَغْفَل بن حنظلة النّسابة، انظر عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١٣٤، الحيوان ٣: ٤٨٩.

ويقال: عَقَلْتُ بعد الصِّبا، أي: عَرَفْتُ الخطأَ الذي كُنْتُ فِيهِ.

وقال صاحب العين: العَقْلُ: ضِدُّ الجَهْلِ، يقال: عَقَلَ الجاهِلُ: إذا عَلِمَ، وعَقَلَ المَرِيضُ بعد ما كان أهْجَر، وعَقَلَ المَعْتُوه ونَحوه.

والعِقَالُ: الرِّباط، ويقال: عَقَلْتُ البَعِيرَ أَعْقِلُهُ عَقْلاً: إذا شَدَدْتَ يَدَهُ بالعِقال.

وإذا أَخَذَ صَدَقَةَ الإبِلِ تامّةً لِسَنةٍ يُقال: أَخَذَ عِقالاً، وعِقالَيْنِ: لِسَنَتَيْنِ، وعُقُلاً: لجماعة، وقال الشاعر:

سَعَى عِقالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنا سَبَداً ... فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرو عِقالَيْنِ؟ [٢٠٣]

لَأَصْبَحَ النّاسُ أَوْباداً وَمْا وَجَدُوا ... يَوْمَ التَّحَمُّلِ في الهَيْجا جِمالَيْنِ(١)

---

(١) استعمل معاوية بن أبي سفيان ابن أخيه عمرو بن عتبة على صدقات كلب، فجار واعتدى عليهم. فهجاه عمرو بن العدّاء الكلبيّ بهذين البيتين، ولم نجد لهما ثالثاً.

المعنى: سعى: باشر عمله في تحصيل الزّكاة. والسعاة: جباة وعمّال الزّكاة والصدقات. عقالاً: نصب على الظرفية وكذا الذي بعده. أي: مدّة عقال وهي السنة. السَّبَد: المال القليل، ومنه المثل: ما له سَبَدٌ ولا لَبَدٌ، أي: ليس له ذو شعر ولا ذو وبر. أوباداً: اختلف في ضبطها، وعلى أي، فهي: جمع وَبَد، كناية عن شدّة العيش وشظفه، وفقرهم. جِمالَيْن: مثنّى جِمال، وهي إشارة إلى صنفين منها: صنف للتّرحال وحمل الأثقال، وصنْفٌ للحرب، وتشهد له رواية الأغاني.

يريد: إنّ عَمْراً تولّى علينا سنة في أخذ الزكاة منّا فظلمنا ونهب أموالنا حتّى لم يترك لنا شيئاً فلو تولّى علينا سنتين فما هو حالنا؟

الشاهد فيه: استعمال كلمة «عقال» وإرادة الزكاة. واستشهد بها آخرون على جواز تثنية الجمع. فبعضهم ذكر البيتين معاً، وآخرون الثاني فقط. وبعض ـ بل الأغلب ـ من دون نسبة.

انظر: الأغاني ٢٠: ١٦١، مجالس ثعلب ١: ١٤٢، المفصّل: ١٨٧، شرح المفصّل لابن يعيش ٤: ١٥٣، التخمير ٢: ٣٢٩، المقرّب: ٣٩٦، خزانة الأدب ⇐

قال المُبَرِّد : يقال للمُصَدِّق إذا أَخَذَ مِنَ الصَّدَقَةِ ما فِيها ولَـمْ يَأْخُـذْ ثَمَنَهُ : أَخَذَ عِقَالاً ، وإذا أَخَذَ قِيمَتَه قيل : أَخَذَ نَقْداً[1] .

والعَقِيلَةُ مِنَ النِّساءِ : التي عُقِلَتْ في بيتها ، أي : حُبِسَتْ وخُـدِّرَتْ ، والجمع عَقائل .

والدُّرَّةُ : عَقِيلَةُ البَحْرِ ، وعَقِيلَةُ كُلِّ شَيْءٍ : أَكْرَمُهُ .

وعُقِلَ القَتِيلُ : إذا أُدِيتْ دِيَتُه مِنَ القَرابَةِ لا مِنَ القاتل[2] .

والعَقْلُ في الرِّجْل : اصْطِكاكُ الرُّكْبَتَيْن ، والعَقْلُ : ثَوبٌ أَحْمَر تَتَّخِذُه نِساءُ العَرَب .

والمَعْقُولُ : هو العَقْلُ عِنْدَ قَوْمٍ ، قال الرّاعيّ[3] :

حَـتَّى إذَا لَـمْ يَـتْرُكُـوا لِعِظَامِهِ ... لَـحْماً وَلا لِـفُؤَادِهِ مَـعْقُولا[4] [٢٠٤]

للبغدادي ٧ : ٥٧٩ ش ٥٧٧ ، المخصّص ٧ : ٧١٣ ، جمهرة الأمثال ٢ : ٢٦٧ ت ١٦٦٢ ، ومصادر «عَقَلَ» الآتية .

(١) الكامل في الأدب ٢ : ٥٠٨ .

(٢) اختلفت النسخ في ضبط كلمة (القاتل) بينها والقبائل ، ولعلّ المثبت هو الصحيح .

(٣) عُبَيْد بن حُصَيْن بن معاوية النُّمَيْريّ ، لُقِّب بالرّاعيّ وبه أشهر من اسمه ؛ لكثرة وصفه الإبل والرّعاة وإجادة ذلك ، شاعر إسلاميّ فحل ، من سادة قومه ورؤسائهم ولسانهم ، عُدّ في الطبقة الأولىٰ من الإسلاميّين . توفّي عام ٩٠ هـ .

له ترجمة في : الشعر والشعراء ١ : ٤١٥ ت ٦٨ ، الاشتقاق : ٢٩٥ ، الأغاني ٢٤ : ٢٠٥ .

(٤) الديوان : البيت ٧٤ من القصيدة ٥٨ صفحة : ٢٣٦ يمدح فيها عبدالملك بن مروان ويشكوه السعاة ومن وَلّي عليهم ، حيث أوقع بهم وظلمهم ؛ لأنهم زُبَيْريَّة الهوى .

المعنى : واضح وخصوصاً عند مراجعتها كاملة .

الشاهد فيه : استعمال «معقولاً» بمعنى العقل ، أي : المفعول بمعنى المصدر .

وأشارت إليه أغلب مصادر اللُّغة ، إضافة إلى : معاني القرآن للفرّاء ٢ : ٣٨ ، أمالي المرتضى ١ : ١٠٦ ، تفسير جامع البيان ١٢ : ٩٨ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٨ : ٢٢٩ .

والعَقْلُ : المَعْقِل ، وهو : الحِصْنُ ، وجمعه : عُقُول ومعاقل .

والعاقول من النهر والوادي ، ومن الأُمور أيضاً : المُلْتَبس وما اعْوَجَّ مِنْهُ[١] .

وعَقَلَ الدَّواءُ بَطْنَهُ ، أي : حبسه .

وقولهم : لا يَعْقِلُ حاضِرٌ لبادٍ ، قال ابن دريد : معناه أَنَّ القَتِيلَ إذا كانَ بالبادِيَةِ فإنَّ أَهْلَها يَتَعاقَلُونَ بَيْنَهم الدِّيَةَ ، ولا يُلزِمونَ أَهْلَ الحَضَر مِنْ بَنِي أَعْمامِهِم شَيْئاً .

وفي الحديث : إنّا لا نَتعاقَلُ المضيع[٢] ، يعني : ما سَهُلَ مِنَ الشِّجاج ، بل يَلْزَمُ الجاني .

وعاقِلَةُ الرّجل : بَنُو عَمِّه الأَدْنُون ؛ لأَنّهم كالمَعْقِل لَهُ[٣] .

---

(١) الجملة في كتب اللُّغة هكذا : والعاقول : المُعَرَّج والملتوي من النّهر والوادي ، ومن الأُمور الملتبس المعوجّ . انظر المصادر اللُّغوية في الهامش (٣) الآتي .

(٢) اختلف في ضبطه ، بعد الاتّفاق ـ تقريباً ـ على نسبته إلى عمر بن الخطّاب ، بين : المضيع ، والمضغ ، والشجاج و . . . ، وكلّها بمعنى قريب . اُنظر : المصنَّف لعبد الرزّاق ٩ : ٣٠٨ ت ١٧٣٢٢ ـ ١٧٣٢٧ ، المصنّف لابن أبي شيبة ١٤ : ٢٦٢ ت ٢٨٣٧٩ من طبعة دار القبلة ، جامع الأحاديث للسيوطي ١٤ : ٤٧١ ت ٤٤٣٠ و : ٤٧٢ ت ٤٤٤١ ، الغريبين للهرويّ ٤ : ١٣١٢ ، غريب الحديث له ٣ : ٣٤٧ ، الفائق في غريب الحديث ٣ : ١٦٨ ، النهاية لابن الأثير ٣ : ٢٧٩ ، غريب الحديث لابن الجوزيّ ٢ : ٣٦٢ . ومصادر اللُّغة الآتية .

(٣) مادة «عَقَلَ» في المصادر التالية ـ بتقديم وتأخير ـ تجدها في : العين ١ : ١٥٩ ، جمهرة اللُّغة ٢ : ٩٣٩ ، تهذيب اللُّغة ١ : ٢٣٧ ، المحيط في اللُّغة ١ : ١٧٢ ، المحكم والمحيط الأعظم ١ : ٢٠٤ ، المخصّص ٣ : ١٥٩ ـ ١٦٠ ، الصحاح ٥ : ١٧٦٩ ، مجمل اللُّغة ٣ : ٦١٧ ، لسان العرب ١١ : ٤٥٨ ، ومعجم الأصمعيّ : ٢٨٢ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٥٧٧ ، الكليّات : ٦٧ و٥٩٩ و٦١٧ ، تاج العروس ١٥ : ٥٠٤ «عَقَلَ» في الجميع .

وأصل الباب: العَقْلُ الذي هو العَقْد.

والعَقْلُ: مجموعُ علوم لأجْلها يَمْتَنِعُ مِنْ كَثِير مِنَ المقبّحات، ويعقل كَثِيراً مِنَ الواجبات.

وقال الرّمانيّ: العقلُ: هو العلم الأوّلُ الذي يزجُر عن قبيحِ الفعل، وكُلُّ مَنْ كان زاجِرهُ أقوىٰ كان عقْلُه أقوىٰ.

قال: وقيل: العقل: قوّة في القلب رادعة عن قبيح الفعل.

وقيل: العَقْلُ: معرفةٌ يُفصلُ بها بين القبيح والحسن في الجملة.

وقيل: العَقْلُ: قُوَّة يُمكنُ مَعها الاسْتِدلالُ بالشاهد على الغائِب[1].

وهذه العبارات قريبة المعاني ممّا ذكرناه.

والفرقُ بين العَقل والعلم: إنّ العقلَ قدْ يَكْمُل لمنْ فَقَدَ بعضَ العلُوم، كفقد ـ مَنْ كَمُلَ عَقْلُه ـ العلمَ بأنَّ هذهِ الرمّانَةَ حُلوةٌ أو حامضَةٌ، ولا يَكْمُلُ العلمُ لمنْ فَقَدَ بَعضَ عَقْلهِ.

فإن قيل: إذا كان العقل مُخْتَلفاً فيه، فكيف يجوز أنْ يُستشهد به؟

قيل: الاختلاف في ماهيّة العَقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه، ألا ترى أنّ الاختلافَ في ماهيّة العَقل ـ حتّىٰ قال بعضهم: معرفة، وبعضهم قال: قوّة ـ لا يوجب الاختلاف في أنّ الألْفَ أكثرَ من الواحد، وأنّ الموجودَ غيرَ المعدوم، وغير ذلك من قضايا العقول.

---

(١) هذه التعريفات للعقل وغيرها تجدها مجتمعة في المعاجم التالية مع مصادرها. ولعدم توفّر أغلب المصادر فالإشارة إلى المعاجم أفضل، انظر: المعجم الفلسفيّ ٢: ٨٤، موسوعة الفلسفة ٢: ٧٢، معجم العناوين الكلامية والفلسفية: ٩٥ و٧٨، شرح المصطلحات الفلسفية: ٢١٣ ت ٨٩٣، شرح المصطلحات الكلاميّة: ٢١٩ ت ٧٤٦، كشاف اصطلاحات الفنون ٢: ١١٩٤، الكليّات: ٦١٧. ولعلّ في بعض مصادر الهامش السابق ـ مصادر اللُّغة ـ ما يفيد.

قوله تعالى:

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ آية (٤٥) آية واحدة.

قال الجُبّائيّ: هذا خطاب للمؤمنين دون أهل الكتاب.

وقال الطبريُّ والرمّانيّ: هو خطاب لأهل الكتاب، ويتناول المؤمنين على وجه التأديب[١].

والأقوى أن يكون خطاباً لجميع من هو بشرائط التكليف؛ لفقد الدلالة على التخصيص، واقتضاء العموم ذلك.

فمن قال: إنّه خطاب لأهل الكتاب، قال، كأنّه قال: واستعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه ـ من: طاعتي، واتّباع أمري، وترك ما نهيتكم عنه، والتسليم لأمري واتّباع رسولي محمّد صلى الله عليه وآله ـ بالصبر والصلاة[٢].

وأصل الصَّبر هو: مَنْعُ النَّفْسِ مَحابَّها، وكَفُّها عن هَواها. ومنه الصَّابِرُ على المصيبة؛ لكَفِّهِ نفسَه عن الجزع.

وقيل لِشَهْرِ رَمَضانَ: (شهر الصَّبْر؛ لصبر صائمه عن الطعام والشراب نهاراً. وصَبْرُهُ إيّاهُم عن ذلك: هو حَبْسُه لهم، وكفُّه إيّاهُم عنه، كما تُصْبِرُ الرجلَ المُسيءِ للقتل فتَحْبِسُه عليه حتّى تقتله، يقال: قَتَلَ فُلانٌ فلاناً صَبْراً،

---

(١) الجُبائيّ، الرمّانيّ، مؤلّفاتهم مفقودة في ما يخصّ القرآن الكريم. وللطبريّ انظر: جامع البيان ١ : ٢٠٥.

(٢) كأنّه ناظر إلى الطبريّ في جامعه ١ : ٢٠٥.

يعني : حَبَسَهُ عليه حتّى قَتَله . فالمقتول : مَصْبُور ، والقاتل : صابِر)[١] .

والصَّبْرُ ، واللَّبْثُ ، والحَبْسُ نظائر .

والصَّبْر ضدّ : الجَزَعِ ، وأنشد أبو العبّاس[٢] :

فَـإن تَـصْبِرا فَـالصَّبْرُ خَـيْرُ معيَّةٍ   وإن تَـجْزَعا فَـالأمْرُ ما تَـرَيانِ[٣] [٢٠٥]

ويقال : صَبَرَ صَبْراً ، وتَـصَبَّرَ تَـصَبُّراً ، واصْـطَبَرَ اصْـطِباراً ، وتَـصابَر تَصابُراً ، وصابَرَهُ مُصابَرَةً .

قال صاحبُ العين : الصَّبْرُ : نَصْبُ الإنسانِ للقَتْل ، فَهُوَ مَصْبُورٌ ، يقال : صَبَرُوهُ ، أي : نَصَبُوهُ للقَتْلِ . ويقال : صبرت يمينه ، أي : حَلَّفْتُهُ باللهِ جُـهْدَ القسم .

وكلُّ مَنْ حَبَسْتَهُ لِقَتْلٍ أو يَمِينٍ ، فَهُوَ : قَتْلُ صَبْرٍ ، ويَمينُ صَبْرٍ .

والصَّبِرُ : عُصارَةُ شَجَرٍ معروف ، والصُّبارُ : تَمْرُ الهِنْد .

وصُبْرُ الإناءِ ونحوه : نَواحِيه ، وأَصْبارُ القَبْر : نواحـيه ، والصَّـبْرَةُ مِـنَ الحِجارَة : ما اشْتَدَّ وغَلُظَ ، والجمع الصِّبار .

وأُمُّ صَبّار : هي الدّاهية الشديدة .

وصُبْرُ كُلِّ شَيءٍ : أعلاه .

---

(١) العبارة بين القوسين في النسخ والحروفيات مشوّشة ، صحّحت بـالاعتماد عـلى : النسخة المختصرة ، وجامع البيان ١ : ٢٠٥ ، وكتب اللُّغة الآتية .

(٢) لم تسعفنا المصادر بشيء لتشخيصه ، ولعلّه مردّد بين المبرّد وثعلب ، وما لدينا من مؤلفاتهما خال منه .

(٣) الظاهر أنّه بيت شعر مفرد لم نجده إلّا عند الراغب الأصفهانيّ في محاضراتـه ٢ : ٥٠٥ ، وبعده لدى البقاعي في نظم الدرر ٣ : ٥٨٧ ، وله رواية أُخرى بإبدال «معيَّةٍ» إلى «معْبَّةٍ» وقد وردت في طبعة المحاضرات بتحقيق : د . مراد .

وصَبِيْرُ القَوْمِ: الذي يَصْبِرُ مَعَهُمْ في أمْرِهم.

وصَبيرُ الخِوانِ: رُقاقة عَرِيضَةٌ تُبْسَطُ تَحْتَ ما يُؤْكَلُ مِن الطَّعامِ.

وتقول: اشْتَرَيْتُ الشَّيءَ صُبْرة، أي: بلا كَيْلٍ.

والصَّبِيرُ: الكَفيل.

وأصل الباب كلّه: الصَّبْرُ الذي هو الحَبْس[١].

والصَّبْرُ: خُلُق محمود أمَرَ الله تعالى به ودلّ عليه، فقال: **﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ﴾**[٢]، وقال: **﴿ٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾**[٣]، وقال: **﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ﴾**[٤]، وقال: **﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ﴾**[٥].

وفي الحديث: (اقْتُلوُا القاتِلَ واصْبِرُوا الصابِر)[٦] وذلك فيمن أمْسَكَه حتّى قتله آخر، فأمر بقتل القاتل وحبس المُمْسك.

والصَّبْرُ المأمور به في الآية قيل فيه قولان: أحدهما: الصَّبر على

---

(١) المادّة اللُّغوية لـ «صَبَرَ» إضافة للعين ٧: ١١٥ تجدها في: جمهرة اللُّغة ١: ٣١٢، تهذيب اللُّغة ١٢: ١٧٠، المحيط في اللُّغة ٨: ١٣٤، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٣١٢، الصحاح ٢: ٧٠٦، مجمل اللُّغة ٢: ٥٤٩، لسان العرب ٤: ٤٣٧. ومفردات ألفاظ القرآن: ٤٧٤، عمدة الحفّاظ ٢: ٣١٥. وغريب القرآن لابن قتيبة: ٤٧ ت ٤٥، والكليّات: ٥٦٠.

(٢) سورة النحل ١٦: ١٢٧.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٢٠٠.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٥٥.

(٥) سورة لقمان ٣١: ١٧.

(٦) السنن الكبرى للبيهقيّ ٨: ٥٠، كنز العمّال ١٥: ١٠ ت ٣٩٨٣٩، شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٥٤، غريب الحديث للهرويّ ١: ٢٥٥، الفائق في غريب الحديث ٢: ٢٧٦، وتفسير النكت والعيون ١: ١١٥، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٧٤.

طاعته واجتناب معصيته. والثاني: إنّه الصوم[1].

وفي الصَّلاة ـ هاهنا ـ قولان: أحدهما: الدعاء. والثاني: إنّها الصَّلاة الشرعية ذاتُ الرُّكوع والسُّجود[2].

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا أحزنه أمر استعان بالصلاة والصوم[3].

ووجه الاستعانة بالصَّلاة لمكان ما فيها من تلاوة القرآن والدعاء والخضوع لله تعالى والإخبات؛ فإنّ في ذلك معونة على ما تنازع إليه النفس من حبّ الرياسة، والأَنَفَة من الانقياد إلىٰ الطاعة.

والضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ عائد على الصَّلاة عند أكثر المفسِّرين، وقال قوم: عائد على الإجابة للنبيّ عليه السلام[4].

وهذا ضعيف؛ لأنّه لم يَجْرِ للإجابة ذكر، ولا هي معلومة إلّا بدليل

---

(١) تجد الإشارة إليهما في: تفسير جامع البيان ١: ٢٠٦، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٠٢ ت ٤٨٠، تفسير النكت والعيون ١: ١١٥، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ٤٨، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٠٤، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٧٤، تأويلات أهل السنّة ١: ٤٨ ت ٤٥، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمَنين ١: ١٣٧.

(٢) تقدّم الكلام عليها في ١: ١٨٢ ضمن الآية ٣ من هذه السورة من التبيان.

(٣) أفصحت عن ذلك عدّة من الروايات وفي البعض: (إذا ضَرَبَهُ أمْرٌ...) انظر: مسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٨٨، سنن أبي داوُد ٢: ٣٥ ت ١٣١٩، شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٠٧، كنز العمّال ٧: ٦٩ ت ١٨٠٠١، الجامع الصغير ٢: ٣٢٧ ت ٦٦٤١.

(٤) ذهب إليه جمع، وأشار إلى الخلاف آخرون، اُنظر: تفسير جامع البيان ١: ٢٠٦، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٠٣ ت ٤٨٦، تفسير بحر العلوم ١: ١١٥، تفسير الوسيط ١: ١٣١، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ١٠٣، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٧٤، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٠٥، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٣٧٣، تفسير زاد المسير ١: ٧٦. معاني القرآن للأخفش ١: ٢٥٢، معاني القرآن وإعرابه ١: ١٢٥، مشكل إعراب القرآن ١: ٤٤ ت ٩١، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٧٩، التبيان في إعراب القرآن ١: ٥٩.

غامض، وليس ذلك كقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَهُ﴾[١]؛ لأنَّ ذلك معلوم.

ورَدُّ الضمير على واحد، وقد تقدّم ذكر شيئين لأمرين، فيه قولان:

أحدهما: إنّها راجعة إلى الصلاة دون غيرها على ظاهر الكلام؛ لقربها منه، ولأنّها الأهمّ والأفضل، ولتأكيد حالها، وتفخيم شأنها، وعموم فرضها.

والآخر: أن يكون المراد الاثنين، وإن كان اللّفظ واحداً، كقوله: ﴿والله وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[٢] وقال الشاعر:

أَمّا الوَسامَةُ أَوْ حُسْنُ النِّساءِ فَقَدْ ... أُوتِيتَ مِنْهُ لَو أَنَّ العَقْلَ مُحْتَنِكُ[٣] **[٢٠٦]**

وقال البُرْجُميّ[٤]:

---

(١) مقطع متكرّر في سورة يوسف ١٢: ٢، سورة الدخان ٤٤: ٣، سورة القدر ٩٧: ١.

(٢) سورة التوبة ٩: ٦٢.

(٣) بيت من مقطوعة ذكرت متفرّقة في المصادر الآتية منسوبة تارة لعبدالرحمن بن حسّان بن ثابت، وأُخرى غير منسوبة، قيلت في ولد لعمر بن الأهتم، وكان فيه تأنيث.
انظر: معاني القرآن للأخفش ١: ٢٥٣ ش ٥٨، جمهرة اللُّغة ٢: ٦٦٢، معجم مقاييس اللُّغة ٢: ٢٨٢، لسان العرب ١٠: ٤٢٤ «دَعَكَ» فيها، وانظر ديوان حسّان ابن ثابت ١: ٥٠٠ ت ٣٢٧.

(٤) ضابئ بن الحارث بن أرطاة، شاعر مخضرم خبيث اللِّسان، له قصائد ضمّنها حكميات منها قصيدة بيت الشاهد، أدرك حكومة عثمان حيث سجنه أوّلاً؛ لهجوه قوماً من بني جَرْوَل. وثانيةً: لمحاولته اغتياله بجعل سكّين أسفل نعله ولم يفلح، فقال في السجن:
هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ، وَكِدْتُ وَلَيْتَني ... تَرَكْتُ على عُثمانَ تبكي حَلائِلُهُ
مات في السجن عام: ٣٠ هـ. وقد ينسب البيت لولده عمير.
له ترجمة في: طبقات الشعراء ١: ٧١، الشعر والشعراء ١: ٣٥٠ ت ٤٥، الكامل في الأدب ١: ٤١٦، الكامل في التاريخ ٣: ١٨٣ و٤: ١٣٨، خزانة الأدب للبغدادي ٩: ٣٢٣ ش ٧٤٩، وبعض مصادر الهامش الآتي.

فَمَنْ يَكُ أَمْسىٰ بالمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فإنّي وَقَيّارٌ بِها لَغَرِيبُ[1] [٢٠٧]

وقال ابن أحمر[2] :

[١٧٧] رَمَاني بأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوالِدي ... بَرِيئاً ، وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمانِي

وقال آخر :

[١٧٨] نَحْنُ بِما عِنْدَنا ، وَأَنْتَ بِما ... عِنْدَكَ راضٍ ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

وقوله : ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوا إِلَيْهَا**﴾[3] .

قال قوم : اللّفظ واحد ، والمراد به الاثنان .

---

(١) من أبياته التي قالها في السجن ، شاكياً ما يلقى ودابته من غربة في المدينة المنوّرة ، مستشعراً الصبر .

المدينة : المدينة المنوّرة . رحله : منزله أو بقاؤه . قيارٌ : اسم فرسه ، وقيل : جمله .

الشاهد فيه : «لغريب» أفرد وأراد الاثنان .

استشهد به جمع لمورد الشاهد ، وآخرون لإعراب «قيّار» رفعاً أو نصباً ، وبعض المصادر أوردت قصيدة الشاعر وأُخرى اقتصرت عليه فقط .

إضافة لمصادر الترجمة انظر : الأصمعيّات : ١٨٤ ت ٦٤ ، الكتاب ١ : ٧٥ ، شرحه للأعلم ١ : ٢١٢ ، شرح أبيات سيبويه للنحّاس ١ : ٥٠ ت ٥٩ ، الحماسة البصريّة ٢ : ٥٦ ت ١٤٩ ، خزانة الأدب للبغدادي ١٠ : ٣١٢ ش ٨٥٤ ، معاهد التنصيص ١ : ١٨٦ ت ٣٣ ، شرح شواهد المغني ٧ : ٤٣ ش ٧٢١ .

(٢) أبو الخطّاب عمرو بن أحمر الباهليّ ، شاعر مخضرم معمّر ، له شهرة في الجاهليّة ، أسلم وغزا الروم ، عمّر حتّىٰ أدرك أيّام حكومة عبدالملك بن مروان ، مدح عليّاً عليه‌السلام وعمر وعثمانَ . هجا يزيد بن معاوية . أغلب شعره حَكَمِيّ ، أكثر فيه من الغريب ، منه :

متى تطلب المعروف في غير أهله ... تجد مطلب المعروف غير يسير

الأغاني ٨ : ٢٣٤ ، الشعر والشعراء ١ : ٣٥٦ ـ ٣٥٩ ، معجم الشعراء للمرزبانيّ : ٢٤ ، طبقات فحول الشعراء ٢ : ٥٧١ و٥٨٠ ، وتقدمت مصادره ضمن تفسير الآية ٣٧ .

(٣) سورة الجمعة ٦٢ : ١١ .

وقال الفرّاء: راجع إلى التجارة؛ لأنّ تجارةً جاءت فضربوا بالطبل فانصرف الناس إليها[١].

والاستعانة المأمور بها في الآية على ما تنازع إليه نفوسهم من حبّ الرئاسة وغلبة الشهوة لِلذّة العاجلة، والاستعانة بالصبر على المشقّة بطاعة الله.

ومعنى ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ هاهنا أي: ثَقِيلَةٌ، عند الحسن والضحّاك[٢].

وأصل ذلك: ما يكبُر ويثقُل على الإنسان حمله، كالأحمال الجافية[٣] التي يشقّ حملها، فقيل لكلٍّ ما يصعب على النفس وإنْ لم يكن من جهة الحمْل: يَكْبُرُ عَلَيْها، تشبيهاً بذلك.

وقوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾:

فالخُشُوع والخُضُوع والتذلُّل والإخْباتُ نظائِر.

وضدّ الخُشوع: الاستكبار.

يقال: خَشَعَ خُشُوعاً، وتَخَشَّعَ تَخَشُّعاً.

---

(١) البحث أعلاه ـ إفراد لفظ الخبر وإرادة الاثنين منه ـ تجده في: معاني القرآن للفرّاء ١: ٣١١ و٣: ١٥٧، إعراب القرآن المنسوب للزجّاج ٢: ٧٦٣ و٣: ٧٨٧، النوادر لأبي زيد: ٢٠، شرح المفصّل (التخمير) ٤: ٥٣، شرح المفصّل لابن يعيش ٨: ٦٨، الإنصاف: ٦٥ مسألة ٩، وشرح الحماسة للمرزوقيّ ٢: ٩٣٦، وغيرها من مصادر النحو والأدب.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ٤٨٧/١٠٣ (عن الضحّاك)، تفسير الحسن البصريّ ١: ٩٤، تفسير زاد المسير ١: ٧٦، وانظر: تفسير الهوّاري ١: ١٠٣، تفسير النكت والعيون ١: ١١٥، تفسير الكشف والبيان ١: ١٨٩، تفسير الوسيط ١: ١٣١.

(٣) قال ابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٥٦١ «جَفَوَ»: جفا الشيء: لم يستقرّ في مكانه... وجفا عليه الشيء: ثَقُلَ، ولمّا كان في معناه وكان ثقل يتعدّى بعلى، عدّوه بعلى أيضاً ومثل هذا كثير. وانظر لسان العرب ١٤: ١٤٨ «جفا».

قال صاحب العين: خَشَعَ الرَّجُلُ يَخْشَعُ خُشوعاً: إذا رَمى بِبَصَرِهِ إلى الأرْض، واخْتَشَعَ: إذا طَأْطَأَ رَأْسَهُ كالمُتَواضِع. والخُشوعُ: قريب المعنى من الخُضوع، إلّا أنّ الخُضوعَ في البَدَنِ ـ وهو: الإقْرارُ بالاسْتِخْذاءِ[1] ـ والخُشوعَ في و[2]الصَّوْتِ والبَصَرِ، قال الله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ و: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[3] أي: سَكَنَتْ[4].

وأصل الباب: من اللِّين والسُّهُولَة، من قولهم: قُفٌّ خاشِعٌ، للأرضِ التي غَلَبَتْ عليها السُّهولة.

والخاشِعُ: الأرْضُ التي لا يُهْتَدى لها بِسُهولَة؛ لمحو الرِّياحِ آثارَها.

والخاشِعُ والمتَواضِع والمتَذَلِّل والمُسْتَكِينُ بمعنى، قال الشاعر:

لَمّا أَتى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَواضَعَتْ ... سُورُ المَدِينَةِ وَالجِبالُ الخُشَّعُ[5] [٢٠٨]

---

(١) في النسخ والمصدر: بالاستخدام. ولا معنى له يساعد عليه. والمثبت هو الذي تساعد عليه كتب اللُّغة في الهامش: ٤، الآتي، وكذا المحكيُّ عن العين في المخصّص ٦: ١٣٥، وانظر لسان العرب ٨: ٧١، تاج العروس ١١: ٩٤ «خشع».
والاستخذاء: التذلّل والخضوع والانقياد.
انظر «خَذَأَ» في: العين ٤: ٢٩٨، جمهرة اللّغة ١: ٥٨٢، تهذيب اللّغة ٧: ٥٢٤، وغيرها.

(٢) في بعض المصادر اللّغوية هكذا: ... في البدن و ....

(٣) على التوالي سورة المعارج ٧٠: ٤٤، سورة طه ٢٠: ١٠٨.

(٤) «خَشَعَ» في العين ١: ١١٢. وجمهرة اللُّغة ١: ٦٠١، تهذيب اللُّغة ١: ١٥١، المحيط في اللُّغة ١: ١٢٠، المخصّص ٦: ١٣٥، الصحاح ٣: ١٢٠٤، لسان العرب ٨: ٧١ ـ ٧٢، مفردات القرآن الكريم: ٢٨٣، الوجوه والنظائر للدامغانيّ ١: ٣١٦.

(٥) من قصيدة تربو على ١٢٠ بيتاً يردُّ فيها جرير على الفرزدق ويهجوه والشعراء ويعدّد معايبه منها ما في الشاهد.
المعنى: يعدّ جرير من معايب الفرزدق قتلُ المجاشعيُّ الزبيرَ بن العوّامَ عند

⟵

وخاشع صفةُ مدح ؛ لقوله : ﴿وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ﴾[١] .

وإنّما خصّ الخاشِعَ بأنّها لا تكبر عليه ؛ لأنّ الخاشِع قد تواطأ ذلك له بالاعتياد له والمعرفة بما له فيه ، فقد صار بذلك بمنزلة ما لا يشقّ عليه فعله ولا يثقل تناوله .

وقال الربيع بن أنس : ﴿ٱلْخَاشِعِينَ﴾ في الآية : الخائفين[٢] .

قوله تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ آية ﴿٤٦﴾

آية بلا خلاف .

إنْ قيل : كيف أخبر الله عمّن وصفه بالخشوع بالطاعة ، ومدَحَهُم بذلك ؛ بأنّهم يظنّون أنّهم ملاقوا ربّهم ، وذلك مناف لصفة المدح ؟

قلنا : الظنّ المذكور في الآية المراد به العلم واليقين[٣] ، قال دُرَيْدُ بن

منصرفه من حرب الجمل غيلة ، وهو من أبناء جلدته . فلمّا وافى خبر ذلك مدينة الرسول الأكرم المنوّرة تواضعت هي وجبالها وخشعت حزناً!!

انظر : الديوان (بشرح ابن حبيب) ٢ : ٩٠٩ ق ٢٧ ب ٤٨ . ديوان النقائض ٢ : ٣١١ق ١٠١ ب ٤٨ . والديوان : ٢٧٠ وخزانة الأدب للبغدادي ٤ : ٢١٨ ش ٢٨٧ .

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٤٩١/١٠٣ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٠٦ ، تفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٣٧ ، الغريبين للهرويّ ٢ : ٥٥٧ (وفي الأخيرين بلا نسبة) .

(٣) عُدَّ الظَّنُّ من الأضداد تارة بنفسه وأُخرى بمعْنَييه ، للتوسعة انظر : الأضداد للأنباريّ : ١٤ ت ١ ، الأضداد في كلام العرب ١ : ٤٦٦ ، الأضداد لأبي عبيد : ٥١ والأضداد للتوزيّ : ٧٧ وهما ضمن (ثلاثة نصوص في الأضداد) ، الأضداد للأصمعيّ : ٣٤ ت ٤٢ ، وللسجستانيّ : ٧٦ ت ١٠٧ ، ولابن السكّيت : ١٨٨ ت ٣١٥ وذيل الأضداد للصنعانيّ : ٢٣٨ ت ٥٦٩ وهي ضمن ثلاثة كتب في الأضداد ، وانظر ما يأتي في : صفحة ١٩٢ هامش ١ .

الصِّمَّة[1]:

فَقلت لَهُم ظُنُّوا بألفي مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ في الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ[2] [٢٠٩]

وقال عَمِيرَةُ بن طارِق[3]:

بِأَنْ يَغْتَزُوا قَوْمِي وأَقْعُدَ فِيكُمُ وأَجْعَلَ مِنِّي الظَّنَّ غَيْبَاً مُرَجَّما[4] [٢١٠]

---

(١) دُرَيْد بن الصِّمَّة بن الحارث بن معاوية بن جُداعة ـ من جُشَم هوازن ـ شاعرهم ، بل سيّدهم وقائدهم وفارسهم ، شجاع قيل : لم يهزم ، أدرك الإسلام ولم يُسلم ، قتل يوم حنين مع رهطه عام : ٨هـ .

انظر : جمهرة أشعار العرب ١ : ٢٢٠ و٥٨٧ ، الشعر والشعراء ٢ : ٧٤٩ ـ ١٧٨/٧٥٦ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقيّ ٢ : ٨١٢ ، الأغاني ١٠ : ٣ ـ ٤٠ ، المؤتلف والمختلف للآمديّ : ١٦٣ .

(٢) بيت من أبيات الاستشهاد يكثر تداوله في كتب اللُّغة والأدب . وهو من قصيدة يرثي فيها أخاه عبدالله .

المعنى : ظُنُّوا : تيقنوا . مُدَجَّج : المحارب المسلّح التامّ التسليح . سراة : الأشراف والخيار . الفارِسيّ المُسَرَّد : الدروع المصنوعة في فارس ، وكذا الزرد .

الشاهد : استعمال «ظَنَّ» بمعنى اليقين والعلم .

انظر : الديوان «جمع البقاعيّ» : ٤٥ ق ١٥ ب ١٢ .

(٣) شاعر جاهليّ ، شعره متفرّق ، لم يترجم بأكثر من أنّه: ابن حَصْبَةَ اليربوعيّ من فرسانهم الشجعان وشعرائهم ، اشتهر في المصادر من خلال ذكرها ليوم ذي طلوح أو ما يسمّى يوم الصمد أو أود. هذا وقد اختلف في ضبط اسمه بين عَمِيرَة وعمارة وعَمْرَة وعَمِير. انظر لترجمته الهامش الآتي .

(٤) مقطوعة قالها عندما أُسر في بعض الحروب ، وفي البيت يخاطب صاحبيه بأنّ قومي وعشيرتي يُغْزَون وأنا أجلس معكم جاعلاً ظَنّي ـ علمي ـ بالغزو احتمالاً وظنّاً وهو محلّ الشاهد أيضاً إذ لو لم يرد من الظنّ هنا اليقين والعلم لكان استعمالاً ضعيفاً ؛ لأنّ الظَنَّ هو الغيب المرجَّم الذي لا يوقف على حقيقته . من الرجم ، وهو : القذف ، فلابدّ من الفرق .

هذا وللبيت روايةٌ ثانية لا يمكن المساعدة عليها للشاهد .

انظر : الكامل في التاريخ ١ : ٦٣٧ ، نقائض جرير والفرزدق (ديوان النقائض) ١ :

وقال أبو دُؤاد[1] :

رُبَّ هَــمٍّ فَــرَّجْتَهُ بِـعَزِيمٍ ... وغُـيُوبٍ كَشَّـفْتَهَا بِظُنُونِ[2] [٢١١]

وقال المُبَرِّد : ليس من كلام العرب : أظنّ عند زيد مالاً . يريد : أعلم ؛ لأنّ العِلمَ المشاهد لا يناسب باب الظنّ[3] ، وقد أفصح عن ذلك أوس بن حجر في قوله :

الأَلْـمَعِيَّ الَّـذي يَـظُنُّ بِكَ الظَّـ ... ـنَّ كَأنْ قَدْ رَأى وَقَدْ سَمِعا[4] [٢١٢]

---

٥٨ ، أيّام العرب قبل الإسلام : ٣٨٥ ب ٩ ، العقد الفريد ٥ : ١٨٨ أيّام العرب في الجاهلية : ١٨٩ ، معجم الشعراء الجاهليين : ٢٧٤ .

(١) الإياديّ ، جارية بن الحجّاج بن بحر . . . بن معد ـ وقيل غير ذلك ـ شاعر جاهليّ قديم ، شهد له الحطيئة بأنّه أشعر الناس ، أكثر شعره في نعت الخيل ، له ديوان شعر.
انظر : الشعر والشعراء ١ : ١٧/٢٣٧ ، الأغاني ١٦ : ٣٧٣ .

(٢) البيت من قصيدة للشاعر قالها في امرأته .
المعنى : العزيم : الدعاء ، الحرز . الغيوب : المجهول الغير المعلوم . الظنون : أراد اليقين والعلم .
الشاهد فيه : استعمال الظنّ وإرادة اليقين والعلم والمعرفة ، أي : اكتشفتها ، عرفتها ، وإلّا لضعُف معنى البيت .
وقد استشهد به جمع لمورد الشاهد منهم : الأنباريّ في الأضداد : ١٥ ، الحلبيّ في الأضداد في كلام العرب ١ : ٤٧٠ ، الماورديّ في تفسير النكت والعيون ١ : ١١٦ ، القرطبيّ في جامع أحكام القرآن ١ : ٣٧٦، السمين الحلبيّ في الدرّ المصون ١ : ٤٣٦/٢١٣ ، وغيرهم.

(٣) لم نجده في المتوفّر لدينا من مؤلّفاته : الكامل ، المقتضب ، التعازي ، المذكّر ، أعجاز أبيات ، و . . . .

(٤) من قصيدة يرثي بها فَضالةَ بن كِندة ـكلدة ـ مطلعها :
أَيَّتُها النَّفْسُ أَجْمِلي جَزَعا ... إنَّ الَّذي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعا
الديوان : ٥٣ ق ٢٦ ب ٣ .
المعنى : الألمعي : هو الشخص الذي يضع الأُمور مواقعها . أو القويّ القلب

وقال آخر :

فـإلّا يَأتِكُـمْ خَـبَرٌ يَـقِينٌ فإنَّ الظَّنَّ يَنْقُصُ أوْ يزيدُ[١] [٢١٣]

وقال بعض الشيوخ : أصل الظنّ ما يجول في النّفس من الخاطر الذي يغلب على القلب ، كأنّه حديث النّفس بالشيء . وتأوّل جميع ما في القرآن من معنى العلم على هذا[٢] .

الذي يوقع الأشياء مواقعها ، ووضّحه بما بعد الذي ، بك : اختلفت المصادر والديوان بينه و : لك .

المعنى : الشاعر يصف فَضالةَ بالعقل وإصابة الرأي ومضاء العزم وثبوت الرأي والفطنة ، إذ كان يتشوّف ، بل يعرف ما لم يكن بما كان .

الشاهد : تنزيل ظنِّ الألمعي منزلة العلم ، حتّىٰ قيل : لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه ، و : ظنّ الرجل قطعة من عقله .

ووصف البيت : بأنّه من أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأي والفطنة .

(١) مع التتّبع لم نجده إلّا في الحيوان للجاحظ ٣ : ٦٠ وتفسير وضح البرهان ٢ : ٣١٥ منسوباً فيهما إلى أبي الفضّة المسيّب ، وبلقبه هذا أشهر من اسمه زهير بن علس ، انظر ترجمته في معجم الشعراء الجاهليّين : ٣٣٥ ومصادره .

(٢) مادّة «ظَنَنَ» عُدّت ممّا اتّفق لفظه واختلف معناه فهي من الأضداد ، حيث استعملت في القرآن الكريمُ والسنّة الشريفة والشعر والنثر لمعانٍ مختلفة أنْهاها البعض إلى خمس ينضدها أنّه : ترجيح أحد الطرفين . منها اثنان متضادّان فلا يقال فيه إلّا العلم هما مورد الكلام والشاهد ، والمعان الخمس هي :

١ ـ اليقين : وهو الحاصل عن تدبّر وتفكير وإعمال نظر . وأمّا الحاصل من العيان المراد منه العلم أو اليقين ، وإلّا لكان ـ في بعض الموارد ـ مدح على الكفر ، انظر ما ورد في سورة البقرة ٢ : ٤٦ و٢٣٠ و٢٤٩ ، سورة الحاقّة ٦٩ : ٢٠ ، سورة ص ٣٨ : ٢٤ ، وسورة المطففين ٨٣ : ٤ وغيرها كثير .

٢ ـ الشكّ : وموارده كثيرة نحو ما في سورة البقرة ٢ : ٧٨، سورة الجاثية ٤٥ : ٣٢. والباقي :

٣ ـ الإنكار : كما في سورة ص ٣٨ : ٢٧ .

٤ ـ الجحد : كما في سورة يونس ١٠ : ٦٠ .

وقال الحسن وأبو العالية ومجاهد وابن جُريج: ﴿يَظُنُّونَ﴾، أي: يوقنون[1]. ومثله: ﴿ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾[2] أي: علمت، ومثله: ﴿وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾[3] معناه: استَيْقَنُوا، وقوله: ﴿ وَرَءَا

---

٥ ـ الحسبان: كما في سورة الانشقاق ٨٤: ١٤.

هذا وقد سرى ذلك إلى علم الكلام.

وللتوسعة أُنظر من مصادر اللُّغة: مادّة «ظَنَنَ» في: العين ٨: ١٥١، جمهرة اللُّغة ١: ١٥٤، تهذيب اللُّغة ١٤: ٣٦٢، المحيط في اللُّغة ١٠: ١٢ الصحاح ٦: ٢١٦٠، المخصّص ٦: ٣٦٧، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٨، مفردات ألفاظ القرآن: ٥٣٩، مجمع البحرين ٢: ١١٤٣، الغريبين للهروي ٤: ١٢٠٨، لسان العرب ١٣: ٢٧٢، الأشباه والنظائر: ٣٢٧ ت ١٨٣، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ٣٧٤، ما اتّفق لفظه واختلف معناه: ٢٢، الوجوه والنظائر ٢: ٦١.

ومن كتب الأضداد انظر: الأضداد للأصمعيّ: ٣٤ ت ٤٢ وللسجستانيّ: ٧٦ ت ١٠٧ ولابن السكّيت: ١٨٨ ت ٣١٥ كلّها ضمن ثلاثة كتب في الأضداد، الأضداد لأبي عبيد: ٥١ وللتوزيّ: ٧٧ ضمن ثلاثة نصوص في الأضداد، الأضداد للأنباريّ: ١٤ ت ١، الأضداد في كلام العرب ١: ٤٦٦.

وأمّا كتب الكلام فانظر: شرح المصطلحات الكلاميّة: ٢٠٤ ت ٧٠٣ فإنّه خير من جمع مواردها.

وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٣٤، ومعاني القرآن للزجّاج ١: ١٢٦.

وأمّا التفاسير فقد أُشير إليها في مواردها؛ وتأتي الإشارة إلى بعضها لاحقاً.

(١) لم ينحصر القول بهم؛ بل نسب في التفاسير أيضاً: للجمهور، ومختاراً، وأُرسل مسلّماً. أُنظر: تفسير الشهيد زيد بن عليّ: ٨١، تفسير سفيان الثوريّ ٤٥ ت ١٥، غريب القرآن لليزيديّ: ٦٨ ت ٤٦، غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٧ ت ٤٦ وتأويل مشكل القرآن له: ١٨٧، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٠٣ ت ٤٩٣ و٤٩٤، تفسير القرآن العزيز لابن زمنين ١: ١٣٨، تفسير جامع البيان ١: ٢٠٦، تفسير بحر العلوم ١: ١١٦، تفسير النكت والعيون ١: ١١٦، تفسير الوسيط ١: ١٣٢، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٤٧، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٠٦، وغيرها كثير.

(٢) سورة الحاقّة ٦٩: ٢٠.

(٣) سورة التوبة ٩: ١١٨.

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾[١] يعني: عَلِموا.

وقد جاء في القرآن الظنّ بمعنى الشكّ كقوله: **﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾**[٢] وقوله: **﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً﴾**[٣].

وقال قوم: يحتمل قوله: **﴿يَظُنُّونَ﴾** وجهاً آخر، وهو: أَنّهم يظنّون أَنّهم ملاقوا ربّهم بذنوبهم؛ لشدّة إِشفاقِهم من الإقامة على معصية الله[٤]، وهذا وجه مليح، وقد استبعده الرمّانيّ[٥] وقال: لأنّ فيه حذوفاً كثيرة.

وهذا ليس بمنكر إذا كان الكلام محتملاً له.

وقيل أيضاً: الذين يظنّون انقضاء أجلهم وسرعة موتهم فيكونون أَبداً على حذرٍ ووجل، كما يُقال لمن مات: قد لقي الله[٦].

والظَّنُّ، والشَّكُّ، والتَّجوِيزُ نَظائِرُ، إلّا أنّ الظَّنَّ فيه قوّة على أحد الأمرين دون الآخر، وحدُّه: ما قوي عند الظّانّ كون المظنون على ما ظنّه مع تجويزه أن يكون على خلافه. فبالتجويز ينفصل من العلم، وبالقوّة ينفصل من الشّكّ والتقليد وغير ذلك.

وضدّ الظَّنّ: اليَقِينُ.

ويقال: ظَنّ ظَنّاً وتَظَنَّن تَظَنُّناً، وقال: **﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا**

---

(١) سورة الكهف ١٨ : ٥٣.

(٢) سورة الجاثية ٤٥ : ٢٤.

(٣) سورة يونس ١٠ : ٣٦.

(٤) انظر مصادر الهامش ١ في: ١٩٢، والهامش ٢ صفحة: ١٩١.

(٥) تقدّم أنّ مؤلّفاته في القرآن الكريم لم ترَ النور بعد.

(٦) راجع الهامش الأسبق.

يُرْجَعُونَ﴾[١]، وقوله: **﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾**[٢].

والظَّنِيْنُ: المُتَّهَمُ، ومصدره: الظِّنَّةُ.

والظَّنُوْنُ: الرّجل السَّيِّىء الظَّنِّ بكلِّ أحدٍ. والظَّنُونُ: القَـلِيلُ الخَـيْر. والتَّظَنّي والتَّظَنُّن بمعنى واحد.

والظَّنُونُ: البِئْرُ التي يُظَنُّ أنَّ بها ماءً ولا يكونُ فيها شيء.

ومَظَنَّةُ الرجل ومَظَانُّه حيث يَألَفه فيكون فيه[٣].

ومعنى قوله: **﴿أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا رَبِّهِمْ﴾**، أي: ملاقوا جزاء ربِّهم، فجعل ملاقاة الجزاء ملاقاة له؛ تفخيماً وتعظيماً لشأن الجزاء.

وأصل المُلاقاة: المُلاصقة، من قولك: التقى الحدّان إذا تلاصقا، ثمّ كَثُر حتّى قالوا: التقى الفارسان إذا تحاذيا ولم يتلاصقا.

ومثل ما قلنا في قوله: **﴿مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾** قوله تعالى: **﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾**[٤] معناه: يوم يلقون جزاءَه؛ لأنّ المـنافقين لا يرون الله عند أحد من أهل الصلاة، وكذلك قوله: **﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾**[٥] معناه: إذ وقفوا على جزاء ربِّهم؛ لأنّ الكفار لا يرون الله عند أحد من الأُمّة.

---

(١) سورة القصص ٢٨ : ٣٩.

(٢) سورة الفتح ٤٨ : ١٢.

(٣) مصادر اللُّغة تقدّمت ضمن الهامش: ٢ صفحة: ١٩١ وانظر الهامش: ٤ صفحة: ١٩٣.

(٤) سورة التوبة ٩ : ٧٧.

(٥) سورة الأنعام ٦ : ٣٠.

فإن قيل: ما معنى الرجوع هاهنا، وهم ما كانوا قطّ في الآخرة فيعودوا إليها؟

قيل: راجعون بالإعادة في الآخرة في قول أبي العالية.

وقيل: يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المتقدّمة؛ لأنّهم كانوا أمواتاً فأُحيوا ثمّ يموتون فيرجعون أمواتاً كما كانوا.

والأوّل أظهر وأقوى.

وقيل معناه: إنّهم راجعون إلى أن لا يملك أحد لهم ضرّاً ولا نفعاً غيره تعالى، كما كانوا في بدء الخلق؛ لأنّهم في أيّام حياتهم قد يملك الحكم عليهم غيرهم، والتدبير لنفعهم وضرّهم[1]. يبيِّنُ ذلك قوله: ﴿**مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[2].

ومعنى الآية: إنّهم يُقرّون بالنشأة الآخرة، فجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعاً إليه.

وأصل الرُّجُوع: العَوْدُ إلى الحال الأولى، يقال: رَجَعَ الرجُل ورَجَعْتُه، وهو أحد ما جاء على فَعَلَ وفَعَلْتُه.

ويُحتمل أن يكون المراد به: إنّهم إليه صائرون، كما يقول القائل: رَجَع الأمرُ إلى فلان وإن كان قطّ لم يكن له، ومعناه: صار إليه.

---

(١) الأقوال تجدها في: متشابه القرآن لابن شهرآشوب ١ : ٧٢، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٦، معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٠٦، تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن ١ : ٢٠٨، التفسير الكبير ٣ : ٥١، تفسير البحر المحيط ١ : ١٨٦.

(٢) سورة الفاتحة ١ : ٤.

وحُذفت النون من ﴿مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ﴾ عند البصريّين؛ تخفيفاً، والمعنى على إثباتها؛ ومثله قوله: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ﴾[1]، و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[2]. قال الشاعر:

هَـلْ أنتَ بـاعِثُ دِيـنارٍ لِـحَاجَتِنا ... أَوْ عَبْدَ رَبٍّ أَخا عَوْنِ بنِ مِخْراقِ[3] [٢١٤]

ولو أردت معنى الماضي لتعرَّف الاسم بالإضافة، ولم يجز فيه إظهار النون البتّة، وإذا كان الفعل غير واقع كان إثبات النون هو الوجه دون الإضافة، فلو قيل: «ملاقون» كان صَواباً.

قال الأخفش: وجرى حذف النون هاهنا؛ للاستثقال، كما حذف الشاعر في قوله:

---

(١) سورة القمر ٥٤ : ٢٧ .

(٢) مقطع متكرّر في سور: آل عمران ٣ : ١٨٥ ، الأنبياء ٢١ : ٣٥ ، العنكبوت ٢٩ : ٥٧ .

(٣) اختُلِف في البيت من جهات:

أ ـ القائل: إذ نسب لجرير، تأبّط شرّاً، جابر السنبسيّ، مجهول القائل إذ هو من الخمسين في الكتاب، مصنوع.

ب ـ والمعنى: ففي باعث: بمعنى مُرسِل أو مُوقِظ. وفي دينار: إنّه رجل، جارية، النقد المعروف. وفي عبد ربّ: إنّه مبدل من أخا عون، وقيل: إنّه موصوف بأخا عون، وقيل غير ذلك.

ج ـ وأخيراً الشاهد حيث قيل: إنّه شاهد للفظيّة الإضافة في «باعث دينار». وقيل: إنّه شاهد لنصب «عبد ربّ» بإضمار فعل أو عطف على محلّ السابق. وقيل هما.

وللتوسعة انظر: الكتاب ١ : ١٧١ ، النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم ١ : ٢٩٤ ، شرح أبياته للنحّاس: ١٠٤ ت ٢٢٢ ، الجمل للفراهيديّ: ٩٩ ، الجمل للزجّاجيّ: ٨٧ ، شرح جُمل الزّجاجيّ لابن عُصفور ١ : ٢٥٣ ت ١٥٧ ، والبسيط في شرح جُمل الزّجاجيّ للسُّبتيّ ٢ : ١٠٢٩ ، وشرح الجُمل لابن هشام: ١٧٢ ، المقتضب ٤ : ١٥١ ، خُزانة الأدب للبغدادي ٨ : ٢١٥ ، شرح ابن عقيل ٢ : ١٦٠ ش ٢٦٥ .

[١٠٥] وإنَّ الَّذِي حانَتْ بفَلْجٍ دِماؤُهمُ ... هُمُ القَومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالِدِ

فأسقط النون من (الذِينَ) استثقالاً، وقال الأخطل:

[٢١٥] أَبَنِي كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّيَّ اللَّذا ... قَتَلا المُلُوكَ وَفَكَّكا الأَغلالا[١]

فأسقط النون[٢].

وقال الكوفيّون: إذا حذف النون فاللّفظ الاسم، وإذا أثبت وظهر النصب فالمعنى الفعل[٣].

قال الزجّاج: ويجوز كسر الهمزة من قوله: ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ لكن لم يَقرأ به أحد على معنى الابتداء، ولا يجوز كسر ﴿أَنَّ﴾ الأُولى؛ لأنَّ الظَّنَّ وقع عليها[٤].

---

(١) البيت السادس عشر من قصيدة يهجو بها جريراً ويفخر على قيس، الديوان: ٤٤.
المعنى: يفخر الشاعر على جرير وعشيرته وهم بنو كليب بأبطال قومه والمشهورين منهم وبأعمالهم: منها قتل الملوك ومنها فك أغلال الأسرى وإطلاقهم من يد أعدائهم.
بني كليب: عشيرة جرير. عمَّيَّ: اختلف فيهما فقيل هما: عمرو بن كلثوم قاتل الملك عمر بن هند، والآخر: عصم بن النعمان أبو حنش قاتل شرحبيل بن عمرو التغلبيّ وغيره، وقيل غير ذلك. الأغلال: جمع غُلّ: الطوق الذي يوضع في رقبة الأسير وغيره من حديد كان أو غيره.
الشاهد فيه: حذف النون من «اللّذَيْنِ» بجعلها «اللّذا» إمّا: تخفيفاً؛ لاستطالة الصلة. أو أنها إحدى لغات ثلاث فيها ـ اللّذانِ، اللّذانِّ، اللّذا ـ على رأي الكوفيين.
للتوسعة انظر: أمالي الشجريّ ٣: ٥٥، المقتضب ٤: ١٤٤، الكتاب ١: ١٦٤، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٥٤، سرّ صناعة الإعراب ٢: ٥٣٦، المصنّف ١: ٦٧، المحتسب ١: ١٨٥، شرح المفصّل لابن يعيش ٣: ١٥٤ وخزانة الأدب للبغدادي ٦: ٦ ت٤٢٣.
(٢) انظر مورد الشاهد في الهامش السابق.
(٣) للتوسعة انظر مصادر الهامش الأسبق ومعاني القرآن للفرّاء ٢: ٢٠٢، ٢٢٥، ٢٢٦، ٤٢٠ و٣: ١٥٣.
(٤) معاني القرآن للزجّاج ١: ١٢٧.

قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ آية ﴿٤٧﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾، قد مضى تفسير مثل هذا في ما تقدّم؛ فلا وجه لإعادته[1].

وأمّا قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

ذكّرهُم الله تعالى من آلائِه ونعمه عندهم بقوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: فضّلتُ أسلافكم، فنسبَ النِّعمة على آبائهم وأسلافهم أنّها نعمةٌ عليهم منه؛ لأنّ مآثر الآباءِ مآثرُ الأبناء، والنِّعَمَ عند الآباء نِعَمٌ عند الأبناء؛ لكون الأبناء من الآباء.

وقوله: ﴿فَضَّلۡتُكُمۡ﴾:

فالتفضيل والترجيح والتزييد نظائر.

والتفضيل نقيضه: التسوية.

يقال: فَضَّلَهُ وتَنَقَّصَهُ على وجه النقيض.

ونقيض التَّزْييدُ التَّنْقِيصُ.

يقال: فَضَلَ فَضْلاً، وأَفْضَلَ إِفْضالاً، وتَفَضَّلَ تَفَضُّلاً، واسْتَفْضَلَ اسْتِفْضالاً، وتَفاضَلُوا تَفاضُلاً، وفاضَلَهُ مُفاضَلَةً، وفَضَّلَهُ تَفضِيلاً. والفِضَالُ: اسْمٌ للمُفاضَلَةِ[2]، والفَضِيلَةُ: الدَّرَجَةُ والرِّفْعَةُ في الفَضْل.

---

(١) ضمن الآية ٤٠ من سورة البقرة.

(٢) في المحيط في اللُّغة ٨: ٢١: للَمفاضِل، وفي شمس العلوم ٨: ٥٢٠٩ للتفاضل. ويأتيان في صفحة ١٩٩ هامش (٢).

والتَّفَضُّلُ: التَّوَشُّحُ، ورَجُلٌ فُضُلٌ مُتَفَضِّل وامْرَأَةٌ مُتَفَضِّلَةٌ عليها ثَوْبٌ فُضُلٌ: إذا خالَفَتْ بَينَ طَرَفَيْهِ على عاتِقِها وتَتَوَشَّح به، قال الشاعر:

إذا تُـغرِّد فِـيهِ القَـيْنَةُ الفُـضُلُ[1] . . . . [٢١٦]

وأفْضَلَ فُلانٌ على فُلانٍ: إذا أَنالَهُ مِنْ خَيْرِه وفَضْلِهِ وأَحْسَنَ إلَيْهِ.

وأَفْضَلَ فُلانٌ منَ الطَّعامِ والأرضِ والخُبْز: إذا تَرَكَ مِنْهُ شَيْئاً.

لغة أهل الحجاز: فَضَلَ يَفْضُلُ.

ورَجُلٌ مِفْضَالٌ: كَثِيرُ المَعْروفِ والخَيْر.

والفَضائِل: واحدها فَضِيلَةٌ، وهي: المَحاسِنُ. والفَواضِلُ: الأَيادِي الجَمِيلَةُ. والمِفْضَل: ثَوْبٌ تَتَخَفَّفُ بِهِ المرأةُ في بيتها، والجَمع مَفاضِل، وامرأة فُضُلٌ: إذا كان عليها مِفْضَلٌ.

وأصل الباب الزِّيَادةُ.

والإفضال والإحسان والإنعام نَظائِرُ.

ويُقال: فَضَّلَهُ إذا أعطاه الزِّيَادة، وفَضّله إذا حكم له بالزيادة[2].

---

(١) وصدره:

ومُسْـتَجِيبٍ تَـخالُ الصَّـنْجَ يُسْـمِعُهُ . . . .

بيت من اللاميّة الشهيرة التي يُوَدِّعُ فيها الأعشى الكبير ميمون بن قيس صاحبته هُرَيْرَة.

انظر: الديوان: ١٠٥ ق ٦ ب ٤٢، وفـيه: تُـرَجِّع، عـوض: تُـغَرِّد. وانـظر: ما تقدّم برقم ٩٢ ج١: ٢٢١.

المعنى: يشير إلى المرأة التي تلبس ثوباً واحداً للتبذّل مخالفة بين طرفيه.

الشاهد فيه: استعمال كلمة «الفُضُل» وارادة ما تقدم.

(٢) مصادر اللُّغة لمادّة «فَضَلَ» هي: العين ٧: ٤٣، جمهرة اللُّغة ٢: ٩٠٧، تـهذيب اللُّغة ١٢: ٣٩، المحيط في اللُّغة ٨: ٢١، الصحاح ٥: ١٧٩١، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٢٠٥، لسان العرب ١١: ٥٢٤، شمس العلوم انظر الفهرس: ٧٣٩ «فَضَلَ».

فإن قيل : لِمَ كرّر قوله : ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ؟

قلنا : لأنّه لمّا كانت نِعَمُ الله هي الأصل في ما يجب فيه شكره وعبادته احتيج إلى تأكيدها ، كما يقول القائل : اذهب اذهب ، اعْجَل اعْجَل ، وغير ذلك في الأمر المهمّ .

وأيضاً فإنَّ التّذكير الأوّل ورد مجملاً ، وجاء الثاني مفصَّلاً ، كأنّه قال : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم في ما أنتم عليه فيه من المنافع التي تتصرّفون فيها وتتمتّعون بها ، وإنيّ فضّلتكم على العالمين ، ودلّ هذا على قوله : ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ؛ لأنّها إحدى الخصال التي ذُكِّروا بها ، وجاءت عاطفة ، فدلّت على خصلةٍ قبلها إمّا مذكورة أو مقدّرة . وإنّما فُضِّلوا بما أرسل الله فيهم من كثرة الرسل ، وأنزل عليهم من الكتب .

وقيل : بكثرة مَنْ جُعِلَ فيهم من الأنبياء . وما أنزل الله عليهم مِنَ المَنِّ والسَّلْوى ، إلى غير ذلك من النِّعمة العظيمة منْ تَغريقِ فرعون عدوِّهم ، ونجاتهم من عذابه ، وتكثير الآيات التي يخف معها الاستدلال ، ويسهل بها كثرة المشاقّ . وهو قول أكثر أهل العلم كأبي العالية وغيره[1] .

ونظير هذه الآية قوله : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[2] ، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[3] .

---

(١) انظر : تفسير كتاب الله العزيز للهُوّاريّ ١ : ١٠٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٩٥ ت ٤٣٥ و٤٣٦ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١١ ، تفسير الوسيط ١ : ١٢٧ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٤٩ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٥٠ .

وقوله: ﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾:

قال أكثر المفسّرين: إنّه أراد الخصوص، ومعناه عالَمَي زمانهم. ذهب إليه قَتادة والحسن وأبو العالية ومجاهد وغيرهم.

وقال بعضهم: إذا قلت: فَضَلَ زيدٌ على عمرو في الشجاعة؛ لم يدلّ على أنّه أفضَل منه على الإطلاق، ولا في جميع الخصال، فعلى هذا يكون التخصيص في التفضيل لا في العالمين[1].

وأُمّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله أفضل من أُولئك؛ لقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2] وعليه إجماع الأُمّة؛ لأنّهم أجمعوا على أنّ أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله أفضل من سائر الأُمم، كما أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء من ولد آدم عليهم السلام.

قوله تعالى:

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ آية (٤٨) آية واحدة بلا خلاف.

قرأ ابنُ كَثير وأهلُ البصرة: ﴿لَا تُقْبَلُ مِنْهَا﴾ بالتاء، الباقون: بالياء[3].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل ١: ١٠٣، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٦٨، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٨، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ١٠٣، تفسير جامع البيان ١: ٢٠٨، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٠٤ ت ٤٩٧ و٢: ٦٣٥ ت ٣٤١٥، تفسير بحر العلوم ١: ١١٦، تفسير ابن أبي زمنين ١: ١٣٨، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٣٤٧، تفسير البحر المحيط ١: ٣٠٦، تفسير غرائب القرآن ١: ٢٧٩، وانظر مواردها في التفاسير فإنّها مختلفة حسب ورودها واستعمالها.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١١٠.

(٣) السبعة في القراءات: ١٥٥، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٣، حجّة القراءات: ٩٥، ←

موضع ﴿لَا تَجْزِي﴾ نصب؛ لأنّه صفة يوم. والعائد عند الكسائيّ لا يكون إلّا «هاء» محذوفة من ﴿تَجْزِي﴾.

وقال بعضهم: لا يجوز إلّا «فيه».

وقال سيبويه، والأخفش، والزجّاج: يجوز الأمران[1].

قال أبو عليّ: المعنى في قوله: ﴿لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ﴾: لا يقبل فيه منها شفاعةٌ[2].

فمن ذهب إلى أنّ «فيه» محذوفة من قوله: ﴿وَٱتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِى﴾ جعل «فيه» محذوفة بعد قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ﴾.

ومن ذهب إلى أنه حُذِفَ الجارّ وأوصِلَ الفعلُ إلى المفعول، ثمّ حذف الراجِعُ من الصفة كما يحذف من الصلة، كان مذهبه في قوله: ﴿لَا يُقْبَلُ﴾ أيضاً مثلهُ.

وحذف «الهاء» من الصفة يَحْسن، كما يَحْسن حذفها من الصلة، ألا ترى أنّ الفعل لا يَتَسَلَّطُ بحذف المفعول منه على الموصوف، كما لا يَتَسَلَّط بذلك على الموصول.

فممّا حذف منه الرّاجع إلى الصفة قوله:

↵معاني القراءات للأزهريّ: ٤٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٣٨ ت ٢٣ و٢٤، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٣ ت ١٢.

(١) معاني القران للكسائيّ: ٦٨، الكتاب ١: ٣٨٦، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٥٨، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٢٨، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٨١، أمالي الشجريّ ١: ٦، الحجّة في القراءات السبع: ٧٦.

(٢) هو الفارسي: وانظر: الحجة للقراء السبعة ٢: ٤٤.

. . . . وَمَـا شَـيْءٌ حَمَيْتَ بِمسْتَبَاحِ[(١)] [٢١٧]

ومن الحذف قوله:

تَروَّحِي أجْدَرَ أنْ تَقِيلِي
غداً بِجَنْبَيْ باردٍ ظَلِيلِ[(٢)] [٢١٨]

المعنى: تأتي مكاناً أجدرَ أن تقيلي فيه. فحَذَف الجارّ ووَصَل الفعل ثمّ حَذَف الضميرَ. ونظير الآية قول الراجز:

قَدْ صَبَّحَتْ صَبَّحَهَا السَّلاَمُ
بِـكَبِـدٍ خَـالَطَـها السَّـنَـامُ

---

(١) عجز بيت لجرير من قصيدة في مدح عبدالملك بن مروان، انظر الديوان ٧٦، وشرح محمّد بن حبيب ١ : ٨٢ ق ٤ ب ١٧ وصدره:

أبحْتَ حِمَى تِهامَةَ بَعْدَ نَـجْدٍ . . . .

المعنى: يشير إلى وقعة عبدالله بن الزبير وإباحة الحرم وغلبة عبدالملك على ما كان لديه وله من أموال وسلاح.

الشاهد: حذف الرابط بين جملة الصفة وهي (حميت)، والموصوف وهو (شيء)؛ فيكون على الإثبات: حميته.

(٢) رجز استشهد به جمع من دون نسبة، وهو لأُحيحَة بن الجُلّاح الأوسيّ.

المعنى: يخاطب ناقته ويحثّها على الجدّ في السير والرواح للوصول إلى ماء ومكان أفضل للإقالة والاستراحة فيه. وقيل: هو خطاب للفسيل، أي: صغار النخل يطالبه بالامتداد والارتقاع و... وعليه ففيه تشبيه.

الشاهد: اسْتُشْهِدَ به لمّا صرّح به الشيخ المصنّف ﷺ من توالي الحذف إذ أصله:

ائتي مكاناً أجدر بأن تقيلي فيه.

حذف الفعل ـ ائتي ـ ثمّ حذف ـ مكاناً ـ الموصوف، ثمّ حذف الباء من بأن تخفيفاً، ثمّ حذف الجارّ ـ في ـ فصار تقيليه، ثمّ حذف الضمير منه، فصار: تقيلي.

وللتوسعة انظر: الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٤٥، المحتسب ١ : ٢١٢، المقتصد ١ : ٦٤٩ ش ١٦٣، أمالي ابن الشجريّ ٢ : ١٠٠، خزانة الأدب للبغدادي ٥ : ٥٧، وغيرها كثير. ولترجمة الشاعر: معجم الشعراء الجاهليين: ١٠ ومصادره.

[٢١٩] في سَاعةٍ يُحَبُّهَا الطَّعَامُ(١)(٢)

أي: تُحبُّ الطَّعامَ فيها.

والمُجازاةُ والمُكافَأَةُ والمُقابَلةُ نظائِرُ.

يُقال: جَزى يَجْزي جَزاءً، وجازاهُ مُجازاةً، وتَجازَوْا تجازياً.

قال صاحب العين: الجَزاءُ: المُكافَأَةُ بالإِحْسَانِ إحْساناً، وبالإِساءَةِ إساءةً. وفُلانٌ ذُو جَزاءٍ وذو غَناءٍ.

وتقول: هذا الشيء يُجْزِئُ عن هذا، يُهْمَزُ وُيُلَيَّن. وفي لغة: يَجزي، أي: يكفي.

وأصلُ الباب: مُقابلةُ الشيءِ بالشيءِ(٣).

ومعنى قوله: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ شَيْئاً﴾ أي: لا تُقابِل مكروهها بشيء يدرأه عنها، قال الله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٤)، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾(٥).

---

(١) الرجز هذا لم ينسب لأحد على كثرة مَن استشهد به، وقد اختلف في ضبط بعض ألفاظه.
المعنى صَبَّحَتْ: سقت القوم الصبوح لبناً أو خمراً. أو ما يقال في الدّعاء بالخير لحسن الصنيعة وغيرها.
الشاهد: «يُحَبُّها»، أصله يُحَبُّ فيها حذف الجارّ فاتّصل الضمير، فكان: يُحَبُّها.
انظر: معاني القرآن للفرّاء ١: ٣٢، الكامل في الأدب ١: ٥٠، الأضداد لأبي الطيّب ٢: ٧٣٢، المخصّص ٥: ٦١٦ و٦: ٥١٢.

(٢) الحجّة للقرّاء السبعة للفارسيّ ٢: ٤٤ ـ ٤٥، بتصرّف.

(٣) «جزيَ وجَزَأَ» في: العين ٦: ١٦٤ و١٦٢، المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٤٧٩ و٤٩٩. وانظر: تهذيب اللّغة ١١: ١٤٢، المحيط في اللّغة ٧: ١٥١.

(٤) سورة النمل ٢٧: ٩٠.

(٥) سورة غافر ٤٠: ١٧.

والفرق بين المُقابَلةُ والمجَازاةُ : إنّ المقابلةَ قد تكون للمساواة فقطّ كمقابلة الكتاب بالكتاب ، والمُجازاة تكون في الشرّ بالشرِّ والخير بالخير .

ومعنى قوله : ﴿**لَا تَجْزِى**﴾ أي : لا تُغني ، وهو قول السُّدّيّ[١] ، كما تقول : البقرةُ تُجزي عن سبعة ، وهي لغة أهل الحجاز . وبنو تميم يقولون : تُجزِئ بالهمز ، من : أجْزَأَتْ ، والأوّل من : جَزَتْ .

وقال الأخفش : لا تجزي منها ، أي : لا يكون مكانها بدلاً منها .

وأُنْكِرَ عَلَيْهِ ذلك ؛ لقوله : ﴿**شَيْئاً**﴾[٢] .

وجعل الأخفش ﴿**شَيْئاً**﴾ في موضع المصدر ، كأنّه يقول : لا تُجْزِئُ جزاءً ولا تُغْنِي غَناءً[٣] .

قال الرمّانيّ : والأقرب أن يكون ﴿**شَيْئاً**﴾ في موضع «حقّاً» ، كأنّه قال : لا يؤدّي عنها حقّاً وجب عليها[٤] .

---

(١) انظر : تفسير جامع البيان ١ : ٢٠٩ ، تفسير القرآن العظيم لابن ابي حاتم الرازيّ ١ : ١٠٤ ت ٤٩٨ و٤٩٩ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٧ .

(٢) الجملة وتبعاً للأُصول «ل ، حجريّة ، ؤ» : وأنكر عليهم . صُحّحت للمثبت تبعاً للنسختين «خ ، هـ» ؛ لأنّ الفعل ـ أنكر ـ : إمّا معلوم ففاعله الأخفش لا غير والضمير المجرور جمع ، ولا عائد له . وهذا بعيد غايته .

وإمّا مجهول ـ كما هو المثبت ـ والضمير المجرور مفرد عائد على الأخفش .

وحاصل المراد : إنّ الأخفش ذاهب إلى حتميّة المساواة بين المجزي والمجزىٰ عنه ، والبدل والمبدل ؛ لمقتضى المكانية والبدليّة .

لكن ردّ عليه الآخرون بأنّه في الآية الجزئية مرادة ، أي : لا تجزي ولو قليلاً ؛ لما دلّت عليه ﴿**شَيْئاً**﴾ .

انظر : تفسير جامع البيان ١ : ٢١٠ ومعاني القرآن للأخفش ١ : ٢٦٠ .

(٣) معاني القرآن له ١ : ٢٦٠ ـ ٢٦١ ، بتصرّف .

(٤) أُشير إلى الرأي ومن دون نسبة في : تفسير جامع البيان ١ : ٢١١ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ٧٦ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٣٠٨ .

وقال بعضهم: ﴿لا تَجْزِى﴾ بمعنى لا تقضي[١].

وقَبولُ الشيءِ: هو تلقِّيهِ والأخذُ بهِ، وضدّه الإعراض عنه، ومنْ ثَمَّ قيل لِتجاهِ القِبْلة: قُبالة، وقالوا: أقْبَلْتُ المكواةَ الداءَ، أي: جَعلْتُها قُبالَتَه.

ويجوز أنْ يكون المخاطَبون بذلك اليهود؛ لأنّهم زعموا أنّ آباءَهم الأنبياء تشفع لهم، فأُويسُوا بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾[٢]، وبقوله: ﴿لا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ﴾.

والقَبولُ والانقِيادُ والطَّاعَةُ والإجابَةُ نظائر، ونَقيضُه: الامْتناع.

يقال: قَبِلَ قَبوُلاً، وأَقْبَلَ إقْبالاً، وقابَلَهُ مُقابَلَةً، وتَقابَلوا تَقابُلاً، واسْتَقْبَلَه اسْتِقْبَالاً، وتَقَبَّلَ تَقبُّلاً، وقَبَّلَهُ تَقْبيلاً.

وقَبْلُ: نقيض بَعْدُ، والقُبُلُ: خِلافُ الدُّبُرِ، والقُبْلُ: إقْبالُكَ على الشيء كأنَّكَ لا تُرِيدُ غيرَه.

والقِبَلُ: الطَّاقَةُ، تقول: لا قِبَلَ لي، أي: لا طاقَةَ لي به، ومنه قولهم: جاءهم ما لا قِبَلَ لهم به، أي: لا طاقة، ومنه قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾[٣].

والقِبَلُ: التِّلْقَاءُ، تقول: لَقِيتُه قِبَلاً، أي: مُوَاجَهَةً، وأصبتُ هذا من

---

(١) لعلّه إشارة إلى ما ذهب إليه المفضَّل الضَّبيّ من أنّها ـ«تجزئ» ـ مع الهمز بمعنى: تكفي وتغني وتفي، ومن دونها بمعنى: الجزاء والثواب.

انظر: شرح اختيارات المفضّل للخطيب ٣: ١٢٣٩ ـ ١٢٤٠ وتفسير النكت والعيون ١: ١١٧، غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٨ ت ٤٨، تفسير البحر المحيط ١: ١٨٧ وغيرها.

(٢) سورة المائدة ٥: ١٨.

(٣) سورة النحل ٢٧: ٣٧.

قِبَله أي : مِنْ تِلْقائه ، أي : مِنْ لدُنه ، ومِنْ عِنْدِه ، وقوله : ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾[١] أي : قبيلاً قبيلاً ، وفسّر بعضُهم : عِياناً .

وكلُّ جِيْلٍ من النّاسِ والجِنِّ : قَبِيلٌ .

والقَبِيْلةُ مِن قَبائِلِ العَرب مَعْروفة .

والكُرَةُ يُقال لها : قَبَايِلُ ، وكلُّ قِطْعَةٍ من الجِلْدِ : قَبِيلَةٌ ، وقَبِيْلةُ الرأسِ : كلُّ فِلْقَةٍ قد قُوبِلَتْ بالأُخرى . وكذلك قَبائِلِ العَربِ .

والقِبَالُ : زِمَامُ النَّعْلِ ، يقال : نَعْلٌ مَقْبُولَةٌ ومُقْبَلَةٌ .

والقَبَلُ : رأسُ كلِّ شيءٍ : مثلُ الجَبَلِ ، والأكَمَةِ ، وكُثُبِ الرّملِ .

وقُبَالَةُ كُلِّ شَيْءٍ : ما كانَ مُسْتَقْبِلَهُ ، ومن الجِيران : مُقَابِلٌ ومُدَابِرٌ .

وشاةٌ مُقابَلَةٌ : إذا قُطِعَتْ من أُذنِها قِطعَةٌ وَتُرِكَتْ مُعَلَّقَةً من مُقَدّمٍ ، وإن كانت من خلفٍ فهي مُدابَرة ، وإذا ضَمَمْتَ شَيئاً إلى شَيْءٍ قلت : قابَلْتُه .

والقابِلَةُ : هي اللّيْلَةُ المُقْبِلةُ ، وكذلك العامُ القابِلُ والمُقْبِلُ .

والقابِلَةُ : التي تَقْبَلُ الوَلَدَ .

والقَبُوْلُ من الرِّيْحِ : الصَّبَا ؛ لأنّها تَسْتَقْبِلُ[٢] الدَّبُوْرَ ، وهي تستَقبِلُ القِبلَةَ مِنَ المَشرِقِ .

والقَبُولُ : أنْ تَقْبَلَ العَفْوَ وغَيْرَ ذلك . وهو اسم المصدر ، وأُمِيتَ الفعلُ منه ، والقَبُولُ الاسم ، تقول : أفعَلُ هذا من ذي قَبَلٍ ، أي : من ذي استِقبال .

والقُبْلَةُ : معروفةٌ ، والفعلُ التَّقْبِيلُ .

---

(١) سورة الأنعام ٦ : ١١ .

(٢) في بعض مصادر اللُّغة : تستدبر ، وانظر : الإفصاح في فقه اللّغة ٢ : ٩٣٦ .

والقِبْلَةُ: قِبْلَةُ الصَّلاةِ.

والتَّقَبُّلُ: تَقبُّلُ الشَّيءِ، تقول: تَقبَّلَ اللهُ مِنْكَ وعَنك عَملَكَ، وتقول: تَقبَّلْتُ فُلاناً من فُلانٍ بِقَبولٍ حَسَنٍ.

ورَجُلٌ مُقَابَلٌ: في كَرَمٍ وفي شَرَفٍ من قِبَلِ أعمامِهِ وأخوالِهِ.

ورجلٌ مُقْتَبَلُ[1] الشَّبابِ: لم يُرَ فيه أثَرٌ من الكِبَرِ.

والقَبِيلُ والدَّبِيْرُ: في الحَبْلِ، فالقَبِيلُ: الفَتْلُ الأوَّلُ الذي عليه العامّة، والدَّبِيْرُ: الفَتْلُ الآخَرِ.

وبعضهم يقول: القَبِيل في قُوَى الحَبْل كلُّ قُوَّةٍ على قُوَّةٍ وجهُها الداخِلُ قَبِيلٌ، والوَجْهُ الخارِجُ دَبِيرٌ.

وقد قُرِئ: «قُبُلاً» و«قِبَلاً»؛ فمن قرأ: «قُبُلاً»، أراد جمع قَبِيل، ومن قرأ: «قِبَلاً»، أراد مُقَابَلَة[2].

والقَبِيلُ والكَفِيلُ واحد، وقَبِيْلُ القَوْمِ عَرِيفُهم.

وأصلُ الباب: المُقابَلَةُ خِلافُ المُدابَرةِ[3].

---

(١) في الأُصول: مُقْبَل. والمثبت من المصادر.

(٢) اختلف القُرّاء في ضبط ﴿قُبُلًا﴾ فجمْعٌ قرأها: بضمّ القاف والباء، وآخرون: بكسر القاف وفتح الباء، وثالث: بفتح القاف والباء. ولكلّ معنى مراد. للتوسعة انظر: معاني القرآن للفرّاء ١: ٣٥١، مجاز القرآن ١: ٤٠٧ و٢٠٤، معاني القرآن وإعرابه ٢: ٢٨٣، معاني القرآن الكريم للنحّاس ٢: ٤٧٥ ت ١٣١، الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٣٨٣، تفسير المشكل: ١٦٤ ت ١١١ وغيرها.

(٣) في الضبط اللُّغويّ وبعض المعاني اختلاف قد لا يضرّ، للتوسعة يُنظر: مادّة (قَبَلَ) في: العين ٥: ١٦٦، جمهرة اللُّغة ١: ٣٧٢، تهذيب اللُّغة ٩: ١٦٢، المحيط في اللُّغة ٥: ٤٢٩، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٤٢٥، المخصّص ٢: ﴿

وأمّا الشَّفَاعَةُ: فهي مأخوذة من الشَّفْعِ الذي هو خِلافُ الوِتْر، فكأنّه سؤال من الشَّفِيع، شَفَعَ سؤالَ المشفوع له.

والشَّفَاعَةُ والوَسِيلَةُ والقُرْبَةُ والوَصْلَةُ نظائر.

ويقال: شَفعَ شَفاعة، وتَشَفَّع تَشَفُّعاً، واسْتَشْفَعَ اسْتِشْفاعاً، وشَفَّعهُ تَشفِيعاً.

والشَّفْعُ من العَدَدِ ما كان أزواجاً تقول: كان وَتْراً فَشَفَعْتُهُ بآخر حتّىٰ صارَ شَفْعاً، ومنه قوله: ﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾[1] قالوا: الشَّفْعُ: يَوْمُ النَّحر، والوَتْرُ: يَوْمُ عَرَفَةَ.

وقال بعض المفسّرين: الشَّفع: (الحصا)[2] يعني كثرة الخلق، والوتر: الله.

والشَّافعُ: الطَّالِبُ لغيره، والاسم الشَّفَاعةُ، والطَّالِبُ: الشَّفِيْعُ والشَّافِعُ. والشُّفْعَةُ في الدّارِ معروفةٌ.

وتقول: فُلانٌ يَشفَع لي بالعداوةِ، أي: يُعِينُ عليَّ ويُعادِيني. وتقول:

---

۱۸٦ و٤: ٤٨٤ وانظر المادة في الفهرس، الصحاح ٥: ١٧٩٥، مجمل اللُّغة ٢: ٧٤١، لسان العرب ١١: ٥٣٦؛ وانظر: الأفعال لابن القطّاع ٣: ٥، الأفعال لابن القوطية: ٥٣ و٥٨، التكملة للصاغاني ٦: ٢٣٩.

(١) سورة الفجر ٨٩: ٣.

(٢) في «ل، هـ، ؤ، حجري»: الحفاء. والمثبت من «س، خ» والعين واستشهد له ببيت للعجاج. وبهذه الصراحة لم نجده في غيره من كتب اللُّغة والتفسير التي أنهت المعنى إلى عشرين إلّا بعنايةٍ كالكناية عن الكثرة والتعدّد. إضافة لمصادر اللُّغة وكتبها في الهامش اللّاحق، انظر: النوادر لأبي زيد: ١٩٦، تهذيب اللّغة ٥: ١٦٣، المخصّص ٢: ١٧٢، عن تهذيب الألفاظ: ٣٤ و٧٥٣ منه، اصلاح المنطق: ٤١٤ ـ ٤١٥. وأمّا التفسير فللمثال: تفسير جامع البيان ٣٠: ١٠٩، وتفسير زاد المسير ٩: ١٠٤ وغيرهما.

شَفَعْتُ الرجُلَ: إذا صِرتَ ثانيهِ. وشَفَعْتُ لَه إذا كنتَ له شافِعاً. وإنّما سُمِّيت شُفعةُ الدار؛ لأنّ صاحِبَها يَشْفَعُ ما له بها، ويضُمّها إلى مُلكِهِ.

وأصلُ الباب الزَّوج من العَدَدِ[1].

وقوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ﴾:

مخصوص عندنا بالكفّار؛ لأنّ حقيقة الشَّفاعة عندنا أن تكون في إسقاط المضارّ دون زيادة المنافع.

والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبيّ صلى الله عليه وآله فيُشفِّعُهُ الله تعالى، ويُسقط بها العقاب عن المستحقّين من أهل الصلاة؛ لما روي من قوله عليه السلام: «ادَّخرتُ شفاعَتي لأهلِ الكبائر من أُمّتي»[2].

وإنّما قلنا: لا تكون في زيادة المنافع؛ لأنّها لو استعملت في ذلك لكان أحدُنا شافعاً في النبيّ صلى الله عليه وآله إذا سأل الله أن يَزيدَه في كراماته، وذلك خلاف الإجماع فعُلِمَ بذلك أنّ الشَّفاعة مختصّة بما قلناه.

وعُلم بثبوت الشَّفاعة أنّ النفي في الآية يختصّ بالكفّار دون أهل القبلة. والآيات الباقية نتكلّم عليها إذا انتهينا إليها إن شاء الله.

---

(١) تلاحظ مادّة «شَفَعَ» في: العين ١: ٢٦٠، جمهرة اللُّغة ٢: ٨٦٩، تهذيب اللُّغة ١: ٤٣٦، المحيط في اللُّغة ١: ٢٩٢، المحكم والمحيط الأعظم ١: ٣٧٨، الصحاح ٣: ١٢٣٨، لسان العرب ٨: ١٨٣، الكلّيات: ٥٣٦، تاج العروس ١١: ٢٤٦.

(٢) تجده في: النكت في مقدّمات الأُصول للشيخ المفيد: ٥٤، التوحيد للصدوق: ٤٠٧ت ٦، الذخيرة للسيّد المرتضى: ٥٠٧، سنن ابن ماجة ٢: ١٤٤١ ت ٤٣١٠، المستدرك للحاكم ٢: ٣٨٢، المعجم الأوسط للطبرانيّ ٦: ١٧٤ ت ٥٩٤٢، تاريخ مدينة دمشق ٤٦٣/١٣ ت ١٤٧٦، مجمع الزوائد ١٠: ٣٧٨، وغيرها.

والشَّفاعةُ[1] ثبتَتْ عندنا للنبي صلى الله عليه وآله وكثيرٍ من أصحابه ولجميع الأئمةِ

---

(١) هي من مفردات القاموس المعرفيّ العقائديّ الإسلاميّ ، وعلى أنّ جذورَها العرفيّة في واقع مختلف المجتمعات ـ قديماً وحديثاً ـ عملياً واضحةٌ بيّنةٌ ثابتةٌ ، ولكنّ الجديد فيها النظرة الإسلاميّة وكيفيّة الطرح لها ومن ثمّ ما رافقها من آراء ناتجةٍ عن اختلاف أنظار علماء ومتكلّمي المذاهب الإسلاميّة لها كلّ وما تمليه عليه التزاماته المعرفية والمذهبيّة حتّى أنّ بحثها اللُّغوي أضحى متأثّراً بها ، وعلى كلٍّ فالكلام في الشَّفاعة يدور حول ثلاثة أُمور :

١ ـ الشَّافع : لا خلاف بين المسلمين أنّ الشافع يوم القيامة يكون النبيُّ الأكرم والأئمّة المهديّون من آله صلوات الله عليهم وصالحُ المؤمنون . وعليه نصوص كثيرة.

٢ ـ المشفوع له : يذهب المعتزلة إلى أنّها مختصّة بالمؤمنين ومن استحقّ الثواب ، فيُشفع له للزيادة والرفعة.

وأمّا الشيعة الإثنى عشريّة والأشاعرة فذاهبون إلى أنّها إسقاط العقاب عن مستحقّيه بعدم دخولهم النار أو عدم خلودهم .

هذا كلّه بعد اتّفاق كلمتهم جميعاً أنّها ليست للكفّار ومن لم يؤمن . بل هي في حقّ المؤمن صاحب الذّنب ولعلّ خصوص الكبيرة منه .

٣ ـ السبب والعلّة : فقد علم ممّا تقدّم .

ولعلّه لدى التتُّبع للمسألة تجدها تنشعب عن المعنى اللغويّ لها الذي يدور حول زيادة منفعة أو إسقاط عقاب .

هذا وقد أولاها متكلّمو علماء المسلمين عامّة اهتمامهم في بحوثهم العقائديّة وأثبتوها بما لا يقبل الجدال ، فقد فصّل الكلام فيها بعض وأجمل آخر ، وأفردها بالتأليف والبحث آخرون ، وهكذا كلٌّ حسب ظرفه ، ومن الفريقين . وبما أنّ الكلام حولها يطول ويخرج عن حدود الهامش فالإحالة على المصادر أولى وللفريقين .

فأمّا من الشيعة الإماميّة الإثنىٰ عشريّة فممّن فصّل الكلام فيها : الشيخ السبحانيّ في موسوعته التفسيريّة الكلاميّة مفاهيم القرآن ٤ : ١٥٧ ـ ٣١٣ ، والعلّامة الطباطبائي في تفسيره الميزان ١ : ١٥٤ وكذا الشيخ المكارم الشيرازيّ في تفسير الأمثل ١ : ١٦١ ، والحيدريّ في كتابه الشّفاعة بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطيتها ، وغيرهم من المعاصرين كثير .

المعصومين ، وكثيرٍ من المؤمنين الصالحين .

وقيل : إنّ نفي الشّفاعة في هذه الآية يختصّ باليهود من بني إسرائيل ؛ لأنّهم ادّعوا أنّهم أبناء الله وأحبّاؤه وأولاد أنبيائه ، وأنّ آباءهم يشفعون لهم . فآيسهم الله من ذلك ، فأخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص .

ولابدّ من تخصيص الآية لكلّ أحد[1] ؛ لأنّ المعتزلة والقائلين بالوعيد

وأمّا من القدماء فتجدها في المصادر التالية للمثال لا الاستيعاب :

أوائل المقالات للشيخ المفيد : ٩١ ، الحدود والحقائق للشريف المرتضى : ١٦٣ ، والذخيرة : ٥٠٤، وشرح تجريد الاعتقاد للقوشجيّ : ٣٨٣ ، كشف المراد للعلّامة الحلّيّ : ٣٣٠، وأنوار الملكوت في شرح الياقوت : ١٧٥، اللّوامع الإلهيّة : ٤٠٤ وإرشاد الطالبيّن للمقداد السيوريّ : ٤٢٧.

وأمّا من كتب العامّة فللمثال أيضاً :

الإبانة للأشعريّ : ٢٤١ ، التوحيد للماتريديّ : ٣٦٦ ، الإنصاف للباقلّانيّ : ٢٣١ ، شرح الأصول الخمسة للقاضيّ : ٦٨٧ ، أُصول الدين للبزدويّ : ١٦٢ و٢٤٤ ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقيّ : ١٢٥ ، الأربعين في أُصول الدين للغزّاليّ : ٤١٩، البداية في أُصول الدين للصابونيّ : ٨٣ ، الأربعين : ٢ : ٢٤٥ والشّفاعة العظمى في يوم القيامة والبراهين ٢ : ١٨٥ وهي للفخر الرازيّ ، لباب العقول للمكلّاتيّ : ٣٧٥ ، شرح المقاصد للتفتازانيّ ٢ : ٢٣٩ ، شرح المواقف للجرجانيّ : ٥٨٨ ، الكلّيات لأبي البقاء : ٥٣٦ ،كشّاف اصطلاحات الفنون ١ : ١٠٣٤ ، وغيرها الكثير ومن الفريقين .

وللتوسعة أكثر انظر : موسوعة المواضيع في المصادر الإسلاميّة ١ : ٢٧٥ ، شرح المصطلحات الكلاميّة : ١٧٧ ، معجم العناوين الكلاميّة والفلسفيّة : ٧٩ ، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي ١ : ٦٦٦ .

ولعلّ من المفيد مراجعة مصادر اللّغة المشار إليها فيما سبق صفحة : ٢١٠ هامش١ .

ولمزيد الاطّلاع أيضاً راجع ما أورده حجّة البحث والعِلم الشيخ الأمينيّ في موسوعته الغدير في الكتاب والسنّة والأدب بواسطة الفهرس الموضوعيّ : على ضفاف الغدير : ١٢٣.

(١) اللّام هنا بمعنى «عن» ، أي : لابدّ من تخصيص عموم النفي الوارد في الآية

يُثبتون شفاعة مقبولة ، وإن قالوا أنّها في زيادة المنافع[١] .

وأصل الشَّفاعة أن يَشْفع الواحدُ للواحد فيصير شَفْعاً ، ومنه الشَّفِيعُ ؛ لأنّه يصلُ جَناح الطالب ويصير ثانياً له .

والذي يدلّ على أنّ الشَّفاعة في إسقاط الضرر قول شاعر غطفان أنشدهُ المُبَرِّد :

وَقَالُوا : تَعَلَّمْ أَنَّ مَالَكَ إنْ يُصَبْ نُفِدْكَ ، وَإِنْ تُحْبَسْ نزرك وَنَشْفَعِ[٢] [٢٢٠]

واستعملت في زيادة المنافع أيضاً وإن كان مجازاً ـ لما مضى[٣] ـ قال الحطيئة[٤] في طلب الخير :

وَذَاكَ امـرؤٌ إنْ تأتِـهِ فـي صَنِيعَةٍ إلى مَـالِهِ لم تأْتِـهِ بِشَـفِيعِ[٥] [٢٢١]

الشريفة فتكون الشفاعة غير ثابتة لكلّ أحد ، وإنّما هي مخصوصة بأفراد ولأفراد ، وإلّا لم يتّجه التعليل الوارد في باقي كلامه ﷺ . وانظر الهامش السابق .

(١) انظر الهامش الأسبق .

(٢) هذا من جملة ثلاثة أنشدها المبرّد في الكامل ١ : ٧٧ ونسبها إلى رجل من بني عبدالله بن غطفان ، وقبله أبو تمّام في الوحشيات (الحماسة الصغرى) : ٢٤٩ ت ٤١٣ ونسبها إلى ابن دارة . والظاهر أنّه سالم المتقدِّم في الشاهد ٩ . وقد اختلف في ضبط البيت بين النسخ والمصادر وضبط على المصادر .

أراد الشاعر : إنّ من جاورهم مدافعون عنه مهما بلغ الحال . وإنّه إن حبس أو أُسر أو أُصيب ماله فإنّهم يشفعون له ويدفعون عنه ويطلقونه .

الشاهد : استعمال «نشفع» في دفع الضرر وهو ما أشار إليه الشيخ المصنِّف .

(٣) انظر صفحة : ٢١٠ قوله : وإنّما قلنا لا تكون . . .

(٤) الحُطيئة ، جرول بن أوس بن مالك ، أبو مليكة ، لقّب بلحطيئة ؛ لقصر قامته ، شاعر مخضرم هجّاء عنيف لم يسلم منه أحد حتّىٰ والديه وشخصه أيضاً ، اختلف في وقت اسلامه في حياة النبيّ أو بعد وفاته ﷺ ، قيل ارتدَّ ثمّ أُسر وعاد إلىٰ الإسلام .

قيل : مات عام ٤٥ ، أو ٥٩ هـ .

انظر معجم الشعراء المخضرمين والأُمويين : ١٠٩ ، ومقدمة الديوان .

(٥) آخر بيت من قصيدة يمدح بها طريف الحنفي لكرمه وحسن ضيافته ونواله إيّاه .

وقد استعملت الشَّفاعة بمعنى المعاونة ، أنشد بعضهم للنابِغة :

أتـاكَ امـرُؤٌ مُسْـتَعْلِنٌ ليَ بِـغْضَةً ... له مِـن عَـدُوٍّ مـثلَ ذلكَ شـافِعُ[1] [٢٢٢]

أي : مُعينٌ ، وقال الأحوص[2] :

كأنَّ مَـــنْ لامَـــني لأصْـرِمَها ... كَانُوا عـلينا بِـلَوْمِهِمْ شَـفَعُوا[3] [٢٢٣]

المعنى : إنّ طريفَ رجلُ الخير والكرم لا يحتاج نيل نواله وخيره إلى وساطة أحد ، فإنّه يَصِلُ كلّ من أتاه وزاره .

الشاهد : استعمال (شفيع) في إصابة الخير والمنفعة ، بقرينة صنيعة .

الديوان : ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(١) البيت ١٨ من القصيدة ٢ من ديوان النابغة الذبياني ٢٩ ـ ٣٥ والتي اعتذر فيها للنعمان بن المنذر ومدحه بها ، ويهجو مرّة بن ربيع .

هذا وضبط البيت في نسخنا المعتمدة ، مطابق لرواية ابن السكيّت المشار إليها آخر الديوان : ٢٣٦ ، ت ١٨ ، والمعاني الكبير ٢ : ٨٥٢ و١١٤٢ ، خزانة الأدب للبغدادي ٢ : ٤٦٤ ضمن الشاهد : ١٥٥ .

المعنى : الشاعر يخاطب النعمان قائلاً : إنّ الذي سعى بي إليك وأخبرك عنّي شخص قد أعلن لي بغضه ، على أنّ له شافعٌ ومعينٌ في إيصال أخبار السوء عنّي إليك .

الشاهد : واضح وهو ما أشار إليه الشيخ ﷺ .

(٢) عبدالله بن محمّد بن عبدالله بن عاصم الأنصاريّ ، اشتهر بلقبه ـ الأحوص ـ لضيق في مؤخرة عينيه ، عُدّ من شعراء الدولة الأمويّة ، حسن الديباجة ، قدّمه حمّاد الراوية في النسيب والغزل على شعراء عصره ، كان من طبقة جميل ونُصيب ، أقيم عليه الحدّ لتشبيبه بالنساء حتّى الفحش . مات سنة ١٠٥هـ .

انظر : طبقات فُحول الشعراء ٢ : ٦٤٨ و٦٥٥ وما بعدها ، الشعر والشعراء ١ : ٥١٨ ت ٩٢، الأغاني ٤: ٢٢٤ ، تأريخ الإسلام ٧ : ٢٥ ت ٥ حوادث ١٠١ ـ ١٢٠هـ .

(٣) البيت التاسع من القصيدة : ٩٤ يمدح ويتغزّل فيها بمحبوبته لُبنى ، ذكرت في الديوان: ١٧٤، وانظر منتهى الطلب ٧ : ٢٧ ق ٣٥٨ ، فصلية المورد العراقية م ٤ عدد ٤ سنة ٧٥ : ٨٨ . وقد استشهد بالبيت جمع من أرباب اللُّغة منهم صاحب العين ١ : ٢٦١ وتهذيب اللُّغة ١ : ٤٣٧ والمُخَصَّص ١٣ : ١٣٢ وأساس البلاغة ١ : ٤٩٧ على

أي: تعاونوا.

قوله: ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾:

والعَدْلُ والحقُّ والإنصافُ نَظَائِرُ. والعَدْلُ نقيضُ: الجَوْر.

يقال: عَدَلَ عَدْلاً، واعْتَدَلَ اعْتِدالاً، وتَعادَلَ تَعادُلاً وتَعَدَّل تَعَدُّلاً، وعادَلَهُ مُعَادَلَةً، وعَدَّلَهُ تَعْدِيلاً.

والعَدْلُ: المَرْضِيُّ من النَّاس، يَقعُ على الواحدِ والجماعة والذَّكر والأُنثى، فإذا قلت: هُمْ عَدْلٌ، قلت: هُما عَدْلانِ.

والعَدْلُ: الحُكْم بالحقّ، يقال: هو حَكَمٌ عَدْلٌ ذو مَعْدَلَةٍ في حُكْمه.

وعِدْلُ الشيءِ: نَظيرهُ ومِثْلُه، تقول: عَدَلْتُ بفُلانٍ فُلاناً فأنا أعْدِله.

والعادِلُ: المُشْرِكُ الذي يَعْدِلُ بربّه.

والعَدْلُ: أَنْ تَعْدِلَ الشيءَ عنْ وَجْهِهِ فتُميلَهُ، تقول: عَدَلْتُهُ عن كذا، وعَدَلْتُ أنا عن الطَّريقِ.

والعَدِيلُ: الذي يُعَادِلُكَ في المحْمِل أو نحوه ما كان.

وسَمِعَت العربُ تَقولُ: اللّهمَّ لا عِدْلَ لك. أي: لا مِثْلَ لَك.

وفي الكفّارة ﴿عَدْلُ ذٰلِكَ﴾[١] أي: مثله في المُعَدَّل لا بالنظير بعينه.

والعَدْلُ: الفِدَاء؛ لقوله: ﴿لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[٢].

ما استشهد به المصنِّف من استعمال «شفعوا» وإرادة الإعانة منه.

المعنى: الصَرْم: القطيعة والهَجْر.

هذا وللشطر الثاني رواية ثانية لا ضير فيها على الشاهد.

(١) سورة المائدة ٥ : ٩٥.

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٣٢.

وقيل أيضاً: إنّ العَدْلَ: الفَرِيضَةُ، والصَّرْفَ: النَّافِلةُ.

وقوله: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[١] أي: يُشرِكون.

وتقول لما يؤكَلُ: مُعْتَدِلٌ إذا لم يكنْ فيه ضَرَرٌ من حَرٍّ أو بردٍ.

وتقول: عَدَلْتهُ، أي: أقمته حتّى اعتدل واستقام.

وعَدَلْتُ فلاناً عن طريقهِ، أو الدّابّةَ عن طَريقها إذا عَطَفْتَها فانْعَدَلَتْ.

والعَدْلُ: الطريق، ويقولون: الطريق يُعْدَلُ إلى مكانِ كذا وكذا، فإذا أرادوا الاعوجاج نفسه قالوا: يَنْعَدِلُ في مكان كذا وكذا، أي: يَنْعَوِج.
والاعْتِدالُ: الاسْتِواء، وفلان عَدْلٌ حَسَنُ العَدالة.

وأصل الباب العَدْلُ: الذي هو الاستقامةُ[٢].

والعَدْلُ المذكور في الآية: الفِدْية، روي ذلك عن النبيّ ﷺ، وهو قول ابن عبّاس وأبي العالية. وقال قوم: هو بَدل[٣].

والفرق بين العِدْلُ والعَدْلُ: إنَّ العِدْلَ ـ بالكسر ـ المِثْل، تقول: عندي عِدْلُ جاريتك، أي: جاريةٌ مثلها؛ فإذا قلت: عندي عَدْلُ جاريَتِك، يجوز

---

(١) سورة الأنعام ٦: ١ و١٥٠.
(٢) لمتابعة اللُّغة وتفصيلاتها ينظر «عَدَلَ» من: العين ٢: ٣٨، جمهرة اللُّغة ٢: ٦٦٣، تهذيب اللُّغة ٢: ٢٠٨، المحيط في اللُّغة ١: ٤٢٢، المحكم والمحيط الأعظم ٢: ١١، الصحاح ٥: ١٧٦٠، لسان العرب ١١: ٤٣٠. وانظر: ديوان الأدب: الفهرس منه، وكذا المخصّص ٥: ٣٤٨، و«عَدَلَ» في الفهرس ٨: ٧٩، وفي بعض النقول والضبط اختلاف.
(٣) معاني الأخبار: ٢٦٥ ح٢، تفسير ابن عبّاس: ٨، تفسير جامع البيان ١: ٢١٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٠٥ت ٥٠١، تفسير النكت والعيون ١: ١١٧، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٠٩، تفسير الحسن البصريّ (جمع) ١: ٩٤ ت ١٠٠. وانظر غريب القرآن: لابن قتيبة: ٤٨ ت ٤٨ ولابن الملقن: ٥٣ ت ٤٩، تفسير الجامع لأحكام القران ١: ٣٨٠. وغيرها.

أنْ يكون قيمَتها مِنَ الثَّمن[١].

ومن قرأ بالتاء[٢] فلأنّ الشّفاعة مؤنّثة، ومن ذَكَّر قال: لأنّ التأنيث ليس بحقيقيّ، ولأنّ الفعل تقدّم على المؤنث فأشبه علامة التثنية والجمع إذا تقدّم الفعل سقط، كذلك هاهنا، ومثله قوله: ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ**﴾[٣]. وكقول الشاعر:

[١٤٣] فـلا مُـزْنَـةٌ وَدَقَتْ وَدْقَـهـا ... وَلَا أَرْضَ أَبْـقَلَ إبْـقالَهَا

والتاء أجود؛ لأنّه أصل، والياء حَسَن[٤].

قوله: ﴿**وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾:

والنَّصْرُ والمَعُوْنَةُ والتقوِيَةُ نَظَائِرُ، وضِدُّ النَّصر: الخُذلانُ.

يقال: نَصَرْتُهُ نَصْراً، وانتَصَرَ انْتِصَاراً، واسْتَنْصَر اسْتِنصَاراً، وتَناصَرَ تَناصُراً. قال صاحبُ العين: النَّصْرُ: عَوْنُ المَظْلُوم.

وفي الحديث: (اَنْصُرْ أَخاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً)[٥]. معناه: إنْ كان

---

(١) في ضبط الحركات والمعنى في «عَدْل وعِدْل» اختلاف، انظر مصادر اللُّغة في الهامش الأسبق إضافة للغريبين للهروي ٤ : ١٢٣٧ والفائق للزمخشريّ ٣ : ٣٩٩ «عَدَلَ» فيهما.

(٢) أي: عود إلى بداية الآية في قوله: قرأ، لا تقبل.

(٣) سورة النساء ٤ : ١٦٥. والشاهد في قراءة **يكون**: تكون.

(٤) القراءة ومَنْ قرأ بها تجد الإشارة إليهما في: السبعة في القراءات: ١٥٥ ت ١٩، حجّة القراءات: ٩٥، معاني القراءات: ٤٩، الحجّة في القراءات السبع: ٧٦، وفي الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٥١ بتفصيل.

(٥) الحديث النبويّ الشريف تجده في: صحيح البخاريّ ٣ : ١٦٨، سنن الترمذيّ ٤ : ٥٢٣ ت ٢٢٥٥، السنن الكبرى للبيهقيّ ٦ : ٩٤ و١٠ : ٩٠، مسند أحمد ٣ : ٥٣٢ ت ١١٥٣٨، مسند أبي يعلى ٦ : ٤٤٩ ت ٣٨٣٨.

مَظلُوماً فامْنَع مِنْهُ الظُّلْمَ ، وإنْ كان ظالِماً فامْنَعْهُ من الظُّلْم وانْهَه .

والأنْصار جمع الناصر ، وأنصارُ النبيّ صلى الله عليه وآله : أعْوانُهُ .

وانْتَصَرَ فُلانٌ : إذا انْتَقَم من ظالِمِه ، والنَّصِيرُ : النّاصِر .

والتَّنَصُّرُ : الدُّخُولُ في النَّصْرانِيَّةِ .

والنَّصارى مَنْسُوبونَ إلى نَاصِرة ، وهي : موضع[1] .

ونَصَرَت ٱلسّماءُ : إذا أمْطَرَتْ ، قال الشاعر :

إذا خَرَجَ الشَّهْرُ الحَرامُ فَوَدِّعِي ... بِلَادَ تَمِيمٍ وٱنْصُرِي أَرْضَ عَامِرِ[2] **[٢٢٤]**

ونَصَرْتُ الرَّجُلَ : إذا أعطيتَهُ ، وأنشَدَ :

أَبُوكَ ٱلَّذِي أَجْدَى عَلَيَّ بِنَصْرِهِ ... فَأَسْكَتَ عَنِّي بَعْدَهُ كُلَّ قَائِلِ[3] **[٢٢٥]**

---

(١) قرية بينها وطبرية ثلاثة عشر ميلاً . ويذهب إلى النسبة إليها جمع من البلدانيّين والمفسّرين . وإن اختلفوا في السبب بين ولادة السيّد المسيح فيها ونزولهم بها .
انظر : معجم البلدان ٥ : ٢٩١ ت ١١٨٤١ ، مراصد الاطّلاع ٣ : ١٣٤٨ ، الروض المعطار : ٥٧١ و١٢٣ ؛ إضافة إلى مصادر اللُّغة الآتية لمادّة «نصر» في الهامش ١ الآتي .

(٢) قائله الراعي النُّمَيْريّ عبيد بن الحصين من شعراء العصر الأُمويّ .
المعنى : واضح .
الشاهد : استعمال «انصري» وإرادة أمطري ، وقد استشهد بالبيت هذا جمع من أهل اللُّغة على محلّ الشاهد للشيخ المصنّف رحمه الله .
انظر : الديوان : ١٣٣ ب ٨ ق ٣٥ ـ على اختلاف في ضبط المصرع الأوّل لا أثر له ـ ومصادر اللُّغة لمادّة «نصر» الآتية .

(٣) البيت للراعي النُّمَيْريّ من قصيدة يمدح فيها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .
المعنى : إنّ أباك ـ معاوية ـ قد أعطاني مالاً جزيلاً بحيث أسكت جميع الأفواه عن قدحي .
الشاهد : استعمال «نصر» بمعنى العطاء والبذل .
انظر : الديوان : ٢٠٥ ق ٥٧ ب ٢١ .

وأصلُ البَاب المَعُونَةُ[١].

والنُّصْرة قد تكون بالحجّة وقد تكون بالغلبة، فالله عزّ وجلّ ينصر المؤمنين بالحجّة التي تؤيّدهم، وأمّا النَّصرُ بالغلبة فبحسب المصلحة.

ولا يدلّ وقوع الغلبة لبعض[٢] المؤمنين على أنّه مسخوط عليه، كما ليس في تخلية الله بين الكفّار وأنبيائه دلالة على حال منكرة، وقد قتلَ الكفّارُ كثيراً من الأنبياء، ونالوا منهم بضروب من الأذى، قال الله تعالى: **﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾**[٣].

وقوله: **﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾**[٤] معناه: إمّا بالغلبة، وإمّا بأخذ الحقّ له مِنَ الباغي عليه، فالنُّصْرَةُ مِنَ الله للمَبْغِيِّ عليه واقعة لا مَحالة.

والخُذلانُ لا يكون إلّا للظَّالِمين؛ لأنّ الله تعالى لا يخذلُ أولياءه وأهل طاعته.

وقوله: **﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾**[٥] أي: بالمعونة التي توجِب الغَلَبة؛ لأنّ الله تعالى يقدر على إعطائهم ما يَغْلِبون به كلَّ من نازعهم، ويستعلون على كلّ من ناوَأهم.

وحدّ النُّصرة: المَعُونةُ على كُلِّ مَنْ ظهرت منه عداوةٌ، وقد تكون

---

(١) مادّة «نَصَرَ» تجدها في: العين ٧: ١٠٨، جمهرة اللُّغة ٢: ٧٤٤، تهذيب اللُّغة ١٢: ١٥٩، المحيط في اللُّغة ٨: ١٢٦، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٢٩٩، الصحاح ٢: ٨٢٩، لسان العرب ٥: ٢١٠، تاج العروس ٧: ٥٢٨.

(٢) اللّام بمعنى على.

(٣) سورة البقرة ٢: ٦١.

(٤) سورة الحجّ ٢٢: ٦٠.

(٥) سورة آل عمران ٣: ١٦٠.

المَعُونةُ بالطّاعة فلا تكون نُصرة.

والفرق بين النُّصْرَةُ والتَّقْوِيةُ: إنّ التَّقْوِيةَ قد تكون على صناعة، والنُّصرَةُ لا تكون إلّا مع مُنازعةٍ.

فأمّا قولهم: لا قَبِلَ الله مِنهُم صَرْفاً ولا عَدْلاً.

فقال الحسن البصريّ: الصَّرفُ: العمل، والعَدْلُ: الفدية.

وقال الكلبيّ: الصَّرفُ: الفِدْيَة، والعَدْلُ: [رجلٌ مكانه.

وقال الأصمعيّ: الصرف التطوّع، والعَدْلُ:][1] الفريضَةُ.

وقال أبو عُبيدة: الصّرْفُ: الحِيلَةُ، والعَدْلُ: الفِدْيَة.

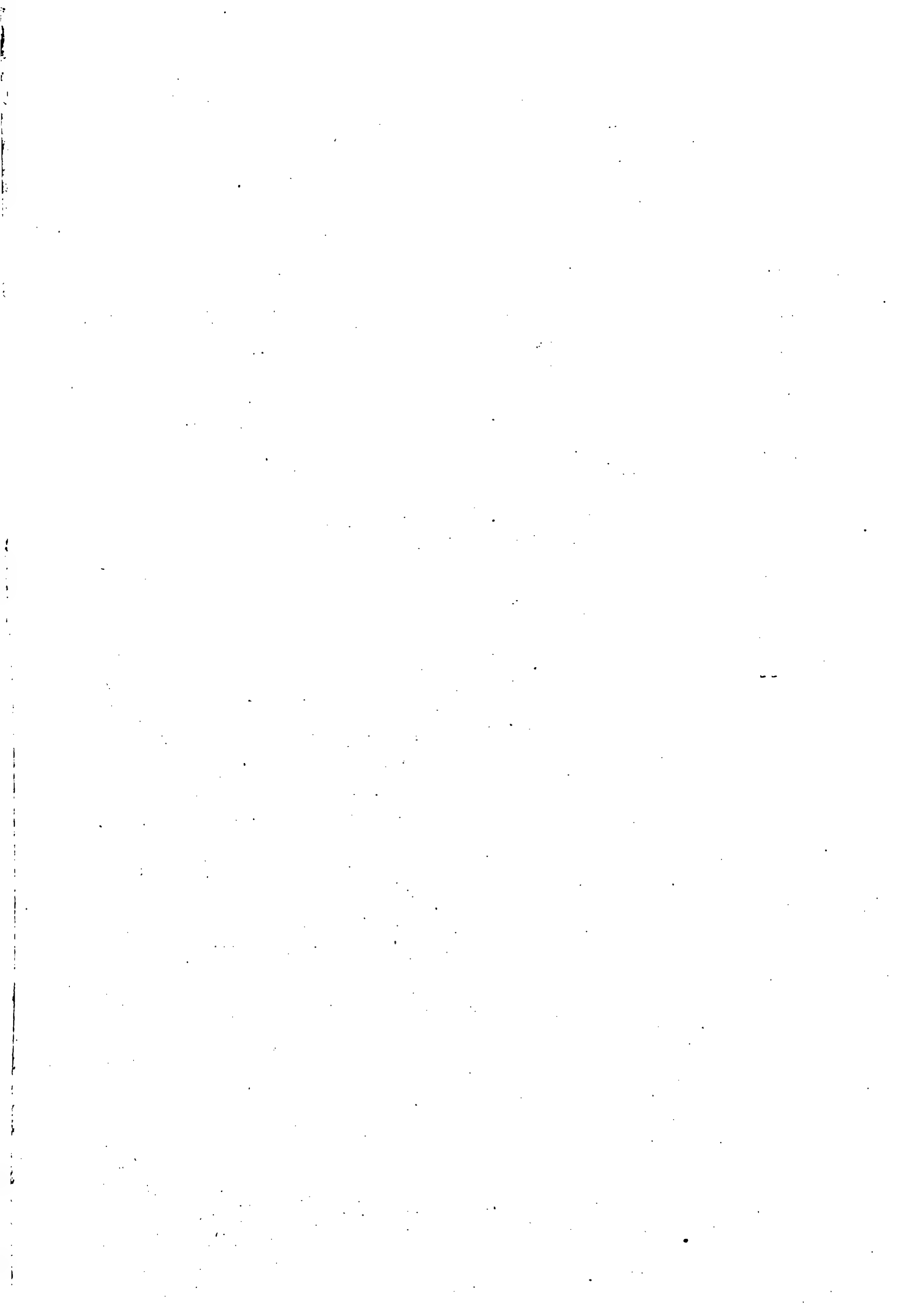
وقال أبو مسلم: الصّرَفُ: التَّوبةُ، والعَدْلُ: الفِداءُ[2].

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من نسخة «خ». تساعد عليها بعض المصادر الآتية، خصوصاً: النكت والعيون، جمهرة الأمثال. هذا وقد جاء في المخصّص ٣: ١٦٠ «عَدَلَ» عن ابن كيسان قوله: (... كانت العرب تقتل الرجلين والثلاثة بالرجل الواحد، فإذا قتلوا رجلاً برجلٍ فذلك العدل...)، وهو المراد بـ: رجلَ مكانه.

(٢) الأقوال هذه منسوبة وغير منسوبة، ولعلّها نسبت إلى غيرهم، تجدها في المصادر الآتية: الغريبين للهروي ٤: ١٠٧٢ و١٢٣٧، غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٨ ت ٤٨، غريب الحديث للقاسم الهروي ٣: ١٦٧. والعين ٧: ١١٠، المحيط في اللُّغة ١: ٤٢٣، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٣٠٣، جمهرة الأمثال ٢: ٤١٣ ت ٩٣٠، المخصّص ٦: ١١٧، «عَدَلَ، صَرَفَ». وهكذا في تفسير النكت والعيون ١: ١١٧، مجاز القرآن ١: ٥٣، تفسير الكشّاف ٤: ٣٤٠، تفسير الكشف والبيان ٧: ١٢٧، تفسير الحسن البصريّ (جمع) ١: ٩٤ وغيرها.

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾



قوله تعالى:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٤٩) آية آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على ما تقدّم من قوله: ﴿ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[١]، فـ﴿إذ﴾ هاهنا متعلّقة بذلك، كأنّه قال: اذكروا نعمتي عليكم إذ نجّيناكم من آل فرعون،

ونظيره: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحاً﴾[٢]، لمّا تقدّم ما يدلّ على ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وهو قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾[٣]، فكأنّه قال: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً.

والخطابُ وإن كان متوجّهاً إلى الحاضرين في الحال، فالمراد به مَنْ سَلَفَ لهم مِنَ الآباء، كما يقول القائل: هزمناكم يوم ذي‌قار، وقتلناكم يوم الجفار[٤]. وإنّما يعني الأسلاف، قال الأخطل يهجو جَريراً:

وَلَقَدْ سَمَا لَكُمُ ٱلْهُذَيْلُ فَنَالَكُمْ ... بِإِرَابَ حَيْثُ يُقَسِّمُ ٱلأَنْفَالا[٥] [٢٢٦]

---

(١) سورة البقرة ٢ : ٤٧.
(٢) سورة الأعراف ٧ : ٧٣.
(٣) سورة الأعراف ٧ : ٥٩.
(٤) من أيّام حروب العرب بينها في الجاهليّة، انظر أخبارها في: أيّام العرب قبل الإسلام ٢ : ٥٢٧ ومصادره، واحتمال التصحيف في «الجفار» من «الفجّار» وارد على ما جاء في بعض النسخ العقد الفريد ٥ : ٤٤٨.
(٥) البيت ٣١ من القصيدة ٨ في ديوان الأخطل: ٤٨.

وجَرير لم يلحق هذيلاً ، ولا أدرك إراب .

وقد بينّا أنّ النعمة على الآباء نعمة على الأولاد ، فلا وجه لإعادته[١] .

ومعنى ﴿نَجَّيْنَـٰكُمْ﴾ : فالنَّجاةُ ، والسَّلامةُ ، والاستنقاذ ، والتَّخلُّص نظائر ، وضدّ النَّجاة : الهلاك .

تقول : نَجا يَنْجُو نَجاةً ، وأنْجاهُ الله إنْجاءً ، ونَجّاهُ تَنْجِيَةً ، وانْتَجَوا انْتِجاءً ، واسْتَنجى اسْتِنْجاءً ، وتَناجَوْا تَناجِياً .

قال صاحب العين : نَجا يَنْجو ، نَجاةً في السّرعة ، فهو ناجٍ سريع ، وناقةٌ ناجِيَةٌ : سَريعة .

وتقول : نَجَوْتُ فُلاناً ، أي : اسْتَنْكَهْتُهُ ، قال الشاعر :

نَجَوْتُ مُحمّداً فوجَدْتُ منْهُ ... كَريحِ الكَلْبِ ماتَ حَديثَ عَهْدِ[٢] [٢٢٧]

المعنى : سما : ظهر وغلب وعلا . الهذيل : هو ابن هبيرة الأكبر التغلبيّ من أجداد الأخطل . إراب : هذا هو الصحيح ، والفتح ـ أَراب ـ غلط على ما نصّ ياقوت وأغلب كتب الأيّام ، اُنظر معجم البلدان ١ : ١٣٣ والعقد الفريد ٥ : ٢٤٠ وأيّام العرب قبل الإسلام ٢ : ٤٧٧ وعلى أيّة حال فهو من مياه العرب ، وقيل : لبني رياح ابن يربوع خاصّة ، وقعت عنده وقعة مهيبة حيث أغار الهُذَيلُ على بني رياح ، فسبى النساء وساق الأنعام ورجالهم خلوف غائبون عن الحيّ .

الشاهد : واضح حيث افتخاره بفعل أجداده وكأنّه فعله . مع أنّه لم يكن ولم يشترك معهم .

(١) ضمن تفسير الآية ٤٠ و٤٧ من سورة البقرة .

(٢) بيت من قصيدة للشاعر الحكم بن عبدل الأسديّ يهجو بها محمّد بن حسّان الكوفيّ صاحب الخراج لعبد الملك بن مروان على الكوفة .

فما ورد في النسخ «خ ، ؤ ، هـ ، ل» ، ولعلّ في بعض المصادر أيضاً : عوض محمّد «مجالد» لا يمكن المساعدة عليه ؛ لمحلّ المصادر الآتية .

ونَجا بَنو فُلانٍ: إذا أَحْدَثُوا ذَنْباً أَو غَيْرَه.

والاسْتِنْجاء: التَّنْظِيفُ بمَدَرٍ أو ماءٍ.

والنَّجَاةُ: هي النَّجْوَةُ من الأرْضِ، وهي: التي لا يَعْلُوها السَّيْلُ، قال الشاعر:

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِهِ   والمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمشِي بِقِرْواحِ[1] [٢٢٨]

والنَّجْوُ: السَّحابُ أَوّلَ ما يَنْشَأُ، وجمعه نِجاءٌ.

المعنى: شممت محمّداً بن حسّان فوجدته تفوح منه رائحة كرائحة كلبٍ مات من قريب.

الشاهد: استعمال «نجوت» بمعنى: اسْتَنْكَهْتُه وشممت.

هذا، وقد شاع البيت في مصادر الأدب واللُّغة لمحلّ الشاهد، انظر: شرح مقصورة ابن دريد: ٤٣٣، الحيوان للجاحظ ١: ٢٥١، وكتب اللُّغة المشار إليها في الهامش «٢» صفحة ٢٢٦، وانظر الديوان جمع الدليميّ والمنشور في مجلّة المورد البغداديّة عدد ٤ مجلّد ٥ عام ١٩٧٦: ٩٩.

(١) بيت شعر مختلف النسبة - ولعلّ القصيدة كذلك - بين شاعرين جاهليين، هما: عَبيد بن الأبرص وأَوْس بن حجر. في قصيدتين متقاربتي المعاني فيهما من بيت مشترك بينهما.

المعنى: النجوة: المرتفع من الأرض - وهي محلّ الشاهد -. ونقيضها المحفل: المنخفض المستقرّ للماء. المستكنّ: الساكن والمستقرّ في مكانه. القرواح: الأرض المستوية المنبسطة.

يقول: الكلّ بالنسبة للمطر سواء؛ لشدّته وكثرته إذ لا ينجو من إصابته أحد أين كان.

انظر: ديوان عَبيد بن الأبرص: ٥٢ ب ٨، ديوان أَوْس بن حَجَر: ق ٥ ب ٢١ : ١٣، وفيهما: «بمحفله» بدل «بعقوته» ولا ضير.

وقد استشهدت به أغلب كتب اللُّغة والأدب منسوباً وغير منسوب، منها: العين ٦: ١٨٦، تهذيب اللُّغة ١١: ٢٠١، معجم مقاييس اللُّغة ٥: ٣٩٨، الصحاح ١: ٣٩٦، والأغاني ١١: ٧١، الحيوان ٦: ١٣٢، الشعر والشعراء ١: ٢٠٧ ت ٣٣٧، طبقات الشعراء ١: ٩٢ ت ١٠٧، أمالي القالي ١: ١٧٧، مختارات ابن الشجريّ ٢: ٤٨، محاضرات الراغب ٢: ٥٥٨.

والنَّجْوُ: ما خَرجَ من البَطْن من ريحٍ وغيرها.

والنَّجْوُ: اسْتِطْلاقُ البَطْن، يقال: نجا فلان نَجْواً.

والنَّجْوُ: كلامٌ بين اثنين كالسِّرِّ والتَّسارِّ. تقول: ناجَيْتُهم فتَناجَوْا بَيْنَهمْ، وكذلك انْتَجَوْا. وهم جميعاً نَجْوى، وكلامهم نَجْوى، وفُلانٌ نَجِيُّ فُلانٍ، أي: يُناجيه دون غيره، قال الشاعر:

[٢٢٩] إنــيَ إذا ما القَــوْمُ كانُــوا أَنْجِيَــهْ
واضْطرَبَ القَوْمُ اضْطِرابَ الأَرْشِيَهْ[(١)]

والنَّجا: ما أَلْقَيْتَه عن نَفْسِكَ من ثِيَابٍ، أو سَلَخْتَه عن الشاةِ، تقول: نَجَوْتُ الجِلْدَ أَنْجُوْه نَجاءً: إذا كَشَطْتَه، ونَجوتُ العُودَ، أي: اقْتَضَبْتُه[(٢)].

وقال بعض المفسّرين في قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾[(٣)] أي: نُلقيك على نجوَة[(٤)].

---

(١) رجز نسب لسُحَيم بن وثيل اليربوعيّ، اختلف في عجزه ولا ضير، وبعده:
هناك أوصيني ولا تُوصي بيه
المعنى والشاهد: واضح.
استشهدت به كتب اللُّغة، منها: النوادر: ١٥٩، العين ٦: ١٨٧، تهذيب اللُّغة ١١: ١٩٩، مجمل اللُّغة ٣: ٨٥٧، الصحاح ٦: ٢٥٠٣، لسان العرب ١٥: ٣٠٨، وانظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١: ٦٥٦ ت ٢١٩.

(٢) المادّة «نَجَوَ، نجا» تجدها في: العين ٦: ١٨٦، جمهرة اللُّغة ١: ٤٩٧، تهذيب اللُّغة ١١: ١٩٨، المحيط في اللُّغة ٧: ١٨٨، المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٥٥٦، الصحاح ٦: ٢٥٠١، لسان العرب ١٥: ٣٠٤.

(٣) سورة يونس ١٠: ٩٢.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢٨١، الغريبين للهرويّ ٦: ١٨١٤ (نجا)، معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٣: ٣٢، تهذيب اللُّغة ١١: ٢٠٠، الوجوه والنظائر للدامغانيّ ٢: ٢٥٠.

وأصل الباب: النَّجْوَةُ، وهي: الارتفاع.

والفرق بين النَّجاة وبين التَّخلّص: إنّ التَّخلّص قد يكون من تعقيد ليس بأذى، وليس كذلك النَّجاة؛ لأنّها لا تكون إلّا من مكروه، وكلّ نجاة نِعمة، ولا يقال لمن لا خوف عليه: نجا؛ لأنّه لا يكون ناجياً إلّا ممّا يُخاف مثله[1].

قوله: ﴿مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ فالآل والأهل والقرابة نظائر.

وقيل: أصل الآل: الأهل؛ لأنّه يُصَغَّر أُهَيْلَ.

وحكى الكسائيّ: أُوَيْل، فزعموا أنّها أُبدلت، كما قالوا: أَيْهاتَ وهَيْهاتَ، وكما قالوا: ماء وأصلها ماه، بدليل قولهم: مُوَيْه في التَّصْغير، وفي الجمع: أَمْوَاهٌ ومِياهٌ.

وقيل: لا، بل أصل على حياله[2].

---

(١) الفروق اللُّغوية للعسكريّ: ١٧٤.

(٢) طال الخلاف في «آل» اشتقاقاً ومعنى واستعمالاً. فذهب جمع إلى أنّه من «أَهَلَ» اشتُّق، بإبدال الهاء همزة ـ وقيل ألفاً ـ لقربها، ثمَّ هي ألفاً؛ للسكون بعد مفتوح.
والدليل التصغير؛ لأنّه يردّ إلى الأصل، تقول: أُهَيْل، أو أُوَيْل.
وآخرون: إنّ الأصل «أَوَلَ» واشتقاقه من آلَ يَؤُولُ، إذا رَجِعَ؛ لرجوع الإنسان إلى آله. هذا، ولتَحرُّك الواو وانفتاحُ ما قبلها قُلبت ألفاً. ويُصغّر على «أُوَيْل»، ويُجمع على «آلون».
وللفرق بينه والسراب جُمع هذا على «آلوال».
ويسري الخلاف إلى إضافته هل تجوز إلى الضمير أم لا؟ وهل يجوز للنكرات أم للأعلام المشرفة والمشهورة فقط لغير الناطقة أم يختصّ بها؟ إلى كلٍّ ذهب جمع، ومن ثَمَّ سرى الخلاف إلى المراد والمعنى منه في حالة إضافته للأعلام الناطقة، لا مطلقاً فهو ـ والحالة هذه ـ جمع معنويّ، مفرد لفظيّ، له ثلاثة معان، ☜

والفرق بين الآل والأهل: إنّ الأهل أعمّ منه، يقال: أهل الكوفة، ولا يقال: آل الكوفة، ويقال: أهل البلد ولا يقال: آل البلد، وآل فرعون قومه وأتباعه[١].

وقال صاحب العين: الآل: كلُّ شيء يؤول إلى شيء إذا رَجع إليه، تقول: طبختُ العصير حتّىٰ آل إلى كذا.

وأَوْلى: كلمة وَعِيد على وزن فَعْلىٰ.

والآل: السَّرَابُ.

وآلُ الرّجلِ: قرابته وأهل بَيْته.

وآلُ البعير: ألْوَاحُه وما أشرف من أَقْطارِ جِسْمه[٢].

هي: الجند والأتباع، النفس والشخص، أهل بيت الرجل نحو آل محمّد صلوات الله عليهم.

وللتوسعة انظر البحث بشيء من التفصيل في: تهذيب اللُّغة ١٥: ٤٣٨، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٤٥١، المخصّص توسط الفهرس مادة «أَلَلَ»، مفردات ألفاظ القرآن: ٩٨، لسان العرب ١١: ٣٢ و٢٨، تاج العروس ١٤: ٣٥، شمس العلوم ١: ٣٧٦، الكلّيات: ١٧١. وفي: معاني القرآن للكسائيّ: ٦٩، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢٢٢، مشكل إعراب القرآن للقيسيّ ١: ٤٥، سرّ صناعة الإعراب ١: ١٠٠، البيان في إعراب القرآن لابن الأنباريّ ١: ٨١، التبيان في إعراب القرآن ١: ٦١، الغريبين للهروي ١: ٢٢٢، وانظر: كشّاف اصطلاحات الفنون ١: ٧١، وغيرها كثير.

(١) الفروق اللُّغوية للعسكريّ: ٢٣٣ وانظر لسان العرب ١١: ٢٨ ـ ٤١ «أهل ـ أول».

(٢) اتّفاق المصادر اللُّغويّة على المثبت يدلّ على صحّته. وما في الأُصول: وما اقترب من أوطار جسمه. لعلّه تصحيف إضافة إلى أنّ الوَطَر: الحاجة المهمّة، وجمعها أوطار. والألواح: العظام، العين ٧: ٤٤٦، تهذيب اللُّغة ١٤: ١٠، معجم مقاييس اللّغة ١: ١٦١.

وآلُ الخَيْمة : عَمَدُها .

والآلة : شَدِيْدَةٌ من شَدَائِدِ الدَّهْرِ ، قالت الخنساء[١] :

سَأَحْـمِلُ نَـفْسِي عـلى آلَـةٍ إمَّـا عَـلَيْها وإمَّـا لَـهَا[٢] [٢٣٠]

وآلُ الجَبَل : أطْرَافُه ونَوَاحِيْه[٣] .

وقال ابن دُريد : آلُ كلِّ شيء : شخصُه ، وآلُ الرَّجُل : أهلُه وقراباته .

قال الشاعر :

ولا تَـبْكِ مَـيْتاً بَـعْدَ مَيْتٍ أَجنَّهُ عَليٌّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أبـي بَكْـرِ[٤][٥] [٢٣١]

---

(١) تُماضِر بنت عَمرو بن الشَّريد السُّلَمِيّة من أشهر شواعر العرب وأشعرهنّ على الإطلاق ، مخضرمة أدركت النبيّ ﷺ ، وفدت عليه مُسْلمة مع قومها بني سُليم استنشدها النبيّ الأكرم شعرها معجباً به ، وهو يردّد : (هيه يا خنساء) . كان أجود شعرها مارثت به أخاها صخراً . استشهد أبناؤها الأربعة في القادسيّة فقالت : الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم . توفّيت عام ٢٤هـ .

انظر : طبقات فحول الشعراء ١ : ٢٠٣ ، الشعر والشعراء ١ : ٣٤٣ ت ٤٣ ، الأغاني ١٥ : ٧٦ ، المعارف لابن قتيبة : ٨٥ .

(٢) سادس بيت من القصيدة : ٤ من الديوان : ٨٤ قالتها في رثاء أخيها معاوية عندما قتله بنو مرّة عند غدير قلهى .

المعنى : إنّني سأدفع وأسوس نفسي ؛ لتحمّل شدائد الدهر والزمن بعد فقد أخي.

الشاهد : استعمال «آلة» وإرادة الحالة الشديدة ، أو الشدّة .

وفي شطر الشاهد اختلاف انظر له الديوان بشرح ثعلب وتحقيق د. أبو سُويلم.

(٣) العين ٨ : ٣٥٩ «أيَلَ» . وانظر مصادر اللُّغة فيما يأتي .

(٤) جمهرة اللُّغة ١ : ٢٤٧ «أَلَلَ ، أَوَلَ» .

(٥) مقطوعة شعرية من خمسة إلى سبعة أبيات ، لها قصّة مذكورة ، وهي أو بعض منها مختلف فيها ؛ إذ تنسب تارة إلى الحطيئة ، وأُخرى لرجل من بني عذرة ، وثالثة لعمرو بن أراكة ، ورابعة لأراكة الثقفيّ ، وخامسة لعبدالله بن أراكة وهذا بعيد ؛ لأنّها قيلت في رثائه .

والأَلَّة: الحَرْبَة[1].

وأصل الباب: الأوّل، وهو الرُّجوع.

قال أبو عُبيدة: سمعت أعرابيّاً فصيحاً يقول: أهلُ مكّة آل الله، فقلنا: ما تعني بذلك؟ قال: أليسوا مسلمين، والمسلمون آل الله؟

قال: وقال: ليس يجوز أن تنصب رجلاً من المسلمين، فيقول: آل فلان، وإنّما يجوز ذلك للرئيس المتَّبع، وفي شبه مكّة؛ لأنّها أُمّ القرى. ومثل فرعون في الضلال واتّباع قومه له، فإنْ جاوزتَ هذا فآلَ الرجُل أهل بيته خاصّة، فقلنا له: فتقول لقبيلته آل فلان؟ قال: لا، إلّا أهل بيته خاصّة[2].

المعنى: ينهى الشاعر مخاطبه عن البكاء لأجل الميّت هذا، بعد أن مات الرجل الذي دفنه الإمام عليّ بن أبي طالب والعبّاس وآل أبي بكر. وروي عوض أَجَنَّهُ: أَحَبَّهُ.

وأجَنّهُ: دَفَنَهُ.

الشاهد: استعمال «آل» وإرادة الأهل والقرابة الخاصّة.

لمعرفة القصّة والمزيد عن المقطوعة انظر: ديوان الحطيئة: ١٦٣ ت ٤٦، الكامل في الأدب ٤: ٢٥، الفاضل للمبرد: ٦٥، وللوشاء: ١٢٨، أمالي الزجّاجيّ: ٨، العقد الفريد ٣: ٣٠٦، أمالي المرتضى ١: ٤٦١، الحماسة لابن الشجريّ ١: ٤٧٨ ت ٤٠١، الحماسة البصريّة ١: ٢٧٦ ت ١٧٦، مجموعة المعاني: ١٩٠، سمط اللآلي: ٦٢٧.

(١) الموادّ «أَيَلَ، اَوَلَ، أَلَلَ، وأَلَّ» تجدها في: ديوان الأدب ٤ ق ١: ١٤١ و١٤٧، العين ٨: ٣٥٩ و٣٦١، جمهرة اللُّغة ١: ٢٤٧، تهذيب اللُّغة ١٥: ٤٣٤ و٤٣٧، المحيط في اللُّغة ١٠: ٣٧٤ و٣٧٧، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٣٩٣، معجم مقاييس اللُّغة ١: ١٦١، الصحاح ٤: ١٦٢٦ و١٦٢٧، إصلاح المنطق: ٢٠، وانظر كشاف اصطلاحات الفنون ١: ٧١.

(٢) الظاهر أنّ ذلك متّفق عليه، فقد ذهب إليه الأخفش وغيره، انظر: معاني القرآن للأخفش ١: ٢٦٥، سرّ صناعة الإعراب ١: ١٠٠، إعراب القرآن للنحاس ١: ٢٢٣، وتفسير جامع البيان ١: ٢١٣.

وأمّا أبو عبيدة فقد أشار الرازيّ إلى رأيه مجملاً في التفسير الكبير ٣: ٦٧.

وفرعون : اسم لملوك العمالقة ، كما قيل : قيصر لملك الروم . وكسرى : لملك الفرس . وخاقان : لملك الترك . والأخشاذ : لملك (الفراغنة)[١] . وتُبّع : لملك التبابِعَة . فهو على هذا بمعنى الصفة ؛ لأنّه يفيد فيه أنّه ملك العمالقة بنفس الصفة الجارية عليه وعلى غيره .

وقيل : إنّ اسم فِرعَون : مُصعب بن الرَّيَّان .

وقال محمّد بن إسحاق : هو الوليدُ بن مُصعب[٢] .

ومعنى قوله : ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي : يُولُونَكُم سُوءَ العذاب ، يقال : سَامَهُ خُطَّةَ خَسْفٍ ، إذا أولاه ذُلّاً ، قال الشاعر :

إنْ سِيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ تَرَبَّدَا[٣] **[٢٣٢]**

---

(١) هذا هو الصحيح ، وما في النسخ ـ عدا «خ» فإنّها في هذا المورد سقطت منها عدّة صفحات ـ الفراعنة ، فغير صحيح ؛ لأن الإخشاذ : من ألقاب ملوك المشرق ، وفرغانة بالخصوص . انظر : دائرة المعارف الإسلاميّة الكبرى ٦ : ٢٣١ ، المسالك والممالك : ٣٩ ـ ٤٠ ، حياة الحيوان ١ : ٣٤٨ ، تاج العروس ٤ : ٤٣٥ «خَشَدَ» ، وما تقدم في صفحة ٣٣ هـ (١) .

(٢) انظر : نهاية الأرب ١٣ : ١٧٣ بتفصيل ، وتفسير محمّد بن إسحاق : ٢٢ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢١٠ ، تفسير زاد المسير ١ : ٧٨ ، وتفسير الكشف والبيان ١ : ١٩١ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٨ ، تفسير معالم التنزيل ١ : ٧٧ ، وانظر : التفسير الكبير ٣ : ٦٧ .

(٣) رجز قائله عمر بن سالم الخزاعيّ الكعبيّ مخاطباً النبيّ الأكرم ﷺ ومستجيراً به ومستنصراً إيّاه على بني بكر وقريش .

المعنى : إن كلّف أو ظلم تغيّر وجهه واحمرّ ؛ علامة الغضب .

الشاهد : استعمال كلمة «سِيمَ» وإرادة التحميل والتكليف لآخر مشقةً ، أو ظلماً ، أو سوءً ، أو إذلالاً ، أو ما يكره .

لمعرفة تفاصيل الحدث الذي انجرّ لفتح مكّة المكرمة انظر : السيرة النبويّة لابن ⇐

وقيل : يُجَشِّمُونكم سُوءَ العَذاب[1] .

والسَّوْمُ والتَّجَشُّم والتَّحَمُّل نَظائِرُ ، يُقال : سَامهُ المَشَقَّةَ ، وجَشَّمَهُ إيّاها ، وحَمَّلَهُ إيّاها بمعنىً .

يُقال : سَامَ يَسُومُ سَوماً ، وساوَمَهُ واسْتامَهُ اسْتِياماً ، وتَساوَمُوا تَساوُماً ، وسَوَّم تَسْويماً .

والسَّوْم : سَوْمُكَ سَلْعَةً ، ومنه : المُساوَمةُ والاسْتِيامُ .

والسَّوْم : من سَير الإبِل ، وهُبُوبُ الرِّيح إذا كانَ مُسْتَمِرّاً في سُكُونٍ ، يُقال : سامَتِ الرِّيَاحُ ؛ وسامَتِ الإبِلُ ، وهي تَسُومُ سَوماً .

والسَّوامُ : هي النَّعَمُ السّائمةُ ، وأكثر ما يُقال ذلك في الإبلِ خاصّة ، والسّائمة تَسومُ الكَلأ سَوْماً إذا داوَمَتْ رَعْيَهُ ، والرّاعي يُسِيمُها . والمُسِيمُ : الرّاعي .

والتَّسْوِيمُ : العَلَامَةُ على الخيلِ ، يُقال : سَوَّمَ فُلانٌ فَرَسَه ؛ إذا أَعْلَمَ عليه بحَرِيرَةٍ ، أو شيء يُعرَفُ بهِ .

والسِّيما ـ في الأصْلِ ياؤها واوٌ ـ : وهي العَلَامةُ التي يُعْرَفُ بِها الخَيْرُ والشَّرُّ في الإنسان ، ومنه قوله : ﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾[2] و : ﴿تَعْرِفُهُم

هشام ٤ : ٣٦ ، المغازي للواقديّ ٢ : ٧٨٩ ، عيون الأثر ٢ : ٢٢٤ ، شفاء الغرام ٢ : ١٧٥ ، تاريخ الإسلام (المغازي) للذهبيّ : ٥٢٣ ، الروض الأنف ٧ : ٥٤ ، الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم ﷺ ٢١ : ٥٢ ، نهاية الأرب للنويريّ ١٧ : ٢٨٧ ، والمعجم الكبير للطبرانيّ ٢٣ : ٤٣٤ ت ١٠٥٢ ، السنن الكبرى للبيهقيّ ٩ : ٢٣٣ .

(١) انظر : تفسير النكت والعيون ١ : ١١٨ ، تفسير الوسيط ١ : ١٣٥ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ٧٧ .

(٢) سورة الفتح ٤٨ : ٢٩ .

بِسِيمَـٰهُمْ﴾[١] وقوله: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ﴾[٢] ويُقال: سيماءُ الخير، و: سِمْتُ فُلاناً سُوءَ العَذاب، من المشقّة.

وقال ابنُ دُرَيْد: سامَ الرّجلُ ماشِيَتَه يَسُومُها سَوْماً: إذا رعاها، فالماشية سَائِمةٌ والرّجلُ مُسِيمٌ، ولم يقولوا: سَائِم، خرج هذا من القياس.

وأصلُ الباب السَّوْمُ: الذي هو إرسالُ الإبل في المرعى[٣].

وقوله: ﴿سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾، و: أليم العذاب، و: ﴿شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[٤]: نَظائِرُ، يُقال: سَاءَهُ يَسوءهُ سَوْءً، وأسَاءَ إسِاءَةً.

قال صاحب العين: السُّوء: اسْمُ ٱلعَذاب الجامِعُ للآفاتِ والدّاءِ، تقول: سُؤْتُ فُلاناً، أَسُوءُهُ مَسَاءَةً ومَسَايَةً، وتقول: أردتُ مسَاءَتَك ومَسايَتَك، وأسَأْتُ إليه في الصُّنْع.

واستاء فلانٌ من السُّوْءِ، كقوله: اهتمّ من الهمّ.

وسُؤتُ فلاناً وسُؤْتُ لَه وَجْهَهُ. وتَقولُ: لَسَاءَ ما صَنَعَ.

والسَّيِّءُ والسَّيِّئَة: اسْمُ الخَطِيئةُ. والسُّوْءَى فُعْلى: اسم للفَعْلَة السَّيِّئة، بمنزلة الحُسْنَى للحَسَنة. وامرأة سُوْءَى، أي: قَبِيْحَةٌ.

والسَّوْءَةُ والسوْءى: الفَعْلَةُ القَبِيحَةُ، يُقال للرّجُلِ: أسْوَأُ.

---

(١) سورة البقرة ٢ : ٢٧٣.

(٢) سورة الرّحمن ٥٥ : ٤١.

(٣) «سَوَمَ» تجدها في: العين ٧ : ٣١٩، جمهرة اللُّغة ٢ : ٨٦٢، تهذيب اللُّغة ١٣ : ١١٠، المحيط في اللُّغة ٨ : ٤٠٣، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٦٢٥، الصحاح ٥ : ١٩٥٥، لسان العرب ١٢ : ٣١٠.

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٦٥.

والسَّوْأَةُ : الفَرْجُ ؛ لقوله : ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا﴾[(١)] .

والسَّوْأة : كُلّ عملٍ يشينُ ، تقولُ : سَوْأَةً لفُلانٍ ، نصبٌ[(٢)] ؛ لأنّه ليس بخبر ، (إنّما هو شَتْم ودعاء)[(٣)] .

والسَّوْأة السَّوْآء : المَرأةُ المُخالِفَةُ ، وتقول في النَّكرة : رجلُ سَوْءٍ ، فإذا عرّفته قلت : الرّجلُ السَّوْءُ ، لا تضيفهُ . وتَقولُ : عَمَلُ سَوْءٍ ، وعَمَلُ السّوْءِ .

ورَجُلُ صِدْقٍ ولا تقول : الرّجلُ الصِّدْق ؛ لأنّ الرّجل ليس من الصِّدْق . وكلُّما ذُكِرَ بسيِّيءٍ فهو السُّوء .

ويُكنّى عن البَرصِ بالسُّوءِ ، كقوله : ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾[(٤)] أي : من غير برص .

وتقول : لا خير في قولِ السَّوءِ ، ولا في قول السُّوء . فإذا فَتَحْتَ السينَ فعلى ما وصفناهُ ، وإذا ضممته فمعناهُ : لا تَقُل سُوءاً .

وأصلُ الباب : السُّوْء ، من قولك : ساءَ يَسُوءُ سَوْءً ، ثمّ كَثُر حتّىٰ صار عَلَماً على الضُّرِّ القَبيح ، فقالوا : أَسَاءَ يُسيءُ إسَاءَةً ، نقيضُ أحسَن يُحسِنُ إحسَاناً[(٥)] .

---

(١) سورة طه ٢٠ : ١٢١ .

(٢) في النسخ : عوض : نصبٌ ، تعييه ، والمثبت من مصادر اللُّغة الآتية ، ولعله الأنسب .

(٣) صُحّحت العبارة إلى المثبت اعتماداً على المصادر اللّغوية . وأمّا في الأُصول : سَوْأَةً لفلان ، تُعيبه ؛ لأنّه ليس بخبر ، وبين القوسين من مصادر اللغة توضيح وتعليل .

(٤) تكرّرت في سورة طه ٢٠ : ٢٢ ، سورة النمل ٢٧ : ١٢ ، سورة القصص ٢٨ : ٣٢ .

(٥) مادّة «سوء» تجدها في : العين ٧ : ٣٢٧ ، جمهرة اللُّغة ١ : ٢٣٧ ، تهذيب اللُّغة ١٣ : ١٣١ ، المحيط في اللُّغة ٨ : ٤١٣ المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٦٣٣ ، الصحاح ١ : ٥٥ ، لسان العرب ١ : ٩٥ ، الغريبين للهروي ٣ : ٩٤٧ .

وقوله : ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ :

فالذَّبحُ والنَّحْرُ والشَّقّ نَظائِرُ ، والذَّبْحُ : فَرِيُ الأَوداج .

يُقال: ذَبَحَ ذَبْحاً، واستَذبحَ استذباحاً، وتَذابَحوا تَذابُحاً، وذَبّحَ تَذبِيحاً.

وأَصلُ الذَّبحِ : الشَّقُّ ، وذَبَحْتَ المِسْكَ : إذا فَتَقْتَ عَنهُ ، فهو ذَبِيحٌ ومَذْبُوحٌ .

والذِّبحُ : الشيءُ المَذبُوحُ ؛ لقوله : ﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1] .

والذُّبّاحُ، والذُّبْحَةُ ـ بفتح الباء وتسكينها ـ: داءٌ يصيبُ الإنسان في حلقهِ.

وتقول العرب : حَيَّا اللهُ هذهِ الذُّبْحَةَ ، أي : هذه الطَّلْعَة .

والذُّبّاحُ : الشّقُوقُ في الرِّجْلِ ، أصابَهُ ذُبّاح في رِجلهِ .

والذُّبَحُ: نَوْرٌ أحمرُ[2] . وسَعْدُ الذّابحِ : كَوكبٌ مَعروفٌ من مَنازِلِ القَمَرِ.

وقال صاحبُ العين : الذَّبْحُ : قَطْعُ الحُلقُومِ من باطِنٍ . ومَوْضِعُه : المَذْبَحُ ، والمِذْبَحُ : السِّكِّين الذي يُذْبَحُ بهِ .

الذُّبَحُ والذُّبَاحُ : نَبَاتٌ من السَّمِّ[3] .

قال الأعشى :

---

(١) سورة الصّافّات ٣٧ : ١٠٧ .

(٢) اختلفت مصادر اللُّغة في هذا فبعض ـ التهذيب واللسان ـ ذهب إلى أنّه : نبت أحمر . وبعض ـ المحكم والجمهرة ـ: نور أحمر . وبعض أهمله .

(٣) المادّة «ذبَحَ» تجدها في : العين ٣ : ٢٠٢ ، جمهرة اللُّغة ١ : ٢٧٣ ، تهذيب اللُّغة ٤ : ٤٧٠ ، المحيط في اللُّغة ٣ : ٧٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ٣ : ٢٩٤ ، الصحاح ١ : ٣٦٢ ، لسان العرب ٢ : ٤٣٦ .

.... إنـمّا قـولُـكَ صـاب وذُبَــحْ[١] [٢٣٣]

وقال آخر:

.... كأنّ عَيْنَيَّ فِيها الصَّابُ مَذْبُوحُ[٢] [٢٣٤]

وأصلُ الباب: الشَّقّ.

وقوله: ﴿يَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾:

إنّما قال: ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ - وهم كانوا يستبقون الأطفال من البناتِ - تغليباً؛ لأنّهم كانوا يَسْتَبقون الصغار والكبار، كما يقال: «أقبلَ الرِّجالُ» وإن كان معهم صبيان.

وقيل: إنّ اسم النِّساء يقع على الكبار والصغار.

وقيل: إنّهم سَمّوا بذلك على تقدير أنهُـنَّ يبقين حتّىٰ يَصِرْنَ نساء.

والمرأَةُ والنِّساءُ والزَّوجاتُ نظائُر، ولا واحد للنِّساء من لفظه، ويقال: الرِّجال والنِّساء على وجه النقيض.

قال صاحب العين: النِّسْوَةُ والنِّسوان النِّسْونُ، كلّ ذلك مثل النِّساء[٣].

---

(١) ديوان الأعشى الكبير خال منه. واستشهد به ابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم ٣: ٢٩٤، وابن منظور في لسان العرب ٢: ٤٤٠ من دون نسبة. وفيهما بدل «صاب»: سُمٌّ.

(٢) مطلع قصيده لأبي ذؤيب الهُذَليّ، في ديوان الهُذَليّين ١: ١٠٤ وصدره:
نـامَ الخَـلِّيُ وبِتُّ اللَّيْل مستجِراً ....
المعنىٰ: الصاب: شجر مرّ يفيد مرض العين. مذبوح: مشقوق. يُشَبِّه انفتاح عينه وسهره كما لو شقّ فيها الصاب فلم تغمض من الألم.

(٣) العين ٧: ٣٠٣، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٦١٥، الصحاح ٦: ٢٥٠٨، لسان العرب ١٥: ٣٢١ «نَسَوَ، نَسَا».

قوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾:

فالبَلاءُ والإحسانُ والنِّعْمةُ نَظائِرُ في اللُّغةِ.

وبَلِيَ يَبْلَى بِلىً فهو بالٍ، والبَلاءُ لغةٌ في البِلَى، قال الشاعر:

[٢٣٥] والمرءُ يُبْلِيه بِلَاءَ السِّربَالْ

تناسخ الإهلالِ بعد الإهلالْ[١][٢]

والبَلِيَّة: الدّابَّةُ التي كانت تُشدُّ في الجاهليّة عِندَ قبرِ صَاحِبِها، رأسها في الوَلِيَّة حتّى تموت، ومنها ما يُعقَرُ عند القبر حتّى يموت[٣].

---

(١) رجز اختلفت المصادر كثيراً في ضبط الشطر الثاني منه على اتّحاد في المعنى، ولا ضير فيه ولا يهمّنا؛ لعدم تأثير على الشاهد. على أنّ المثبت مطابق للنسخ المعتمدة.

المعنى العام واضح، السِّرْبال: كلُّ ما يُلْبَس، كالقميص والثوب. تناسخ الإهلال: تواره، من أهلَّ الهلال.

الشاهد فيه: كلمة «بِلاء» فهي مصدر بَلِيَ الثوبُ يَبْلىٰ بَلىً وبِلاءً، فقد رويت بالفتح فلا شاهد فيه؛ للزوم المدّ أصالة لا للضرورة، ومع الكسر والمدّ هو الشاهد.

للجميع أُنظر: المقصور والممدود: ٣٠ ت ١٧، معجم مقاييس اللُّغة ١: ٢٩٢، مجمل اللُّغة ١: ١٣٣، الألفاظ الكتابيّة: ٢٢١، الزاهر في معاني كلمات الناس ١: ٣٤٩، المسلسل: ١١٤ ت ٩، المقاصد النحوية ٤: ٥١٤، الموشح للمرزباني: ١١٨، ضرائر الشعر للاشبيلي: ٤٠ وانظر أيضاً مصادر اللُّغة الآتية.

(٢) العجز المثبت هو الصحيح، وتساعد عليه النسخ «خ، ؤ، هـ» وأمّا الروايات الأُخرىٰ فتشكو خللاً عروضياً.

(٣) من عادات ومعتقدات العرب في الجاهليّة كانوا إذا مات أحدهم حبسوا له ناقته عند قبره حتّى تموت؛ اعتقاداً منهم أنّه سوف يركبها في الحشر، والخلاف في الكيفيّة، فقيل: تُحبس، أي: تعقر عنه قبره، وقيل: تشقّ البَرْذَعَةُ - أي: الوَلِيّةُ - من الوسط ويُدخل رأس الناقة فيه معكوسة إلى أن تموت وهو المراد. فإن أفلتت من الحبس هذا تركت فلا تُردّ ولا تُمنع عن مرعىً أو ماء، ولا يركبها أحد. للزيادة ←

وناقةٌ بِلْوٌ، مثل نِضْو، قد أبلاها السَّفر، والفعل من البَليّة ابْتلَيْتُ وتقول: بُلِيَ الإنسانُ وابْتُلي.

والبَلاءُ على وجهين في الخَيْرِ والشَّرِّ، والله تعالى يُبْلي العَبدَ بلاءً حَسَناً، وبَلاءً سَيِّئاً.

وأَبْلَيْت فُلاناً عُذراً، أي: بَيَّنْتُ فيما بينه وبيني بما لا لَوْمَ عليَّ بَعْدَه.

والبَلْوَى: هي البَليّة. والبَلْوى: التَّجْرِبةُ، تقول: بَلَوْتُه بَلْواً.

وأصلُ البَاب: التَّجْرِبةُ.

والبَلاءُ: الامتحان الذي فيه إنعام.

والبَلاءُ: الامتحان الذي فيه انتقام، فإذا أردت الإنعام قلت: أَبْلَيْتُهُ بَلاءً حسَناً، وفي الاختِبار تقول: بَلَوته بَلاءً، قال الله تعالى: **﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾**[1]، وقال في الإنعام: **﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً﴾**[2]، قال زهير:

جَزى اللهُ بالإِحسانِ ما فَعَلا بِكُم وأبلاهُما خَيرَ البَلاءِ الّذي يَبلُو[3] **[٢٣٦]**

فجمع المعنيين؛ لأنّه أراد: وأَنعم عليهما خير النِّعم التي يَختبر بها

انظر: رسائل الشريف المرتضى ٣: ٢٢٦، نثر الدرّ للآبيّ ٦: ٣٦٤، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٤٥٨، تاج العروس ٢٠: ٣١٣، لسان العرب ١٥: ٤١٠ «وليَ» فيها.

(١) سورة الأنبياء ٢١: ٣٥.

(٢) سورة الأنفال ٨: ١٧.

(٣) لزهير بن أبي سُلْمىٰ البيت ٢٩ من القصيدة ٥ من الديوان: ٨٣ صنعة ثعلب، مادحاً فيها هَرَمَ والحارث أحفاد أبي حارثة المُرِّيّ.
المعنى والشاهد: واضحان.

عباده[١].

وقال الأَحْنف[٢]: البَلاءُ ثُمَّ الثّناءُ، يعني الإنعام ثُمَّ الشُّكر[٣].

وإنّما كان في استحياء النِّساء مِحْنةٌ عليهم وبلوى لهم؛ لأنّهنّ كُنّ يُستعبدْنَ ويُنكَحن على الاسترقاق، فهو على رجالهنّ أعظم من قتلهن.

وقيل: إنّهنّ كُنّ يُستبقين للإذلال. والاستبقاء مِحنة؛ كما أنّ من أُحيي للتّعذيب فحياته نقمة؛ ومن أُحيي للتّلذيذ فحياته نِعمة[٤].

والأبناء: جمع ابن. والمحذوف من الابن عند الأخفش الواو؛ لأنّها أثقل وهي بالحذف أولى[٥].

وقال الزجّاج: يجوز أن يكون المحذوف ياءً أو واواً وهما سيّان،

---

(١) «بَلَوَ» تجدها في اللُّغويات: العين ٨: ٣٣٩، ديوان الأدب ٤: ٤٦، جمهرة اللُّغة ١: ٣٨٠، تهذيب اللُّغة ١٥: ٣٩٠، المحيط في اللُّغة ١٠: ٤٢٢، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٤٢٢، الصحاح ٦: ٢٢٨٤، لسان العرب ١٤: ٨٣، تاج العروس ١٩: ٢١٤.

(٢) أبو بحر، الضحّاك ـ وقيل: صخر ـ بن قيس بن معاوية التميميّ، سيّدها وأحد العظماء الدهاة والحكماء الفصحاء الشجعان، يُضرب به المثل في الحلم، أدرك النبيّ ﷺ ولم يره، شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام صفّين واعتزل الجمل، حدَّث عن عليّ عليه السلام وأبي ذرّ وابن مسعود وغيرهم، وعنه: البصريّ وعروة وابن عميرة. توفّي في الكوفة عام ٦٧، وقيل: ٧٢هـ.

انظر: تنقيح المقال ٢: ١٠٤ ت ٥٨٢٩، طبقات ابن سعد ٧: ٩٣، المعارف لابن قتيبة: ٤٢٣، سيَر أعلام النبلاء ٤: ٨٦ ت ٢٩، جمهرة الأمثال ١: ٤٠٧ ت ٦٧٩.

(٣) معاني القرآن للزّجاج ١: ١٣٢، الفروق اللُّغويّة للعسكريّ: ١٩٩، معجم الفروق اللُّغويّة ١٠٥ ت ٤١٨، الزاهر في معاني كلمات الناس: ١: ٣٤٩. وبلا عزو في مجاز القرآن ١: ٤٠، نثر الدرّ للآبيّ ٥: ١٦.

(٤) ينظر: تفسير النكت والعيون ١: ١١٨، تفسير الوسيط ١: ١٣٥.

(٥) حكاه عنه الزجّاج في معاني القرآن ١: ١٣١ وابن سيده في المخصّص ٦: ٢٦٩، وابن منظور في لسان العرب ١٤: ٨٩.

ولا حجّة في البُنُوّة كما لا حجّة في الفُتُوّة ؛ لقولهم : فَتَيان .

قال : وقد جاء حذف الياء كما في يد ، كقولهم : يديتُ إليه يداً ؛ وفي دم ، قال الشاعر :

فَـلو أنّـا عـلى حَـجَرٍ ذُبِـحْنا   جَرى الدَّمَيانِ بالخَبَرِ اليَقِينِ[1][2]   [٢٣٧]

والقتل الذي هو فري الأوداج ، أو نقض بُنية الحياة يقدر الواحد مِنّا عليه .

وأمّا الموت بتسكين الحركة الحيوانيّة أو فعل ضدّ الحياة عند من قال لها ضدّ ، فلا يقدر عليه غير الله .

---

(١) هذا وبيتان قبله شعر مختلف فيه بين المثقِّب العبديّ ، وعليّ بن بدّال ، وعبد بني الحسحاس ، ومرداس بن عمرو ، والفرزدق ، والأخطل .

وهناك رواية للبيت هذا مع بيتين قبله مقطوعة النسبة إلى المثقِّب ، رواها الهرويّ في الأزهية .

المعنى : الخبر اليقين : هو ما اشتهر عند العرب ـ بل قيل : وآمنوا به ـ من عدم امتزاج دم المتباغضين لو ذبحا معاً وعلى حجر واحد لذهب دم هذا يسرةً ودم الآخر يمنةً .

الشاهد فيه : «الدَّمَيان» وكونه مثّنى فأتى به على الياء . وقد اُدّعي أنّه واويّ . وهذا خلاف بين الكوفيّين والبصريّين . ذكرته بعض المصادر الآتية .

للتوسعة في النسبة والاستشهاد انظر : الجُمل للخليل : ٢٢١ ، الوحشيات : ٨٤ ت ١٢٧ ، المُقتضب ١ : ٢٣١ ، أمالي الزجّاجيّ : ٢٠ ، المنصف ٢ : ١٤٨ ، الأزهية : ١٤٠ ـ ١٤١ ، أمالي ابن الشجريّ ٢ : ٢٢٨ م ٤٩ و٣ : ١٢٦ م ٧٨ ، الإنصاف ١ : ٣٥٧ ، المقرّب : ٣٩٧ ، تذكرة النُّحاة : ١٤٣ ، خزانة الأدب للبغدادي ٧ : ٤٨٢ ش ٥٦٥ . وغيرها كثير ، وفي هامش البعض فوائد ، وانظر ديوان المثقِّب العبديّ قسم المنسوب من الشعر : ٢٨١ ق ١٦ .

(٢) معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٣١ . ويمكن متابعة الآراء للمادّة في : المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٥٢١، المحيط في اللُّغة ١٠: ٤٠٥، تهذيب اللُّغة ١٥ : ٤٩٠، الصحاح ٦: ٢٢٨٦، لسان العرب ١٤: ٨٩، تاج العروس ١٩: ٢٢٤، وغيرها.

وموضع ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾ يحتمل أمرين من الإعراب :

أحدهما : الاستئناف ، فيكون موضعه رفعاً ، كأنّه قال : يسومونكم من قبل ذلك سوء العذاب .

والثاني : أن يكون موضعه نصباً على الحال من : ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ ، والعامل فيه : ﴿نَجَّيْنَاكُمْ﴾ .

و﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾ :

(وسومهم سوء العذاب)[١] : كان بذبح الأبناء ، واستحياء النّساء .

وقيل : باستعمالهم في الأعمال الشاقّة ، واستحياء النّساء كان بأن يُسْتَبقين .

وقيل : إنّه كان يفتّش أحياء النّساء عمّا يلدن .

وقيل : إنّهم كانوا يَسْتَحيون أن يلجوا على النّساء في بيوتهنّ إذا انفردن عن الرجال صيانة لهنَّ ، فعلى هذا يكون إنعاماً عليهنّ[٢] . وهذا بعيد من أقوال المفسّرين .

والسبب في أنّ فرعون كان يُذبّح الأبناء ويستَحيي النّساء : ما ذكره السُّدّيّ وغيره : إنّ فرعون رأى في منامه : ناراً أقبلت من بيت المقْدس حتّى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القِبْط ، وتركت بني إسرائيل ، وأخربت

---

(١) زيادة من «خ» .

(٢) الآراء أُشير إليها في : تفسير جامع البيان ١ : ٢١٣ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١١٧ ، أجوبة المسائل القرآنية (ضمن رسائل الشريف المرتضى) ٣ : ١٠٤ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١١٨و٢ : ٢٤٩ ، تفسير الوسيط ١ : ١٣٥ ، وانظر : تأويلات أهل السنّة ١ : ٥٠ ، التفسير الكبير ٣ : ٦٩ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٣١٤ .

مصر. فدعى السحرةَ والكهنةَ والقافَةَ فسألهم عن رؤياه.

فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه ـ يعنون بيتَ المقدس ـ رجل يكون على يده هلاك مصر.

فأمر بني إسرائيل ألّا يولد لهم غلام إلّا ذبحوه ولا جارية إلّا تُرِكت[١].

وليس في الآية دلالة على: سقوط القَوَد عمّن قَتَل غيره مُكرَهاً. ولا القَوَد على المكره. ولا إنْ كان مختاراً غير مكره فالقَوَدُ عليه؛ لأنّه لم يجرِ لذلك ذكر[٢].

فإن قيل: إذا كانوا نَجَوْ هُم والله أنجاهم، ما المنكر أن يكون العاصي هو الذي عصى والله خلق معصيته؟!

قيل: لا يجب ذلك؛ ألا ترى أنّه يقال: قد يُنْجيني زيدٌ فأنجو، وإن لم يكن فَعَلَ فِعْلاً بلا خلاف. وكذلك إذا استنقذنا النبيّ صلى الله عليه وآله من الضلالة فَخَلُصْنا لا يجب أن يكون من فعلٍ فعلنا.

وإخبار الله تعالى اليهود بهذه القصّة على لسان رسوله من دلائل نبوّته؛ لأنّ منشأه معروف، وبُعده عن مخالطة الكتابيّين معلوم.

---

(١) العلّة والسبب والقصّة أُشير إليها في مصادر التأريخ القديم وكتب التفسير، للمثال انظر: تاريخ الأمم والملوك ١: ٣٨٧، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١: ٣٤٧، الكامل في التأريخ ١: ١٦٩. وقصص الأنبياء أو عرائس المجالس: ١٦٦، قصص الأنبياء عليهم السلام ٢: ٣، النور المبين: ٢١٥ وكتب التفسير وهي كثيرة.

(٢) نفي الشيخ المصنّف قدس سره لعلّه ناظر إلى من استفاد ذلك من الآية المباركة مثل الطبريّ في جامعه ١: ٢١٤، وانظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٣٨٥ مسألة ١١.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ آية (٥٠).

موضع ﴿إِذْ﴾ نصب ـ كما تقدّم ـ وهو عطف على ما مضى، فكأنّه قال: واذكروا إذ فرقنا بكم البحر، وذلك من جملة نِعم الله تعالى التي عدّدها عليهم ممّا فعله مع أسلافهم.

ومعنى ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ أي: فَرَقْنا بين الماءَين حتّىٰ مررتم فيه وكنتم فِرَقاً بينهما.

والفَرْقُ والفَصلُ والقَطعُ نَظائِرُ.

والفَرْق يقتَضي الجمع، يُقال: فَرَقَ فَرْقاً، وأفرَقَ المريضُ إفراقاً، وافْتَرقَ الشيءُ افتِرَاقاً، واسْتَفرق اسْتِفراقاً، وفرَّقهُ تَفْرِيقاً، وتَفارَقوا تَفارقاً، وتفرَّقَ تفرُّقاً، وفارَقهُ مُفارَقةً، وانْفَرَقَ انفِراقاً.

والفَرْقُ: مَوضعُ المَفرِقِ من الرأس.

والفَرْقُ: تفريقُ ما بينَ الشيئَيْن.

والفَرْقُ: فَرجُكَ بينَ شيئَيْن تَفرُقُ بينهما فَرْقاً حتّىٰ يَتفرَّقا ويَفْتَرِقا، وتقول: تَفارَقَ هؤلاء الصُّحبة، أي: فارق بعضُهم بعضاً وافترقوا.

وتقول: مشطت الماشِطةُ كذا وكذا فَرْقاً، أي: كذا وكذا ضَرْباً.

والفِرْقُ: طائفةٌ من النّاسِ، قال أعرابي لصبيان رآهم: هؤُلاء فِرْقُ سوءٍ، والفِرْقُ: الطائفة من كُلِّ شيء، ومن الماء إذا انْفَرق بعضُه عن بعضٍ، وكُلّ طائفة من ذلك فِرْق، وقوله: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1]

---

(١) سورة الشعراء ٢٦: ٦٣.

يعني: الْفَرَقَ من الماء.

والفَرِيقُ: الطائِفةُ من النّاس، والفُرْقَةُ: مصدر الافتِراقِ، وهو أحد ما خَالَف فيه مصادِر (افتعل)[1].

والفُرْقانُ: اسم للقُرآن، وكلُّ كتابٍ أنْزَلَ اللهُ وفَرَقَ بهِ بينَ الحقِّ والبَاطِلِ فهو: فُرقان، وسمّى اللهُ تعالى التوراة فُرقاناً، وقوله: **﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾**[2] كان يوم بدر ويوم أُحد فَرَقَ اللهُ بين الحقِّ والبَاطِلِ.

والفَرْقُ: هو الفَلْقُ.

والفَرْقُ: هو مِكيال لأهلِ العِراق.

والفَرَقُ: الخَوْفُ، تقول: رجلٌ فَرُوقَةٌ وامرأةٌ فَرُوقَةٌ، والفِعلُ: فَرِقَ يَفْرَقُ من كذا فَرَقاً.

وقوله: **﴿وَقُرْءَاناً فَرَقْنَهُ﴾**[3] ـ مُخفّف ـ معناه: أحكمناه، كقوله: **﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾**[4] وتَقُولُ: مُفرِقَ ما بين الطَرفينِ.

وأَفْرَقَ فلانٌ من مرضهِ إفْرَاقاً، إذا بَرَأَ، ولا يكون الإفْرَاق إلّا من مرض لا يصيب الإنسانَ إلّا دفعةً واحدةً، نحو: الجُدَرِيّ والحصَبة.

ودِيكٌ أَفرَقُ: إذا انْفَرَقَ عُرْفُهُ. وتَيْس أَفْرَق: إذا تَباعَد طرفا قَرنيه.

ورجلٌ فَروقةٌ وكذلك المرأة مثل: نَسّابة وعَلّامة، وجاء مصدر فرّقتَهُ تَفرِقَة.

---

(١) هذا هو الصحيح، وما في الأُصول والحروفيات كونه «أفعل» لا يمكن المساعدة عليه؛ إذ هو إشارة إلى أنَّ «افترق» مصدره «افتراق» زنة «افتعال»، وكون المصدر «فُرْقَة» زنة «فُعْلَة»؛ هذا خلاف قياس المصدر المفروض. انظر العين ٥ : ١٤٧.

(٢) سورة الأنفال ٨ : ٤١.

(٣) سورة الإسراء ١٧ : ١٠٦.

(٤) سورة الدّخان ٤٤ : ٤.

والفَرْقُ ـ الذي جاء في الحديث: (ما أسكرَ الفَرْقُ فالجُرعة منه حَرام)[١] ـ: مِكيال يُعرف بالمَدِينةِ[٢].

وفِرْقةٌ من النّاس، وجمعهُ فِرَقٌ.

وأصلُ الفَرْق: الفَصْلُ بينَ الشيئَين.

والفَرِيقَةُ: حُلْبَةٌ تُطبخ بِتَمرٍ للنُّفَساءِ وغيرها[٣].

والبَحْر يُسمّى بحراً، وهو: انْبِساطُه وسَعَتُه، ويقال: استَبْحَرَ فُلانٌ في العِلْمِ، وتَبَحَّر: إذا اتّسَعَ فِيه وتَمَكّن مِنْه، ويُقال: تَبَحَّر الرّاعي: وقع في رغْيٍ كثير، قالَ أُميّة الصغير[٤]:

أنعِقْ بِضأنِكَ في نَفلٍ تُبَحِّرُه ... من ذي الأَباطِحِ واحبِسْها بجلْذانِ[٥] [٢٣٨]

---

(١) روي عن النبيّ الأكرم في سنن أبي داوُد ٣: ٣٢٩ ت ٣٦٨٧، السنن الكبرى للبيهقيّ ٨: ٢٩٦ وانظر: مسند أحمد بن حنبل ٦: ٧١ و٧٢ و١٣١ باختلاف في ذيله، وحكي قولاً لابن عمر وغيره في المصنّف لعبدالرزاق ٩: ٢٢١ ت ١٧٠٠٣ـ١٠٠٦.

(٢) انظر: تخريج الدلالات السمعيّة للخزاعيّ: ٦٢٢. ففيه زيادة اطّلاع.

(٣) مادّة «فَرَقَ» مع بعض الاختلاف تجدها في: العين ٥: ١٤٧، جمهرة اللُّغة ٢: ٧٨٤، تهذيب اللُّغة ٩: ١٠٣، المحيط في اللُّغة ٥: ٣٩٥، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٣٨٣، الصحاح ٤: ١٥٤٠، لسان العرب ١٠: ٢٢٩، تاج العروس ١٣: ٣٩١؛ وانظر: الغريبين للهروي ٥: ١٤٤٠، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٤٣٧، إصلاح المنطق (انظر الفهرس).

(٤) أُميّة بن حُرْثان بن الأَسكَر اللَّيْثِيّ الكنانيّ، شاعر فارس مخضرم، من سادات قومه وفرسانهم انتقل إلى المدينة المنوّرة من الطائف، عدّ في الطبقة العاشرة من الجاهليّين، عمَّر طويلاً حتّىٰ خَرِف، مات أيّام عمر بن الخطّاب.

له ترجمة في: طبقات فحول الشعراء ١: ١٨٩، الأغاني ٢١: ٩، خزانة الأدب للبغدادي ٦: ١٤ ش ٤٢٥.

(٥) أُختلف في روايته حتّىٰ خرج عن الاستشهاد، بل كأنّه آخر. ولعلّ المثبت أقرب إلى الصواب.

و: تَبَحَّر فُلانٌ في المال.

ومن ذلك بُحَيْرة طَبَرِيّة: وهي عَشْرَة أميال في ستَّةِ أميالٍ[١].

وقيل: هي عَلامةُ خروُج الدَّجّال إذا يبست فلا يبقَى منها قَطْرَةُ ماءٍ[٢].

وبَحْرتُ أُذْن الناقةِ بَحْراً إذا شَقَقْتُها، وهيِ: البَحِيرة، وكانت العرب تفعل ذلك إذا أنتجَتْ عَشرة أبطُنٍ فلا تُرْكَب ولا يُنتَفَعُ بِظَهْرِها، فَنهى اللهُ عن ذلك.

والسّائبةُ: التي تُسيَّب فلا يُنتَفَع منها بِظَهرٍ ولا لبن.

والوَصِيلةُ في الغَنَم، كانت إذا وَضَعَتْ أُنثَى تُرِكَتْ، وإن وَضَعَتْ ذكراً أَكَلهُ الرّجالُ دون النساء، وإن ماتت الأُنثى الموضوعة اشتركوا في أكلها، وإن وُلِدَ مع الميّتة ذَكَرٌ حَيٌ اتَّصَلَتْ به كانت للرّجالِ دونَ النساء، ويُسَمُّونها

المعنى: أَنْعِقْ: النَّعْقُ الصِّياح بالغنم والضأن. ذي الأباطح ـ جمع أبطح ـ: وهو مسيل فيه تراب ودقاق الحصى ممّا جرفته السيول. جِلْذَانِ ـ بكسر الجيم وسكون اللّام، والذال اختلف فيه، فروي به والدال، وعلى أي فهو ـ: موضع قرب الطائف.

الشاهد: تبحّره، أراد منه التوسّع والتمكّن من الرعي في المكان.

انظر: الأمالي (الذيل) ٣: ١٨٠، العين ٣: ٢١٩، معجم مقاييس اللُّغة ١: ٢٠١، معجم البلدان ٢: ١٧٤ ت ٣١٧٩ ومصادر الترجمة، في الهامش السابق.

(١) أقدم من وجدنا التحديد عنده هو الخليل بن أحمد في العين ٣: ٢١٩ وبعده عند الأزهريّ في تهذيب اللُّغة ٥: ٣٧ عن اللّيث بن نصر، وعنهم أخذت المصادر المتأخرة. انظر معجم البلدان ١: ٣٥١ و٤: ١٧، مراصد الاطّلاع ١: ١٦٨، معجم ما استعجم ١: ٢٢٩.

(٢) خروج الدّجال، ويبوس البحيرة، من العلامات التي أُشير إليها في جملة من المصادر منها: سنن الترمذيّ ٤: ٥١٠ ت ٢٢٤٠، صحيح مسلم ٤: ٢٢٥٤ ت ١١٠، مسند الشاميّين ٣: ٣٨٧ ـ ٢٥٢٥، الفتن للمروزيّ: ٣٩٨ ت ١٣٤٠، تاريخ دمشق ٢: ٢٢٠، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٥٦ ت ٤٠٧٥.

وَصيلة .

وقد قيل غير ذلك ، سنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى[١] .

---

(١) على الاختصار : لعرب الجاهليّة معتقدات تُسمّى أَوابد ، قيل : لقدمها سمّيت بذلك ، وقيل : غير ذلك وقد شجبها الإسلام ونهىٰ عنها وحرّمها . منها : البَحِيرَة ، السائبة ، الوصيلة ؛ وهكذا : نكاح المَقْت ، رمي البَعَرَةِ ، الأزلام ، المصفح ، الحبس ، خروج الهامة ، وأد البنات ، دائرة المهقوع ، وغيرها كثير ، وما يهمّنا منها الثلاثة الأُوّل .

١ ـ البَحِيرَة ـ فعيلة بمعنى مفعولة ـ وهي الناقة التي :

أ ـ تنتج خمسة أبطن .

ب ـ تنتج خمسة أبطن خامسها ذكر .

ج ـ تنتج خمسة أبطن خامسها إن كان ذكراً أكلوه وإن كان أُنثى شقّوا أُذنها وتركوها .

د ـ تكون أُنثى ومن خامسة بطن .

هـ ـ هي التي مُنعت من الحلب لأجل الطواغيت .

و ـ هي بنت السائبه يشقّ أُذنها وتترك مع أُمّها .

ز ـ التي تنتج خمسة أبطن إناث .

ح ـ التي تنتج خمسة أو سبعة أبطن .

ط ـ التي تنتج عشرة أبطن .

ي ـ هو السقب إذا وُلد نحروا أُذنه وقالوا : اللّهمّ إن عاش فقنيّ ، وإن مات فذكيّ .

وقيل غير ذلك .

فيشق أُذُنَها ، وتترك فلا يجزّ لها وبر ، ولا يُحمل عليها شيء ، وتكون ألبانها للرجال دون النّساء و ، و....

٢ ـ وأمّا السَّائبة : فاسم فاعل من ساب يسيب فهو سائب ، وهي سائبة ، أو فاعل بمعنى المفعول وإن قلّ .

وهي كسابقتها قد اختلف فيها على أنحاء ، منها :

أ ـ إذا قَدِمَ الرجل من سفرٍ سالماً ـ أو لشكر نعمة ـ سَيَّبَ بعيراً ، وفعل فيه ما ذكر في البحِيرة من شقّ الأُذُن .

ﭤ

....

ب ـ إذا أنتجت الناقة عشرة إناث فلا تُركب ولا يَشْرب لبنها إلّا ضيف أو وليدها .
ج ـ هي المتروكة لآلهتهم .
د ـ الناقة التي تُعدّ وتترك ليُحجّ عليها .
هـ ـ وقيل : العبد يعتق على عدم ولاء ولا عَقْلٍ ولا ميراث .
٣ ـ الوَصِيلَة : فَعِيلَة بمعنى فاعلة ، واختلف في المراد منها ، وفي جنسها كثيراً ، فقيل :
١ ـ هي من جنس الغنم .
٢ ـ هي من جنس الإبل .
وأمّا المراد منها فقيل :
أ ـ الشاة التي تلد سبعة أبطن عناقين ـ توأمين توأمين ـ من الإناث والسابع أُنثى وجدياً ، قيل : وصلت أخاها فيفعل فيها ما يفعل بالسّائبة .
ب ـ الشاة إن ولدت ذكراً فلآلهتهم ، وإن ولدت أُنثى كان لهم .
ج ـ الشاة التي تنتج سبعة أبطن ، فإن كان السابع أُنثى حرِّمت على النساء إلّا أن تموت فهي لهم جميعاً ، وإن كان أُنثى وذكر قيل : وصلت أخاها فيتركان ولا ينتفع منهما إلّا الرجال ، فإن ماتت اشتركوا بها جميعاً .
د ـ الشاة التي تنتج عشرة إناث في خمسة أبطن متواليات ، وبعد ذلك ما ولدت فهو للذكور دون الإناث .
وأمّا على كونها ـ الوصيلة ـ من جنس الإبل فقيل :
هي الناقة التي بكرها أُنثى ثمّ تثنّي بأُنثى ليس بينهما ذكر فتترك لآلهتهم ؛ إذ قد وصلت أُنثى بأُنثى .
وقيل غير ذلك ، وقد تعرّض لها جمع منهم : الآبيّ في نثر الدّر ٦ ق ٢ : ٣٥٥ ب ٧ ، والقَلقشنديّ في صبح الأعشى ١ : ٣٩٨ نوع ١٤ ، والنويريّ في نهاية الأرب ٣ : ١١٦ ، والدميريّ في حياة الحيوان ٢ : ٣٦٧ «النَّعم» . وانظر : تفسير جامع البيان ٧ : ٥٦ ، معاني القرآن للفرّاء ١ : ٣٢٢ ، معاني القرآن للزجّاج ٢ : ٢١٣ ، مجاز القرآن ١ : ١٧٨ ، تفسير المحرّر الوجيز ٥ : ٢١٠ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٦ : ٣٣٥ ، اللُّباب في علوم الكتاب ٧ : ٥٥٢ ، تفسير روح المعاني ٧ : ٤٢ ، وفي كتب اللُّغة متفرّقة كلّ في مادّته منها : تاج العروس ٦ : ٥٢ «بَحَرَ» و ٢ : ٨٨ «سَيَبَ» و ١٥ : ٧٧٦

والباحِرُ: الأَحمَقُ الذي إذا كُلِّمَ بَحِر وبقي كالمَبْهُوت.

وبَحْرانيّ: منسُوبٌ إلى البَحْرَيْن.

ودم بَحْرَانيّ وباحِرِيّ: إذا كان خالِصَ الحُمرَةِ من دمِ الجوفِ.

والعربُ تُسمّي المالح والعَذْبَ بحراً إذا كَثُر، ومنه قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[١] يعني: المِالحُ والعَذْبُ[٢].

وأصلُ البابِ: الاتِّساعُ.

والبَحرُ: هو المَجرى الواسِعُ الكَثيرِ الماءِ.

وأمّا اللُّجُّ: فهو الذي لا يُرى حَافَّتَيهِ من في وسطهِ؛ لعظمهِ وكَثْرة مائهِ. فدِجْلَةُ بحر بالإضافة إلى الساقية، وليست بحراً بالإضافة إلى جدّة وما جرى مجراها[٣].

ومعنى قوله: ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾:

أي: جعلناكم بين فرقيه تمرّون في طريق يبس، كما قال تعالى: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقَاً فِي ٱلْبَحْرِ يَبساً﴾[٤]، وقال: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ

«وَصَلَ» وهكذا غيرها من الموارد والكتب.

وعند تفسير الآية: ١٠٣ من سورة المائدة من التبيان وغيره.

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ١٩.

(٢) مادّة «بَحَرَ» في مصادر اللُّغة تجدها في: العين ٣ : ٢١٩، جمهرة اللُّغة ١ : ٢٧٣، تهذيب اللُّغة ٥ : ٣٧، المحيط في اللُّغة ٣ : ٩١، المحكم والمحيط الأعظم ٣ : ٣١٩، معجم مقاييس اللّغة ١ : ٢٠١، الصحاح ٢ : ٥٨٥، لسان العرب ٤ : ٤١، تاج العروس ٦ : ٥٠.

(٣) المراد منه البحر الأحمر وغيره من البحار.

(٤) سورة طه ٢٠ : ٧٧.

أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَـالطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[١].

وقال بعضهم في معنى **﴿فَرَقْنَا﴾**: يعني بين الماء وبينكم، أي: فصلنا بينكم وبينه، وحجزناهُ حيث مررتم فيه[٢].

وهذا خلاف الظاهر، وخلاف ما بيّنه في الآيات الأُخر التي وردت مُفسِّرة لذلك ومُبَيِّنة لما ليس فيه اختلاف.

وقوله: **﴿وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾**:

قال صاحبُ العين: الغَرَقُ: الرُّسُوبُ في الماء، ويُشَبَّهُ به الدَّيْنُ والبَلْوى.

والتَّغريقُ والتَّغويصُ والتَّغييبُ نَظائِرُ.

والنّجاةُ: ضِدّ الغَرَق، كما أنّها ضِدّ الهَلَاك، يُقال: غَرِق غَرَقاً وأغْرَق في الأمر إغراقاً، وغَرَّقهُ تَغْرِيقاً، وتَغرَّق تَغرُّقاً، ورجلٌ غَرِقٌ وغَرِيقٌ، وَغرَّقْتُ النَّبْلَ وأغْرَقْتُه: إذا بَلغْتَ به غايَةَ المَدِّ في القوس. والفَرَسُ إذا خالَطَ الخَيْلَ ثمّ سَبَقَها يُقال: اغْتَرَقَها.

والغُرْقَةُ من اللَّبنِ: القليلُ.

قال ابنُ دُرَيد: غَرِقَ يَغْرَقُ غَرَقاً في الماء، وغَرِقَ في الطِّيب والمال، وأصلهُ في الماءِ، وكَثُر فاستُعمِل في غيره. وكذلك غَرِقَ في الذنوب.

وأَغرَق في الأمر يُغرِق إغراقاً: إذا جاوَز الحدّ فيه.

وأصلهُ: من النَّزْعِ في السّهم حتّى يخْرجه عن كَبِد القوس.

---

(١) سورة الشعراء ٢٦ : ٦٣.

(٢) نسبه أبو جعفر الطبريّ في جامعه ١ : ٢١٧ إلى بعض نحويّ البصرة، ومراده عادة أبو عبيدة التيميّ صاحب مجاز القرآن ولم نجده فيه. وانظر: تفسير النكت والعيون ١ : ١١٩ من دون نسبة.

واغرورقت عيناهُ : شرِقت بدمعها .

وجَمْع غَرِيق : غَرْقَىٰ .

وأصلُ البابِ : الغَرَقُ الرُّسُوبُ في الماءِ[١] .

وقوله : ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ :

قال المفسّرون : وأنتم ترون ذلك وتعاينونه .

والنَّظرُ والبَصَرُ والرُّؤيةُ نَظائِرُ في اللُّغة .

يقال : نَظَرَ يَنْظُرُ نَظَراً ، وأَنْظَرَ يُنْظِرُ إنْظَاراً ، وانْتَظَرَ انْتِظاراً ، واسْتَنْظَرَ اسْتِنْظاراً ، وتَنَاظَرَ[٢] تَناظُراً ، ونَاظَرَهُ مُناظَرَةً .

قال صاحبُ العينِ : نَظَرَ يَنْظُرُ نَظَراً ـ [ونَظْراً] ـ بتخفيف المصدر[٣] ، وتقول : نَظَرْتُ إلى كذا وكذا من نَظَر العين ونظر القلب[٤] ، ونَظرتُ في الكتابِ ونَظرتُ في الأمرِ .

وقول القائل : أنظرُ إلىٰ اللهِ تعالى ثُمَّ إليكَ ، معناه : إنّي أتوقَّعُ فضْلَ اللهِ ثمّ فضْلَكَ . ويقال : نَظرتُ بعلمي .

---

(١) العين ٤ : ٣٥٤ ، جمهرة اللُّغة ٢ : ٧٨٠ وانظر : تهذيب اللُّغة ١٦ : ١٣٣ ، المحيط في اللُّغة ٤ : ٥٢٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ٥ : ٣٨٤ ، الصحاح ٤ : ١٥٣٦ ، لسان العرب ١٠ : ٢٨٣ ، تاج العروس ١٣ : ٣٧١ ، «غَرَقَ» في الجميع .

(٢) في : «ؤ، س، ل» : تناظروا ، بصيغة الجمع ، وأمّا نسخة «خ» فمخروم منها صفحات عدّة.

(٣) اختلفت المصادر ـ العين ، تهذيب اللُّغة ، لسان العرب ـ في ضبط هذه الجملة زيادة ونقيصة ، وبإضافة ما بين المعقوفتين لعلّه وَضحُ المراد من التخفيف ؛ إذ هو إشارة إلى مجيء عين الفعل ساكناً ـ والسكون أَخَفّ الحركات ـ وإن قلّ .

(٤) هذا مطابق للعين ، وتهذيب اللُّغة حكاه عن الليث نصّاً ، وكذا حُكي في لسان العرب وتاج العروس . وما في النسخ : «ل ، س ، ؤ ، هـ ، حجر» : «نظرت إلى كذا من غير ذكر العين» . فلم نجد له منشأً ، وأمّا نسخة «خ» فمخروم منها صفحات عدّة.

ويقال: نَظرَ الدَّهْرُ إليهم: أي: أهْلكَهُم، قال الشاعر:

.... نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيهِمْ فابْتَهَلْ[1] [٢٣٩]

والنَّظَرُ: الاسم من نَظَر. وقوله: ﴿لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾[2] أي: لا يَرْحَمُهُم.

والمَنظُور من النّاس: هو المَرجوُّ فَضلُه، يُنعَتُ بِهِ السيِّد.

والنَّظُورُ: الذي لا يَغفِلُ عن النَّظَرِ إلى ما أَهَمَّه.

والمُنَاظَرَةُ: أنْ تُنَاظِرَ أخاكَ في أمْرٍ، تَنْظُرُ أنْتَ في ذَلِكَ ويَنْظُرُ هُوَ فيه كيف تَأتِيانِه.

والمَنْظَرَةُ: مَوْضِعٌ في رَأس جَبلٍ يكونُ فيه رَقِيبٌ يَنْظُرُ فيه إلى العَدوِّ ويحرسُ أصحابَه.

والمَنْظَرة: مَنْظَرُ الرّجُلِ إذا نَظَرْتَ إليه أعجَبَكَ أو ساءَكَ، تقول: إنّه لَذو مَنْظَرَةٍ بلا مَخْبَرَةٍ.

والمَنْظَر: مصدر كالنَّظَر.

والمَنْظَر: الشيءُ الذي يُعْجِبُ بالنَّظَرِ إليه ويُسِرُّ بهِ، تقول: إنّ فُلاناً

---

(١) وصدره:

في قُرُوم سادة مِنْ قَوْمِهِ ....

البيت للشاعر لَبيد بن ربيعة العامري.

الشاهد فيه: استعمال (نظر) بمعنى أهلك.

المعنى: الشاعر يمدح قومه وقبيلته ويصفهم بالصفات الحميدة، ثمّ يقول وهم على هذا إذ نظر الدهر إليهم، أي: أهلكهم وأزالهم، فابتهل متعجّباً ومفتخراً على ما تمكّن منه.

انظر الديوان ١٤٨، وبشرح الطوسي البيت ٨٢ من القصيدة ٢٦ : ١٧٤.

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٧٧.

لفي مَنْظَرٍ ومَسْمَعٍ، وفي رَيٍّ ومَشْبَعٍ؛ أي: فيما أحَبَّ النظر إليه.

ونَظَارِ بمعنىٰ انْتَظِرْ: في الأمر[1].

وناظرُ العَيْنِ: النقطةُ السَّوداءُ الخالِصةُ الصَّافية التي في جوفِ سَوداءِ العَيْنِ ممّا يرىٰ إنْسانُ العَيْن.

والنَّظيرُ: نظيْرُكَ الذي هو مِثْلُكَ، والأُنثى نَظِيرةٌ، وجمعهُ نَظائِرُ في الكلامِ والأشياء.

ونَظَرْتُهُ وانتَظَرْتُهُ بمعنى واحد.

وتقول: انْظُرْنِي يا فلانُ، أي: استَمِعْ إليَّ؛ لقوله: ﴿**لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا وَقُولُوا ٱنظُرْنَا**﴾[2] وتقول: بِعتُ فُلاناً فأنظَرْتُه، أي: أنسأته، والاسم النَّظِرَةُ، ومنه قوله: ﴿**فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ**﴾[3] أي: فانْتِظار، واسْتَنظَرَ فلانٌ ـ من النَّظِرةِ ـ إذا هو سَألَ.

التَّنَظُّرُ: تَوقُّعُ أمْرٍ تَنْتَظِرُه.

وبفلانٍ نَظْرَة، أي: سُوءُ هَيئةٍ، وقوله: ﴿**ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ**﴾[4] أي: انْتَظِرونا[5].

وأصلُ البابِ كُلِّهِ: الإقبالُ نحو الشيء بوجهٍ من الوجوه.

---

(١) في المصدر: اسم وضع في موضع الأمر. والمثبت مطابق للأُصول الخطيّة.

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٠٤.

(٣) سورة البقرة ٢ : ٢٨٠.

(٤) سورة الحديد ٥٧ : ١٣.

(٥) مادّة «نَظَرَ» ضُبطت على المصادر اللّغوية المعتمدة للمصنِّف وغيرها، على أنّ بعض الاختلافات الباقية لعلّ لا ضير فيها، انظر: العين ٨ : ١٥٤، جمهرة اللُّغة ٢ : ٧٦٣، تهذيب اللُّغة ١٤ : ٣٦٨، المحيط في اللُّغة ١٠ : ٢١، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ١٣، الصحاح ٢ : ٨٣٠. لسان العرب ٥: ٢١٥، تاج العروس ٧: ٥٣٧.

وقال قوم: إنّ النّظر إذا كان معه «إلىٰ» لا يحتمل إلّا الرؤية، وحملوا قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] على ذلك، وقالوا: لا يحتمل التأمّل[2].

---

(١) سورة القيامة ٧٥: ٢٣.

(٢) إشارة عابرة من المصنّف ﵀ إلى بحث الرؤية والنظر ـ رؤية الباري جلّ وعلا والنظر إليه تنزّه عن ذلك ـ وهو بحث طويل قديم، تعرّض له الفلاسفة والحكماء والمتكلّمون من القدماء، المسلمون منهم وغير المسلمين ادلوا بدلوهم، ومنذ الصدر الأوّل وإلى يومنا هذا كلٌّ خاضه بالنحو الذي تمليه عليه معرفته وعقليته، وما ارتبط به من ولاءٍ سياسيّ أو حكوميّ أو مذهبيّ. والولاءات رأس البلاء، والحربة الملوّثة بكلّ داء ومرض.

وقد أسالت ـ للبحث هذا ـ الأقلام والأفكار ما عندها وما لديها من علم ومعرفة في ذلك مفصحة من خلاله عمّا تأثّرت به متابعتها للحاكم والحكومة وما أملته الظروف السياسيّة، فأُريقت حول هذه الآراء ـ الرؤية، خلق القرآن، والإمامة، و.... ـ الدماء الزكيّة البريئة النزيهة، وأُزهقت النفوس العالمة المؤمنة بربها ـ ممّا هو مسطور في التأريخ ـ كلّ ذلك لابتعادها عن مصادر الرأي الإسلاميّ الأصيل والمنابع الزُلال الصافية. نعم، لنأيهم عن أبواب العلم وإعراضهم عن أهل بيت الوحي والطهارة. نراهم يتخبّطون فيها متابعين ـ من حيث يشعرون أو لا يشعرون ـ اليهود والنصارى القائلين بالتّجسيم والتّثليث، و...

ولا يخفى أنّ مصبّ النزاع إنّما هو إمكان الرؤية البصريّة الحقيقيّة، لا الرؤية القلبيّة البصيرية؛ لعدم قائل بالامتناع في هذه.

وعلى أيّة حال فقد افترق المسلمون إلى جبهتين:

١ ـ الأشاعرة، ومن تبعهم ممّن قال بالتجسيم والتشبيه: القائلون بأنّ الباري جلّ وعلا جسم كباقي الأجسام، له طول وعرض، وله هيئة وذو يد ورأس و...، وجهة. وعليه فقد جوّزوا رؤيته تعالى بلا إشكال وفي النشأتين. ولسخف مقالتهم ـ بل لسخفهم وجهلهم وحمقهم ـ نعرض عنهم وعن آرائهم.

٢ ـ أهل التنزيه: وهم الشيعة الإماميّة الإثنى عشريّة، ومن قال بمقولتهم من أهل السنّة والجماعة كالمعتزلة عموماً، والزيديّة، وقسم من الأشاعرة.

وهؤلاء افترقوا في البحث هذا ـ الرؤية ـ مع القول بالتنزيه إلى قولين:

١ ـ الإمكان وعدم الامتناع، وعدم الاستحالة. وهذا هو رأي الأشاعرة وجمهور

وذلك غلط ؛ لأنّهم يقولون : إنّما أَنْظرُ إلى اللهِ ثُمّ إليكَ ، بمعنى : أتوقّعُ فَضلَ الله ثُمّ فضلَك ، وقال الطُّرَيحُ بن إسماعيل[1] :

أهل السنّة والجماعة .

٢ ـ القول بالامتناع بل الاستحالة ـ دنياً وآخرة ـ وهذا اتّجاه الشيعة الإماميّة تبعاً لأئمتهم عليهم السلام والذي يوضحه كلام أمير المؤمنين في خطبته في النهج .

وعلى أيّة حال فإنّ فروع البحث هذا كثيرة ومسالكه دقيقة وعويصة تحتاج في النظر إليها وفيها إلى الاستضاءة بنور العقل السليم ، واعتماد الفطرة التي فطر الباري عليها الناس ، والتحرّر والتجرّد من الرواسب ، وما رأوا ووجدوا عليه آباءهم .

وعليه فالإحالة على كتب ومصادر الاختصاص أولى وأفضل .

انظر : نهج البلاغة «الخطبة الأُولى في مختلف الطبعات أو الشروح» ، التوحيد للصدوق : ٣١ و٩٧ و١٠٧ وغيرها ، الكافي ١ : ٥٧ كتاب التوحيد ، الإلهيّات على هدى الكتاب والسنة والعقل ، للشيخ السبحانيّ ٢ : ١٢٥ ، أمالي المرتضى ٢ : ٢١٥ ، كلمة حول الرؤية «ضمن موسوعة الإمام شرف الدين م ٤ ك ٥» ، تفسير الميزان ٨ : ٢٣٧ ـ ٢٦٢ و٧ : ٢٩٢ .

ولاحظ : التفسير الكبير ٣٠ : ٢٢٦ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٩ : ١٠٧ ، اللُّباب في علوم الكتاب ١٩ : ٥٦٢ .

و : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين : ٢١٣ ـ ٢١٧ ، تمهيد الأوائل للباقلانيّ : ٣٠١ وبعده ، في التوحيد لأبي رشيد النيسابوريّ : ٦٠١ ، شرح الأُصول الخمسة للقاضي : ٢٣٢ ، تبصرة الأدلّة للنسفيّ ١ : ٣٨٧ ، أُصول الدين للبغداديّ : ٩٧ ، المغني للقاضي ٤ : ٨٩ وما بعدها ، الهداية إلى سبيل الرّشاد : ٧٤ ، الإبانة عن أُصول الديانة : ٣٥ ، أنوار الملكوت : ٨٢ ، إرشاد الطالبين : ٢٤١ ، تلخيص المُحصّل : ٣١٦ ، اللّوامع الإلهية في المباحث الكلاميّة : ١٦٣ ، رسائل الشريف المرتضى ٣ : ٢٨١ ، إحقاق الحقّ ١ : ١٢٨ . نهاية الإقدام في علم الكلام : ٣٥٦ ، هداية الأُمّة إلى معارف الأئمّة : ٢٤٠ ، متشابه القرآن لابن شهرآشوب ١ : ١٠٢ ، وانظر : موسوعة المواضيع في المصادر الإسلاميّة ١ : ٢٤٥ ، معجم العناوين الكلاميّة والفلسفيّة : ٧٢ ، وغيرها كثير ..

(١) ابن عبيد بن أُسِيد الثقفيّ ، أبو الصلت ، شاعر مُجيد حسن الشعر ، بديع النّظم ، من شعراء الأمويّين ، ولخوؤلته للوليد بن يزيد الأُمويّ اختصّ به منذ ولاية عهده

وَإِذَا نَـظَرْتُ إِلَـيْكَ مِـنْ مَـلِكٍ   وَالبَـحْرُ دُونَكَ زِدْتَـنِي نِـعَما(١)   [٢٤٠]

وقال جميل بن مَعْمَر(٢):

إِنِّــي إليكِ، لِـما وَعَـدْتِ، لَـنَاظِرٌ   نَــظَرَ الفَـقِيرِ إلى الغَـنِيِّ المُـوسِرِ(٣)   [٢٤١]

وقال آخر:

وإلى آخر أيّامه عاش حتّىٰ أدرك أيّام الهادي العباسيّ.

له ترجمة في: الشعر والشعراء ٢: ٦٧٨ ت ١٤٥، الأغانيّ ٤: ٣٠٢، تأريخ دمشق ٢٤: ٤٦٨، معجم الأدباء ١٢: ٢٢ ت ١١.

(١) استشهد به جمع ومن دون نسبة لما استشهد به المصنّف من عدم دلالة اقتران النظر بـ (إلى) على الرؤية.

هذا وقد اختلف في رواية الشطر الثاني منه ولا ضير.

انظر: الكشّاف ٦: ٢٧٠، التفسير الكبير ٣٠: ٢٢٧، تفسير البحر المحيط ١٠: ٣٥١، الدرّ المصون ٦: ٤٣١ت ٤٤٢٣، الأربعين في أُصول الدين ١: ٢٩١، اللُّباب في علوم الكتاب ١٩: ٥٦٣.

(٢) أبو عَمْرو، جَميل بن عبدالله بن مَعْمَر العُذريّ، من عشّاق العرب، إذ شهر ببُثينة وهي به، شاعر فصيح مقدَّم في شعر الغزل، يذوب رقّة، جامع للشعر والرواية. وُصِف بإمام المحبّين.

له القَوْلة الشهيرة التي تعدّ مصداقاً جلّياً للحبّ العذري: لا نالتني شفاعة محمّد ﷺ إن كنت وضعت يدي عليها لريبة.

توفّي عام: ٨٢هـ.

ترجمته في: طبقات فحول الشعراء ٢: ٦٤٨، الموشّح: ٢٣٤، الشعر والشعراء ١: ٤٣٤ ت ٧٧، الأغاني ٨: ٩٠، تاريخ دمشق ١١: ٢٥٥ ت ١٠٧٤.

(٣) البيت من مقطوعة قالها عندما أخلفت الوعد ـ بثينة ـ في رؤيته، وقد اختلف في رواية البيت بما لا يضرّ محلّ الشاهد.

الشاهد: مع اقتران النظر بإلى فإنّه على خلاف ما قيل من الاختصاص؛ إذ معناه التوقّع والانتظار، لا المشاهدة. والرؤية البصريّة.

انظر: الديوان: ٢٥ ـ ٢٦ ط دار بيروت.

وجُــوهٌ يَــوْمَ بَــدْرٍ نَــاظِرَاتٌ إلى الرَّحــمنِ تَأْتَــي بــالفَلاحِ[١] **[٢٤٢]**

وأتوا بـ «إلى» على معنى نَظَرِ الانتِظار.

والصحيح: إنّ النظر لا يفيد الرؤية، وإنّما حقيقتُه تحديقُ الجارحةِ الصحيحةِ نحو المرئيِّ طلباً لرؤيته، ولو أفاد الرؤية لما جُعل غايةً لنفسه؛ ألا تراهم يقولون: ما زلتُ أنظُر إليه، ولا يقولون: ما زلت أراه حتّىٰ رأيته.

ولأنّهم يُثبتون النَّظَرَ وينفون الرؤية، يقولون: نظرتُ إليه فلم أره، ولا يقولون: رأيته فلم أره.

فإذا ثبتَ هذا، فالأولى أن نقول: إنّ تأويل الآية ﴿**وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾: وأنتم مقبلون عليهم متوقّعون له.

وقال الفرّاء: قد كانوا في شُغل مِن أن يَنْظُروا، مستورين بما اكتنَفَهُم منَ البحر أن يَرَوا فرعون وغَرَقه، ولكنّه كقولك: قد ضُرِبْتَ وأَهْلُكَ ينظُرون فما أتَوْك ولا أغاثوك، ومعناه: وهم قريبٌ بمرأى ومَسْمَع.

ومثله قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ**﴾[٢] وليس هاهنا رؤيةٌ، وإنّما هو علم؛ لأنّ الرؤية تُستعمل في مثل ذلك، يقول القائل: رأيتُ فرعون أعتَىٰ الخلق وأخْبثَه[٣].

---

(١) اختلف في روايته بدل بدر: بكر، ومعه فالرحمن هو مسيلمة، وكذا في الشطر الثاني.
واستشهد جمع به على خلاف مذهب الشيخ المصنِّف ناسبيه إلى حسّان الأنصاريّ، أو من دون نسبة. عِلْماً أنّ الديوان خال منه.
انظر: تمهيد الأوائل للباقلّانيّ: ٣١٢، في التوحيد للنيسابوريّ: ٦٠٤، شرح الأُصول الخمسة للقاضي: ٢٤٥، تبصرة الأدلّة للنسفيّ ١: ٣٩٧، أُصول الدين للبغداديّ: ١٠٠.

(٢) سورة الفرقان ٢٥: ٤٥.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ١: ٣٦.

وهذا الذي ذكره الفرّاء محتمَلٌ مليح ، غير أنّه مخالف لقول المفسّرين كلّهم ؛ فإنّهم لا يختلفون [في][١] أنّ أصحاب موسى رأوا انفراق البحر والتطام أمواجه بآل فرعون حتّىٰ غرقوا ، فلا وجه للعدول عن الظاهر مع احتماله ؛ ولأنّهم إذا عاينوا ذلك كان أشدّ في قيام الحجّة ، وأعظم في ظهور الآية .

وذكر الزجّاج وجهاً آخر ، قال : معناه وأنتم بإزائهم ، كما يقول القائل : دور آل فلان تنظُر إلى دور آل فلان ، أي : هي بإزائها ؛ لأنّها لا تُبصر[٢] .

وقصّة فرعون مع بني إسرائيل في البحر ، ولا نعلم إلّا جملة ممّا قال ابن عبّاس : إنّ الله أوحىٰ إلىٰ موسى : **﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيَ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾**[٣] ، فسرى موسى ببني إسرائيل ليلاً ، فاتّبعه فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث ، وكان موسى في ستمائة ألف ، فلمّا عاينهم قال : **﴿إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ﴾**[٤] .

فسرى موسى ببني إسرائيل حتّىٰ هجموا على البحر ، فالتفتوا ، فإذا هم برَهَج دوابّ فرعون ، فقالوا : يا موسى ، **﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾**[٥] ، هذا البحر أمامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه : **﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾**[٦] .

---

(١) أثبتت لاقتضاء السياق .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١ : ١٣٣ .

(٣ و٤) سورة الشعراء ٢٦ : ٥٢ ، ٥٤ ـ ٥٦ .

(٥ و٦) سورة الأعراف ٧ : ١٢٩ .

قال: فأوحىٰ الله إلى موسىٰ: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾[1]، وأوحىٰ إلى البحر أن اسمع لموسىٰ وأطع إذا ضربك، قال: فبات البحر له أفكل ـ أي: له رَعْدة ـ لا يدري من أيّ جوانبه يضربه.

قال: فقال يوشع لموسىٰ عليه السلام: بماذا أُمرت؟

قال: أُمرتُ أنْ أضربَ البحر. قال: فاضربه.

فضرب موسى البحر بعصاه، فانفلق، فكان اثنا عشر طريقاً، كلّ طريق كالطَّود العظيم، فكان لكلِّ سبْطٍ منهم طريق يأخذون فيه.

فلمّا أخذوا في الطريق، قال بعضهم لبعض: ما لنا لا نرىٰ أصحابنا؟ فقالوا لموسى: أصحابنا لا نراهم!. فقال لهم: سيروا فإنّهم على طريق مثل طريقكم. فقالوا: لا نرضى حتّىٰ نراهم. فيقال: إنّ موسى قال: اللّهمّ أعنّي على أخلاقهم السيّئة. فأوحى الله إليه أنْ قُلْ بعصاك: هكذا، وهكذا يميناً وشمالاً، فصار فيها كُوىً[2] ينظر بعضهم إلى بعض.

قال ابن عبّاس: فساروا حتّىٰ خرجوا من البحر.

فلمّا جاز آخر قوم موسى هجم فرعون هو وأصحابه، وكان فرعون على فرس أدهم ذَنُوب حصان، فلمّا هجم على البحر هاب الحصان أن يتقحّم على البحر، فتمثّل له جبرائيل على فرس أُنثى وَدِيق[3] فلمّا رآها الحصان تَقحَّم خلفها.

---

(١) سورة الشعراء ٢٦ : ٦٣.

(٢) كوى ـ جمع كوّة ـ: وهي الفتحة أو الثقب أو الشبّاك الصغير في الجدار أو البيت. المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ٧٥، لسان العرب ١٥ : ٢٣٦، «كَوَىَ».

(٣) الوديق: من كلّ ذي حافر التي تحرص على الفحل والمريدة له جدّاً. انظر «وَدَقَ» في: العين ٥: ١٩٨، المحيط في اللُّغة ٥: ٤٨٨، الصحاح ٤: ١٥٦٣.

وقيل لموسى: اترك البحر رهواً، أي: طرقاً على حاله. ودخل فرعون وقومُه البحرَ.

فلمّا دخل آخرُ قوم آل فرعون وجاز آخر قوم موسى، انطبق البحر على فرعون وقومه فأُغرِقوا.

ويقال: نادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى، وعرف ذلّه وخُذلة نفسه: **﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَاءِيلَ وَأَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾**[١][٢].

فإن قيل: كيف لم يُسوِّ الله بين الخلق في هذه الآيات الباهرات التي أعطاها بني إسرائيل؛ لتكون الحجّة أظهر، والشُّبهة أبعد؟

قيل: الآيات يُظهرها الله تعالى على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك، وعلى حدٍّ لا ينتهي إلى الإلجاء والاضطرار، وخولف بين الآيات لهم على قدر حدّة أذهان غيرهم وكلالة أذهانهم.

يدلّ على ذلك أنّ بعد مشاهدة هذه الآيات: **﴿قَالُوا يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَا إِلَٰهاً كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾**[٣]، ولمّا كانت العرب من أحدّ الناس أذهاناً، وأجودهم أوهاماً جاءت الآيات مشاكلة لطباعهم ومجانسة لدقّة أذهانهم، وفي الجميع الحجّة الباهرة والآية القاهرة.

وليس يمكن أن يقال: إنّه لو ظهر لهم مثل تلك الآيات لآمنوا

---

(١) سورة يونس ١٠: ٩٠.

(٢) القصّة تجدها فيما اختصّ من المؤلّفات بذكر القصص القرآني، مثل: قصص القرآن لابن كثير ٢: ٧٢، قصص الأنبياء (عرائس المجالس): ١٩٠، قصص الأنبياء للراونديّ: ١٦٧، إضافة لمصنّفات التاريخ والتفسير.

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٣٨.

لا مَحالة على وجهٍ لا يكونون مُلجَئين إليه ؛ لأنّ ذلك لو كان معلوماً لأظهره الله تعالى ، فلمّا لم يظهرها الله علمنا أنّه لم يكن ذلك معلوماً ، وموسى عليه السلام لم يكن مُجتلباً[1] إلى المعارف لمشاهدته هذه الآيات ؛ لأنّه كان تقدّم له الايمان بالله ومعرفته .

وقوله : ﴿وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ وإن لم يكن في ظاهره أنّه أغرق فرعون فهو دالٌّ عليه ، وكأنه قال : وأغرقنا آل فرعون وفرعون معهم وأنتم تنظرون ، فاختصر لدلالة الكلام عليه ؛ لأنّ الغرض مبنيّ على إهلاك فرعون وقومه . ونظيره قول القائل : دخل جيش الأمير البادية ، فإنّ الظاهر من ذلك ، أنّ الأمير معهم .

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِن بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ آية (٥١) .

قرأ ﴿وَعَدْنَا﴾ : بغير ألف أهلُ البصرة ، وأبو جعفر هنا وفي الأعراف وطه[2] ، وقرأ الباقون : بألف قبل العين[3] .

وقرأ ابن كَثير وحفص والبُرْجُمّي[4] ورويس : ﴿ٱتَّخَذْتُمُ﴾

---

(١) الاجتلاب : الدفع أو الانجذاب لأمر أو لشيء ما ، تاج العروس ١ : ٣٧٠ «جَلَبَ» .

(٢) إشارة إلى الآية : ١٤٢ من سورة الأعراف ٧ ، والآية ٨٠ من سورة طه ٢٠ .

(٣) مصادر القراءة والتعليل والحجّة تأتي الإشارة إليها لاحقاً .

(٤) عبدالحميد بن صالح بن عَجلان ، أبو صالح البُرجُميّ ، التيميّ الكوفيّ ، قرأ على

و﴿أَخَذتُمْ﴾ وما جاء منه بإظهار الذّال، ووافقهم الأعشى[١] فيما كان على وزن افتعلت وافتعلتم، الباقون بالإدغام[٢].

حجّة من قرأ بإثبات الألف: دلالة الله على وعده وقبول موسى؛ لأنّه إذا حسن في مثل قوله: ﴿أَخْلَفُوا ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾[٣] الإخبار كان هنا في الاختيار واعدنا.

ومن قرأ (بلا ألف)[٤]، قال: هو أشدّ مطابقة للمعنى؛ إذ القبول ليس بوعد في الحقيقة إنّما هو إخبار الموعود بما يُفعل به من خير، وعلى هذا قوله: ﴿أَخْلَفُوا ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ مجازٌ، حقيقةٌ بما أخبروا[٥] أنّهم فاعلوه.

وقال جماعة من أهل العلم: إنّ المواعدة في الحقيقة لا تكون إلّا من البشر، والله تعالى هو المتفرّد بالوعد والوعيد، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ﴾[٦]، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

↵أبي بكر بن عياش وأبي يوسف الأعشىٰ، وعليه قرأ جعفر بن عَنْبَة وإسماعيل بن عليّ الخيّاط وغيرهم، توفّي سنة: ٢٣٠هـ.

له ترجمة في طبقات القرّاء للذهبيّ ١: ٢٣٦ ت ١٢٨، غاية النهاية ١: ٣٦٠ ت ١٥٤٤، تهذيب الكمال ١٦: ٤٤٠ ت ٣٧١٩.

(١) يعقوب بن محمّد الكوفي، قرأ على ابن عياش وشُعبة، وعليه جمع، توفي ٢٠٠هـ

له ترجمة في: طبقات القراء ١: ١٨٧ ت ٨٠، غاية النهاية ٢: ٣٩٠ ت ٣٨٩٧، غاية الاختصار ١: ٧٦ ت ٨٤.

(٢) القراءة في: السبعة في القراءات: ١٥٥ ت ٢٠، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٦٧، الغاية في القراءات العشر: ١٧٦، التيسير: ٤٤، الموضح ١: ٢٧٥ ت ٢٠.

(٣) سورة التوبة ٩: ٧٧.

(٤) في النسخ والحروفيات: بالألف، والصحيح المثبت؛ لتقدم الاثبات قبل أسطر.

(٥) في النسخ والحروفيات: أخبروه. ولا يصحّ لما لا يخفى.

(٦) سورة الأنفال ٨: ٧.

﴿ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[١].

والقراءتان جميعاً صحيحتان قويّتان[٢].

و: ﴿وإذ﴾:

معطوفة على الآيات المتقدّمة، كأنّه قال: واذكروا إذ وعدنا. وبيّنا وجه الحسن فيه[٣].

فالوَعْدُ والعِدَةُ والمَوْعِدُ والمِيْعَادُ نَظائِرُ.

والوَعْدُ في الخيرِ، والوَعيدُ في الشَّرِّ، يقال: وَعَدَهُ وَعْداً وأَوعدَهُ إيعَاداً، وَوَاعَدَهُ مُواعَدَةً، وتواعَدُوا تَواعُداً، واتَّعَدَوا اتِّعاداً، وتوعَّدُوا في الشرِّ خاصّةً.

قال صاحبُ العين: الوَعْدُ والعِدَةُ مصدران، ويكونان اسمين. فأمّا العِدَةُ فتُجمع على العِدَاتِ، والوَعْدُ لا يجمع.

والمَوعِدُ: مَوضِعُ التّواعُدِ، وهو الميعَادُ. ويكون المَوْعِدُ: مَصْدرُ وَعَدْتُهُ، ويكون المَوعِدُ وَقْتاً للحينِ.

والمَوْعِدَةُ: اسمٌ العِدَةُ.

والميعَادُ لا يكون إلّا وَقْتاً أو مَوْضِعاً.

والوَعِيدُ: من التَّهدُّدِ، أوْعَدْتُهُ المَكارِه، ويقال أيضاً: وَعَدْتُهُ: من الشرِّ،

---

(١) سورة المائدة ٥ : ٩.

(٢) للقراءتين ـ واعد، وعد ـ يراجع: إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢٢٤، معاني القراءات: ٤٩، السبعة في القراءات: ٩٦، حجّة القراءات: ٩٦، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٥٦ ـ ٦٧، التذكرة في القراءات ٢ : ٣١٣ ت ١٢، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ : ٢٣٩ ت ٢٥، ٢٦، العنوان في القراءات للأندلسيّ: ٦٩، الكافي في القراءات السبع: ٧٨ ت ١٤، التلخيص في القراءات الثمان: ٤٩، غاية الاختصار ٢ : ٤٠٨ ت ٥٩٠. وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١ : ١٣٣.

(٣) في صفحة ٥٩، ضمن تفسير الآية ٣٤.

كقوله: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[١]، ووَعِيدُ الفَحْلِ: إذا هَمَّ أنْ يَصُول.

وأصل الباب: الوَعْدُ الذي هو الخبر بأنّه سيفعل بالمُخَبرِ بهِ خيراً أو شرّاً[٢].

وقال أحمد بن يحيى: تقول: أوْعَدْتُهُ، وتَسكُتُ؛ أو تجيءُ بالباء تقول: أَوْعَدْتُهُ بالشَّرِ، ولا تقول: أوْعَدْتهُ الشَّرّ[٣].

وموسى: اسم مركّب من اسمين بالقبطيّة، فـ(مو): هو الماء، و(سى): شجر. وسُمّي به؛ لأنّ التابوت الذي كان فيه موسى وُجِدَ عند الماء والشجر[٤]، وَجَدَتْهُ جواري آسية امرأة فرعون وقد خرجْنَ ليغتسلْنَ، فسُمّي بالمكان الذي وُجِدَ فيه.

وهو: موسى بن عِمْران بن يَصْهُر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب إسرائيل الله[٥].

---

(١) سورة الحج ٢٢ : ٧٢.

(٢) «وَعَدَ» تجدها في: العين ٢ : ٢٢٢، جمهرة اللُّغة ٢: ١٠٥٩، تهذيب اللُّغة ٣: ١٣٣، المحيط في اللُّغة ٢ : ١٢٨، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٣٢٨، الصحاح ٢ : ٥٥١، تاج العروس ٥ : ٣١٧.

(٣) القول لثعلب في كتابه مجالس العلماء ١ : ٢٢٧ بتصرّف، وانظر الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٥٧ ومصادر اللُّغة في الهامش السابق.

(٤) اختلف في تركيبه ومعناه ـ بعد الاتّفاق على أعجميّته وعدم صرفه وعدم اشتقاقه ـ. والأغلب أنّه مركّب من اسمين هما: مو، أي: الماء. وشا، أي: الشجر فيكون موشى، وقد خفّفته العرب إلى موسى، وقيل: إنّه مشتقّ من: ماسَ يَمِيسُ، إذا تبختر في مشيه.

انظر: المعرّب للجواليقيّ: ٣٠٢، تهذيب اللُّغة ١٣ : ١١٩، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٦٢٩، تاج العروس ٨ : ٤١٨.

(٥) ذُكر هذا النسب في كتب التأريخ والتفسير، مثلاً تاريخ الطبريّ ١ : ٣٨٥ وانظر قاموس الألفاظ والأعلام القرآنيّة: ٣٦٦، أعلام القرآن: ٩٣٧ ومصادره.

وقال: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ولم يقل يوماً، على عادة العرب في التأريخ بالليالي؛ لأنّ الأهلّة تطلعُ فيها، واعتمادهم على الأهلّة.

وقال الأخفش: وعَدَ بإتمام أربعين ليلة، أو انقضاء أربعين ليلة، كقولك: اليومَ أربَعونَ يوماً مُنْذُ خَرجَ فلانٌ، واليومَ يومان، أي: تمام [الأربعين وتمام] يومين[1].

وقال غيره: الأربعون كلّها داخلة في الميعاد.

وقال أبو العالية: ﴿وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: يعني ذا القَعْدة وعشراً من ذِي الحجّة.

وقال غيره: ذا الحجّة وعشراً من المحرّم؛ وذلك حين خلَّف موسى أصحابه واستخلَف عليهم هارون، فمكث على الطور أربعين ليلة، وأُنزلت عليه التوراة في الألواح. وعن الربيع نحوه[2].

وقال الطبريّ: لا يجوز ما قاله الأخفش؛ لأنّه خلافُ ظاهر التلاوة، وما جاءت به الرواية[3].

قال الرمّانيّ: هذا غلط (ظاهر؛ إذ)[4] الوعد لا يتّصل وقوعه في الأربعين كلّها إذا كان الوعد هو الإخبار الموعود بما فيه النفع، فلم يكن

---

(١) معاني القرآن ١ : ٢٦٤ ، وبين المعقوفتين منه.

(٢) الآراء تجدها في: تفسير جامع البيان ١: ٢٢٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٠٧ ت ٥١١، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ١٠٥ ، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢١٥، تفسير بحر العلوم للسمرقنديّ ١ : ١١٨ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٠ وتفسير زاد المسير ١ : ٨٠.

(٣) تفسير جامع البيان ١ : ٢٢٢.

(٤) في النسخ: الظاهر أن. والصحيح المثبت، وهو المستظهر في الحجريّة.

ذلك الخبر في طول تلك المدّة ، فلابدّ على ذلك أن يكون التقدير : على ما قاله الأخفش ، أو على : وعدناه إقامة أربعين ليلة للمناجاة ، أو : غيبته أربعين ليلة عن قومه للمناجاة ، أو ما أشبه ذلك من التقدير .

قال أبو عليّ : لا يخلو أن تكون ﴿أَرْبَعِينَ﴾ ظرفاً أو مفعولاً ثانياً ، ولا يجوز أن تكون ظرفاً ؛ لأنّ الوعد ليس فيها كلّها ، فيكون جواب كم ؛ ولا في بعضها ، فيكون جواباً لمتى ، فإذا لم تكن ظرفاً كانت منتصبة بوقوعها موقع المفعول الثاني ، فيكون تقديره : وَعدنا موسى انقضاءَ أربعينَ ليلةً ، أو : تتمّة أربعين ليلةً ، فحذف المضاف ، كما تقول : اليومُ خمسةَ عشَر من الشهر ، أي : تَمامهُ[1] .

والأرْبَعةُ : عددٌ يزيدُ على الثَّلاثةِ ، ويَنقصُ عن الخَمسةِ .

يقال : رَبَعَ يَرْبَعُ رَبْعاً ، ورَبَّع تَرْبِيعاً ، وَتربَّع تَرَبُّعاً ، وارْتَبَعَ ارْتِباعاً ، وتقول : رَبَعْتُ القومَ فأنا رابِعُهم .

والرِّبْعُ ـ من الوِرْدِ ـ : وهو أن تُحْبَسَ الإبِلُ عن الماءِ أربعةَ أيّامٍ ثمّ تردُ يومَ الخامسِ .

ورَبَعْت الحجَر بيديّ رَبْعاً : إذا رفعتَه عن الأرض بيدِكَ ، وارْتَبعتُ الحجَر : كذلك .

ورَبَعْتُ الوَتَرَ : إذا جعلته أربَع طاقاتٍ . وتقول : (أربَعْ على ضَلْعِك ، وأرْبَعْ على نَفْسِك)[2] ، وأرْبَعْ عَلَيْك ، كلّ ذلك واحدٌ بمعنى انْتَظِرْ .

والرَّبْعُ : المَنزل والمَوطِنُ .

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٦٤ .

(٢) المحصور من الأمثال، انظر: المستقصى ١: ١٣٨ ت ٥٣٣، زهر الأكم ٣: ٤٥، فصل المقال: ٤٥١.

والرُّبَعُ: الفَصيلُ الذي نُتِجَ في الرّبيع، وما ينتج بالصيفِ يقال له: هُبَعٌ؛ وفي المثل: ما لَهُ هُبَعٌ ولا رُبَعٌ[1].

ورَجلٌ رَبْعَة ومَرْبوع: ليس بطويلٍ ولا قصيرٍ.

والرَّبْعَةُ: الجُونةُ.

والمِرباعُ: كانت العرب إذا غزت أخذ رئيسُ القوم رُبْعَ الغنيمةِ والباقي بينَهم.

وأوّل الأسنان الثّنايا ثمّ الرَّباعيّات: وهي أربع: ثنتان من تحت وثنتان من فوق، والواحدة: رَباعِيَة. وأَرْبَعَ الفَرسُ: إذا ألقى رَباعِيَتَه من السّنة الأُخرى، والجَمعُ: الرُّبَعُ.

والرَّبِيْعَةُ هي: البَيْضَةُ من السِّلاح.

يقال: رُبِعَتِ الأرضُ فهي مَرْبُوعَةٌ من الرَّبيع. وارْتَبَع القَوْم: إذا أصابوا ربيعاً.

وحُمّى رِبْعٌ: تأتي في اليوم الرَّابعِ.

والمِرْبَعَةُ: خَشَبةٌ تُشالُ بها الأحْمَالُ وتوضعُ على الإبلِ. والرَّبِيْعُ: النَّهْرُ.

ورَجلٌ مَرْبُوعٌ ومُرْبَعٌ: إذا أخذتهُ حُمّى الرِّبْع.

والرَّبيعُ: حَظٌّ من الماءِ للأرضِ رُبْع يَوْمٍ أو رُبْع ليلةٍ، يقال: لفلانٍ في الماء رَبيعٌ.

ورَبْعُ المال: جزء من أربعة، ويقال له: رُبَيْع، ولم يتجاوز العرب في

---

(١) ذكره العسكريّ في جمهرة الأمثال ٢ : ٢٦٧ ضمن رقم ١٦٦٢، والجوهريّ في «رَبَعَ» من الصّحاح ٣ : ١٢١٢، والمبرّد في الكامل ٢ : ٩٦٦.

هذا المعنى الثُّمَيْن .

وقال بعضهم : التُّسَيْع والعُشَيْر ، والأوّل أظهر .

وأصلُ الباب : الأربَعةُ من العددِ[1] .

والأربعة تجري تارة على نفس العدد ، وأُخرى على المعدود ، فإذا أجريته على العدد قلت : أربَعةُ أثوابٍ ، وإذا أجريته على المعدود قلت : أَثوابٌ أربعةٌ .

ولَيْلَةٌ وعَشِيَّةٌ ومَساءٌ نَظائِرُ ، ويقال : يومٌ ولَيْلَةٌ على طريق النَّقيض .

قال صاحب العين : اللَّيْلُ : ضِدّ النَّهار ، واللَّيْلُ : ظَلَامُ اللَّيْل ، والنَّهار : الضِّياء ؛ فإذا أفَرِدْتَ أحدهما من الآخر قلت : ليلة ، ويوم ، وتصغيرها لُيَيْلَةٌ ، أخرجوا الياء الأخيرة من مخرجها في اللَّيالي .

يقول بعضهم : إنّما كان بناؤها ليلاة فقُصرت ، يقولون : هذه لَيْلَةٌ لَيْلاءُ ، إذا اشْتَدّتْ ظُلْمَتُها ، قال الكميت :

. . . . ولَـــــيْلهم الأَلْيَـــــلُ[2] [٢٤٣]

هذا لضرورة الشعر ، وفي الكلام : ليلاء .

والليلة : الوقت من غُروبِ الشَّمْسِ إلى طلوع الفجر الثاني ، واليوم :

---

(١) ضُبطت مادّة (رَبَعَ) على مصادر اللُّغة التالية : العين ٢ : ١٣٢ ، جمهرة اللُّغة ١ : ٣١٦ تهذيب اللُّغة ٢ : ٣٦٨ ، المحيط في اللُّغة ٢ : ٣٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ١٣٥ ، الصحاح ٣ : ١٢١٢ ، لسان العرب ٨ : ٩٩ ، تاج العروس ١١ : ١٣١ .

(٢) هكذا منسوب إلى الكميت في أغلب المصادر اللّغويّة ومن دون تكملة وحتّىٰ في الديوان المجموع له ٢ : ٣٤٦ ت ٤٥٥ ، وانظر : ٣٥٣ ت ٤٨١ ، وشرح هاشميّات الكميت : ١٧٥ ت ٧٣ . ومع كثرة التنقيب لم نجد التكملة .

وانظر : العين ٨ : ٣٦٤ وتهذيب اللُّغة ١٥ : ٤٤٣ ، لسان العرب ١١ : ٦٠٨ .

من طلوع الفجر الثاني إلى غُروبِ الشَّمسِ[١] .

قال أبو زيد : اتَّخذنا مالاً ، فَنحنُ نَتَّخِذُه اتِّخاذاً ، وَتَخِذْتُ أَتْخَذُ تَخذاً[٢] .

قال أبو عليّ : اتَّخَذَ افْتَعَلَ ، ومنه تَخِذْتُ ، قال الله تعالى : ﴿**لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾[٣] .

وتَخِذْتُ : لا يتعدّى إلّا إلى مفعول واحد ، واتَّخَذْتُ : تارةً يتعدّى إلى مفعول واحد ، وتارة إلى مفعولين . فتعدّيه إلى مفعول واحد مثل قوله : ﴿**يَـٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً**﴾[٤] ، ومثل قوله : ﴿**وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللهِ ءَالِهَةً**﴾[٥] .

وتعدّيه إلى مفعولين مثل قوله تعالى : ﴿**ٱتَّخَذُوا أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً**﴾[٦] ، وقوله : ﴿**لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾[٧] ، وقوله : ﴿**فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً**﴾[٨] .

---

(١) «لَيَلَ لغة ضبطت على المصادر الآتية علماً أنّ بينها من الاختلاف ـ خصوصاً في ضبط التصغير ـ أمر واضح . أُنظر : العين ٨ : ٣٦٣ ، جمهرة اللُّغة ١ : ٢٤٧ ، تهذيب اللُّغة ١٥ : ٤٤٣ ، المحيط في اللُّغة ١٠ : ٣٦٩ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٣٩٦ ، الصحاح ٤ : ١٨١٥ ، مفردات الراغب : ٧٥١ ، تاج العروس ١٥ : ٦٧٧ ، لسان العرب ١١ : ٦٠٧ . وانظر : لضبط الابتداء والانتهاء كشّاف اصطلاحات الفنون ٢ : ١٨١٥ ، أبجد العلوم للقنوجي ٢ : ٥٨٥ باب علم اليوم والليلة .

(٢) عنه أبو عليّ الفارسيّ في الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٦٨ .

(٣) سورة الكهف ١٨ : ٧٧ . وفي المصحف الشريف : ﴿**لَتَّخَذْتَ**﴾ ، وتلكَ قراءة ثانية .

(٤) سورة الفرقان ٢٥ : ٢٧ .

(٥) سورة مريم ١٩ : ٨١ .

(٦) سورة المجادلة ٥٨ : ١٦ .

(٧) سورة الممتحنة ٦٠ : ١ .

(٨) سورة المؤمنون ٢٣ : ١١٠ .

ومن أدغم؛ فلقرب مخرج الذّال من مخرج التّاء، ومن لم يدغم؛ فلأنّ مخرجهما متغاير[١].

والعِجْلُ والثَّورُ والبَقَرةُ نَظائِرُ، إلّا أنّ العِجْل: هو البَقَرة الصَّغيرة. ويقال: عِجْل وعِجَّوْلٌ.

واشتقاقه من: عَجِلَ يَعْجَلُ عَجَلَةً، وأَعْجَلَهُ اعْجالاً، واسْتَعْجَل اسْتِعْجَالاً، وتَعَجَّل تَعَجُّلاً، وعَجَّل تَعْجِيلاً، وعَاجَلْتَهُ مُعاجَلَةً، وتَعاجَلوا تَعاجُلاً، ورَجُلٌ عَجِلٌ وعَجُلٌ لغُتان، وتقول: استَعجَلتُ فلاناً، أي: حثثته، وأَعْجَلْتُ فلاناً: أَعْجِلهُ إعْجَالاً، وتَعَجَّلْتُ خَراجه، أي: كلّفته أن يُعَجِّلَهُ، ورجُلٌ عَجْلان، وامرأة عَجْلَى، وقومٌ عِجال، ونسوةٌ عَجالى.

والعَجَالُ: الإبلُ. والعَجَلُ: عَجَلُ الثّيْران، والواحِدَةُ عَجَلَةٌ، ويُجْمَع على الأعْجَالِ.

والعُجَالة: ما تَعجَّلْتَ مِنْ شَيءٍ.

والعُجَالَة: طَعامُ الراكِبِ الذي لا يُحْسَنُ طَبْخُهُ، ويقال: هو تمرٌ ولبن.

والعِجْلَةُ: الإداوَة الصَّغيرة، وهي: المِطْهَرَة، والجمعُ العِجَال.

والعَاجِلَة: نقيض الآجِلَة، يعني: الدُّنيا والآخرة، والعاجِلُ: نَقِيضُ الآجِل، عامٌّ في كلِّ شيء، تقول: عَجِّلْ وأجِّلْ.

والعِجْلُ: وَلَدُ البقَرِ، وجمعه عَجَاجِيلُ، ويقال: عِجَّول، والأُنثى: عِجَّوْلَة.

وقوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[٢] يقال: آدم عليه السلام حين بلغ

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٦٨ ـ ٧٦.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٣٧.

الرُّوح منه إلى الرُّكبَتَين هَمَّ بالنُّهوض قبل أن تبلغ القدمين ، فقال الله تعالى : ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وأوْرَثنا آدمُ عليه السلام العَجَلة .

والعَجَل : الطِّين ، من غير الخليل[1] .

والعَجَل : خشب يؤلَّف شبه المِحَفَّة تُجعل عليه الأثقال ، وجمعهُ الأعْجال ، وصَاحِبُهُ عَجّال .

وأصلُ الباب : العَجَلُ الذي هو الإِسْراعُ[2] .

والعَجَلةُ والسُّرعَةُ والخِفَّة نَظائِر . ونقيض العَجَلةُ : التأنّي ، ونقيض السُّرعة : الإِبْطَاءُ .

وبَعْدُ : نقيض قَبْلُ ، تقول : كان هذا بعدَ هذا .

وتقول : بَعُدَ بُعْداً ، وأَبْعَدَهُ اللهُ إبْعاداً ، وتَباعَدَ تَباعُداً ، وباعَدَهُ مُباعَدَةً ، واسْتَبْعَدَهُ اسْتِبْعاداً ، وبَعَّدَهُ تَبْعِيداً ، وتَبَعَّدَ تَبَعُّداً .

قال صاحبُ العين : بَعْدَ لِما يكونُ على أثر الشيء إذا كان قد مضى ، فإذا أفردوا قالوا : هو من بَعْدُ ، كقوله تعالى : ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[3] وتقول : بُعْداً له وسُحْقاً ، ويقرأ : ﴿بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[4] .

وبَعِّد وباعد بمعنى واحد .

---

(١) قال الخليل في العين ١ : ٢٢٧ : وبعضهم يفسر قول الله ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أنّه : الطين ، والله العالم . وظاهر سياق العبارة يفيد عدم ذهابه إلى هذا التفسير .

(٢) مادّة «عَجَلَ» تجدها : في العين ١ : ٢٢٧ ، جمهرة اللّغة ١ : ٤٨٢ ، تهذيب اللُّغة ١ : ٣٦٩ ، المحيط في اللُّغة ١ : ٢٥٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ١ : ٣٢٢ ، الصحاح ٥ : ١٧٥٩ ، لسان العرب ١١ : ٤٢٥ ، تاج العروس ١٥ : ٤٦٥ . وانظر : أمالي المرتضى ١ : ٤٦٥ وغريب القرآن لليزيدي : ٢٥٤ ت ٣٧ ، وغريب القرآن لابن الملقّن : ٢٥٥ ت٣٨ ، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ ١١ : ٢٨٩ .

(٣) سورة الروم ٣٠ : ٤ .

(٤) سورة سبأ ٣٤ : ١٩ .

والأَبْعَدُ نقيض: الأقْرَب، ويجمع: أباعِد وأقارِب.

ويقرأ: ﴿بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾، و: ﴿بَعُدَتْ ثَمُودُ﴾[١] ومعناهما واحد، إلّا أنّهم يقولون: بَعِدَ الرّجل، وأَبْعَدَهُ الله.

والبُعْدُ من اللّعن يقول: أَبْعَدَهُ الله، أي: لا يُرثى له ممّا نزل به.

وقال ابن دُريد: البُعْد: ضدّ القُرْب، وبَعْدُ: ضدّ قَبْلُ، وسمع أبو زيد العرب تقول: فلان غير بَعيد وغير بَعَدٍ[٢].

وأصلُ الباب: البُعد نقيض القُرب.

ومعنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ أي: اتّخذتموه إلهاً؛ لأنّ بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين؛ لأنّ فعل ذلك ليس بمحظور، وإنّما هو مكروه.

وما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه لعن المصوّرين[٣].

معناه: من شبّه الله بخلقه أو اعتقد فيه أنّه صورة، فلذلك قدّر الحذف في الآية، كأنّه قال: اتّخذتموه إلٰهاً، وذلك أنّهم عبدوا العجل بعد موسى لمّا قال لهم السّامريّ: ﴿هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾[٤] أي: ترك إلٰهه ومضى ناسياً.

---

(١) سورة هود ١١ : ٩٥.

(٢) العين ٢ : ٥٣، جمهرة اللُّغة ١ : ٢٩٨، تهذيب اللُّغة ٢ : ٢٤٢، المحيط في اللُّغة ١ : ٤٣٢، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٣٠، الصحاح ٢ : ٤٤٨، لسان العرب ٣ : ٨٩، تاج العروس ٤ : ٣٥٧ «بَعَدَ» في الجميع.

(٣) انظر: من لا يحضره الفقيه ٤ : ٢ قطعة من حديث ١، مسند أبي يعلى ٢ : ١٩٠ حديث ٨٩٠ وانظر هامشه، أحكام القرآن للجصّاص ٣ : ٣٧٣.

(٤) سورة طه ٢٠ : ٨٨.

وقيل: بل معنى ﴿فَنَسِيَ﴾ أي: فترك ما يجب عليه من عبادة الله[1].

وكان سبب عبادتهم العجل ما ذكره ابن عبّاس: إنّ السامريّ كان رجلاً من أهل (كرمان)[2]، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حُبّ عبادة البقر في نفسه، وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل.

فلمّا قصد موسى إلى ربّه خلّف هارون في بني إسرائيل، قال لهم هارون: إنّكم تحمّلتم أوزاراً من زينةِ آل فرعون، وأمتعةً وحليّاً فتطهّروا منها فإنّها نَجَس. وأوقد لهم ناراً، وقال لهم: اقذفوا ما كان معكم فيها، فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الأمتعة وذلك الحلي فيقذفون به فيها. حتّىٰ إذا انكسر الحلي ورأى السامريّ أثر فرس جبرئيل، فأخذ تراباً من أثر حافره، ثمّ أقبل إلى النّار.

---

(١) انظر: تفسير جامع البيان ١٦: ١٤٩، معاني القرآن للزجّاج ٣: ٣٧٢، تفسير النكت والعيون ٣: ٤١٩، تفسير المحرّر الوجيز ١١: ٩٩.

(٢) الاضطراب في ضبط الكلمة بين النسخ واضح، وكذا بين المصادر، وهي مردّدة بين: باجَرْما، كرمان، ولعلّ عداهما - وهو باكرم كما في بعض النسخ - غير صحيح؛ إذ لعلّه تصحيف باجرم.

وباجَرْما: قرية من أعمال «البَليخ» قرب الرّقة من أرض الجزيرة، من تخوم الشام.

وكرمان: مدينة معروفة جنوب بلاد فارس.

انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ٧: ٢٤٢٣ ت ١٣٥٠٥، أعلام القرآن: ٤٢٩ ومصادره، معجم البلدان ١: ٣١٣، تفسير الكشف والبيان ١: ١٩٤، البَدء والتاريخ ٣: ٩١، تاريخ الطبريّ ١: ٤٢٤، المعارف لابن قتيبة: ٤٤، الكامل في التاريخ ١: ١٨٩، تفسير السمعانيّ ٣: ٣٥٣، علل ابن حنبل ٢: ١٩١ ت ١٩٧٠، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٤٩٣، تاج العروس ٦: ٥٤٤، المصباح المنير ١: ٢٨٨.

فقال لهارون: يا نبيّ الله، ألقي ما في يدي؟

قال: نعم، ولم يظنّ هارون إلّا أنّه كبعض ما جاء به غيرُه من الحلي والأمتعة، فقذف فيها وقال: كن عجلاً جسداً له خُوار، فكان البلاء والفتنة، وقال: هذا إلٰهكم وإله موسى، فعكفوا عليه وأحبّوه حبّاً لم يُحبّوا مثله قطّ[1].

وسُمّي العِجْلُ عِجْلاً مأخوذٌ من التَّعْجِيل؛ لأنّ قُصْر المدّة كالعَجْلِ في الشيء.

وقال أبو العالية: إنّما سُمّي العِجْل عِجْلاً؛ لأنّهم عَجِلوا فاتّخذوه قبل أن يأتيهم موسى[2].

وقال الحسن: صار العجل لحماً ودماً.

وقال غيره: لا يجوز ذلك؛ لأنّ ذلك من معجزات الأنبياء.

ومن وافق الحسن قال: إنّ القبضة من أثر المَلَك كان الله قد أجرى العادة بأنّها إذا طُرحت على أيّ صورة كانت حَيِيَت، فليس ذلك بمعجزة، إذ سبيل السّامريّ فيه وسبيل غيره سواء.

ومَنْ لم يُجز انقلابَه حيّاً، تأوّل الخُوار على أنّ السّامريّ جعل فيه

---

(١) ينظر للقصّة: تفسير جامع البيان ١: ٢٢٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ٧: ٢٤٣٢ ت ١٣٥٠٤ و١٣٥٠٥، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٠ و٣: ٤٢٢، تفسير بحر العلوم ٢: ٣٥٢، عرائس المجالس: ٢٠٨، قصص الأنبياء لابن كثير: ٣، قصص الأنبياء للراونديّ: ١٤٨ب ٨ ت ١٦٠، قصص الأنبياء والمرسلين للجزائريّ: ٢١٥ وانظر: أعلام القرآن: ٤٢٩.

(٢) انظر: تفسير الكشف والبيان ١: ١٩٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٠٨ ت ٥١٢ و٤: ١١٠٤ ت ٦١٩٥، تفسير النكت والعيون ١: ١٢١.

خروقاً تدْخُلُها الريح فَيَحْدُث فيه صوت كالخُوار[١].

وإنّما قال: ﴿وَأَنْتُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ يعني: ظالمي أنفسهم إذ أدخلوا عليها الضرر بما يستحقّون على عبادته من العقوبة، والظلم قد يكون للنفس وقد يكون للغير.

وإنّما وُصِفوا بأنّهم اتّخذوا العِجْل إلٰهاً ـ وهي صفة ذمّ لهم بما لم يفعلوا ـ لرضاهُم بما كان عليه أسلافهم، وسلوكهم طرائقَهم في المخالفة لأمر الله، والذمّ على الحقيقة على أفعالهم، فإنْ كان اللّفظ على أفعال أسلافهم فأُخرج اللّفظ مخْرج مَنْ كأنّهم فعلوا ذلك؛ لسلوكهم تلك الطرق وعدولهم إلى المخالفة، فالذمّ متعلّق بما كان منهم في الحقيقة.

فإن قيل: هل هذا الميقات هو الميقات في قوله: ﴿وَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾[٢]؟

قيل: قال أبو عليّ، وأبو بكر بن الإخشيد ـ واسمه: أحمد بن عليّ ـ: إنّ هذا ذاك. وفي الناس من قال: هو غيره[٣]. والأوّل أظهر.

وإنّما ذكر الثلاثين وأتمّها بعشر، والأربعين قد تكمّل بعشرين وعشرين؛ لأنّ الثلاثين أراد بها الشهر الذي هو ذا القعدة وذا الحِجّة، فذكر هذا العدد لمكان الشهر، ثمّ ذكر ما يتمّ به العدد أربعين ليلة.

وإنّما قال: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ولم يقل: أربعين يوماً؛ لتضمّن الليالي الأيّام على قول المُبرِّد.

---

(١) ذكرت هذا مصادر الهامش السابق.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٤٢.

(٣) أحكام القرآن للجصّاص ٣: ٣٤ وانظر الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٦٤ ـ ٦٥.

ومعنى ذلك: إنّه إذا ذكرت اللّيالي دخلت فيها الأيّام، وليس إذا ذُكرت الأيّام دخلت اللّيالي فيها، هكذا هو الاستعمال.

والصحيح أنّ العرب كانت تراعي في حسابها الشهور والأيّام، والأهلّة، فأوّل الشهر اللّيالي، ولذلك أرّخت باللّيالي وغلّبتها على الأيّام؛ ولذلك صارت الأيّام تابعة للّيالي، واكتُفِي بذكر اللّيالي من الأيّام، فقيل: لعشرٍ خلون، ولم يقولوا: لعشرة؛ لأنّه جرى على ما جرى على اللّيالي[١].

﴿**وَٱتَّخَذْ**﴾، قال الرمّانيّ: وزنه: افتعل، وأصله: ايتَخَذَ، فقلبت الياء تاء وأُدغمت في التاء التي بعدها.

وقال أبو عليّ: اتَّخَذْتُ ليس من أخذت؛ لأنّ الهمزة لا تبدّل من التاء ولا تبدّل التاء منها، واتَّخذْتُ لا تكون افْتَعَلْتُ من أَخذتُ ويكون أُبدِلَت الهمزة ياء ثمّ أُدغمت في التاء، كما قالوا: اتَّسَروا الجَزُورَ وهو من اليَسْرِ؛ لأنّه لا يجوز على قول أصحابنا؛ لاختلاف معنى الحرفين[٢].

وفائدة الآية التعجّب من قولهم، إذ كانوا في مقدار هذه المدّة اليسيرة لغيبة موسى عنهم اتّخذوا العجل إلهاً.

وإدغام الذال عند التاء جائز، وتركه أيضاً كذلك جائز[٣].

---

(١) انظر لكيفيّة حساب التاريخ عندهم: الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيرونيّ: ٥ وما بعدها، نهاية الأرب للنويريّ ١ : ١٣٠ وما بعدها ففيهما ما يفيد زيادة الاطّلاع والمعرفة.

(٢) الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٧١. وانظر: الخصائص ٢ : ٢٨٧، تذكرة النُّحاة : ١٤٦، الأشباه والنظائر ١ : ٢٦٠.

(٣) ينظر مثلاً: السبعة في القراءات : ١٥٥ ت ٢١، إدغام القرّاء : ٣٤، الحجّة في القراءات السبع : ٧٧، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ٧٥، الموضّح في وجوه القراءات وعللها ١ : ٢٧٥ ت ٢٠، وانظر ما تقدّم عند بداية الآية.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آية (٥٢) آية بلا خلاف.

قيل في معنى ما وقع العفو عنهم بقوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: إنّا تركنا معاجَلتكم بالعقوبة ﴿مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾: أي من بعد اتّخاذكم العجل إلٰهاً.

والآخر: إنّا عفونا عنكم بقبول التوبة من عبادة العجل[1].

والعَفْوُ والصَّفْحُ والمَغْفِرَةُ والتَّجْاوزُ: نظائرُ. فالمَغفِرَة: نقيضُ العقوبة.

ويقال: عَفا عَفْواً، وأَعَفْاهُ إعْفاءً، واسْتعْفى استِعفاءً، وعَفّى تَـعْفِيَة، وعافاهُ مُعافاةً، وتَعَفّى تَعَفِّياً، وتَعافى تَعافياً، واعْتَفاهُ اعْتِفاءً.

والعَفْوُ: أحَلُّ المالِ وأَطيبُه.

والعَفْوُ: المعرُوف. والعُـفاةُ: طُـلّابُ المَـعروفِ، وهـم المُـعْتَفُونَ. تقول: اعتَفَيْتُ فُلاناً: إذا طَلَبْتَ مَعْرُوفَه وفَضْلَهُ.

والعافيَةُ من الطَّيْر والدَّوابِّ: طُلّاب الرِّزْق، اسمٌ جـامع لهـا، ومـنه قوله عليه السلام: «مَن غَرَسَ شَجَرةً مُثْمِرَة فما أَكَلَتِ العَافيةُ منْها كُتِبَ لهُ صَدَقةٌ»[2].

---

(١) أُشير إليهما في: تفسير جامع البيان ١: ٢٢٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ٤: ١١٠٤ ت ٦١٩٧، تفسير بحر العلوم ١: ١١٨، تفسير الكشف والبيان ١: ١٩٥، تفسير الوسيط ١: ١٣٨ وتفسير السمعانيّ ١: ٨٠.

(٢) له لفظان: المذكور، وقوله: «من أحيا أرضاً»، فلفظ المتن تجده في: العين ٢: ٢٥٨، والمبسوط للسرخسيّ ٢٣: ١٤ و٣٠: ٢٥٩، وانظر: بحار الأنوار ٦٦: ٤٢٢. وأمّا بلفظه الثاني فمصادره كثيرة منها: مسند أبي يعلى ٣: ٣٣٩ ـ ٤٤٠ ت

=

والعافيةُ: دِفاعُ الله عن العبد، يقول: عافاه الله من مكروه، وهو يُعافِيهِ مُعافاةً.

والاستِعفاءُ: أنْ تَطْلُبَ إلى مَنْ كَلَّفَكَ أمراً أنْ يُعْفِيَكَ منه.

وعَفَا الشَّيءُ: إذا كَثُر، وأَعْفَيْتُه: إذا أَكْثَرْتَه، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾[1]، ومنه إعْفاء اللحية: إكْثارَها.

وعَفَا: دَرَسَ، يقال: أخَذ منْ فلان ما عفَا وصفَا.

والعَفاءُ: التُّرابُ، تقول: يَعْفِيه العَفَا، وعليه العَفَاء.

والعَفاءُ: الدُّرُوسُ، قال زُهير:

. . . . عـلى آثـارِ مَـنْ ذَهَبَ العَـفاءُ[2] [٢٤٤]

ومنه: عَفَتِ الدِّيار، والرِّيحُ تَعفُو الدِّيار عَفاءً وعُفُوّاً، وتَعَفَّت الدارُ، والأَثَرُ تَعَفِّياً.

والعَفْوُ والعِفْوُ والعُفْوُ، والجمع: عِفَوَة، وهي: الحُمرُ الأَفْتاء والفَتيات. والعِفَاء: ما كَثُر من الوَبَر والريش، وناقةٌ ذاتُ عِفَاءٍ: كثيرةُ الوَبَر طويلتُه. والعِفْو: ولدُ الأُتان الوَحشية.

١٨٠٥، المصنَّف لابن أبي شيبة ٥: ٢٨٤ ت ٣، مسند أحمد ٣: ٣١٣ و٣٢٧ و٣٥٦ و٣٨١، سنن الدارميّ ٢: ٢٦٧، سنن البيهقيّ ٦: ١٤٨، كنز العمّال ٣: ٨٩١ ت ٩٠٥٢، وانظر ـ إضافة لمصادر اللّغة فيما يأتي ـ مفردات غريب القرآن: ٥٧٤، غريب الحديث لابن سلّام الهرويّ ١: ٩٤، النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٦٦.

(١) سورة الأعراف ٧: ٩٥.

(٢) عجز البيت ٧ ق ١١: ١٢٤، من ديوان زهير بن أبي سُلمى صنعة الأعلم وصدره:

تَحَمَّلَ أَهْلُها، منها، فبانوا . . . .

المعنى: ارتحل آل ليلى عن مواضعهم فلم أحزن ولم آس على شيء، فعلى آثارهم الدروس، وهذا دعاء عليهم.

الشاهد: استعمال العفاء بمعنى الدروس.

وأصلُ الباب: الترك. ومنه قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾[١]: أي: مَنْ تُرك له.

وعَفْوُ الشيء: صَفْوُه[٢].

ومعنى ﴿لعلّكم﴾ في الآية: لكي تشكروا.

وقيل: معناه التعريض، كأنّه قال: عَرَّضْناكم للشكر.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾ - وإن كان إشارة إلى الواحد - فمعناه الجمع. وإنّما كان ﴿ذٰلِكَ﴾ كذلك؛ لأنّ «ذا» اسم مُبهم فمرّة يأتي على الأصل، ومرّة على مشاكلة اللّفظ إذ كان لفظُ المبهم على الواحد، وإن كان معناه الجمع، على أنّه قد يُخاطب بلفظ الواحد ويُراد به الجمع، كقوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ثمّ قال: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ﴾[٣].

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾ إشارة إلى اتّخاذهم العجل إلٰهاً.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

فالشُّكر: هو الاعتراف بالنّعمة مع ضرب من التعظيم[٤].

وقال الرمّانيّ: الشُّكر: هو الإظهار للنّعمة[٥].

---

(١) سورة البقرة ٢ : ١٧٨ .

(٢) لضبط مادّة «عَفَا» روجعت المصادر التالية: العين ٢ : ٢٥٨ ، جمهرة اللُّغة ٢ : ٩٣٨ ، تهذيب اللّغة ٣ : ٢٢٢ ، المحيط في اللُّغة ٢ : ١٧٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٣٧٢، الصحاح ٦ : ٢٤٣١، لسان العرب ١٥ : ٧٢، تاج العروس ١٩ : ٦٨٦.

(٣) سورة الطلاق ٦٥ : ١ .

(٤) الفروق اللّغويّة للعسكريّ : ٣٥ و٣٦ ، معجم الفروق اللُّغوية : ٣٠١ و٣٠٢ ت ١٢١١ و١٢١٣ .

(٥) ما زالت أغلب مؤلّفاته مفقودة أو مخطوطة .

والصحيح الأوّل ؛ لأنّه قد يُظهر النّعمة من لا يكون شاكراً لها .

والفرق بين الشُّكْر والمكافأة : إنّ المكافأة من التكافؤ وهو التساوي ، وليس كذلك الشُّكر ، ففي مكافأة النّعمة دلالة على أنّه قد استوفى حقّها[1] . وقد يكون الشُّكر مُقصراً عنها وإنْ كان ليس على المُنْعَم عليه أكثر منه إلّا أنّه كلّما ازداد من الشُّكر حسن له الازدياد وإن لم يكن واجباً ؛ لأنّ الواجب لا يكون إلّا متناهياً ، وذلك كالشُّكر لنعمة الله لو استكثرته غاية الاستكثار لم يكن لينتهي إلى حدٍّ لا يجوز له الازدياد ؛ لعِظَمِ نِعم الله عزّ وجلّ وصغر شكر العبد .

ويقال : شَكَرَ شُكْرَاً وشُكُوراً ، وتَشَكَّرَ تَشَكُّراً .

والشَّكُورُ من الدَّوابِّ : ما يَكْفِيه قليل العَلَف لسِمْنِهِ .

والشَّكِرَةُ من الحَلُوبات : التي تُصِيبُ حَظّاً من بَقْلٍ أو مَرْعىً فَيغزُر لبنها بعد قلّةٍ ، يقال : أَشْكَرَ القومُ إذا نزلوا منزلاً فأصابت نِعمُهُمْ شيئاً من بَقْلٍ فدرّت عليه ، وإنّهم لَيحْتَلِبون شَكْرَةً ـ بجزم الكاف ـ وقد شَكِرَتِ الحَلُوبَةُ شَكَراً .

والشَّكِير : شَعْرٌ ضعيف ينبت خلال الشَّيب ، وكذلك ما ينبت من ساق الشَّجر قُضبان تَخرُج غضّةً بين قضبان قاسية يقال له : الشَّكِير .

وأشْكَر ضَرعُ الناقة : إذا امتلأ لبناً .

والشَّكْرُ : بُضع المرأة[2] .

---

(١) انظر الهامش الأسبق .

(٢) ضبط المادّة «شَكَرَ» وتصحيح النقل من كتب اللُّغة التالية : العين ٥ : ٢٩٢ ، جمهرة اللُّغة ٢ : ٧٣٢ ، تهذيب اللُّغة ١٠ : ١٢ ، المحيط في اللُّغة ٦ : ١٦١ ، المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٦٨٠ ، الصحاح ٢ : ٧٠٢ ، لسان العرب ٤ : ٤٢٣ ، تاج العروس ٧ : ٤٨ .

وأصل الباب: الظهور.

ولا يستحقّ الكافر الشّكر كما يستحق المؤمن؛ لأنّ المؤمن يستحقّ الشّكر على وجه الإجلال والإنعام، والكافر لا يستحقّ كذلك، وإنّما يجب له مكافأة نعمته كما يجب قضاء دَيْنه على وجه الخروج إليه منه من غير تعظيم له ويسمّى ذلك: شكراً.

والشّكر لا يُسْتَحقّ إلّا على نعمةٍ.

ومعنى قولنا في الله: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1] أنّه يجازي العبدَ على طاعاته من غير أنْ يُنقصه شيئاً من حقّه، فجعل المجازاة على الطّاعة شُكراً في مجاز اللُّغة.

ولا يستحقّ الإنسان الشكر على نفسه؛ لأنّه لا يكون مُنعماً على نفسه، كما لا يكون مُقرضاً لنفسه، والنّعمة تقتضي مُنْعِماً غير المُنْعَم عَليه، كما أنّ القرضَ يقتضي مُقْتَرِضاً غير المُقْرِض. وقد يصحّ أنْ يُحسن إلى نفسه كما يصحّ أن يُسيء إليها؛ لأنّ الإحسان من المُحسن، فإذا فعل بها فعلاً حسناً ينتفع به كان محسناً إليها بذلك الفعل، وإذا فعل بها فعلاً قبيحاً كان مسيئاً إليها.

والشّكر متعلّق في الآية بعفو الله عنهم ونعمه عليهم، كأنّه قال: لتشكروا الله على عفوه عنكم وسائر نعمه عليكم.

---

(١) سورة فاطر ٣٥: ٣٠.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آية (٥٣).

قوله: ﴿وإذْ﴾ عطف على ما مضى من التذكير بنعَمِه، فكأنّه قال: واذكروا إذ آتينا موسى الكتاب؛ لأنّ «إذ» اسم للوقت الماضي، و«إذا» للوقت المستقبل، وكذلك تستعمل في الجزاء؛ لأنّ الجزاء لا يكون إلّا بالمستقبل، كقولهم: إنْ تأتني آتك. و«لو» تشبه الجزاء من حيث إنّه لابدّ لها من الجواب، كما لابدّ لحرف الجزاء من الجواب[1].

وقوله: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ معناه: أعطيناه، والكتاب يريد به التوراة.

وأمّا ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: فقال الفرّاء وقطرُب وثعلب: يحتمل أن يكون المراد أُتي موسى كتاب التوراة ومحمّد الفرقان، كما قال الشاعر:

[٨٥] . . . . مُتَقَلِّداً سَيْفاً ورُمْحاً

وضعّف قوم هذا الوجه؛ لأنّ فيه حمل القرآن على المجاز من غير ضرورة مع أنّه تعالى أخبر أنّه أتى موسى الفرقان في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾[2].

وقال الفرّاء: هو كلام مثنّى يراد به التوراة، وكرّر لاختلاف اللفظين،

---

(١) انظر صفحة: ٧، وللتوسعة ينظر الجنى الداني في حروف المعانيّ: ١٨٥ و٣٦٧، حروف المعانيّ للزجّاجي: ٦٣ ت ١٢٣ و١٢٤، رصف المبانيّ في شرح حروف المعاني: ١٤٨ ـ ١٥١، الإتقان في علوم القرآن ٢: ١٧١ و١٨٠ و٢٨٠.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٤٨.

كقولهم: بُعْداً وسُحقاً، وهما بمعنى واحد[١].

قال الرمّانيّ: هذا المثال لا يشبه الآية؛ لأنّه جمع الصفتين لموصوف واحدٍ على معنيين متّفقين، والأولى أن يمثّل بقولهم: هو العالم الكريم؛ لتجتمع الصفتان لموصوف واحد على معنيين مختلفين. وقول عديّ بن زَيد:

[٤] فـقَدَّمَتِ الأَدِيـمَ لِـراهِشَـيْهِ وأَلْـفَى قَـوْلَها كَـذِباً ومِـيْنا

وقال قوم: الكتاب: التوراة، والفرقان: انفراق البحر لبني إسرائيل والفرَج الذي أتاهم، كما قال: ﴿يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَاناً﴾[٢] أي: مخرجاً.

وقال بعضهم: الفرقان: الحلال والحرام الذي ذكره في التوراة.

وروي عن ابن عبّاس وأبي العالية ومجاهد: إنّ الفرقان الذي ذكره: هو الكتاب الذي آتاه يفرق فيه بين الحق والباطل.

وقال ابن زيد: الفرقان: النصر الذي فرّق الله به بين موسى وفرعون، كما فرّق بين محمّد ﷺ وبين المشركين، كما قال: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[٣].

وقال أبو مسلم: هو ما أُوتي موسى من الآيات والحجج التي فيها التفرقة بين الحقّ والباطل[٤].

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ١: ٣٧، معاني القرآن وإعرابه ١: ١٣٤، إعراب القرآن للنحّاس ١: ٢٢٥، تفسير الكشف والبيان ١: ١٩٧، وانظر تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٣٩٩.

(٢) سورة الأنفال ٨: ٢٩.

(٣) سورة الأنفال ٨: ٤١.

(٤) الآراء والأقوال تجدها منثورة في: معاني القرآن للفرّاء ١: ٣٧، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٢، تفسير الوسيط ١: ١٣٩، تفسير الكشّاف ١: ٢٦٩، إيجاز البيان ١: ٩٤، تفسير الكشف والبيان ١: ١٩٧، تفسير كتاب الله العزيز للهواريّ ١: ١٠٤، تفسير ابن زمنين ١: ١٤٠، تفسير السمرقنديّ ١: ١١٩، تفسير معالم ←

وقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ :

أي لكي تهتدوا ، وقد بيّناه في ما مضى[١] . وفيه دلالة على أنّه تعالى أراد أن يهتدوا ؛ لأنّ هذه اللّام لام الغرض ؛ وذلك يُفسد قول المجبّرة : إنّه أراد منهم الكفر .

فإن قيل : كيف يهتدون بما أُوتي موسى من البيان ، وما أُوتي في التوراة من البرهان مع انقطاع النقل الذي تقوم به الحجّة ؟

قيل : الجواب عنه من وجهين :

أحدهما : إنّ الخطاب لأسلافهم ، كما قال : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[٢] .

والثاني : إنّ في إخبار الرسول لهم ما تقوم به الحجّة عليهم ، فيمكنهم أن يستدلّوا بذلك على ما أنعم الله به على أسلافهم ؛ ولأنّهم مقرّون بأنّ موسى عليه السلام أُتِيَ التوراةَ بما فيها من الهدى والبيّنات ، فتقوم الحجّة عليهم بإقرارهم .

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَـلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ آية (٥٤) آية بلا خلاف .

﴿بَارِئِكُمْ﴾ :

أسكنَ الهمزة فيها أبو عمرو ، إلّا المعدّل وسجادة ـ من طريق

التنزيل ١ : ٨٤ ، تفسير مجاهد : ٢٠٢ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٠٩ ت ٥٢١ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢١٩ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٣٢٦ وغيرها . بعضها منسوب إلى قائليه وأغلبها بلا عزو .

(١) ضمن تفسير الآية (٦) من سورة الفاتحة .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٥٠ .

الجرميّ[١] ـ وابن مجاهد، وكلّهم خفّفوا الهمزة فيها، إلّا أبا طاهر[٢]، عن ابن مجاهد، عن إسماعيل[٣] فإنّه قلبها ياء[٤].

---

(١) مردّد بين: صالح بن إسحاق الجرمي، مولاهم النحوي، روىٰ القراءة عن سيبويه ويونس بن حبيب، عن أبي عمرو، وروىٰ عنه أبو عثمان المازني.
انظر: غاية النهاية ١: ٣٣٢ ت ١٤٤٤، سير أعلام النبلاء ١٠: ٥٦١ ت ١٩٣
وبين: أحمد بن مسعود أبو العباس السراج الموصلي، أخذ القراءة عن الدّوري والموصلي، روىٰ عنه الجارودي والبزوري.
انظر: غاية النهاية ١: ١٣٨ ت ٦٥٥.
ولعل الأوّل أقرب إلىٰ المراد.

(٢) أبو طاهر: عبدالواحد بن عمر بن محمّد البغداديّ، مقرئ نحويّ، ينحو مذهب الكوفيّين في النحو، مع براعة وصدق لهجة واستقامة طريقة، عُدّ من أعرف الناس بحروف القرآن والقراءات، له فيها تصانيف، أخذ عن مجاهد ولازمه، والأشنانيّ، وأبي عثمان بن عبدالرحيم، وأخذ الحروف سماعاً عن ابن خلف، ووكيع، وأحمد ابن فرح، والقتّات، وغيرهم. وعنه أخذ خلق كثير منهم: الفارسيّ، والحمّاميّ، والجوهريّ، وغيرهم. توفّي سنة ٣٤٩هـ.
له ترجمة في: تاريخ بغداد ١١: ٧ ت ٦٩٥، البلغة في تراجم أئمّة النحو واللُّغة: ١٩١ ت ٢١٢، إنباه الرواة ٢: ٢١٥ ت ٤١٦، طبقات القرّاء للذهبيّ ١: ٣٨٩ ت ٣٢٣، بغية الوعاة ٢: ١٢١ ت ١٥٩٤.

(٣) أبو إسحاق، إسماعيل بن إسحاق بن حمّاد بن زيد الأزديّ البصريّ مولى آل جرير ابن حازم، عالم فاضل متقن، فقيه على مذهب مالك، فقد جمع حديثه وشرح مذهبه ولخّصه، واحتجّ له، ونشر مذهبه في العراق، صنّف المسند، وليَ قضاء بغداد، له تصانيف كثيرة في القراءات وأحكام القرآن ومعانيه، روى القراءة عن: قالون، وأحمد بن سهل، ونصر بن عليّ وغيرهم. وروى عنه: ابن مجاهد، وابن الأنباريّ، والإسكافيّ وغيرهم. ولد عام ١٩٩، توفّي عام ٢٨٢هـ.
له ترجمة في: تاريخ بغداد ٦: ٢٨٤ ت ٣٣١٨، طبقات القرّاء ١: ٢٦٨ ت ١٧٢، غاية النهاية ١: ١٦٢ ت ٧٥٤، سيَر أعلام النبلاء ١٣: ٣٣٩ ت ١٥٧ ومصادره.

(٤) السبعة في القراءات: ١٥٥، الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٧٧، معاني القراءات للأزهريّ: ٥٠، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٤٠.

التقدير: واذكروا أيضاً: ﴿وإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾، وظلمهم إيّاها: كان فعلهم بها ما لم يكن لهم أن يفعلوه بما يُستحقّ به العقاب، وكذلك كلّ من فعل فعلاً يستحقّ به العقاب فهو ظالم لنفسه، وقد بيّنا معنى التوبة في ما مضى[1].

وأمّا قوله: ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾:

فالبارِئُ: هو الخالِقُ الصانعُ.

يقال: بَرَأَ بَراءَةً، واستَبْرأ اسْتِبراءً، وتَبرّأ تبرِّياً، وبَارَأَه مُباراةً، وبَرَّأَه بَراءَةً وتَبْرِئةً.

قال صاحب العين: البَرْءُ - مَهموزٌ - وهو الخَلْقُ، تقول: بَرَأَ اللهُ الخَلْقَ، وهو يَبْرَؤُهُمْ بَرْءً، وهو البارِئُ. قال أُميّة:

الخالِقُ البارئُ المُصوّرُ في الْـ أَرْحامِ ماءً حتّى يصيرَ دَما[2] **[٢٤٥]**

والبُرْءُ: السَّلامَةُ من السُّقْم، تقول: بَرَأَ يَبْرَأ، ويبْرُؤُ، بَرءاً وبَرِئتُ وبَرَأتُ وبَرُؤتُ بُرْءاً. وتَبرّأ تَبرِّياً لغة في هذا.

والبَرَاءةُ: من العَيبِ والمكرُوهِ لا يُقال منه: إلّا بَرِئَ بَراءً، وفاعله:

---

(١) تقدّم في تفسير الآية ٣٧: من سورة البقرة: ٢.

(٢) من قصيدة تنسب إلى أُميّة بن أبي الصَّلْت تارة، وأُخرى إلى النابغة الجَعْديّ، ولعلّه الصحيح لما فيها من مفاهيم تلائم عصره الإسلاميّ مطلعها:

الحمدُ للهِ لا شريكَ له مَنْ لَمْ يقلْها فَنَفْسَهُ ظَلَما

الشاهد: استعمال «برأ» مهموزاً.

لمعرفة النسبة والاطّلاع على القصيدة ينظر: ديوان النابغة الجَعْديّ: ١٤٧، ت: ٧١، ب: ٤، طبقات فحول الشعراء ١: ١٢٧ ت ١٤٨، الشعر والشعراء ١: ٢٩٤ ت ٥٠٦، معجم الشعراء: ١٩٥، خزانة الأدب للبغدادي ٣: ١٧٢، و٩: ١٣٣، الإصابة ٦: ٢١٨ ت ٨٦٣٣، الأغاني ٥: ١٠، الاستيعاب ٤: ١٥١٤ ت ٢٦٤٨ وانظر: أُميّة بن أبي الصَّلْت: ٣٦٥ ت ١٧٥.

بَرِئٌ كما ترى ، وفلان بَرِئٌ وبَراءٌ ، كقوله : إنّي بَراءٌ ، وامرأة بَراءٌ ، ونِسوَةٌ بَراءٌ وبُرَآءُ على وزن فُعَلاء ، ومنه قوله : ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ﴾[1] جمع بَرِئ . ومن ترك الهمزة قال : بُرَاء على وزن فُعَال .

وتقول : بارَأْتُ الرَّجُل ، أي : بَرِئتُ إليه . وبَرِئَ إليّ : مثل ذلك ، وبارَأتُ المَرْأَة ، أي : صالَحْتُها على المُفَارَقَةِ .

وأَبْرَأتُ الرَّجُلَ من الضَّمَان والدَّينِ ، وبَرَّأْتُهُ تَبرِئةً ، ويقال : أَبرَأَ اللهُ فُلاناً من المرض إبراءً حسَناً .

والاسْتِبرَاءُ : اسْتِبرَاء الجارية والمرأة بأن لا يطأها حَتّى تَحيضَ .

والاسْتِبرَاءُ : إنقاء الفَرْج من القذرِ .

وأصل الباب : تبرّي الشيء من الشيء ، وهو انفصاله منه .

وبَرأَ اللهُ الخلقَ ، أي : فطرهم ؛ فإنّهم انفصلوا من العدم إلى الوجود .

والبَرِيَّةُ : الخَلْقُ ، فعيْلة بمعنى مفعول لا يهمز ، كما لا يهمز مَلك وإن كان أصله من الألوكة .

وقيل : البَرِيّة مشتقّة من البَرَا ، وهو التُّراب ، فلذلك لم تهمز .

وقيل : إنّه مأخوذ من بريت العود ؛ فلذلك لم يهمز .

والبراءة من الشيء : المُفارَقة والمُباعَدة عنه ، وبرئ الله من الكافر : باعده عن رحمته .

وأنواع الفعل كثيرة : منها الخلق والإنشاء والارتجاء ، والبرء : الفطر ؛ فأمّا الإحداث والإيجاد والتكوين فكالفعل . والجعل أعمّ من الفعل ؛ لأنّه لِما وُجد بعد أن لم يكن ، كقولك : جعلت الطين خزفاً ، فلم يحدث الخزف في

---

(١) سورة الممتحنة ٦٠ : ٤ .

الحقيقة، وإنّما أحدث ما به صار خزفاً[١].

وقوله: ﴿فَاقْتُلُوٓاْ﴾: فالقَتلُ والذَّبحُ والموتُ نظائر.

وبينها فرق: فالقتل: نقض بُنيَة الحياة. والذَّبحُ: فَريُ الأوداج.

والموت ـ عند من أثبته معنى ـ: عرضٌ يضادّ الحياة.

يقال: قَتَل يَقْتُل قَتْلاً، واقْتَتَلُوا اقتِتالاً، وتَقاتَلوا تَقاتُلاً، واسْتَقْتَلَ استقتالاً، وقَتّل تَقْتِيلاً، وقَاتلهُ مُقاتَلةً.

وقوله تعالى: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾[٢] معناه: لعنهم الله. وقَومٌ أقتالٌ، أي: هم أهْلُ الوِتْرِ والتِّرَةِ، أي: هم أعداء وتِرَات.

وتقول: تَقَتَّلت الجاريةُ للفَتَى تَصِفُ بهِ العِشق، قال الشاعر:

تَقَتَّلْتِ لي، حتّىٰ إذا ما قَتَلْتِنِي ... تَنَسَّكْتِ، ما هذا بفِعْلِ النَّواسِكِ[٣] [٢٤٦]

وأقْتَلَ فُلان فُلاناً: إذا عَرَّضَهُ للقَتْلِ.

والمُقَتَّلُ من الدَّوابِّ: الذي قد ذَلَّ ومَرَن على العَمَلِ.

وقَلْبٌ مُقَتَّلٌ، أي: قُتِلَ عِشقاً، ومنه قول امرئ القيس:

.... فـي أَعْشـارِ قلبٍ مُقَتَّلِ[٤] [٢٤٧]

---

(١) مادّة «برأ» تجدها في هذه المصادر وغيرها: العين ٨: ٢٨٩، جمهرة اللُّغة ١: ٣٣٠ وانظر الفهرس، تهذيب اللُّغة ١٥: ٢٦٩، المحيط في اللُّغة ١٠: ٢٧٤، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٢٨٦، الصحاح ١: ٣٦، مفردات ألفاظ القرآن: ١٢١.

(٢) سورة التوبة ٩: ٣٠، وسورة المنافقون ٦٣: ٤.

(٣) من شواهد اللُّغة غير المنسوبة اعتمدته المصادر في مادّة «قَتَلَ». انظر: العين ٥: ١٢٧، تهذيب اللُّغة ٩: ٥٦، معجم مقاييس اللُّغة ٥: ٥٦، مجمل اللُّغة ٤: ١٤٣، المخصّص ٢: ٣٠٥، الصّحاح ٥: ١٧٩٩، لسان العرب ١١: ٥٥١، أساس البلاغة ٢: ٢٢٩، تاج العروس ١٥: ٦٠٨.

(٤) لامرئ القيس من معلّقته الشهيرة، وتمامه:

قال ابن دُريد: قَتلتُ الخَمْرَ بالماءِ: إذا مَزجتَها، قال الشاعر:

إنَّ التـــي نَـــاوَلْتَني فـــرَدَدْتُها ... قُتِلَتْ، قُتِلْتَ، فَهاتِها لَم تُقْتَلِ[1] [٢٤٨]

وتقتَّل الرجلُ لحاجته، أي: تَأتّى لها. وتَقتّل الرجلُ للمرأةِ: إذا خضع لها في كلامه.

وقِتْلُ الرجُلِ: عدوّه، والجمع أقتال، وفلان قِتْلُ فلان، أي: نظيره، وابن عمّه.

وقَتَلَهُ قِتْلَةَ سَوْءٍ، واقْتَتَلُوا بمعنى تَقاتَلُوا، ومثله: قَتَّلوا[2]؛ قال أبو النجم:

. . . . تَـــدافُـــعَ الشَّـيب ولم تِـقِتّلِ[3] [٢٤٩]

وناقة ذات قَتال وذات كَتال: إذا كانت غليظة وثيقة الخَلْق.

وفي المثل: قَتَلتْ أرضٌ جاهلَها، وقَتَّلَ أرضاً عالمُها[4].

وما ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلّا لِتَقْدَحِي ... بِسَهْمَيْكِ . . . .

الشاهد فيه: قوله: «مُقَتَّلِ» أراد به القلب العاشق المتيم حباً.

انظر: الديوان: ١٣ بيت ٢٢، وشرح الأشعار الستّة الجاهليّة ١: ٨١ ب ٢١.

(١) لحسّان بن ثابتٍ الأنصاريّ مخاطباً الساقي بأنّ الكأس التي ناولتنيها ممزوجة بالماء - قتلت الأُولى - ثمّ يدعو عليه بالقتل ثمّ يطلب منه كأساً غير ممزوجة.

الشاهد فيه: استعمال «قتلت» الأُولى والثالثة بمعنى: المزج، وأمّا الثانية فعلى المعنى.

انظر: الديوان ١: ٧٥، شرح الديوان للبرقوقيّ: ٣٦٣.

(٢) في الجمهرة: تَقَتَّلوا، وفي أحد نسخها قتلوا، وهكذا في مخطوطتنا «س» ولا ضير فيه؛ لأنّ الكلّ بمعنى واحد: (تَقَتَّلوا، وقَتّلوا، وقِتّلوا) سواء.

(٣) من أُرجوزة طويلة في وصف الإبل وغيرها لأبي النّجم العجليّ، انظر: الديوان جمع الجُبَيْلي: ٢٢٩ ت ٨٩، ب: ١٢٣ فيها، وجمع الآغا: ت ٥٨، ب ١٢٣: ١٩٩، خزانة الأدب للبغدادي ٢: ٣٨٩، ش ١٤٨.

(٤) المثل: في مجمع الأمثال للميدانيّ ٢: ٥٠٤ ت ٢٩٠٨ و٢٩٠٩، جمهرة الأمثال ٢: ١٢١ ت ١٣٦٨، المستقصى ٢: ١٨٨، وبعض مصادر اللُّغة الآتية.

ومَقاتِلُ الإنسان: هي التي إذا أُصِيبَتْ قَتلتْ[١].

وأصل الباب القَتلُ: الّذي هو نقض البُنية التي تصحّ معها الحياة.

وقال المُبرِّد: أصله إماتةُ الحركة[٢].

وقوله: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٣] أي: قد حلّوا محلّ من يُقال له هذا القول؛ أي: أنزل الله بهم القتل.

ويقول: قتله عِلْماً، إذا أيقنه وتحقّقه.

وقوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾:

قيل في معناه قولان:

أحدهما: يقتل بعضكم بعضاً، ذهب إليه ابن عبّاس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والحسن، وغيرهم من أهل العلم. كما يقول القائل: قتل آل فلان، إذا قتل بعضُهم بعضاً.

والثاني: ذكره ابن عبّاس (وإسحاق)[٤] واختاره أبو عليّ، وهو أن يستسلموا للقتل، فجعل استسلامهم للقتل قتلاً منهم لأنفسهم على وجه

---

(١) مادّة «قَتَلَ» تعرّضت لها مصادر اللُّغة التالية: العين ٥: ١٢٧، جمهرة اللُّغة ١: ٤٠٧، تهذيب اللُّغة ٩: ٥٤، المحيط في اللُّغة ٥: ٣٦٣، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٣٣٢، المخصّص ٣: ١٥٥، الصحاح ٥: ١٧٩٧، معجم مقاييس اللُّغة ٥: ٥٦، أساس البلاغة ٢: ٢٢٨، لسان العرب ١١: ٥٤٧، تاج العروس ١٥: ٦٠٧.

(٢) ذكر ذلك في النكت والعيون ١: ١٢٢ وبلا عزو، وفي الفروق اللُّغوية: ٣٨ ب ٥، عزاه للبعض بلا تعيين.

(٣) سورة التوبة ٩: ٣٠، وسورة المنافقون ٦٣: ٤.

(٤) كذا في النسخ إلّا «خ» ففيها خرم هنا، ولعل الصحيح: وابن إسحاق، وهو صاحب السيرة.

التوسّع[١].

وقيل: إنّ السبعين الذين اختارهم موسى للميقات أُمروا بالقتل لمن سأل الرؤية من بني إسرائيل.

وقيل: إنّهم قتلوا أنفسهم كما أُمروا، عمدوا إلى الخناجر وجعل بعضهم يطعن بعضاً[٢]، كذا قال ابن عبّاس وغيره من أهل العلم.

ويقال: غشتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضاً، ثمّ انجلت الظلمة، فأجْلَوْا عن سبعين ألف قتيل[٣].

والسبب الذي لأجله أُمروا بقتل أنفسهم ذكره ابن جريج: إنّ الله علم أنّ ناساً منهم علموا أنّ العجل باطل فلم يمنعهم أن ينكروا إلّا خوف القتل؛ فلذلك بلاهم الله أن يقتل بعضهم بعضاً[٤].

قال الرمّانيّ: لابدّ أن يكون في الأمر بالقتل لطف لهم ولغيرهم، كما يكون في استسلام القاتل لطف له ولغيره[٥].

فإن قيل: كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم، وبعد القتل لا تكليف عليهم، واللّطف لا يكون لطفاً فيما مضى ولا فيما يقارنه؟

---

(١) الآراء ذكرتها التفاسير الآتية: تفسير مجاهد: ٢٠٢، تفسير محمّد بن إسحاق: ٢٤، تفسير كتاب الله العزيز للهواريّ ١: ١٠٦، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١١٠ ت: ٥٢٧ - ٥٣٠، تنزيه القرآن: ٢٤، أمالي المرتضى ٢: ٣٧١، تفسير النكت والعيون١: ١٢٢، تفسير الوسيط ١: ١٤٠، تأويلات أهل السنّة ١: ٥٢ ت ٥٤، وضح البرهان ١: ١٣٧.

(٢) إضافة لما تقدّم من التفاسير في الهامش السابق، انظر: جامع البيان ١: ٢٢٧.

(٣) انظر مصادر الهامش السابق.

(٤) تفسير جامع البيان ١: ٢٢٨، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٢.

(٥) انظر: أمالي المرتضى ٢: ٣٧١ - ٣٧٣.

قلنا: إذا كان القوم كُلِّفوا أن يقتل بعضهم بعضاً، فكلُّ واحد منهم يقصد قتل غيره ويجوز أن يبقى بعده، فيكون القتل لطفاً له فيما بعد، ولو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجباً واحداً. أو يمتنع من قبيح، وذلك كما نقول في عبادتنا بقتال المشركين؛ وإنّ الله تعالى تعبّدنا بأن نقاتل حتّىٰ نَقتُل ونُقتَل ومدح على ذلك؛ فكذلك روى أهل السير: إنّ الذين عبدوا العجل تعبّدوا أن يُقاتلوا من لم يعبده، ويصبروا على ذلك حتّىٰ يقتل بعضهم بعضاً، فكان القتلُ شهادةً لمنْ قُتلَ وتوبةً لمنْ بقي[1].

وإنّما كانت تكون شبهة لو أُمروا بأن يقتلوا نفوسهم بأيديهم.

ولو صحّ ذلك لكان لا يمتنع بأن يكونوا أُمروا بأن يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تفضي إلى الموت وإن لم يزل معها العقل فينافي التكليف.

وأمّا على القول الآخر وهو: إنّهم أُمروا بالاستسلام والقتل والصبر عليه؛ فلا مسألة؛ لأنّهم ما أُمروا بقتل نفوسهم. وعلى هذا يكون قتلهم حسناً؛ لأنّه لو كان قبيحاً لما جاز أن يؤمروا بالاستسلام له.

ولذلك نقول: لا يجوز أن يُتعبّد نبيّ أو إمام بأن يستسلم للقتل ـ مع قدرته على الدفع عن نفسه ـ فلا يدفعه؛ لأنّ في ذلك استسلاماً للقبيح مع القدرة على الدفع عن نفسه، وذلك لا يجوز. وإنّما يقع قتل الأنبياء والأئمّة على وجه الظلم، وارتفاع التمكّن من الدفع مع الحرص على الدفع، غير أنّه لا يمتنع أن يتعبّد بالصبر على الدفاع وتحمّل المشقّة في ذلك وإن قتله غيره ظلماً.

---

(١) لاحظ مصادر الهوامش السابقة صفحة ٢٩١، وتفسير مقاتل ١: ١٠٦، تفسير السمرقنديّ ١: ١١٩ ـ ١٢٠.

والقتل وإن كان قبيحاً بحكم العقل، فهو ممّا يجوز تغيّره بأن يصير حسناً ؛ لأنّه جارٍ مجرى سائر الآلام، وليس يجري ذلك مجرى الجهل والكذب الذي لا يصير قطّ حسناً.

ووجه الحُسن في القتل: إنّه لطف على ما قلناه ؛ ولأنّه كما يجوز من الله أن يميت الحيّ، كذلك يجوز أن يأمرنا بإماتته ويعوّضه على ما يدخل عليه من الآلام ويكون فيه لطف على ماقدّمناه.

وقوله: **﴿ذَلِكُمْ﴾**:

إشارة إلى التوبة مع القتل لأنفسهم على ما أمرهم الله تعالى به، بدلالة قوله: **﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾**، فقوله: **﴿توبوا﴾** دالّ على التوبة ؛ فكأنّها مذكورة.

وقوله: **﴿خَيْرٌ﴾**:

فالخَيرُ والنفعُ والفضلُ والحظُّ نظائر.

وضدّ الخير: الشرّ، وضدّ النّفع: الضّرر.

تقول: خارَ اللهُ له الخَير خِيرَةً، واختار اختياراً، واستخار فلان استخارةً، وتخيّر تخيّراً، وتَخايَرَ تخايراً، وخيّره تخييراً، وخايره مُخايَرةً، ورجلٌ خَيِّرٌ، وامرأةٌ خَيِّرةٌ، أي: فاضلةٌ، وقَومٌ أخيَارٌ وخِيَارٌ.

وامرأةٌ خَيْرَةٌ حقيقة في جَمالِها ومِيْسَمِها، ومنه قوله: **﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾**[1].

وناقَةٌ خِيَارٌ، وجَمَلٌ خِيَارٌ، والجميع خِيارٌ، وتقول: هذِهِ وهذا وهؤلاء خِيَرَتي، وهو ما تختاره.

---

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٧٠.

وتقول: أَنتَ بالمُختارِ وأَنتَ بالخِيَارِ سَواءٌ.

والرجلُ يَستَخِيرُ الضَّبُعَ واليَرْبُوعَ: إذا جعَلَ خَشَبَةً في مَوْضِعِ النافِقاء، فَخَرجَ من القاصِعاء[1].

والخِيْرَةُ: مصدر اختَارَ خِيْرَةً، ساكنة الياء؛ مثل: ارتابَ رِيبَةً.

وأصل الباب الخَير نقيضُ الشَّرِّ.

والخِيرُ: الهَيْئة المختارة[2].

وحذفت الياء من قوله: ﴿يَـٰقَوْمِ﴾ وأثبتت في قوله: ﴿يَـٰلَيْتَ قَوْمِي﴾[3]؛ لأنّ ياء الإضافة تحذف في النداء؛ لأنّه موضع حذف يحذف فيه التنوين ويحذف الاسم للترخيم، فلمّا كانت بالإضافة قد تحذف في غير النداء، لزم حذفها في النداء.

وأمّا قوله: ﴿يَـٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾، فإنّها تثبت؛ لأنّها ياء الإضافة لا يلحقها ما يوجب حذفها كما لحق الياء في النداء[4].

ويجوز في ﴿يَـٰقَوْمِ﴾ كسر الميم وحذف الياء، وهو إجماع القرّاء، ويجوز بياء ساكنة، ويجوز بفتح الياء وما قرئ بها.

---

(١) النافقاء، القاصِعاء: أسماء مواضع ـ طرق ـ مرقّقاً منافذها يُهيؤُها الحيوان ـ وهو الضبع واليربوع ـ لجحره يخفيها ويعدّها للهرب إذا ما سدّ عليه طريقٌ نفق من الآخر فهرب. انظر: العين ٥: ١٧٨، وما تقدّم عند الشاهد ١٥٣.

(٢) مادّة «خَيَرَ» تجدها في العين ٤: ٣٠١، جمهرة اللُّغة ١: ٥٩٤، تهذيب اللُّغة ٧: ٥٤٦، المحيط في اللُّغة ٤: ٤٠٦، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٢٥٤، الصحاح ٢: ٦٥١، لسان العرب ٤: ٢٦٤، تاج العروس ٦: ٣٧٧.

(٣) سورة يس ٣٦: ٢٦.

(٤) انظر ما تقدّم عن ياء الإضافة مفصّلاً ضمن تفسير قوله تعالى: ﴿نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنعَمْتُ﴾ الآية: ٤٠.

فأمّا إسكان الهمزة، فالذي رواه سيبويه عن أبـي عـمرو: اختلاس الحركة[1]. وهو أضبط من غيره، والإسكان في مثل هذا يجوز في ضرورة الشعر، كقول الشاعر:

إذا اعْوَجَجْن قُلْتُ صَاحِبْ قوِّمِ[2] .... [٢٥٠]

وكان ينبغي أن يقول: صاحبَ؛ لأنّه منادى.

وقال امرؤ القيس:

فَـاليومَ أَشْـرَبْ غَـيْرَ مُسْتَحْقِبٍ   إثْـماً مِـنَ اللهِ ولَا واغِـلِ[3] [٢٥١]

---

(١) روي ذلك عنه ـ إضافة للكتاب ٤: ٢٠٣ ـ في: الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٧٧، حجّة القراءات: ٩٧ معاني القراءات: ١٥٠، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٤٠ ت ٢٨، التذكرة في القراءات ١: ١٨٥ ـ ١٨٧، الحجّة في القراءات السبع: ٧٧. بين مصرّح بالرواية عن سيبويه وبين ناسب إيّاها إلى أبي عمرو بن العلاء رأساً.

(٢) لم ينسبه إلى قائل أغلب من استشهد به لمحلّ الشاهد لدى الشيخ المصنّف ﴿﴾. إلّا أنّ ـ ابن السيرافيّ ـ شارح أبيات سيبويه ٣٤١/٢ نسبه لأبي نخيلة.

انظر: الكتاب ٤: ٢٠٣، معاني القرآن للفرّاء ٢: ١٢، معاني القرآن للأخفش ١: ٢٦٧، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٣٦، الخصائص ١: ٧٥، النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢: ١١٧. إضافة لبعض مصادر الهامش السابق.

الشاهد فيه: إسكان الباء مع أنّ حقّها الحركة؛ لمحلّ النداء المقدّر، ولكنّه اختلس الحركة وأبدلها إلى السكون، وقد اختلف في روايته ممّا يخلّ بمحلّ الشاهد فيه. انظر لذلك: النكت، والخصائص.

(٣) بعد أن حرّم الخمر على نفسه إلى حين الثأر لأبيه من قاتليه ـ بني أسد ـ وبعد أن تمّ له ذلك وحلت له الخمر بزعمه، يقول: فاليوم.

المستحقب: الذي يحمل شيئاً في الحقيبة التي هي مؤخّرة الرحل. الواغل: الداخل إلى مجلس الشرب من دون دعوة.

وكما اختلف في رواية الشاهد السابق هكذا هنا ـ وكما أشار الشيخ المصنف ـ إذ روي محل الشاهد ـ أَشْرَبْ ـ بصورة أُخرى هي: فاليوم أُسقى، أو فاليوم فَأَشْرَبْ، ←

وقد روى بعضهم: صاحِ قَوِّمِ، وروي: فاليومَ فأشْرَبْ، وروى بعضهم: فاليوَم أُسْقَى.

ولا يقال في الله تعالى: تائب مطلقاً، وإنّما يقال: تائب على العبد.

قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: الفاء متعلق بمحذوف كأنّه قال: ففعلتم ـ أو قتلتم أنفسكم ـ فتاب عليكم. وكان فيما بقي دلالة عليه.

قوله عزّ اسْمُهُ:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ آية (٥٥) آية بلا خلاف.

وهذه الآية أيضاً عطف على ما تقدّم، كأنّه قال: واذكروا إذ قلتم: يا موسى، لن نصدّق حتّىٰ نرى الله جهرة.

فالرُّؤيَةُ والإبصارُ والنَّظَرُ نظائر في اللُّغة؛ يقال: رَأى رُؤْيَـةً، ورَأى ـ من الرأي ـ رأياً؛ وأراهُ الله إراءةً، وتَراءَى القَومُ تَـرَائِـياً، وارْتَأى ارتـياءً، وراءاهُ مُراءاةً.

قال صاحب العين: الرَّأيُ: رَأيُ القَـلبِ، والجمع الآرَاءُ، وتقول: ما أضَلَّ آراءَهم ـ على التعجُّبِ ـ ورُاءَهم أيضاً.

ومعه لا يبقى محل للاستشهاد.

والظاهر صحة رواية المتن.

انظر: الديوان: ١٢٢، إضافة لأغلب مصادر الهامش السابق، وهكذا مصادر اللُّغة والأدب فهي غنية به وبسابقه لمحل الشاهد.

ورأيتُ بعيني رؤيةً ، وتقول : رأيتُه رأيَ العَيْن ، أي : حيثُ يقعُ البَصَرُ عليه .

وتقول من رأي القلب : ارتأيتُ . وتقول : رأيتُ رؤياً حَسَنةً ، ولا تجمع الرّؤيا ، ومن العرب من يُلَيِّن الهمزة فيقول : رويا ، ومنهم من يقول : رأيت رِيّاً حسنة ، وتقول : هذه رُوى حسنة ، بمعنى رؤيا ، والرِّيُّ : ما رأت العين من حال حَسَنَةٍ ، تقول : رأيت فلاناً ذا مِسْحة في اللّون وزيّ حسنٍ من اللِّباس والمتاع .

والرَّئِيُّ : جِنّيٌّ يتعرّض [للرَّجل] يُريه كهانةً أو طِبّاً .

وفي بعض اللُّغات : رَيْتُ بمعنى رأيتُ ، وعلى ذلك قراءة من قرأ : ﴿أَرَيْتَ﴾[1] ، قال الشاعر :

. . . . قد رَيْتُ منه عجباً من الكبرِ[2] [٢٥٢]

وتَراءَى القَوْمُ : إذا رَأى بَعْضُهم بَعْضاً ، وتَرَاءى لي فلانٌ : إذا تَصَدَّى لي لأراه .

والرُّواءُ : حُسْنُ المَنْظَرِ في البَهَاءِ والجَمَالِ ، تقول : امرأة لها رُواء وبَهاء وسَناء ، أي : حَسَنة .

والمَرْآةُ والمَرْأىٰ مثل : المَنْظَرَة والمَنْظَر .

والمِرآة : التي يُنْظَرُ فيها ، وجمعها المَرائِي . ومن حوّل الهمزة قال : مَرَايا ، تقول : تراءَيْتُ المِرْآةَ إذا نَظرتُ فيها .

---

(١) سورة العلق ٩٦ : ١٠ .

(٢) لم نقف على قائله ولا من ذكره قبل الشيخ المصنّف ﷺ .

وفي الحديث: «لا يَتمرأى أَحَدُكم في الماءِ»[١]، أي: لا ينظرُ فيه.

ويحذفون الهمزة في كلِّ كلمة تُشْتَقّ من «رأيت» إذا كانتِ الرّاء ساكنة، تقول: رأيت فلاناً فأنا مُرٍ وهو مُرىً، أي: بحذف الهمزة.

وأثبتوها في موضعين: في قولهم: رأيته فهو مَرْئيٌّ.

وأَرْأَتِ النّاقةُ والشّاةُ: إذا أَرْأى ضَرْعُها أنّها قد أقْرَبَتْ وأنزلت، وهي مُرْأى؛ والحذف فيه أيضاً صواب.

وتَقُولُ في الظَّنِّ: رُئِيتُ أنّ فلاناً أخوك. ومنهم من يحذف الهمزة يقول: رِيتُ أنّه فلان.

ومن قَلَبَ الهمزة من «رأى» قال: راءَك، مثل ما تقولون: اسْتَريتُ واسترأَيْتُ بالمِرآة.

والتَّرِيئَةُ - مكسورة الراء مهموزة ممدودة -: ما تَرى المَرْأةُ من المَحِيْضِ صُفْرَةً أو بَيَاضاً، قبلاً أو بعداً.

وأما البَصَرُ بالعَيْن: فهو الرّؤية إلّا أن تقول: نَظرتُ إليه رأيَ العين وتذكُرَ العَيْنَ فيه. وتقول: ما رأيته إلّا رأيةً واحدةً. وتقول للذي يريك الشيء: مُرْي، والمرأة مُرِيَة خفيفة الياء بلا همزة.

وتقول: رَأَيْتُ فلاناً تَرْئِيَةً: إذا رَأَيْتَه المِرآة لينظُرَ فيها.

---

(١) أشارت إليه كتب اللُّغة وله لفظ آخر بإبدال «الماء» بـ«الدنيا» أو «المال» ولم نجده في فهارس المصادر الحديثية المتوفرة لدينا، انظر العين ٨: ٣٠٨، لسان العرب ١: ١٥٧ و١٤: ٢٩٦، النهاية في غريب الحديث ٤: ٣١٤ عن الهروي ولم نتحققه لديه. والاختلاف الأوّل - الدنيا - من كتب اللُّغة والثاني - المال - بين الأُصول المخطوطة.

والرِّيّ : ما أَريْتَ القومَ من حُسن الشّارة والهيئة . قال جَرير :

وكــلُّ قــومٍ لهــم رِيٌّ وُمــختَبرٌ وليس في تَغلُبٍ رِيٌّ ولا خَبرُ[1][2] **[٢٥٣]**

وأصل الباب الرّؤية بالعين ، وشبّه به الرؤية بالقلب بمعنى العلم .

والمُرائي : الذي يُري حال صلاحٍ ويُبْطِنُ خِلافها . والرِّئَـةُ ـ لأنّـها بمنزلة الآلة للقلب ـ: يرى بها .

والجَهْرَةُ والعَلانِيةُ والمُعايَنةُ نظائر .

تقول : جَهَرَ جَهراً ، وجاهَر مُجَاهَرةً وجِهاراً ، وتَجاهَروا تَجاهراً ، ورَجلٌ جَهِيرُ الصَّوت .

قال صاحب العين : جَهَرَ فلان بكلامِه ، وهو يَجْهَر بقِراءَتِه جِهاراً . وأَجْهَر بقراءته إجهارًا .

وجاهرتُم بالأمر جِهاراً ، أي : عالَنْتم به إعلاناً .

واجتَهَرَ القومُ فلاناً جِهاراً : إذا نظروا إليه .

وكلُّ شيءٍ يبدو فقد جَهَرَ .

ورجلٌ جهيرٌ : إذا كان في المنظرِ والجسمِ في الناس مُجْتَهَراً .

وكلامٌ جَهيرٌ ، وصوتٌ جَهيرٌ ، أي : عالٍ ، والفعل : منه جَهُر جَهارةً .

والجَهْوَرُ : هو الجَرِيءُ المُقْدِمُ الماضي ، والجَهْوَر : هو الصوتُ العالي .

---

(١) المتوفر لدينا من مجاميع شعره ـ ديوانه ، والنقائض بين جرير والفرزدق ـ خالية منه ، ولعله في النقائض بين جرير والأخطل . وانظر بعض مصادر اللُّغة الآتية حيث ذكر فيها منسوباً إليه .

(٢) لضبط المادة اللغوّية «رأى» روجعت المصادر التالية : العين ٨ : ٣٠٦ ، جمهرة اللُّغة ١ : ٢٣٤ ـ ٢٣٦ ، تهذيب اللُّغة ١٥ : ٣١٦ ـ ٣٢٦ ، المحيط في اللُّغة ١٠ : ٢٩٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٣٣٨ ، المخصّص ١ : ٢٠٠ وانظر الفهرس ، الصحاح ٦ : ٢٣٤٧ ، أساس البلاغة ١ : ٣١١ ، لسان العرب ١٤ : ٢٩١ ، وغيرها .

والجَوْهر: كلُّ حجارة يُستَخْرَجُ منها شيءٌ يُنْتَفَعُ بهِ.

وجَوْهرُ كلِّ شيءٍ: ما خُلِقَتْ عليه جِبِلَّته.

والشاة الجَهْرَاءُ: التي لا تُبصِرُ في الشمسِ، والكَبْشُ أَجْهَرُ.

وقال بعضهم: جَهَرْتُ البِئرَ: إذا أخرجتَ ما فيها من الحمأةِ والماء، وبئرٌ مَجهورَة.

والجَهْرُ: ضِدُّ السِّر.

وجَهَرِني الرجل: إذا راعَك جمالُه وهيئته.

ورَجلٌ جَهِير: ذو رُواء[1].

وأصلُ الباب: الظهور.

والجهرة تقتضي ظاهراً بعد أن كان خافياً؛ ليُدْرَك ما لم يكن قَبْلُ مُدْرَكاً.

ويستدلّ بالجهر على أنّهم أرادوا رؤية العين دون رؤية القلب.

وحقيقة الجَهْر: ظهور الشيء معايَنة.

والفرق بين الجَهْرة والمعايَنة: إنّ المعايَنَة ترجع إلى حال المُدرِك، والْجهرةَ ترجع إلى حال المُدرَك.

ومعنى قوله: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال ابن عبّاس: علانية.

---

(١) لضبط المادة اللّغوية «جَهَر» واشتقاقها اعتمدت المصادر التالية، على أنّ فيها مع الأصول بعض الاختلاف الذي لا يضر، العين ٣ : ٣٨٨، جمهرة اللُّغة ١ : ٤٦٨، تهذيب اللُّغة ٦ : ٤٨، المحيط في اللّغة ٣ : ٣٧٤، المحكم والمحيط الأعظم ٤ : ١٦٠، الصّحاح ٢ : ٦١٨، لسان العرب ٤ : ١٤٩، تاج العروس ٦ : ٢٢، الفروق اللُّغوية : ٢٣٧ ب ٢٧ وغيرها.

وقال قتادة: عياناً[١].

وقد تكون الرؤية غير جَهرة، كالرؤية في النوم والرؤية بالقلب. فإذا قال: جهرةً لم يكن إلّا رؤية العين على التحقيق دون التخيّل.

وسؤالهم الرؤية قال قوم: هو كفر؛ لأن إجازة الرؤية كفر.

وقال آخرون: ليس بكفرٍ؛ وإنّما إجازة الرؤية التي تقتضي التشبيه كفر.

فأمّا هذا القول منهم فكفر إجماعاً؛ لأنّه ردّ على الرسول، وكلّ مَن يلقى قول الرسول بالردّ من المكلّفين كان كافراً[٢].

وأمّا الصاعقة فإنّها تكون على ثلاثة أوجه:

أوّلها: الموت، كقوله: **﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ﴾**[٣]، وقوله: **﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾**[٤].

الثاني: العذاب، كقوله: **﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾**[٥].

والثالث: نار تسقط من السماء، كقوله: **﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾**[٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن عباس: ٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١١١ ت ٥٣٤ و٥٣٥، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٣، تفسير الوسيط ١: ١٤٠، منسوبة وغير منسوبة.

(٢) انظر ما تقدّم في تفسير: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ من الآية ٥٠ في صفحة ٢٥٤، وما بعدها.

(٣) سورة الزمر ٣٩: ٦٨.

(٤) سورة البقرة ٢: ٥٥.

(٥) سورة فصلت ٤١: ١٣.

(٦) سورة الرعد ١٣: ١٣.

وأكثر المُفسّرين على أنّ موسى لم يمت بالصاعقة كما مات من سأل الرؤية.

وقال شاذٌ منهم: إنّه مات بالصاعقة[١].

وقوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[٢]، أي: مغشيّاً عليه. عند أكثر المفسّرين[٣]. بدلالة قوله: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ والإفاقة لا تكون إلّا من الغَشْية دون الموت، ولو كان من الموت لقال: فلما حيي.

وقوله: ﴿جَهْرَةً﴾ مشتقّ من: جَهَرْتُ الرَّكِيَّة أجهرُها جَهْراً وجَهْرةً: إذا كان ماؤها قد غطاه الطين، فنُقّيت حتّىٰ ظهر الماء.

وقيل: أُخذ من قولهم: فلان مُجاهر بالمعاصي إذا كان لا يسترها[٤].

وإنّما قُرِّعوا بسؤال أسلافهم الرؤية من حيث أنّهم سلكوا طريقهم في المخالفة للنبيّ الذي لزمهم اتّباعه والتصديق بجميع ما أتى به، فجَرَوْا على عادة أسلافهم في ذلك الذين كانوا يسألون: تارة أن يجعل لهم إلٰهاً غير الله، ومرّة يعبدون العجل من دون الله، ومرّة يقولون: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، ومرّة يقولون: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَا إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[٥].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١١٣ ت ٥٤٥ و٥: ١٥٦١ ت ٨٩٥٥، ٨٩٥٦، معاني القرآن للنحاس ٣: ٧٥، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٠ و٥٦٨، تفسير النكت والعيون ٢: ٨٥٨، الوجوه والنظائر ٢: ١٠، تفسير الكشّاف ١: ٢٧١.

(٢) سورة الاعراف ٧: ١٤٣.

(٣) يلاحظ: معاني القرآن للنحاس ٣: ٧٥، تفسير السمرقنديّ ١: ٥٦٨، تفسير النكت والعيون ٢: ٢٥٨، إيجاز البيان للنيسابوريّ ١: ٣٤٠.

(٤) انظر: معاني القرآن للزّجّاج ١: ١٣٧، إعراب القرآن للنحاس ١: ٢٢٧، تفسير زاد المسير ١: ٨٣ نقله «عن الزجاج».

(٥) سورة المائدة ٥: ٢٤.

وقال الزجّاج: في هذه الآية دلالة على مشركي العرب الذين كانوا ينكرون البعث؛ لأنّ أهل الكتاب مع مخالفتهم للرسول يقرّون بأنّ الله أمات قوماً في الدنيا ثم أحياهم[1].

وعندنا إنّ نقل أهل الكتاب لمثل هذا ليس بحجّة، وإنّما الحجّة في إخبار الله على لسان نبيه وحده؛ إذ كان كلّما يخبر به فهو حقّ وصدق.

واستدل البلخيّ بهذه الآية على أنّ الرؤية لا تجوز على الله تعالى، قال: لأنّها إنكار تضمن أمرين: ردّهم على نبيهم. وتجويزهم الرؤية على ربّهم؛ يُبين ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[2] فدلّ ذلك على أنّ المراد إنكار الأمرين[3].

وهذه الآية تدلّ على أنّ قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[4] كان سؤالاً لقومه؛ لأنّه لا خلاف بين أهل التوراة أنّ موسى ما سأل الرؤية إلّا دفعة واحدة، وهي التي سألها لقومه.

وقوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ تعلّق بما يخبرهم به من صفات الله عزّ وجلّ؛ لأنّهم قالوا: لن نؤمن لك بما تخبرنا به من صفاته وما يجوز عليه حتّىٰ نراه.

وقيل: إنّه لمّا جاءَهم بالألواح وفيها التوراة قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١: ١٣٨ و٣٢٣.

(٢) سورة النساء ٤: ١٥٣.

(٣) انظر ما تقدّم حول النظر والرؤية في تفسير الآية ٥٠: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾، لعلّ فيه الكفاية.

(٤) سورة الأعراف ٧: ١٤٣.

بأنّ هذا من عند الله حتى نراه جهرةً[١].

ونرى على وزن نَفْعَلْ، وأصله نرأى، قال الشاعر:

أُرِيْ عَـيْنَيَّ مَـا لَـمْ تَـرْأَيَاهُ ... كِـلَانَا عَـالِمٌ بِـالتُّرَّهَاتِ[٢] [٢٥٤]

فجاء به على الأصل.

وقال آخر:

أَلَمْ تَرْءَ ما لَا قَيتُ وَالدَّهْـرُ أَعْـصُرٌ ... وَمَنْ يَتَملَّ العَيشَ يَـرْءَ وَيَسـمعُ[٣] [٢٥٥]

---

(١) أُشير إلى ذلك في تفسير جامع البيان ١ : ٢٣٢، تفسير بحر العلوم للسمرقندي ١ : ١٢٠.

(٢) للشاعر سُراقة البارقيّ في جملة أبيات قالها عندما أسره جُند المختار، فكانت سبب خلاصه.

المعنى: عندما مَثُل لدى المختار زَعم له مُقْسماً أنّه رأى الملائكة تُحارب في جبهته على خيل بلق. وعندما أطلقه هرب إلى البصرة وأنشد الأبيات مَكذِّباً يمينه فيها وما زَعمه أولاً.

الشاهد: استعمال «رأى» بتحقيق الهمزة «ترأياه».

هذا، والبحث طويل، وفيه معركة آراء، تجدها في مصادر اللّغة والأدب بعنوان: ما حُذف على خلاف القياس ولا دليل عليه إلّا السماع.

وقد رويت للبيت رواية أُخرى لا شاهد فيها وهي: «تبصراه» بدل «ترأياه»، وادُّعي أنّها رُويت من قبل البعض تخلّصاً من مشاكل البحث في ذلك.

انظر: الديوان: ٧٨، وأُنظر مصادر الهامش الآتي.

(٣) البيت للأعلم بن جرادة السعديّ، وقد اختلف في رواية شطره الأوّل، وهو كسابقه في الاختلاف حول همزة «رأى» إثباتاً وحذفاً، وفي المصادر توسعة للبحث.

المعنى: تَملّى: استمتع بالشيء حيناً، والملاوة ـ مثلّثة الميم ـ: المدة الطويلة. يريد أنّ منْ يعيش طويلاً تستجدّ له أشياء لم يكن عرفها من قبل.

الشاهد: استعمال الفعل «رأى» في الشطر الثاني على التحقيق.

للتوسعة في الموضوع، أُنظر: نوادر اللّغة: ٤٩٦ ـ ٤٩٧، المحتسب ١ : ١٢٩، دقائق التّصريف: ٤٢٣، أمالي الزجاجي: ٨٧ ـ ٨٨، سرّ صناعة الإعراب ١ : ٧٧، ☜

وإنّما دعاهم الى أن قالوا: ﴿جَهْرَةً﴾ من صفة السؤال على التقديم والتأخير، كأنّه قال: وإذ قلتم جهرة لن نؤمن لك حتى نرى الله[1].

وقال الأكثر: إنّها من صفة الرؤية. وهو الأقوى؛ لأنّ ما قالوه ترك الظاهر.

وتقدير التقديم والتأخير ليس هنا الى ذلك حاجة.

وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ يعني: ما نزل بكم من الصاعقة والموت.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آية (٥٦) آية بلا خلاف.

معنى قوله: ﴿بَعَثْنَـٰكُم﴾: أحييناكم، عند أكثر المفسّرين كالحسن وقَتادة وغيرهما.

وقال السُّدّي: بعثناكم أنبياء[2].

شرح شواهد الشافية «ضمن شرح الشافية» ٤ : ٣٢٩ ش ١٦٠، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٣٤٠، لسان العرب ١٤ : ٢٩٣ «رأى» فيهما.

(١) ذكر البحث هذا في التفاسير في موضعين: الأوّل هنا، والثاني في سورة النساء آية ١٥٣، وبعضهم أجمل في الأوّل وفصّل في الثاني، وآخرون عكسوا. انظر للمثال: أمالي السيد المرتضى ٢ : ٢١٥ ـ ٢٢٢، وانظر ما تقدّم عند تفسير الآية ٥٠ قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾، جامع البيان ١ : ٢٢٩، تفسير كتاب الله العزيز للهَواري ١ : ١٠٧.

(٢) ذكر ذلك أغلب المفسرين، انظر للمثال: تفسير جامع البيان ١ : ٢٣٠، تفسير الصنعاني ١ : ٢٧٠، تفسير بحر العلوم للسمرقندي ١ : ١٢٠، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٣، تفسير الوسيط ١ : ١٤٠، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٢٦، وغيرها كثير.

والأوّل أصحّ ؛ لأنّه ظاهر الكلام ، فلا يجوز العدول عنه .

وأصل البَعْثُ : إثارة الشيء من محلّه ، ومنه قيل : بعث فلان راحلته ، اذا أثارَها من مَبْرَكها للسيرِ .

ومنه قولهم : بعثتُ فلاناً لحاجتي : إذا أقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجّه فيها .

ومن ذلك قيل ليوم القيامة : يومُ البَعْثِ ؛ لأنّه يومٌ يثار الناسُ فيه من قبورهم لموقف الحساب .

والبَعْثُ والإِرْسَالُ والإطلاقُ نظائر ، يقال : بَعَثَ بَعْثاً ، وانْبَعَثَ انْبِعاثاً ، وتَبعّثتُ تَبعِثةً ، وبَعَثْتُهُ من نَوْمِهِ فانْبَعَثَ ، أي : نَبَّهْتَه فانتبَه .

وتقول : ضُرِبَ البَعْثُ على الجُنْد : إذا بُعِثُوا الى العَدُوّ . وكلّ قوم يُبعَثون الى وجهٍ أو في أمر فَهُمْ بَعْثٌ .

وأصلُ الباب : البَعْثُ ، وهو الإِرْسَالُ(١) .

وكلُّ باعِثٍ فاعلٌ ، فأمّا المبعوث فقد يكون فاعلاً وقد لا يكون ، يقال : بَعث اللهُ عليهم ريحاً فاقتلعتهم ، فالرّيح مَبْعوثَةٌ . ويقال : الشّهوة للشيء تبعث على الطّلب له .

فإنّ قيل : هل يجوز أن يردّ الله أحداً الى التكليف بعد أن مات وعاين ما يضطره الى معرفته بالله ؟

---

(١) «بعث» تجدها في مصادر اللّغة : العين ٢ : ١١٢ ، جمهرة اللّغة ١ : ٢٥٩ ، تهذيب اللّغة ٢ : ٤ ، المحيط في اللّغة ٢ : ١٣ ، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٩٦ ، الصحاح ١ : ٢٧٣ ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم : ١٣٢ ، لسان العرب ٢ : ١١٦ ، تاج العروس ٣ : ١٧١ .

قيل: في ذلك خلاف.

قال أبو علي: لا يجوز ذلك إلّا على من لم يضطره الله الى معرفته[١].

وقال بعضهم: يجوز التّكليف في الحكمة، وإن اضطر الى المعرفة[٢].

وقول أبي علي أقوى.

واعتلّ الرمّاني لأبي علي، بأن قال: لمّا كانت المعرفة أجلُّ الطاعات التي كُلّفها العبدُ كانت هي الغرض الذي يتبعه سائر الطاعات، فلو ارتفع الغرض ارتفع التابع له، كما أنّ الغرض في الشرائع الاستصلاح في الأُصول التي تجب بالعقل، فلو ارتفع ذلك الغرض ارتفع وجوب العمل بالشرع، وكما أنه لا يجوز تكليف الطاعة مع رفع التمكّن من المعرفة من غير ضرورة إليها.

قال: ووجه القول الثاني أنّه لمّا كان الشُّكر على النِّعمة يجب في المشاهِدِ مع الضرورة الى معرفة المنعم، كان الشُّكر للنِّعمة التي هي أجلّ من نعمة كلِّ منعم في الشّاهد أولى أن يجب مع الاضطرار الى المعرفة.

ولأبي علي أن يقول: لا نمنع من الوجوب؛ لكن لا يجوز التكلّف؛ لأنّ الغرض المعرفة، أي: هي أصل ما وقع التّكليف به للعباد.

---

(١) مؤلّفات أبي علي الجُبّائي مفقودة، وانظر: شرح الأُصول الخمسة للقاضي عبدالجبار: ٤٨ ـ ٦٠.

(٢) البحث عميق صعب، لا تفصح عنه مساحة الهامش، فالإشارة إلى المصادر للتوسعة أفضل، انظر: مصطلحات علم الكلام الإسلامي للدكتور دغيم ٢: ٧٢، كشاف اصطلاحات الفنون: ١١١٢، معجم العناوين الكلامية والفلسفية: ٨٧ و١١٨، شرح المصطلحات الكلامية: ٩٦ ت ٦٨٢، شرح المصطلحات الفلسفية: ١٨٧ ت ٧٩١، ومنها إلى غيرها.

والذي أقوله: إنّ الذي يُحيى بعد الإماتة؛ إنْ كان لم تخلق له المعرفة الضرورية لم يضطرّ إليها، فإنّه يمتنع تكليفه؛ لأنّ العلم بأنّ الإحياء بعد الإماتة لا يقدر عليه غير الله، طريقه الدليل وغوامض الاستدلال، فليس إحياؤه بعد الإماتة ما يوجب أن يكون مضطرّاً الى معرفته؛ فلذلك يصحّ تكليفه، وليس الإحياء بعد الإماتة إلّا كالانتباه من النّوم والإفاقة بعد الغشية، فإنّ ذلك لا يوجب علم الاضطرار.

وإن فرضنا أنّه خلق فيه المعارف ضرورة، فلا يحسن تكليفه؛ لأنّ حسن التكليف موقوف على إزاحة علّة المكلَّف من فعل اللُّطف والإقدار وغير ذلك، ومن جملة الألطاف تكليفه للمعرفة، والضرورية لا تقوم مقامها على ما بيّناه في الأُصول[١]. وإذاً لا يحسن تكليفه؛ لأنّه يصير مكلّفاً ولم يفعل به ما هو لطف له، وذلك لا يجوز[٢].

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ معناه: لكي تشكروا، وهذه لام الغرض.

وفيه دليل على فساد قول المجبّرة: إن الله تعالى ما أراد من الكفّار الشكر؛ لأنّه لو أراد كفرهم، لقال: لتكفروا، وذلك خلاف القرآن.

---

(١) انظر: تمهيد الأُصول: ١٥٧ وما بعدها و٢٨٨. وانظر الهامش الآتي.

(٢) البحث هذا راجع إلى البحث المفصّل في التكليف وشرائطه والمكلِّف والمكلَّف والمكلَّف به ـ وكذا البَعْثُ والرجعة، وسيشار إلى مصادرهما قريباً عند تعرّض المصنّف‏ﷺ لهما ـ والبحث طويل عريض، الإشارة إلى مصادره الميّسرة للوصول إلى الموضوع أفضل وأيسر لمن أراد التفصيل.

انظر: موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي ١: ٣٥١ ـ ٣٧٧، معجم العناوين الكلامية والفلسفية: ٤٤ و٢٧، شرح المصطلحات الكلامية: ٨٠ ت ٣١٠ فقائمتهما غنية بالمصادر، ولعلّك من خلالها تصل إلى غيرها.

بحث الرجعة :

ومن استدل بها على جوازها [الرجعة] كان صحيحاً ؛ لأنّ من منع منه وأحاله فالقرآن يُكذِبه ، وإن استدلّ به على وجوب الرجعة وحصولها فلا يصحّ ؛ لأن إحياء قوم في وقتٍ ، ليس بدلالة على إحياء آخرين في وقتٍ آخر ، بل ذلك يحتاج الى دلالةٍ أُخرى .

وقول من قال : لا تجوز الرجعة ـ لأنّ ذلك معجزة ، ودلالة على نبوّة نبيّ ، وذلك لا يجوز إلّا في زمن نبي ـ غير صحيح ؛ لأنّ عندنا يجوز إظهار المعجزات على يد الأئمة والصالحين . وقد بيّناه في الأُصول[1] .

---

(١) أي : أُصول الدين .

والمعجزة : في اللّغة نقيض القدرة مشتقّة من العجز .

وفي الاصطلاح الكلاميّ : ثبوت ـ أو حصول ـ ما ليس بمعتاد ، أو نفي المعتاد مع خرق العادة فيهما ، ومطابقة الدعوى على شروط ذُكرت في محلها .

وظهور المعجز على يد الأنبياء مورد وفاق ، بل إجماع ولا يُشكّ فيه .

وأمّا على يد غيرهم ـ كالأئمة والصالحين ـ إثباتاً لهم أو دعماً لمكانتهم فأجازه كثيرون ، وخالف فيه قلّة .

فقد أجازه الإمامية والأشاعرة وقسم من المعتزلة ، وخالف فيه القسم الآخر منهم .

ولكلٍّ دليل يحتاج إلى تفصيل لا يسعه المورد هذا ، فالإشارة إلى موارده ـ تسهيلاً للمراجع ـ أفضل ، انظر للمثال : المصنّفات التي تعرّضت لبحث النبوّة من الكتب الكلامية فالبحث هذا غالباً مطروح فيها ، فللشيعة مثلاً : أوائل المقالات للشيخ المفيد ﵀ : ٧٨ ؛ الذخيرة للشريف المرتضى ٢ : ٦٣٤ ؛ تلخيص الشافي ١ : ١٣٢ تمهيد الأُصول : ٣١٤ ، عدّة الأُصول ٢ : ٦٣٤ ، الاقتصاد : ١٥١ وما بعدها وهذه الأربعة للشيخ الطوسي ﵀ ، كشف المراد : ٣٨٧ ، أنوار الملكوت : ١٨٧ وهما للعلّامة الحلي ، اللّوامع الإلهية في المباحث الكلامية : ٢٨١ وما بعدها .

ومن ادّعى قيام الحجّة بأنّ الخلق لا يُرَدّون الى الدنيا ـ كما علمنا أنْ لا نبيَّ بعد نبيّنا ـ مقترح مدع لما لا دليل على صحّته ، فإنّا لا نخالف في ذلك .

وقال البلخي : لا تجوز الرّجعة مع الإعلام بها ؛ لأنّ فيها إغراء بالمعاصي من جهة الاتّكال على التوبة في الكرّة الثانية[1] .

قال الرمّاني : هذا ليس بصحيح ؛ مِنْ قِبَل أنّه لو كان فيها إغراءً

✍ وللزيادة والتتبّع للمذاهب الأُخرى وغيرها خير معين : موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي ٢ : ١٢٥٠ و١٣٦٣ وما بعدها مدخلي «معجزة ، ونبوة» ، شرح المصطلحات الكلاميّة : ٣٣٣ ت ١٢٠٠ ، معجم العناوين الكلامية والفلسفية : ١٢١ ، شرح المصطلحات الفلسفيّة : ٣٧٣ . وراجع موسوعة المواضيع في المصادر الإسلاميّة للسيّد عاشور ١: ٣٨٩، مفاهيم القرآن للشيخ السبحاني ٤: ٧٦، وغيرها كثير.

(١) الرّجعة : من المفردات التي لها تفسيرها الخاص بها لدى الشيعة الاثنى عشرية ، والتي أضحت تفسَّر حسب أهواء الآخرين بالتناسخ وهو ما لم يخطر على بال أحد من الشيعة ؛ وذلك للتّشنيع عليهم ليس إلّا ، وهذا التفسير بعيد كلّ البعد عن روح عقيدة الشيعة ومرادهم من هذه المفردة ؛ إذ هم ينفون وبشدة التّناسخ ، ويردّون على من يقول به ، ولدى سبر كتبهم الكلاميّة تجدهم يعرّفون الرَّجعة : بأنّها عودُ الروح إلى البدن الذي خرجت منه ، وهي لطائفة قليلة معينة ـ ممّن مُحِّض الإيمان ـ وذلك قبل يوم القيامة ، ثمّ موتهم مرّة أُخرى وحشرهم للقيامة . ومنْ سَبر زبرهم الكلامية والروائية يَرىٰ أنّ الرّجعة أمر ، والتّناسخ آخر . ولا ينكر ذلك إلّا مكابر مريض ؛ لعدم تحقّق أركان التّناسخ في الرّجعة ، من التعدّد وتراجع النّفس عن كمالها وغير ذلك .

وللتفصيل راجع الفهارس الآتية ؛ إذ أنّها خير معين لمزيد التوسعة انظر : معجم العناوين الكلامية والفلسفية : ٣٧ ، شرح المصطلحات الكلامية : ١٥٥ ـ ٥٥٨ ، موسوعة المواضيع في المصادر الإسلامية ١ : ٢٣٠ . وانظر بحوث في الملل والنّحل للشيخ السبحاني ٦ : ٣٦٣ ، الرّجعة للشهيد الاسترآبادي ، ومقدّمة الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرّجعة تحقيق السيّد عبدالكريم الموسوي فقد ضمّنها ثبتاً بمصادر اختصّت بالبحث .

بالمعصية لكان في إعلام التبقية الى مدّة إغراءً بالمعصية ، وقد أعلم الله تعالى نبيهَ وغيرَه - إبليس - أنّه يبقيه الى يوم يبعثون ، ولم يكن في ذلك إغراء بالمعصية .

وعندي : إنّ الذي قاله البلخي ليس بصحيح ؛ لأنّ مَن يقول بالرَّجعة لا يقطع على أنّ النّاس كلّهم يرجعون ، فيكن في ذلك اتّكال على التوبة في الرَّجعة فيصير إغراء ، فلا أحد من المكلّفين إلّا ويجوز أن لا يرجع ، وإن قطع على الرَّجعة في الجملة . ويجوز أن لا يرجع يكفي في باب الزجر .

وأمّا قول الرمّاني : إنّ الله تعالى أعلم أقواماً مدّة مقامهم ؛ فإنّ ذلك لا يجوز إلّا فيمن هو معصوم يؤمن من جهته الخطأ كالأنبياء ومن يجري مجراهم في كونهم معصومين ؛ فأمّا من ليس بمعصوم ، فلا يجوز ذلك ؛ لأنّه يصير مُغْراً بالقبيح .

وأمّا تبقية إبليس - مع إعلامه أنّه يبقيه الى يوم الدّين - ففيه جوابان :

أحدهما : إنّه إنّما وعده قطعاً بالتبقية بشرط ألّا يفعلَ القبيح ، ومتى فعل القبيح حقّ[1] اخترامه عَقِبَه ؛ فلا يكون مغرىً .

والثاني : إنّ الله قد علم أنّه لا يزيد بهذا الإعلام فعل قبيح ، لولاه لما كان يفعله ؛ وفي ذلك خروجه من باب الإغراء .

وقد قيل : إنّ إبليس قد زال عنه التكليف فقد خرج عن حدّ التكليف ، وإنّما مكّنه الله من وسوسة الخلق ؛ تغليظاً للتكليف ، وزيادة في مشاقّهم ، ويجري ذلك مجرى زيادة الشهوات أنّه يحسن فعلها إذا كان في

---

(١) في «خ» جوّز ، وعموماً الجملة - إلى قوله : مغرىً - في النسخ مضطربة ضبطت تلفيقاً بينها .

خلقها تعريض للثواب الكثير الزائد .

قوله جلّ وعزّ:

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ آية (٥٧) آية بلا خلاف .

قوله : ﴿وَظَلَّلنَا﴾ عطف على قوله : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ وكأنّ التقدير : ثمّ بعثناكم من بعد موتكم وظَلَّلنا عليكم الغمامَ .

والظُّلَّةُ[1] والغَمامَةُ والسَّتْرَةُ نظائر في اللّغة ، تقول : ظَلَّ يَظَلُّ ظُلُولاً ، وأظلّ إظلالاً ، واستظلّ استظلالاً ، وتَظَلَّل تَظَلُّلاً ، وظَلَّلَهُ تَظْلِيلاً .

قال صاحب العين : تقول : ظَلَّ فُلانٌ نهارَه صائماً ، ولا تقول العرب ظلّ إلّا لكلِّ عملٍ بالنّهار ، كما لا يقولون : باتَ يبيتُ إلّا باللَّيلِ ، وربّما جاءَ ظَلَّ في أشعارهم نادراً .

ومن العرب من يحذف لامَ ظَلِلْتُ ونحوها .

فأمّا أهلُ الحِجاز فيكسِرونَ الظاءَ على كسرة اللّام التي أُلقيت ، فيقولون : ظِلْنا وظِلْتم ، وتميم تدع الظاءَ مفتوحة على حالها ، كقوله : ظَلْنا وظَلْتُم كما قال تعالى : ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[2] . والمصدر الظُّلول ، فالأمر فيه : اَظْلَل .

---

(١) ما جاء في الحروفيات : الظلمة ، غلط يدل عليه ما بعده وقبله الآية الكريمة .

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٦٥ .

والظِّلُّ ضِدُّ: الضَّحِّ، ونقيضُه: سوادُ اللَّيل يُسمى ظِلّاً[١]، وجمعه ظِلال، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾[٢] يعني اللَّيْلَ. والظِّلُّ في كلام العرب: هو اللَّيْلُ، وتقول: أَظَلَّتْنِي هذه الشجرةُ إظلالاً، والمكان الظَّلِيلُ: الدائمُ الظِّلِّ، وقد دامت ظلاله.

والظُّلَّة كهيئة الصُّفّة، وقوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾[٣] يقال: هو عذاب يوم الصُّفَّة.

والمَظَلَّةُ: البُرْطُلَّةُ.

والإظْلالُ: الدُّنُوُّ، يقول: قد أَظَلَّكَ فُلانٌ، أي: كأنّه أَلْقى عَلَيْكَ ظِلَّهُ مِنْ قُرْبِهِ.

وتقول: لا يُجاوز ظِلِّي ظِلَّكَ.

ومُلاعِبُ ظِلِّهِ: طائر يُسمَّى بذلك.

والأظَلُّ: باطِنُ مَنْسِمِ البَعِيرِ، وجمعه أظْلَالُ، قال الشاعر:

يشكو الوجى مِن أظللٍ وأظللِ[٤] [٢٥٦]

---

(١) العبارة صحِّحت تلفيقاً بين النسخ وبمساعدة بعض مصادر اللّغة التي يشار إليها، وما جاء في الحروفيات ـ القبح، الصبح ـ فلا يمكن المساعدة عليه وهكذا باقي العبارة.

(٢) سورة الفرقان ٢٥ : ٤٥.

(٣) سورة الشعراء، ٢٦ : ١٨٩.

(٤) رجز للعجّاج بن رؤبة التميمي ب ٨٧ ت ١٢ في الديوان ١ : ٢٣٦. وقبله:

لا تَحْفِلُ الزَّجْرَ ولا قِيلَ حَلِ

الشاهد فيه: أظللٍ، وهو ما تحت المَنْسم للبعير كالظفر للإنسان، وأصله: «أظَلّ»، وجاء به على الفكّ للضرورة.

استشهد به جمع في مؤلّفاتهم انظر: الخصائص ١ : ١٦١، شرح الشافية ٣ : ↵

يعني منْ أظَلَّ وأظلّ ، فأَظْهر التَّضعيف بضرورة الشعر ، قال لبيد :

. . . . بِنَكيِبٍ مَعِرٍ دامِيَ الأظَلّ[1] [٢٥٧]

أراد بخفٍّ نكيبٍ ، أي : منكوب نكبته الحجارة ، معِرٍ : ساقط الشعر أملس .

والظِّلُّ : لون النَّهار تَغلِبُ عليه الشَّمْسُ .

وقال رُؤبةُ : كُلُّ موضعٍ تكونُ فيه الشَّمْسُ فتزُولُ عنه ، فهو ظِلٌّ وفيءٌ يقالان جميعاً ، وما سوى ذلك يقال له : ظِلّ ، ولا يقال فيه : الفَيءَ .

والظِّلُّ الظَّلِيْلُ : الجَنَّةُ ، قال الله تعالى : ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾[2] .

والظِّلُّ : الخَيَالُ الذي يُرى من الجِنِّ وغَيْرِه .

والمِظَلَّة ـ أيضاً ـ : تُتَّخذُ من خَشَبٍ أو غيره يُستَظَلُّ به .

والظِّلّ : المَنَعَةُ والعزّ ، كذا ذكر ابن دُريد ، يقال : فلان في ظِلّ فلان ، أي : في عزّه[3] .

وأصل الباب : التَّظليلُ ، وهو الستر .

---

٢٤٤ و«ظَلَلَ» في معجم مقاييس اللّغة ٣ : ٤٦٢ ، الصحاح ٥ : ١٧٥٦ ، لسان العرب ١١ : ٤٢٠ .

(١) البيت ٧ من القصيدة ٢٦ في الديوان : ١٧٤ ط الكويت وانظر الشاهد المتقدِّم ، وصدره .

وتصك المَرْوَ لما هَجَّرَتْ ....

الشاهد فيه : «الأظَلّ» حيث جاء بها على الأصل في الإدغام .

(٢) سورة النساء ٤ : ٥٧ .

(٣) لمراجعة مادة «ظَلَلَ» في مصادر اللّغة المشار إليها وغيرها انظر : العين ٨ : ١٤٨ ـ ١٥٠ ، جمهرة اللّغة ١ : ١٥٣ ، تهذيب اللّغة ١٤ : ٣٥٧ ، المحيط في اللّغة ١٠ : ٩ ، معجم مقاييس اللّغة ٣ : ٤٦١ ، الصحاح ٥ : ١٧٥٥ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٣ ، لسان العرب ١١: ٤١٥ ، تاج العروس ١٥ : ٤٥ .

والإِظلالُ : الدُّنو ، كدنوِّ الساتر .

وحدّ التَّظليل : الستر من عُلُوّ[١] .

والغَمامُ : السَّحابُ ، والقِطعةُ منها غمامَةٌ .

تقول : يَوْمٌ غَمٌّ ، ولَيْلَةٌ غَمَّةٌ ، وأمْرٌ غامٌّ .

ورجلٌ مغمُومٌ ، ومُغْتَمٌّ : ذو غَمٍّ .

وفلانٌ في غُمَّةٍ من أمره إذا لم يَهتْدِ له . والغَمّاءُ : الشَّدِيدةُ من شَدائِد الدَّهْرِ .

ورَجُلٌ أغَمُّ ، وجَبْهَةٌ غَمّاءُ : كثيرةُ الشَّعر ، تقول منه : غَمَّ يَغَمُّ غَمَماً . وكذلك في القَفا ، قال الشاعر :

فلا تَنْكِحي إنْ فَرَّقَ الدَّهرُ بيَننَا ... أغَمَّ القَفَا والوجْهِ ليس بأنْزَعَا[٢] [٢٥٨]

والغَمِيْمُ : الغَمِيْسُ : وهو لَبَنٌ يُسَخَّنُ حتى يَغْلُظ .

والغَمُّ : ضِدُّ الفَرَح ، والغُمّة : الغِطاءُ على القلبِ من الغَمِّ .

والغُمّة : الضيقة ، تقول : اللّهم احسر عنّا هذه الغُمّة ، أي : الضيقة .

---

(١) اختلفت النسخ في ضبط هذه الكلمة ـ عُلوّ ـ بين : «علٍّ ، وعلة ، وعله ، عَلُ» ولم نجد في المصادر اللّغوية ما يشفي ويعين ، والمثبت هو المظنون ، علىٰ أنّ الجميع متقاربة المعنى ؛ إذ لعلّه للمقابلة مع الستر ؛ لأنّه التغطية عن قرب وهذا من عُلُوّ .

(٢) البيت لهُدْبَةَ بن الخَشْرَمْ العُذريّ ، من قصيدة متفرّقة الأبيات جَمَّعها د . الجبوري في الديوان الذي صنعه له ، مع ما روي من اختلاف في بيت الشاهد ، ولعلّه ممّا لا يضرّ محل الشاهد .

المعنى : الغمم : انسبال الشعر حتى يضيق به الوجه والقفاء . الأنزع : المنحسر مقدّم شعر الرأس عن جانبيّ الجبهة ، والعرب تتيمن بالأنزع وتتشاءم من الأغم ، وترى في الغَمَمِ اللؤم .

انظر : ديوان هدبة بن الخشرم العذري (صنعة الدكتور يحيى الجبوري) : ١١٤ ق ٢٩ ب٦ ومصادره .

وغَمَّ الهِلالُ : إذا غَطّاه الغيمُ ، وكُلّ شيءٍ غَطَّيتَه فقد غَـمَمْتَه ولذلك سُمّي الرُّطَبُ : المَغموم ؛ وهو الذي يوضع في جَرَّة ، وهو بُسر ، ثم يُغطّى حتى يَرطب .

والغَمامُ اشتقّ من هذا ؛ لأنّه يُغطّي السماءَ .

ورَجُلٌ أَغمّ ، وامرأة غَمّاء : إذا دنا قصاص الشعر من حاجبيه حتى يغطّي جبهته ؛ وكذلك هو في القَفا[١] .

وأصلُ الباب : الغِطاءُ .

والغَمامُ الذي ظلّل على بني إسرائيل ، قال ابن عبّاس ومجاهد : لم يكن بالسَّحاب ، ولكنّه الذي عنى في قوله : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُـلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[٢] ، وهو الغمام الذي أتت فيه الملائكة يوم بدر ، ولم يكن لغيرهم .

قال ابن عبّاس : وكان معهم في التِّيه .

وقيل : هو ما ابيضَّ من السحاب[٣] .

---

(١) مادة «غَمَمَ» لغة تجدها في المصادر التالية : العين ٤ : ٣٥٠ ، تهذيب اللّغة ١٦ : ١١٥ ، جمهرة اللّغة ١ : ١٦٠ و٢ : ٩٦٣ ، المحيط في اللّغة ٤ : ٥٢٢ ، الصحاح ٥ : ١٩٩٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ٥ : ٣٧٧ ، لسان العرب ١٢ : ٤٤١ ، تاج العروس ١٧ : ٥٢٢ .

(٢) سورة البقرة ، ٢ : ٢١٠ .

(٣) الأقوال أُشير إليها في : تفسير جامع البيان ١ : ٢٣٣ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٤ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١١٣ ت ٥٤٧ ، تفسير ابن أبي زَمَنين ١ : ١٤١ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢٠ ، تفسير معالم التنزيل ١ : ٨٦ و٢٧٠ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٢٧ ، تفسير ابن عباس : ٩ .

وأمّا المَنّ :

قال ابن عبّاس : هو المَنّ الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر .

وقال قَتادة : كان المَنّ ينزل عليهم مثل الثلج .

وقيل : هو عسل . وقيل : خبز مرقّق . وقيل : هو الزنجبيل . وقيل : هو الترنجبين[١] .

وقال الزجّاج : جملة المَنّ ما مَنّ الله به عزّ وجلّ على عباده ممّا لا تعب فيه ولا نصب . وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : «الكمأة من المَنّ وماؤها شفاء للعين»[٢] .

قال بعض أهل العلم : يعني بمائها : الوَسمِيّ الذي يكون منه الكمأ ؛ وهو أوّل مطر يجيء في الخريف[٣] .

وقيل : هو الذي يسقط على الثُّمام والعُشَر حلوٌ كالعسل . وإيّاه عنى

---

(١) تجد الآراء في : تفسير مجاهد : ٢٠٣ ، معاني القرآن للفرّاء ١ : ٣٧ ، تفسير عبدالرزاق ١ : ٢٧١ ، معاني القرآن للزجاج ١ : ١٣٨ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١١٤ ـ ١١٥ت ٥٥٥ ـ ٥٥٨ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٠ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٤ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٢٧ ، إضافة إلى قصص الأنبياء للثعلبي : ٢٤٤ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١ : ١٣٨ ، وأمّا الرواية فكتب التفسير والحديث غنيّة بها ، انظر : صحيح البخاري (كتاب الطب) ٧ : ١٦٤ ، صحيح مسلم ٣ : ١٦١٩ ت ٢٠٤٩ ، مسند أحمد ١ : ١٨٧ ٢ : ٣٥٦ و٣٥٧ و٤٩٠ و٣ : ٤٨ ، سنن الترمذي ٤ : ٤٠٠ ب ٢٢ ح٢٠٦٦ ، سنن ابن ماجة ٢ : ١١٤٢ ك الطب أحاديث ب ٨ وغيرها .

(٣) كذا في النّسخ والمطبوعات ، وأمّا في مصادر اللّغة فبعضها مصرِّح بأنّه مطر الربيع الأوّل ، وبعضها عام ، وعموماً هي لا تساعد على ذلك انظر : العين ٧ : ٣٢٢ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٨٦٢ ، تهذيب اللّغة ١٣ : ١١٤ ، المحيط في اللّغة ٨ : ٤٠٥ ، الصحاح ٥ : ٢٠٥١ ، المحكم والمحيط الاعظم ٨ : ٦٢٨ ، المخصّص ٤ : ٣٥٤ ، لسان العرب ١٢ : ٦٣٦ .

الأعشىٰ في قوله:

لَوْ أُطْعِمُوا المَنَّ والسَّلْوَىٰ مَكَانَهُمُ ... مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْماً فِيهم نَجَعا[١] **[٢٥٩]**

وجعله أُميّة بن أبي الصلت في شعره عسلاً، فقال:

ورأى الله أنّهم بمضيّعٍ ... لا بذي مَزْرعٍ ولا مَعمورا **[٢٦٠]**

فنساها عليهم غادياتٍ ... ومرى مُزنَهمْ خلايا وخورا

عسلاً ناطفاً وماءً فُراتاً ... وحليباً ذا بهجةٍ مزمورا[٢]

النّاطف: القاطر، المزمور: الصافي من اللّبن.

والمَنُّ: قَطْع الخَير، قال الله تعالى لهم: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٣]، أي: غيرُ مَقْطوع.

والمَنُّ: هو الإحسان إلى من لا يَسْتَثيبُه، والاسم هو المِنّة، والله

---

(١) البيت ٦٤ من القصيدة ١٣ من الديوان: ١٥٩، والتي يمدح فيها هوذة ويعدّد مآثره فيها وقومه.

الشاهد فيه: استعماله «المَنّ» وإرادة النّدى ـ الطَّلّ ـ الذي ينزل من السماء ومن ثمّ ينعقد حلواً عسلاً، وقيل: كالعسل، فيأكل.

(٢) من قصيدة يذكر فيها فرعون وما جرى معه.

المعنى: المضيّع: دار ضياع وهوان. المعمور: الآهل. فنساها: من نسأ الدّابة زجرها وساقها. غاديات: السُّحُب والغيوم، مرى: كلمة تقال للناقة لتدرّ الحليب، وقيل: مع مسح ضرع النّاقة لتدرّ، وهنا كناية عن استنزال المطر. المُزَنْ: جمع مُزنة وهي السّحابة الممطرة. خلايا: النوق التي تخلّى للحلب فقط. ناطفاً: سائلاً، وهو الذي ينزل من السماء، أي: يقطر.

الشاهد فيه واضح ظاهر.

انظر: الديوان ٧٧ ق ٦١ ب٧ ـ ٩، وأُمية بن أبي الصلت حياته وشعره: ٢١٩. ولاحظ تعليقات محمود شاكر حول بيت الشاهد في جامع البيان ٢: ٩٤ ـ ٩٥.

(٣) سورة التين، ٩٥: ٦.

تعالى المنّان علينا والرحيم بنا .

والمُنّة : قوةُ القلب ، يقال : فلان ضعيف المُنّة ، ويقال : ليست لقلبه مُنّة . والمَنُون : الموت ، اسم مؤنث . قال ابن دريد : مَنَّ يَمُنُّ مَنّاً إذا اعتقد مِنَّةً ، ومَنَّ عليه بيدٍ أسْداها إليه إذا قَرَّعَهُ بها[1] .

وأصل الباب : الإحسان . فالمَنُّ الذي كان يَسقُطُ على بني إسرائيل ممّا مَنّ الله عليهم ، أي : أحسن به إليهم .

وأمّا «السَّلْوَى» فقال ابن عبّاس : السُّماني .

وقيل : طائر كالسُّماني .

وواحد السَّلوى ، قال الأخفش : لم أسمع له بواحد ، قال : ويجوز أن يكون واحده سَلْوى مثل جماعته ، كما قالوا : دِفْلَى للواحد والجماعة[2] .

وقال الخليل : واحده سَلْواة ، قال الشاعر :

. . . . كما انتفض السلواة بلّله القطر[3] [٢٦١]

---

(١) ما أُشير إليه من المعاني اللّغوية تجده في : «مَنَنَ» من العين ٨ : ٣٧٤ ، جمهرة اللّغة ١ : ١٧٠ ، تهذيب اللّغة ١٥ : ٤٧٠ ، المحيط في اللّغة ١٠ : ٣٩٠ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٤٦٨ ، الصحاح ٦ : ٢٢٠٧ ، لسان العرب ١٣ : ٤١٥ . ولأنّها من الأضداد اُنظر : الأضداد للأنباري ١٥٥ ت ٩٥ ، الأضداد في كلام العرب ٢ : ٦١٨ ، والأضداد للتوزي (ضمن ثلاثة نصوص في الأضداد) : ٨٠ .

(٢) انظر : صحيفة علي بن أبي طلحة : ٨٣ و٣٤٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١١٥ ت ٥٦٠ ، قصص الأنبياء للثعلبي : ٢٤٤ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٢ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٤ ، تفسير السمعاني ١ : ٨٢ ، غريب القرآن لابن قتيبة : ٥٠ . وللأخفش معاني القرآن ١ : ٢٦٨ بتصرّف . وانظر معجم حياة الحيوان للملكي ١٣ : ٤٠٨ و٤١٢ ، حياة الحيوان ١ : ٥٦٢ ـ ٥٦٣ ، المخصص لابن سيده ٤ : ٢١٦ و٢٢٠ .

(٣) وصدره :

ويقال: سَلا يَسلو فلانٌ عن فلان، إذا تسلّى عنه، وفلان في سَلْوةٍ من العيش: إذا كان في رغد يُسلّيه الهمّ.

والسُّلْوان: ماءٌ مَنْ شَرِبهُ ذهبَ غمّه على ما يقال، ويقال: هذا مثل يضرب لمن سلا عن شيء يقال: سُقي سلوةً وسلواناً.

وقال ابن دُريْد: سَلا يَسْلو أسْلُو سَلْواً وسَلوّاً وسَلْوَةً.

والسُّلْوانَةُ: خرزة زعموا أنّهم إذا صبّوا عليها الماء فسقي منها الرجل سَلا[1].

وأصلُ الباب: السُّلُوّ، وهو زوال الهمّ.

وكان سبب إنزال المَنّ والسّلوى عليهم أنّه لما ابتلاهم الله تعالى بالتيه، حين قالوا لموسى: ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ**﴾[2] فأمرهم بالمسير إلى بيت المقدس، فلمّا ساروا تاهوا في قدر

↩

وإنّي لتعروني لذكراك هزة ....

والبيت لأبي صخر الهذلي، ومصادر الأدب واللّغة مليئة به على اختلاف في ضبط محلّ الشاهد بدل السلواة: العصفور ولا يبقى معه محلّ للشاهد.

انظر لرواية المتن: العين ٧: ٢٩٧، ويبدوا أنّه مصدر الاختلاف حيث كلّ من اعتمده رواه على منواله، اُنظر: تفسير الوسيط ١: ١٤٢، الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٠٨، فتح القدير ١: ٨٨، وبعد العين تهذيب اللّغة ١٣: ٦٩ ونسب ذلك إلى الليث، وأمّا باقي مصادر اللّغة والأدب فلعلّه مجمعة على الرواية الثانية، وخير من أشار إلىٰ مواردها معجم الشواهد العربية ٣: ٢٧١.

(١) المادة «سَلَوَ» انظر: العين ٧: ٢٩٧، جمهرة اللّغة ١: ٨٦ و١٠٧٣، تهذيب اللّغة ١٣: ٦٨، المحيط في اللّغة ٨: ٣٧٨، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٦١٠، الصحاح ٦: ٢٣٨٠، لسان العرب ١٤: ٣٩٤ وفيه «سلا».

(٢) سورة المائدة ٥: ٢٤.

خمس فراسخ أو ستّة ، كلّما أصبحوا ساروا غادين فأمسوا ، فإذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه ، فلم يزالوا كذلك حتى تمّت أربعين سنة ، تفضّل عليهم في تلك الحال وأحسن إليهم ، وأنزل عليهم المَنّ والسّلوى ، فكانت ريح الجنوب تحشره عليهم .

قال ابن جُريج : كان الرَّجُل إذا أخذ من المَنّ والسّلوى زيادة على طعام يومٍ واحدٍ ، فَسدَ ، إلّا يوم الجمعة فإنّهم إذا أخذوا طعامَ يومين لم يفسد[١] .

وموضع ﴿كُلُواْ﴾ : نصبٌ على وقلنا كلوا ، كذا قال الرمّاني[٢] .

وقيل في معنى «الطيّبات» قولان :

أحدهما : إنّه المشتهى اللذيذ .

والثاني : إنّه المباح الحلال الذي يُستلَذّ أكله[٣] .

وقوله : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ :

إنّما يتّصل بما قبله بتقدير محذوف ، كأنّه قال : فخالفوا ما أمر الله به ، أو كفروا هذه النعمة .

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ : قال ابن عبّاس : وما نقصونا ولكن كانوا أنفسهم

---

(١) أشارت إلى ذلك أغلب التفاسير اُنظر للمثال : تفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٤١ ، تفسير كلام الله العزيز للهوّاري ١ : ١٠٨ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٤ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٢٨ وغيرها .

(٢) مؤلّفاته القرآنية لم تر النور بعد ، وانظر : تفسير بحر العلوم للسمرقندي ١ : ١٢٠ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٢٩ ، وتفسير الكشف والبيان ١ : ٤٠١ بلا نسبة فيهما . وكذا تفسير الوسيط ١ : ١٤٢ .

(٣) أشار إلى ذلك الماوردي في تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٥ ، والأندلسي في تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٢٩ ، وانظر : تفسير جامع البيان ٧ : ٦ - ٧ .

ينقصون .

وقال غيره : معناه وما ضرّونا ولكن كانوا أنفسهم يضرّون[١] .

قال أبو علي : الظلم : هو الضرر الذي لا يستحقّه المضرور ممّن قصده ، وليس للمضرور فيه نفع .

وقال الرمّاني : حقيقته الضرر القبيح .

والصحيح في حقيقة الظلم ما ذكرناه فيما مضى ، هو : الضرر الذي لا نفع فيه يوفىٰ عليه ، ولا دفع ضرر أعظم منه عاجلاً وآجلاً ، ولا يكون واقعاً على وجه المدافعة[٢] .

فأمّا ما قاله الرمّاني فهو حدّ الشيء نفسه ؛ لأنّ السؤال باقٍ . ولقائل أن يقول : وما الضَّرَرُ إلّا القبيح ؛ لأنّ كونه قبيحاً حكم من أحكامه فلابدّ من بيان ذلك حينئذٍ .

وما ذكره أبو علي ينتقض بالألم الواقع على وجه المدافعة ، وبالألم الذي فيه وجه ضرر أعظم منه عن الضرورة ، وبالضرر الذي فيه نفع يوازيه[٣] .

---

(١) تجد الآراء في : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١١٦ ، تفسير الهوّاري ١ : ١٠٩ ، تفسير مقاتل ١ : ١٠٩ و٣ : ٦٩ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢١ ، تفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٤٢ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٢ ، تفسير السمعاني ١ : ٨٢ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٢٩ ، وانظر عرائس المجالس : ٢٢٤ ، الوجوه والنظائر : لهارون : ١٠٠ ، وللدامغاني : ٥٣٨ .

(٢) لعلّه إشارة إلى ما أورده في كتابيه تمهيد الأُصول : ٢٢٥ ، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد : ٨٣ ، وانظر ما تقدم في تفسير الآية ٣٥ صفحة : ٨٣ .

(٣) اختلفت المدارس الكلامية الإسلامية في المراد من الظُّلم ، فكلّ فسّره حسب ما ←

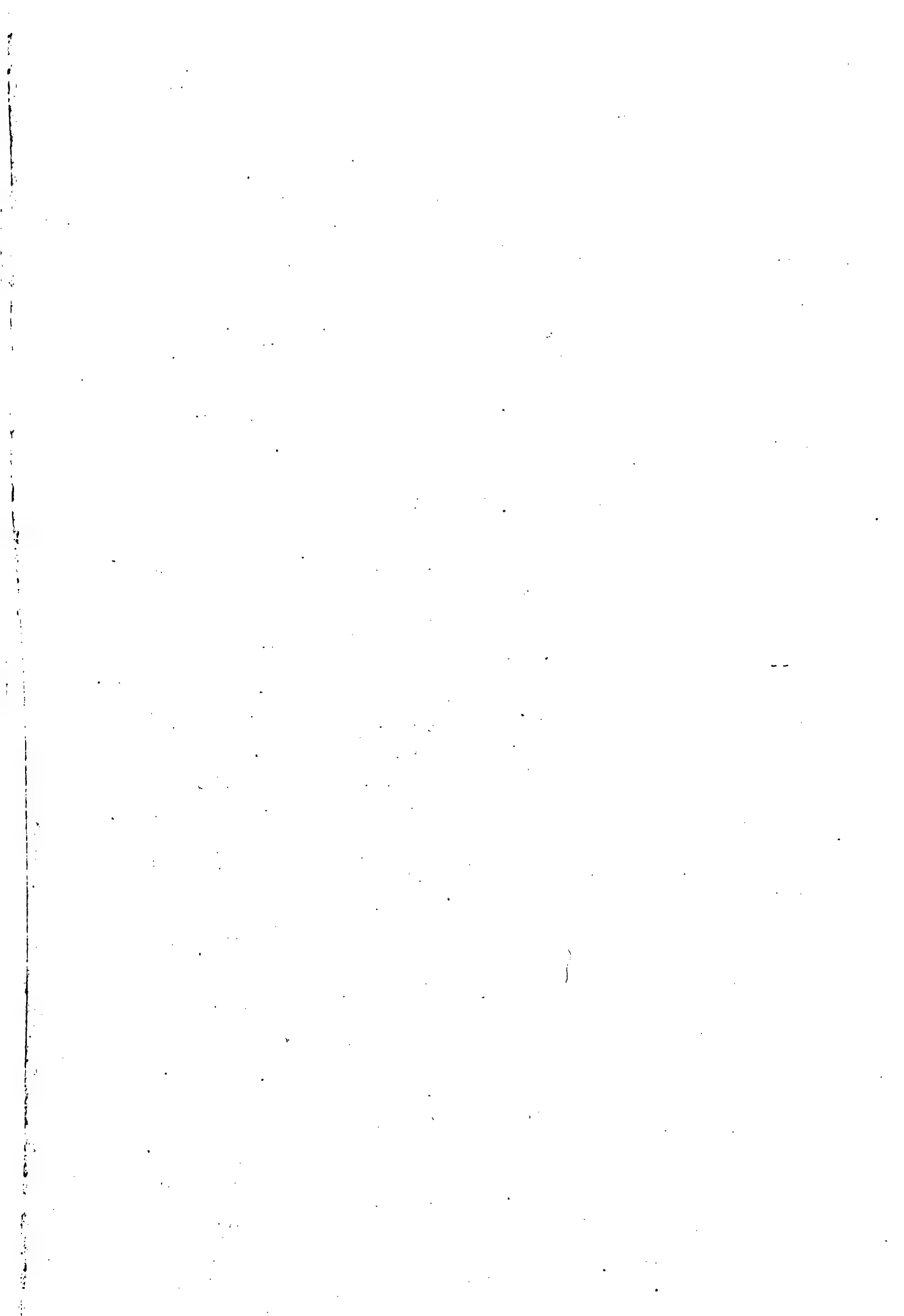
وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «المَنّ كان ينزل على بني إسرائيل من بعد طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل عليه نصيبه»[1]؛ فلذلك يكره النوم في هذا الوقت إلى بعد طلوع الشمس.

↩ يمليه انتمائه الكلامي، والاستقصاء ـ والإحاطة بالآراء والأدلّة ـ موجب للإطالة ولعدم العثور على مصنّفات المذكورين ـ الرمانيّ وأبو علي الجبّائيّ ـ فلمريد التتبّع نذكر بعض المصادر ومن الفريقين، فمن الخاصّة انظر: أوائل المقالات: ١٩٥، الحدود والحقائق: ١٦٦، الذخيرة: ٢١٦، الاقتصاد ٨٣، تمهيد الأُصول: ٢٢٥، معتقد الإمامية للآملي: ٤٨، غاية المرام: ٢٤٤، قواعد المرام: ١١٩، الألفين: ١٦٢، أنوار الملكوت: ١١٩، اللوامع الإلهية: ٢٧.

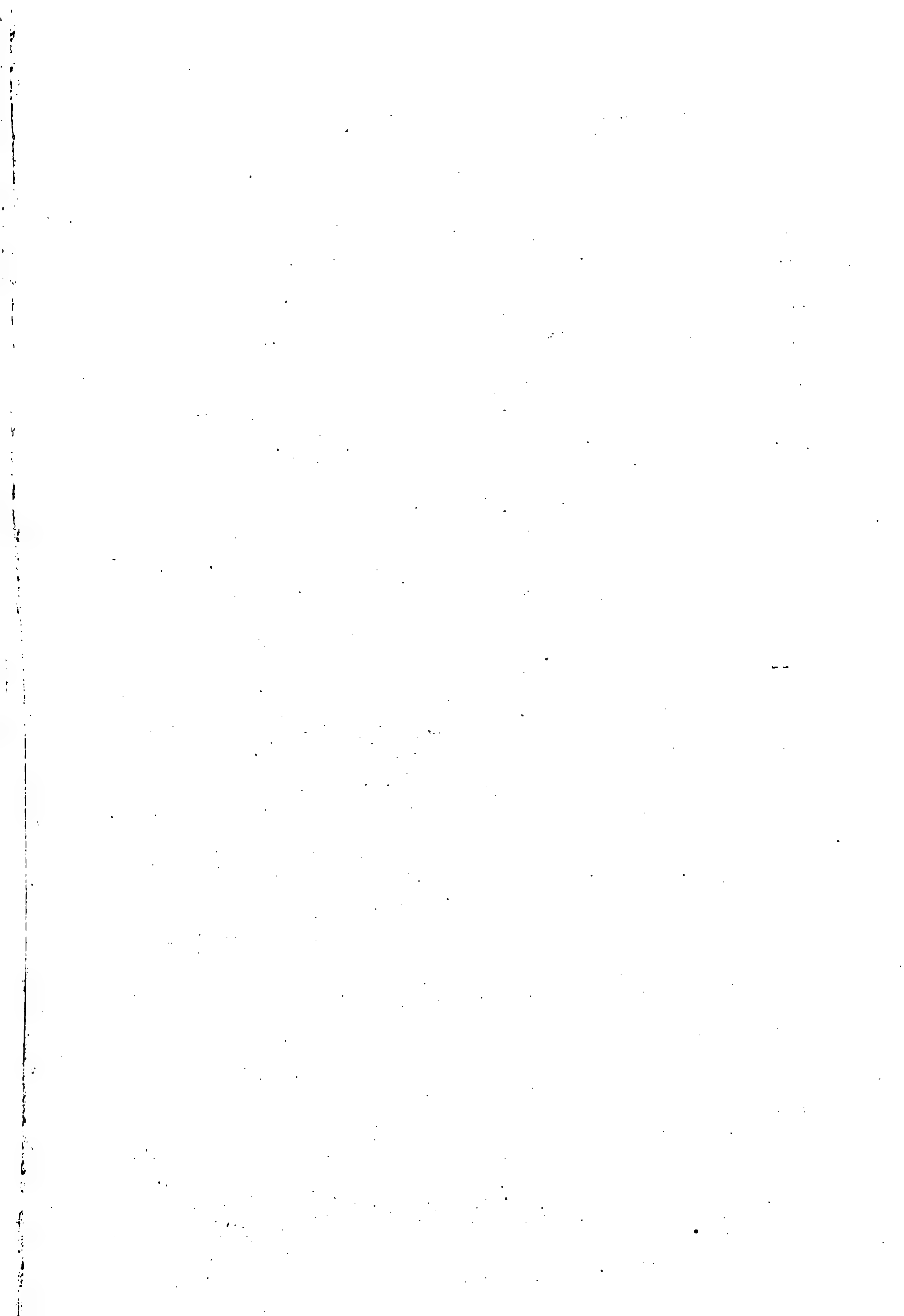
ومن العامّة انظر: التوحيد للماتريدي: ٣٤٣، شرح الأُصول الخمسة: ٣٤٥ وما بعدها، المغني في أبواب التوحيد والعدل ٨: ٢٣٢ و١٣: ٢٩٨، أُصول الدين للبغدادي: ١٣٢، المعتمد في أُصول الدين: ١٠٥ و٢٨١، قواعد العقائد للغزالي ٢٠٤، وغيرها كثير.

ولليسر أكثر أُنظر الموسوعات والمعاجم التالية ومصادرها: معجم العناوين الكلامية والفلسفية: ٨٩، شرح المصطلحات الكلامية: ٢٠٣ ت ٧٠١، شرح المصطلحات الفلسفية: ١٩٧. كشّاف اصطلاحات الفنون ٢: ١١٥٢، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي ١: ٧٤٨.

(١) انظر: من لا يحضره الفقيه ١: ٣١٩ت ١٤٥٣، تهذيب الأحكام ٢: ١٣٩ ت ٥٤٠ وعنهما وسائل الشيعة ٦: ٤٩٦ ت ٨٥٣٠ و٨٥٣١.



وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا
وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ
وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا
غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ
ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ
وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ
بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ
وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ
ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾



قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ آية ﴿٥٨﴾ آية بلا خلاف.

قرأ نافع وأهل المدينة: ﴿يُغْفَرْ﴾ بضّم الياء وفتح الفاء، وقرأ ابن عامر: بتاء مضمومة، وقرأ الباقون: بفتح النون وكسر الفاء[١]، (وأَدْغَمَ الراءَ في اللّام وما جاء منه اليزيديّ إلّا سجادة وشجاع)[٢] في الإدغام[٣].

والآية معطوفة على ما تقدّم، فكأنّه قال: واذكروا إذ قلنا ادخلوا.

والدُّخولُ والوُلُوجُ والاقْتِحَامُ نظائر.

---

(١) ذكرت ذلك أغلب كتب القراءات منها: حجة القراءات: ٩٧ ـ ٩٨، السبعة في القراءات: ١٥٧، الحجة للقرّاء السبعة ٢: ٨٥، معاني القراءات للأزهري: ٥٠، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٤، التلخيص: ٢١٠، غاية الاختصار ٢: ٤٠٩ ـ ٤٠١.

(٢) شجاع بن أبي نصر الخراسانيّ البلخيّ، أبو نَعيم، المقرئ روى عن: أبي الأشهب العطارديّ، وسليمان الأعمش، وأبي عمرو بن العلاء، وغيرهم. وروى عنه: الحسن ابن عرفة، والدوريّ المقرئ أبو عمر، وعمّار بن الحسن النسائي، وأبو عبيد القاسم ابن سلّام. وروى له البخاري في «أفعال العباد»، توفّي ببغداد سنة ١٩٠هـ.

انظر: طبقات القرّاء للذهبي ١: ١٨٣ ت ٨٦، تهذيب الكمال ١٢: ٣٨١ ت ٢٧٠١، الثقات لابن حبّان ٨: ٣١٣، تهذيب التهذيب ٤: ٢٧٥.

(٣) المتن مطابق للنسخة «خ»، وباقي النسخ مضطربة، زيادة ونقيصة.

انظر: السبعة في القراءات: ١٢١، الحجة للقراء السبعة ٢: ٨٥، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٤٣ ت ٣٤ ـ ٣٥، الموضح في وجوه القراءات وعللها ١: ٢٧٧ ت ٢٢، البيان ١: ٨٣، التبيان لأبي البقاء ١: ٦٦، الغاية في القراءات العشر: ١٤٤، التذكرة ٢: ٣١٤، فـ١٤. ومن التفاسير الدّر المصون ١: ٣٧٦، اللّباب ٢: ٩٧، مجمع البيان ١: ٢٣١ عند تفسير الآية.

والفرق بين الدُّخول والاقْتِحَام: إنّ الاقْتِحَام دخول على صعوبة.

ـ ونَقيضُ الدُّخول: الخُروج ـ تقول: دَخل يَدْخُل دُخولاً، وأدْخَلهُ إدْخالاً، وتداخَل تَداخُلاً، واستدخَل استدخالاً، وداخَلهُ مُداخَلةً.

ويقال: في أمره دَخَل، أي: فساد. دَخِلَ أمْرُه يَدخل دَخَلاً، أي: فَسدَ.

ودَخَلْتُ الدّارَ وغيرها دُخُولاً. وأوردت إبلي دِخالاً: إذا أوردتَها فأدخلتَ بين كلٍّ بعيرين بعيراً ضعيفاً بعدما (تتغمّر، أي)[1] تشرب دون ريِّها.

وفلانٌ دَخيل في بني فلان: إذا كان من غيرهم.

وأطْلعتُ فُلاناً على دِخْلَة أمري: إذا بثثْتَه مكتومَك.

والدُّخَّلُ: طائرٌ صغير.

وفلان حسن المَدْخَل، أو قبيح المدخل، أي: المذهب في الأمور.

وكلّ لَحْمة مجتمعة على عَصَب فهي: دُخَّلَة.

قال صاحب العين: فلانٌ مَدْخُول: إذا كان في عقله دُخَل، أو في حسبه، والمَدْخُول: المَهزُولُ الدّاخل في جوفه الهُزال.

---

(١) اختلفت النسخ في ضبطها كثيراً والذي تساعد عليه النسخة «خ» ومصادر اللّغة هو المثبت؛ لأنّ الدِّخال في الورود هو: أنْ يشرب البعير دون رَيِّه، ثم يُرَدُّ من العطن إلى الحوض، ويُدخل بين بعيرين عطشانين ليشرب منه ما عساه لم يكن شرب، أي ليُكمل شربه. والتَّغَمُّر: الشرب دون الرِّيِّ.

انظر مصادر اللّغة المشار إليها فيما يأتي لمادة «دخل».

وأمّا «غَمَرَ» فتجدها في: العين ٤: ٤١٦، تهذيب اللّغة ٨: ١٢٨ ـ ١٣١، جمهرة اللّغة ١: ٥٦، المحيط في اللّغة ٥: ٨٠، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٥٢٠، لسان العرب ٥: ١٣، تاج العروس ٧: ٣١٨.

والدُّخْلة : بطانَةُ الأمر ، يقال : فلانٌ خبيثُ الدُّخْلة .

وادْخَلَ في غارٍ وتَدَخَّلَ فيه ، يصف شِدّة الدّخول .

ودَخيل الرَّجُل : الذي يُداخله في أُموره كلّها فهو له دَخيل دِخال .

والدِّخال : مُداخَلةُ المفاصِل بعضُها في بعض ، والدَّخولة معروفة .

والدُّخَّلُ : صِغارُ الطَّير أمثال العصافير ، مأواها الغِيران وبُطون الأودية تحت الشجر الملْتفّ ، وجمعهُ دَخاخيل ، والأُنثى دُخَّلة[١] .

وأصل الباب : الدُّخُولُ .

قال الرّماني في حدّ الدّخول : الانتقال إلى محيط ، وقد يقال : دخل في الأمر ، كما يقال : دخل في الدّار تشبيهاً ومجازاً

وقوله : ﴿هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ : إشارة إلى بيت المقْدس ، على قول قتادة والرّبيع بن أنس . وقال السُّدّي : هي قرية بيت المقْدس . وقال ابن زيد : إنها أريحا ، قريب من بيت المقْدس[٢] .

والقرية والبلدة والمدينة نظائر .

---

(١) ضبط المادة اللّغوية «دَخَلَ» شائك ؛ للاختلاف بين النسخ والمصادر في الضبط والعبارة ، انظر : العين ٤ : ٢٣٠ ، جمهرة اللّغة ١ : ٥٨٠ ، تهذيب اللّغة ٧ : ٢٧١ ، المحيط في اللّغة ٤ : ٣٠١ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٣٠٩ ، المحكم والمحيط الأعظم ٥ : ١٣٩ ، الصحاح ٤ : ١٦٩٦ ، لسان العرب ١١ : ٢٣٩ .

(٢) أُشير إلى الآراء في أغلب التفاسير ، منها : تفسير الصنعاني ١ : ٢٧١ ت ٥٦ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٣٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١١٦ ت ٥٦٩ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢١ ، تفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٤٢ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٥ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٣ . وانظر الوجوه والنظائر للدامغاني ٢ : ١٤٢ ، تفسير الكشّاف ١ : ١٢١ ، وغيرها .

قال أبو العباس: أصله الجمع، ومنه المِقْرَاة: الحوضُ الذّي تُسقى فيه الإبل، سُمّي مِقْراة لجمع الماء فيه. والمِقْرَاة: الجِفنة التي يُعدُّ فيها الطعام للأضيافِ، قال الشاعر:

.... عِظامُ المَقاري جارُهُم لا يُفزَّعُ[1] [٢٦٢]

ومنه: قَرَيْتُ الضَّيْفَ، ومنه: قَرَيْتُ المَاء في الحَوْض، ومنه: قَرِيتْ الشاةُ تَقْرِي، وشاةٌ قَارِيةٌ: إذا كانت تَجمعُ الجِرَّةَ في شِدْقِها؛ وهو عيب عندهم شديد.

وكلّ ما قرَي فهو مقريّ، مثل: المَرْقَدْ كلّ ما رقدت فيه.

والقَرِيُّ: المَسيلُ الذي يَحملُ الماء إلى الروضةِ، وجمعه: قُرْيَانٌ، كقضيب وقُضبان، قال الشاعر:

مَاءُ قَرِيٍّ مَدَّهُ قَرِيُّ[2] [٢٦٣]

قال ابن دُريد: قَرَيْتُ الضَيفَ أقريه قِرىً.

وقَرَيْتُ الماءَ في الحوضِ أقرِيه قَرْياً.

وقَرَى البعير جِرَّتَه: إذا جمعها في شِدقه قَرْياً.

والقَرْيَة اشتقاقها من قَرَى البعيرُ جِرَّتَه، أي جَمعها، والجمع: القُرَىٰ،

---

(١) مجهول القائل والصدر، ولم نجده إلّا عند القرطبي في تفسير الجامع لأحكام القرآن ١ : ٤٠٩، والسمين الحلبي في تفسير الدّرّ المصون ١ : ٢٣٢ ت ٤٨٦، وابن عادل الدمشقي في تفسير اللّباب في علوم الكتاب ٢ : ٩٢ ت ٥١١. وفي الجميع لنحو ما استشهد به الشيخ المصنّف. وفيها بدل جارهم: «ضَيْفَهُم»، ولعلّه الأنسب وتساعد عليه اللّغة.

(٢) من رجز للعجّاج وتمامه.

غِبَّ سَماءٍ فَهْوَ رقراقِيُّ

....

انظر: ديوان العجّاج ١ : ٤٩٧ ق ٢٥ ب ٦١.

على غير قياس .

وقال قوم من أهل اليمن : قِرْيَة .

وقال صاحبُ العين : القَرْيَةُ والقِرْيَةُ لُغَتَان ، تقول : ما زِلتُ أستقري هذه الأرضَ قَرْيَةً قَرْيةً ، والكسرُ لغةٌ يمانيةٌ .

ومن هناك اجتَمعوا على جَمْعِها على القُرَى ، حيث اختلفوا فحملوها على لغة من قال : كُسْوةٌ وكُسَى . والنسبة إليها قَرَويٌّ .

وأُمُّ القُرَى : مكَّةُ .

وقوله : ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَـلَمُواْ﴾[1] يعني بها : الكُوَرُ والأمصار والمَدائِن .

والقَرا : الظهر منْ كلِّ شيء ، حتى الآكام وغيرها ، والجمع الأقراء .

والقِرَى : الإحسانُ إلى الضّيفِ ، تقول : أقْرَى يَقري الضَّيْف قِرىً : إذا أضَافَهُ ضِيافَةً ، وأنزلهُ نَزالَةً .

والقَرْيُ : جَبْيُ الماءِ في الحوض .

والمِدَّةُ تَقري في الجُرْحِ ، أي : تجتمعُ[2] .

وقوله : ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾ :

أي : الباب الذي أُمروا بدخولها .

---

(١) سورة الكهف ١٨ : ٥٩ .

(٢) تعرّضت المصادر التالية لها : العين ٥ : ٢٠٣ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٧٩٧ ، تهذيب اللّغة ٩ : ٢٦٧ ، المحيط في اللّغة ٦ : ٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٥٤ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٦٦٩ ، مجمل اللّغة ٣ : ٧٥٠ ، معجم مقاييس اللّغة ٦ : ٧٨ ، الصحاح ٦ : ٢٤٦٠ ، لسان العرب ١٥ : ١٧٤ ، تاج العروس ٢٠ : ٧٠ ـ ٧٨ . «قَرَوَ ، قرى» .

وقال مجاهد والسُّدّي: هو باب حطّة من بيت المقدس[1]، وهو الباب الثامن.

وقيل: باب القبّة التي كان يصلّي إليها موسى.

وقال قوم: باب القرية التي أُمِروا بدخولها[2].

قال أبو علي: قول من قال: إنّه باب القبّة أقوى من قول من قال: إنّه باب القرية؛ لأنّه لم يدخلوا القرية في حياة موسى؛ لأنّه قال: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[3].

والعطف بالفاء يدلّ على أنّ هذا التبديل منهم كان في إثر الأمر، فدلّ ذلك على أنّه كان في حياة موسى.

ومعنى قوله: ﴿سُجَّدًا﴾ قال ابن عبّاس: ركّعاً: وهو شدّة الانحناء. ومنه السُّجَّد من النساءِ: الفاتِراتُ الأعين، وقال الأعشى:

.... ولَهْوِي إلى حُورِ المدامِعِ سُجَّدِ[4] **[٢٦٤]**

---

(١) وردت تارة مخففة: بيت المَقْدِس، والنسبة إليها مَقْدِسيّ، وأُخرى مُثقلة: بيت المُقَدَّس والنسبة إليها مُقَدَّسيّ.

انظر: جمهرة اللّغة ٢: ٦٤٦، الصحاح ٣: ٩٦٠، لسان العرب ٦: ١٦٨، تاج العروس ٨: ٤٠٧.

(٢) قلمّا تجد تفسيراً لم يتعرّض لهذه الآراء، للمثال: تفسير مجاهد: ٢٠٣، تفسير كتاب الله العزيز للهواريّ ١: ١٠٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١١٧ ت ٥٧٤، تفسير النكت والعيون ١: ١٠٩، تفسير الحسن البصري (جمع: كمال) ٢: ٥١، تفسير الصنعانيّ ١: ٢٧١، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠١، تفسير مقاتل ١: ١١٠، تفسير النسّائيّ ١: ١٧٠، تفسير القرآن للسلميّ ١: ١٢٧، تفسير زيد الشهيد: ٨٣، السيرة النبوية ٢: ١٨٣، وهكذا والقائمة غنية.

(٣) سورة البقرة ٢: ٥٩، وأبو علي هو الجُبائيّ، وكتبه في القرآن مفقودة، كما تقدّم.

(٤) استشهد به هكذا في العين ٦: ٤٩، وفيه: «وأهوي»، والمخصّص ١: ٢٠٨ وبلا ⇐

وقال الآخر:

[١٦٣] .... تَرى الأُكْمَ فيه سُجَّداً لِلحَوافِرِ

وقال غيره: ادخلوا خاضعين متواضعين، قال أعشى قيس:

تــرَاوحُ مِــنْ صَـلَوَاتِ المَـلِيـ ـكِ طَوْراً سُجُوداً وَطَوْراً جُؤارَا[(١)] [٢٦٥]

وقوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾. قال الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم: معناه حُطّ عنّا خطايانا.

وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: أُمروا أن يستغفروا.

وروي عنه أيضاً أنّه قال: أُمروا أن يقولوا: هذا الأمر حقّ، كما قيل لكم.

وقال عكرمة: أُمروا أن يقولوا: لا إله إلّا الله.

وكلّ هذه الأقوال محطّ الذنوب؛ فتُرجِمَ بحطّةٍ عنها[(٢)].

وحِطَّةٌ مصدر مثل: رِدّة وجِدّة من رَدَدْتُ وجَدَدْتُ.

قال صاحبُ العين: الحَطُّ: وَضْعُ الأَحمال عن الدَّوابِّ، تقول:

نسبة، ولما استشهد به الشيخ المصنّف، ولم نعرف قائله ولا تمامه، ولا يوجد في ديوان الأعشى، وانظر ما تقدّم عند الشاهد: ١٦١ و١٦٢.

(١) القصيدة ٥ ب ٦٣ في الديوان: ١٠٣ يتذكّر فيها أيّام شبابه وصباه ورفيقته ليلى.
الجُؤار: رفع الصوت، وهنا الدعاء والتضرع بصوت.
الشاهد فيه هنا: استعمال «السجود» بمعنى الخضوع.
انظر: الديوان: ١٠٣ ق ٥ ب ٦٣.

(٢) إضافة لما تقدّم في الهامش ١ صفحة ١١١ حول التوبة، انظر: تفسير ابن عباس: ٩، تفسير محمّد بن إسحاق: ٢٧، تفسير السمرقنديّ ١: ١٢١، تفسير الوسيط ١: ١٤٤، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٣٠، تفسير السمعانيّ ١: ٨٣، تفسير القشيريّ ١: ٤٨، وغيرها كثير.
هذا إضافة لمصادر اللّغة المشار إليها في الهامش ٣ من صفحة: ٣٣٤ لمادة «حطط» فقد تعرّضت لذكر ذلك.

حَططتُ عنها أحطُّ حَطّاً، وانحطَّ انحِطاطاً.

والحَطُّ والوَضْعُ والخَفْضُ نظائر.

والحَطُّ: الحَدْرُ من العُلوِّ، كقول امرئ القيس:

.... كجُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ من عَلِ[1] [٢٦٦]

ويقال للنَّجيبة السريعة: حَطَّت في سيرها وانحَطَّتْ، وتقول: حَطَّ اللهُ وِزرَكَ الذي أنقض ظَهرك، وقال الشاعر:

واحْطُطْ إلهي بفَضْلٍ منكَ أوزاري[2] [٢٦٧]

والحَطاطةُ: بَثْرةٌ تخرجُ في الوجه صَغيرة تُقَبِّح اللَّوْنَ ولا تُقَرِّح.

وجاريةٌ مَحْطُوطةُ المَتْنَيْن: مَمدُودةٌ حَسِنة.

والحطُّ: حَطُّ الأديم بالمِحَطّ: وهي خشبةٌ يُصْقَل بها الأديمَ أو يُنقش[3].

وأصلُ الباب الحَطُّ: وهو الحَدْرُ من عُلوٍّ.

---

(١) بيت من المعلّقة الشهيرة لامرئ القيس يصف فيه فرسه وأنّه في حالتي الكرّ والفرّ صلب كصخرة سقطت من أعلى الجبل مسرعة إلى الأسفل، وصدره:

مِكَـرٍّ مُـقْبِلٍ مُـدْبِرٍ مـعاً ....

الشاهد: استعمال «حطّ» بمعنى الانحدار من العلو.

انظر: الديوان ١٩ ب٥٠ من المعلّقة الأولى، شرح الأشعار الستة الجاهليّة ١: ٩٨ وغيره من الشروح.

(٢) مع كثرة التتبّع لم نصل إلى القائل ولا التتمة. وقد استشهد به الخليل في العين ٤: ١٨ «حطّ»، وابن جنّي في المحتسب ١: ٢٦٤ على مورد الشاهد لدىٰ الشيخ المصنّف.

(٣) لمادة «حَطَطَ» انظر من المصادر: العين ٣: ١٨، جمهرة اللّغة ١: ٩٩، تهذيب اللّغة ٣: ٤١٥، المحيط في اللّغة ٢: ٣٠٤، المحكم والمحيط الأعظم ٢: ٥٠١، الصحاح ٣: ١١١٩، لسان العرب ٧: ٢٧٢.

وارتفعت «حِطَّةٌ» في الآية ـ على قول الزجّاج ـ على تقدير: مسألَتُنا حطّةٌ[١].

وقال غيره: دخولنا الباب سُجَّداً حِطّة لذنوبنا، كقوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾[٢] يعني: موعظتنا معذرة إلى ربّكم[٣].

ويجوز النّصب في العربية على معنى حُطّ عنّا ذنوبنا حِطّةً، كقولك: سمعاً وطاعة، يعني أسمعُ سمعاً وأطيعُ طاعة، وكقوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾[٤] يعني: نعوذ بالله.

وهو حِطّةٌ، أقوى؛ لأنّه دعاء.

قوله: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾:

فالغُفْران والعَفْوُ والصَّفْحُ نظائِر.

يقال: غَفَرَ الله له غُفراناً، واسْتَغْفَرَ اسْتِغْفاراً، واغْتَفَرَ اغتفاراً.

قال أبو العبّاس: غَفَرَ اللهُ لزيدٍ، بمعنى: ستر اللهُ له على ذنوبه[٥].

والغَفْرُ: إنّما هو التَّغْطِية. يقال للسّحابة فوق السّحاب: الغِفارَةُ.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ١ : ٢٣٩.

(٢) سورة الأعراف ٧ : ١٦٤.

(٣) انظر: تفسير جامع البيان ١ : ٢٣٩.

(٤) سورة يوسف ١٢ : ٢٣.

(٥) لم يمكن الوصول إلى مصدره ولا تشخيصه. واضطربت النسخ في الضبط والمثبت من «خ، س» والبواقي: ستر وغطى له....

وثوب ذو غَفْر: إذا كان له زِئْبِرٌ[1] يستر نسيجه.

ويقال: المِغْفَر؛ لتغطية العُنق. ويقال: غَفَرتُ الشيءَ: إذ واريته.

والمَغْفِرَةُ والغَفِيرَةُ بمعنى.

والغَفْرُ: مَنْزِلٌ من مَنازِل القَمَر، سُمِّي به؛ لخفائه.

وقال الزجّاج: الغَفْرُ: التّغْطِيَةُ، وكلّ ما تفرّع من هذا الباب فهذا معناه.

وقولهم: اللّهم اغفر لنا، تأويله: اللّهم غَطِّ علينا ذنوبَنا، والله الغَفُور والغَفّار.

والمِغْفَر: ما يُغطّى به الرأس من الحديد وغيره، وكذلك الغِفارةُ وهي خِرْقَةٌ تُلَفُّ على سِيَةِ القَوْسِ، أي: طرفها. وغِفارة: اسم رأس الجبل.

والمُغْفور والمِغْفارة: صمغ العُرْفُط، وقد أغْفَرَ الشَّجَرُ: إذا ظهر ذلك فيه. وفي الحديث: إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله دخل على عائشة، فقالت: يا رسول الله، أكلت مغافير[2]؟ تعني هذا الصمغ.

ومنهم من يقول: مغاثير، كما قيل: جدث وجدف.

والغَفْرُ: شَعْرٌ صِغار دون الكبار، وريش دون الرّيش الكبار؛ لأنّهُ هو الذي يغطّي الجلد.

والغَفْرُ: النُّكْس من المرض، يقال: صَلُح فلان من مرضهِ ثمّ غَفَرْ، أي: نُكِسَ، ومنه قول مرّار ـ وقيل إنّه لجميل[3] ـ:

---

(١) اختلفت المصادر في الضبط بين فتح الباء وكسرها.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢٢١، صحيح مسلم ٢: ١١٠٠ ت ١٤٧٤، سنن أبي داوُد ٣: ٣٧١٥/٣٣٥، سنن النسائي ١٣/٧، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٣٥٣، وغيرها.

(٣) البيت لمرّار بن سعيد الفقسي الأسدي، شاعر إسلاميّ مكثر هجّاء وغالباً للمساور ←

خَــلِيلَيَّ إنّ الدّارَ غَــفْرٌ لِــذِي الهَــوىٰ

كما يَغْفِرُ المَحْمُومُ أو صَاحِبُ الكَلْمِ[1] **[٢٦٨]**

ومعناه : إنّ المُحبَّ إذا سَلا عن حبيبه ، ثمّ رأى داره جدّد عليه حُبّه ، فكأنّه مريض نُكِسَ . وإنّما قيل : للنُّكْس : غفر ؛ لأنّه يغطّي على العافية .

والغَفَرُ : شَعْرٌ يكون في اللّحيين ، وقد غَفَرَ فلانٌ ، وقد غَفِرت المرأةُ : إذا نبت لها ذلك الشَّعر .

ومَتاعُ البيت يقال له : الغَفَر ؛ لأنّه يُغطّي على الخَللِ .

والغَفْرُ : الجوالق ، ويقال : جاءوا الجَمَّاء الغَفِيرَ ، وجاءوا جَمّاً غَفِيراً ، وجاؤا جَمَّاء الغَفِيَر ، أي : مجتمعين جمعاً يُغطّي الأرضَ .

والغُفْرُ : وَلَدُ الأرْوى ، وهي : أُنثى الوعل ؛ لأنها تأوي الجبال ، فتستر

ابن هند ، وكان مفرط القصر ضئيلاً ، عدّ من مخضرمي الدولتين ومن اللّصوص فقد سجن وأخيه بدر ، وقيل لم يدرك العباسية .

لترجمة الشاعر انظر : الشعر والشعراء ٢ : ٦٩٩ ت ١٥٦ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٣٧ ، المؤتلف والمختلف : ٢٦٨ ، الأغاني ١٠ : ٣١٧ ، وغيرها .

(١) البيت من قصيدة بسبعة أبيات ، قيل مذكورة في الديوان مطلعها :

إذا شِئْتَ يوماً أَنْ تسود عشيرةً   فبالحلم سُدْ لا بالتّسرّع والشتم

وقد استشهد به جمع لمحل الشاهد ومن دون نسبه ، انظر : أمالي القالي ١ : ٩٧ ، الأضداد للأنباري : ١٥٥ ضمن ت ٩٤ ، والأضداد للأصمعيّ : ٢١ ، ولابن السكيت : ١٧٦ ، والسجستاني : ١٤٧ وهي ضمن «ثلاث كتب في الأضداد» ، مجالس ثعلب : ٨٠ ، الزاهر في معاني كلمات الناس ١ : ١٠٩ ، سفر السعادة ٢ : ٩٥٤ .

وأمّا أُسامة بن منقذ في المنازل والديار : ٣٢٨ ، وابن السكيت في إصلاح المنطق : ١٢٨ ، وابن منظور في لسان العرب ١ : ٦٥ فقد نسبوه إلى المرّار . وانظر مجلة المورد البغدادية السنة م ٢ ع ٢ : ١٧٦ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣ : ١١١٩ ت ٤٠١ ، التذكرة الحمدونيّة ٢ : ١٢٢ ت ٢٤٦ .

عن النّاس . ويقال لأُنثى الوعل ، إذا كان معها ولدها : مُغْفِرٌ . كما يقال لكلّ ذات طفل : مُطْفِلٌ .

ويقال : غَفَرتَ الأمرَ تَغْفِرَهُ : إذا أَصْلحْتَه بما ينبغي أن يُصلَح به ، والمعنى : أصلحته بما غطّى على جميع فساده .

والغَفْرُ : زِئْبَر الثوب ، وثوبٌ ذو غَفْرٍ .

وغَفَرتُ المَتاع : إذا جَعلتهَ في وعاء ، وكلُّ شيءٍ غطّيته فقد سَتَرتهُ . ويقال : اصْبَغْ ثوبك فإنّه أغْفَرُ للوَسَخِ ، أي : أَسْتَرُ له[1] .

وأصلُ الباب : التَّغطِيةُ .

وحدُ المَغْفِرة : سترُ الخطيئة برفعِ العقوبة .

والخَطِيئَةُ والزَّلّةُ والمَعْصِيَةُ نظائر .

ويقال : خَطَأَ خَطَأً ، وأَخْطَأَ إِخْطَاءً ، واسْتَخطأه اسْتِخطاءً ، وخَطَّأَهُ تَخْطِئَةً ، وتخاطى تخاطِياً .

قال ابن دُريد : الخَطأُ مقصور مهموز ، يقال : خَطِئَ الشيءَ خِطْأً إذا لم يُرِدْه وأصابه ، وأَخْطَأَ يُخطِئ إخطاءً إذا أراده فلم يُصِبْه . والأوّل خاطئ والثاني مُخطئ ، والخطيئة تُهمز ولا تُهمز[2] .

---

(١) ضبط المادة «غَفَرَ» تابع للمراد منها ؛ لأنّه ذو أثر بيّن في المراد ، انظر : التقفية : ٣٦٠ ، العين ٤ : ٤٠٦ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٧٧٨ ، تهذيب اللّغة ٨ : ١٠٥ ، المحيط في اللّغة ٥ : ٦٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ٥ : ٤٩٩ ، الصحاح ٢ : ٧٧٠ ، لسان العرب ٥ : ٢٥ ، تاج العروس ٧ : ٣١٤ ، وأغلب مصادر الشاهد (٢٦٧) تعرّضت لها .

(٢) النّص المنقول عن ابن دريد مطابق للنسخة «ط» من كتابه الجمهرة ، وقد ذكر نصّها في هامش المطبوع منها ٢ : ١٠٥٤ .

قال صاحب العين: الخَطَأُ: ما لم يُتَعَمَّدْ، ولكن يُخْطَأُ خَطَأ، وخَطَّأْتُهُ تَخْطِئَةً.

وأصل الباب: الخطأ، ومثلهُ الزَّلَل.

والخاطئ: الذي زَلَّ عن الشيء في قصده، وإن اتّفق له أنْ يُصيبه من غير أن يقصده؛ ولذلك لا يكون الخاطئ في الدِّين إلّا عاصياً؛ لأنّه لم يقصد الحقّ.

وأمّا المُخطئ فإنّما زَلّ عن قصده، ولذلك يكون المخطئ من طريق الاجتهاد مُصيباً؛ لأنّه قصد الحقّ واجتهد في إصابته.

وحدُّ الخَطِيئَةِ: العدول عن الغرض المحمود.

وخطايا وزنها فَعَائِل، وتقديره: خَطَائِي، فقلبت الهمزة الأخيرة على حركة ما قبلها، فصار خطايي، ثمّ فُعل به ما فعل بمداري، حين قيل: مدارى، فصارت خطاءَا، فاستثقل همزَة بين ألفين؛ لأنّه بمنزلة ثلاث ألفات، فقلبت الهمزة ياء. وإنّما أُعِلَّ هذا الإعلال؛ لأنّ الهمزة التي بعد الألف عرضت في جمع فعل القياس. تقول في جمع مرآة: مراءى، فلا تعلّ. والخليل يقول: وزنه فَعَالَى على قلب الهمزة[1].

ومن اختار النون من القرّاء ـ في ﴿نَّغْفِرْ﴾ ـ قال: لأنّه مطابق لما تقدّم من قوله: ﴿وَظَـلَّلْنَا﴾ و: ﴿قُلْنَا﴾.

---

(١) اختلاف الآراء وعدم الإعجام في النسخ سبب الاختلاف في الضبط، انظر: جمهرة اللّغة ٢: ١٠٥٤، العين ٤: ٢٩٢، تهذيب اللّغة ٧: ٤٩٦، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٤٣٠، الصحاح ١: ٤٧، مفردات الفاظ القرآن الكريم: ٢٨٧، لسان العرب ١: ٦٥، تاج العروس ١: ١٤٥، «خَطَوَ ـ خَطَأَ».

وإنّما اتّفق القرّاء على ﴿خَطَايَاكُمْ﴾ هاهنا، واختلفوا في الأعراف وسورة نوح؛ لأنّ اللّتين في الأعراف ونوح كتبتا في المُصحف بالياء بغير ألف، والتي في البقرة بألف[1].

وقوله: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

فالزيادة التي وعدها الله المحسنين، هي: تفضّل يعطيه الله المحسنين، يستحقّونها بوعده إيّاهم، وهي زيادة على الثواب الذي يستحقّوه بطاعته تعالى[2].

والفرق بين أحسنَ إليه وأحسنَ في فعله: إنّ أحسن إليه لا يكون إلّا بالنفع له، وأحسن في فعله ليس كذلك؛ ألا ترى أنّه لا يقال: أحسن الله إلى أهل النّار بتعذيبهم، ويقال: أحسن في تعذيبهم بالنّار، بمعنى أحسن في فعله وفي تدبيره.

والإحسان والإنعام والإفضال نظائر. وضدّ الإحسان: الإساءة، يقال: حَسُنَ حُسْناً، وأَحْسَنَ إحساناً، واستَحْسن استِحسانا وتَحَسَّنَ تَحَسُّناً، وتَحاسَنوا تَحاسُناً، وحَسَّنه تَحْسِيناً، وحاسَنه مُحاسَنةً، والمحْسَن ـ والجمع المحاسن ـ المواضع الحسنة في البدن، ويقال: رجلٌ كثير المحاسن، وامرأة كثيرة المحاسن، وامرأة حسناء، ولا تقول: رجلٌ أَحْسَنُ، وتقول: رجُلٌ حُسّان وامرأة حُسّانة، وهو الحسن جداً[3].

---

(١) إشارة إلى ما ورد في سورة الأعراف ٧: ١٦١، وسورة نوح ٧١: ٢٥.

(٢) السبعة في القراءات: ١٥٧، الحجة للقرّاء السبعة ٢: ٢٥ و٤: ٩٥ ـ ٩٧، معاني القرآن للأزهري: ٥١ و١٩١، التلخيص لأبي معشر: ٢٦٩ و٤٤٦، وغيرها.

(٣) لضبط المادة «حَسَنَ» استعين بالمصادر التالية: العين ٣: ١٤٣، جمهرة اللّغة ١: ﻟـ

والمحاسن في الأعمال ضدّ المساوئ، تقول: أحسِنْ فإنّك مُحْسان.

والحُسنى: الجنّة؛ لقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1].

والحُسنى ضدّ: السّوْءاى، والحُسْن ضدّ: القبح، والحِسانُ جمع حسن ألحقوها بضدّها، فقالوا: قِباح وحِسانٌ، كما قالوا: عِجاف وسِمان.

وأصل الباب: الحُسن، وهو على ضربين: حُسن في النظر، وحسن في العقل، وكذلك القبح.

وحدّ الحُسن من طريق الحكمة هو: الفعل الذي يدعو إليه العقل.

وحدّ القُبح: الفعل الذي يزجر عنه العقل.

وحدّ الإحسان هو: النفع الحَسن.

وحدّ الإساءة هو: الضرر القبيح. هذا لا يصحّ إلّا على قول من يقول: إنّ الإنسان يكون محسناً إلى نفسه ومسيئاً إليها. ومن لا يقول بذلك يريد فيه الواصل إلى الغير مع قصده إلى ذلك.

والأقوى في حدّ الحُسن أن نقول: هو الفعل الذي إذا فعله العالم به على وجه لم يستحقّ الذمّ؛ فإنّه لا ينتقض بشيء[2].

↵ ٥٣٥، تهذيب اللّغة ٤: ٣١٤، المحيط في اللّغة ٢: ٤٨٧، الصحاح ٥: ٢٠٩٩، المحكم والمحيط الأعظم ٣: ١٩٧، لسان العرب ١٣: ١١٤، تاج العروس ١٨: ١٤٠، مفردات ألفاظ القرآن: ٢٣٥.

(١) سورة يونس ١٠: ٢٦.

(٢) مساحة الهامش لا تساعد على استيعاب آراء المذاهب الكلامية للفرق الإسلامية حول الحسن والقُبح، والتقسيم العقليّ والشرعيّ لها فالإحالة على المصادر أولى، أُنظر: تمهيد الأُصول: ٩٨، الاقتصاد: ١٦٣، نهاية الإقدام في علم الكلام: ٣٧٠، تلخيص المحصّل: ٤٥٢، قواعد العقائد: ٢٥، اللّوامع الإلهية: ١٣٢ وغيرها كثير ↵

وقوله: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ يعني من هذه القرية ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ أي: واسعاً بغير حساب.

قد بيّنا معناه في ما مضى واختلاف الناس فيه[1].

قوله تعالى:

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ آية (٥٩) آية بلا خلاف.

معنى قوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: غَيَّروا.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ معناه: الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله.

وقوله: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: بدّلوا قولاً غير الذي أُمِروا به أن يقولوه، فقالوا بخلافه. فذلك هو التبديل والتغيير.

فكان تبديلهم بالقول: إنّهم أُمروا أن يقولوا: حِطّةٌ، وأن يدخلوا الباب سُجّداً، وطؤطئ لهم الباب ليدخلوه كذلك، فدخلوه يزحفون على أستاههم وقالوا: حِنطة في شعيرة، مستهزئين[2].

وقوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني: الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله، من تبديلهم بالفعل والقول.

من كتب الكلام وللفريقين، يمكن الوصول لبعض منها بواسطة: شرح المصطلحات الكلامية: ١٢٥ و٢٥٩ مدخل «حسن، قبح».

(١) تقدّم ضمن تفسير الآية: ٣٥.

(٢) تقدّم ذكر جملة من مصادره عند تفسير الآية (٥٨) عند قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾.

﴿رِجْزًا﴾ والرِّجز في لغة أهل الحجاز: العذاب، (وهو غير)[١] الرجس؛ لأنّ الرجس الشر. ومنه قوله عليه السلام في الطاعون: (إنّه رجس عذّب به بعض الأُمم) وهو قول ابن عبّاس، وقتادة[٢].

وقال أبو عبيدة: الرجز والرجس لغتان[٣]. مثل الرَّدع والسَّدع والبُزاق والبُساق.

وقال أبو العالية: هو الغضب.

وقال ابن زيد: هو الطاعون؛ فقيل: إنّه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً من كبرائهم وشيوخهم وبقي الأبناء وانتقل العلم والعبادة إليهم[٤].

---

(١) في: «ؤ، هـ، س، الحجريّة»: وفي لغة غيرهم. والمثبت من: «ج، ل» ويساعد عليه السياق وما في تفسير مجمع البيان ١: ٢٣٥ عند تفسيره الآية هذه، وانظر مصدر الهامش «٣» اللاحق.

(٢) قريبٌ منه جداً في صحيح مسلم ٤: ١٧٣٧ ت ٢٢١٨، المعجم الكبير ٤: ٩٠ ت ٣٧٤٥ و٣٧٤٦، شرح معاني الآثار ٤: ٣٠٦، مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٩٥. وانظر من التفاسير: تفسير الهوّاري ١: ١٠٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٢٠ ت ٥٩١ و٥٩٢، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١: ١٤٣، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٧ وغيرها.

(٣) مجاز القرآن ١: ٢٠٦، عند الآية ١٢٥ من سورة الأنعام.

(٤) تباينت الآراء اللّغوية والتفسيرية ـ حتى من الشيخ المصنّف رحمه الله ـ في معنى الرِّجْز، فمنهم من جعله مرادفاً لمعنى الرِّجس، ومنهم من قال إنّه: العذاب، أو الشرّ، أو: النّتن، أو: الوثن، أو: المعصية، أو: النّجس، أو: الكفر، أو: السّخط، وهكذا، بل هناك من ذهب إلى جعل مكسورة الراء بمعنى: العذاب أو النّجاسة والمعصية، ومفتوحتها ومضمومتها: الصّنم والوثن. هذا، ولا مرجّح في البين إلّا القرينة، كما هو ظاهر موردنا.

انظر: من مصادر اللّغة مادتي «رَجَزَ، رَجَسَ» على التوالي: العين ٦: ٦٤ و٥٢، ←

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قال قوم: يعني ما قضاه الله عليهم من السماء. وقال آخرون: أراد بذلك المبالغة في علوّه بالقهر.

وقوله: ﴿يَفْسُقُونَ﴾ مضمومة السين عليه جميع القرّاء، وهو أشهر اللّغات. وقد حُكي في بعض اللّغات بكسر السين[(١)].

قوله تعالى:

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ آية (٦٠) آية واحدة بلا خلاف.

قوله: ﴿وَإِذِ﴾ متعلّق بكلام محذوف، ويجوز أن يكون ذلك ما تقدّم ذكره في الآيات المتقدّمة من ضروب نِعم الله على بني إسرائيل، فكأنّه

جمهرة اللّغة ١: ٤٥٥ و٤٥٧، تهذيب اللّغة ١٠: ٦١٠ و٥٨٠، المحيط في اللّغة ٧: ٢٢ و١٠، الصحاح ٣: ٩٣٣، المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٢٨٩ و٢٦٨، مفردات الراغب الاصفهاني: ٣٤١ ـ ٣٤٢، لسان العرب ٥: ٣٤٩ و٦: ٩٤، تاج العروس ٨: ٦٧ و٣٠٢، بصائر ذوي التمييز ٣: ٣٦ ت ٥، عمدة الحفّاظ ٢: ٧١ ـ ٧٢، الغريبين للهرويّ ٣: ٧١٧، الوجوه والنظائر ١: ٣٩١، وجوه القرآن: ٢٦٥، غريب القرآن للسجستاني: ٢٠٩، وغريب القرآن لزيد الشهيد: انظر فهرس اللّغة لموارده، الأفعال لابن القوطية: ٢٥٦، المثلث للبطليموسي ٢: ٤٣ ت١٠، وهكذا والقائمة غنية جداً، وأمّا كتب التفسير فيلزم مراجعة مواردها حسب السور والآيات.

(١) مختصر في شواذّ القرآن لابن خالويه: ١٣، شواذ القراءات للكرماني: ٦٣، إعراب القرآن للنحاس ١: ٢٢٩، إعراب القراءات الشواذ ١: ١٦٣ ـ ١٦٤، معاني القرآن للزجاج ١: ١٤٠، مصطلح الإشارات: ١٤٢ ت ٥٩، وانظر تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤١٧ فقد نسب الكسر فيهما إلى الأعمش وابن وثّاب والنخعيّ، والضمّ إلى باقي القرّاء.

قال: واذكروا إذ استسقىٰ موسى لقومه، أي: سألنا إن نسقي قومه ماءً. تقول: سَقَيْتُهُ وأَسْقَيْتُه لغتان بمعنى واحد، وقيل: سَقَيْتُهُ مِنْ سَقي السِّقة[1]، وأسْقَيْتُهُ: دَلَلْتُه على الماءِ[2]، فَتَركَ ذكر المسؤول ذلك. والمعنى الذي سأل موسى إذ كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالةٌ على معنى ما تُرك.

وكذلك قوله: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ من ماء فاستغنى بدلالة الظاهر على المتروك منه؛ لأنّ معنى الكلام: فقلنا اضرب بعصاك الحجر، فضربه، فانفجرت. فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر إذ كان فيما ذكره دلالة على المراد منه.

وكذلك قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ معناه: قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ منهم مَشْرَبَهُمْ، فترك ذكر «منهم» لدلالة الكلام عليه.

والانفجار: الانشقاق، والانبجاس أضيق منه، فيكون أوّلا انبجاساً ثمّ يصير انفجاراً.

والعين من الأسماء المشتركة، العين من الماء مشبَّهَةٌ بالعين من الحيوان؛ لخروج الماء منها، كخروج الدمع من عين الحيوان.

وقد بينّا: إنّ أُناساً لا واحد له من لفظه فيما مضى[3]. وإنّ الإنسان لو جمع على لفظه لقيل: أناسين وأناسيه.

---

(١) في بعض مصادر اللّغة «الشَّفة»، وفي النسخ المثبت.

(٢) الخلاف بين اللّغوين في أنّ «فَعَلَ» و«أفعل» هما بمعنى، أم هناك فرق، انظر جمهرة اللّغة ٢ : ٨٥٣، تهذيب اللّغة ٩ : ٢٢٨ مفردات ألفاظ القرآن : ٤١٥، المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٤٨٧، لسان العرب ١٤ : ٣٩٠، تاج العروس ١٩ : ٥٣٠، العين ٥ : ١٩٠، محيط اللّغة ٥ : ٤٧١، الصحاح ٦ : ٢٣٧٩، «سَقَى» فيها.
على أنّ بعض المصادر صرحت بالشَّفة، ولعلّه أوضح في الفرق.

(٣) عند تفسير الآية «٨» من سورة البقرة.

وقوم موسى: هم بنو إسرائيل الذين قصّ الله عزّ وجلّ قَصَصَهم في هذه الآيات.

وإنّما استسقى لهم ربَّه الماءَ في الحال التي تاهوا فيها في التِّيه فشكوا إليه الظمأ، فأُمروا بحجر طوريٍّ ـ أي: من الطور ـ فضربه موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سِبْط عينٌ معلومة ماؤُها لهم.

وروي عن ابن عباس أنّه قال: ظلَّل عليهم الغمامَ في التيه وأنزل عليهم المنَّ والسلوى، وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتّسخ، وجعل بين ظهرانيهم حَجر مربَّع[١].

وروي: إنّه كان مثل شكل الرأس[٢].

وأُمِرَ موسى فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً في كلّ ناحية منه ثلاث عيون لكلّ سبط عين، ولا يرتحلون مَنْتَقَلةً إلّا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان الذي كان به منهم في المنزل الأوّل.

وقيل: إنّهم كانوا ينقلونه معهم في الجوالق، فإذا احتاجوا إلى الماء ضربه موسى بالعصا فيه فينفجر منه الماء.

وقال قوم: إنّه أُمر بأنْ يضرب أيَّ حجر شاء لا حجراً بعينه[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١: ١٢١ ت٥٩٨ و٥٩٩، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠٣، تفسير جامع البيان للطبري ١: ٢٤٣، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٢، تفسير الوسيط ١: ١٤٥، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٤٠٥ ت ١١٣٢٤، مسند أبي يعلى ٥: ٢٨ ت ٢٦١٨، تاريخ مدينة دمشق ٦١: ٩٢، وغيرها.

(٢) أشارت إليها من المصادر التفسيرية: تفسير البحر المحيط ١: ٣٨٩، تفسير زاد المسير ١: ٧٤. وبعض ما تقدّم في الهامش السابق.

(٣) تعرّضت لذكر ذلك أغلب التفاسير للمثال انظر: تفسير النكت والعيون ١: ١٢٨، ←

والأوّل أظهر ؛ لأنّ فيه لام التعريف .

والشين ساكنة في : ﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ﴾ عند جميع القرّاء ، وكان يجوز كسرها في اللّغة ولم يقرأ به أحد . والكسر لغة ربيعة وتميم ، والإسكان لغة أهل الحجاز وأسد[1] .

فإذا صغّرت اثني عشر قلت : ثُنَيَّ عشر ، وإذا صغّرت اثنتي عشرة قلت : ثُنيّتي عشرة .

ورُوي : فتحها عن الأعمش[2] . وهو غلط ، إلّا إذا قيل : عشرة مفرداً فإنّه بفتح الشين . فأمّا ما زاد على ذلك فالشين ساكنة ، أو مكسورة إلّا قولهم : أحدَ عشرَ إذا بنيا معاً[3] .

ﭭتفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٣٤ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٣ ، تفسير السمعاني ١ : ٨٥ ، تفسير معالم التنزيل ١ : ٩٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي ١ : ١٢١ ت ٥٩٧ ـ ٦٠٣١ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٤٤ ، تفسير بحر العلوم للسمرقندي ١ : ١٢٣ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٥ ، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١ : ١١١ .

(١) انظر : المحتسب ١ : ٨٥ ، إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٣٠ ، معاني القرآن للزجاج ١ : ١٤١ ، إعراب القراءات الشواذ ١ : ١٦٤ ، وغيرها كثير . ومن كتب اللّغة : تهذيب اللّغة ١ : ٤٠٧ ، تاج العروس ٧ : ٢٢١ ، لسان العرب ٤ : ٥٦٨ وغيرها .

(٢) هكذا في النسخ : «خ ، ؤ ، هـ» ، وجاء في غيرها : «محمّد عن الأعمش» . والظاهر أنّه : محمّد بن أبي ليلى ، أبو عبدالرحمن الأنصاري الكوفي ، مقرئ ولي القضاء والإفتاء في الكوفة لبني أُمية وبني العباس ، أخذ القراءة عنه عرضاً حمزة والكسائي وغيرهما ، توفّي سنة ١٤٨هـ .

انظر : طبقات خليفة : ٢٨٣ ت ١٢٦١ ، الطبقات الكبرى ٦ : ٣٥٨ ، طبقات القرّاء للذهبي ١ : ١١١ ت ٤٨ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٣١٠ ت ١٣٣ .

(٣) إضافة لمصادر الهامش الأسبق انظر : معاني القراءات للأزهري : ٥١ ، شواذ القراءات للكرماني : ٦٣ ، مختصر في الشواذ : ١٣ ، وغيرها .

ونصب ﴿عَيْنًا﴾ على التمييز، وعند الكوفيين على التفسير.

ولا ينبغي الوقف على أحد الاسمين المجعولين اسماً واحداً دون الآخر، كقولك: أحد عشر واثنا عشر وما أشبه ذلك، وكذلك يُكره الوقف على العدد الأخير قبل أن يميّزه ويفسّره.

وكذلك قوله: ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾(١)، و: ﴿مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾(٢)، و: ﴿عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾(٣)، و: ﴿خَيْرٌ حَافِظًا﴾(٤) و: ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾(٥) وأشباه ذلك.

ومن آيات الله العجيبة: انفجار العيون من الحجر الصَّلد بعدد قبائل بني إسرائيل، وهم كانوا اثنى عشر سبطاً على وجهٍ تعرف كلُّ فرقة منهم مشرب نفسه، فلا ينازعه فيه غيره، وذلك من الأُمور الظاهرة على أنّ فاعل ذلك هو الله تعالى، وأنّ ذلك لا يتمّ فيه حيلة محتال ولا كيد كائد. ومن استبعد ذلك من الملحدين فالوجه أنْ يُتشاغل معه في الكلام في إثبات الصانع، وحدوث الصَّنعة، وإثبات صفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز، فإذا ثبت ذلك سهل الكلام في ذلك.

ومتى شَكّ في ذلك أو في شيء منه، كان الكلام معه في هذا الفرع

---

(١) سورة مريم ١٩ : ٧٦.

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٩١.

(٣) سورة المائدة ٥ : ٩٥.

(٤) سورة يوسف ١٢ : ٦٤.

(٥) سورة الكهف ١٨ : ٤٤.

ضرباً من العناء لا وجه للتشاغل به.

وقوله هاهنا: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ لا ينافي قوله في الأعراف: ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾[١]، لأنّ الانبِجاس هو الانفجار إلا أنّه قليل، وقيل: إنّه لا يمتنع أن يكون أوّل ما تنبجس كان قليلاً ثمّ صار كثيراً، حتّى صار انفجاراً[٢].

وقوله: ﴿كُلُوا وَٱشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ يعني من: النِّعَم التي عدّدها عليهم من المنِّ والسلوى وغير ذلك.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: لا تطغوا ولا تسعوا في الأرض فَساداً. وأصل العَثا: شدّة الفساد، يقال منه: عَثِيَ فلان في الأرض: إذا تجاوز في الأرض إلى عاتية، يَعْثي عثاءً، والجماعة يَعْثَوْنَ.

وفيه لغتان أُخريان: إحداهما: عَثَا يَعْثُو عُثُوّاً. ومن قرأ بهذه اللّغة ينبغي أن يضمّ الثاء، ولم يقرأ به أحد.

واللّغة الأُولى: لغة أهل الحجاز.

وقال[٣] بنو تميم وغيرهم: عاثَ يَعِيث عَيْثاً، وعُيُوثاً وعَيَثاناً: بمعنى واحد[٤]، قال رؤبة بن العجاج:

---

(١) سورة الأعراف ٧: ١٦٠.

(٢) للتوسعة في لغة «بَجَس» يراجع: العين ٦: ٥٨، جمهرة اللّغة ١: ٢٦٧، تهذيب اللّغة ١٠: ٥٩٩، المحيط في اللّغة ٧: ١٧، المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٢٨٠، الصحاح ٢: ٩٠٧، لسان العرب ٦: ٢٤، تاج العروس ٨: ١٩٨.

(٣) هذه هي اللّغة الثانية.

(٤) المادة «عَيَثَ وعوث» تجدها في المصادر التالية: العين ٢: ٢٣١، جمهرة اللّغة ١: ٤٢٧ و٣: ١٢٥٥، تهذيب اللّغة ٣: ١٥٠ و١٥٢، المحيط في اللّغة ٢: ١٣٨ و١٣٧، المحكم والمحيط الأعظم ٢: ٣٣٧ و٢٣٠، الصحاح ١: ٢٨٧، مجمل اللّغة: ٦١١ و٦٣٨، معجم مقاييس اللّغة ٤: ٢٣٠، مفردات ألفاظ القرآن: ٥٤٦، ⇐

وَعاثَ فِينَا مُسْتَحِلٌّ عائثٌ
مُصَدِّقٌ أو فاجِرٌ مقاعِثٌ[1] [٢٦٩]

يعني بقوله: عاثَ فينا: أفسد فينا.

وقيل: يَعْثو أصله من العَيْث، فقدّموا بعض الحروف، وأخّروا بعضها، يقال: عَثَا يَعْثُو وَعاث يَعيِثُ، وهو: الفساد[2]، قال ابن أُذَيْنة الثقفي[3]:

نُـــقيم ولا نَـــعْثوا بـــوَجٍّ وإنَـــنّا
على النّاس شخابون شوس الحواجب[4] [٢٧٠]

عمدة الحفّاظ ٣: ٢٩، بصائر ذوي التمييز ٤: ٢٠ ت ٦، لسان العرب ٢: ١٧٠، تاج العروس ١٩: ٦٥٦.

على أنّ الشيخ المصنّف ﷺ قد تعرّض لها مرة أُخرى في: سورة الأعراف ٧: ٧٤، سورة هود ١١: ٨٥، سورة الشعراء ٢٦: ١٨٣، سورة العنكبوت ٢٩: ٣٦.

(١) الرجز من قصيدة يمدح فيها الحارث بن سليم الهجيمي.

المعنى: عاث: أفسد. مستحلٌّ: العامل الذي يستحل أموال الناس ويستبيحها. المصدِّق: عامل الزكاة الذي قد يجور إذا لم يكن من أهل الدين والورع كما هو الغالب. مقاعث: المستأصل للشيء ومراده هنا المال أو ما تتعلق به الزكاة. كأنّ المصدِّق المبعوث ـ وكما هو ديدنهم ـ قد عاث في أموالنا وأفسدها كأنّه قد استحل ذلك، مثل التاجر الذي يحاول الحصول على أموال الناس في بيعه تجارتَه عالياً.

انظر: الديوان ٢٩ ق ١٢ ب ٣٥.

(٢) أي: عَثَوَ وعوث، وصُرِّح بذلك في أغلب المصادر اللّغوية المشار إليها في الهامش الاسبق.

(٣) عروة بن يحيى ـ أُذينة ـ بن مالك، أبو عامر، محدِّث عالم وصف بالنُّسك والعبادة، غلب عليه قول الشعر حتى عدّ من مقدّمي شعراء أهل المدينة المنورة الحذّاق بالغزل منه. توفّي عام ١٣٠هـ.

انظر: تاريخ الإسلام سنوات ١٢١ ـ ١٤٠: ١٧٧، الشعر والشعراء ٢: ٥٧٩ ت ١٠٤، الموشح: ٥٨٤، المؤتلف والمختلف: ٦٩ وغيرها كثير.

(٤) في ضبط بعض ألفاظه بين الأُصول والمصادر اختلاف.

وإنّما قال: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ وإن كان العَيْثُ لا يكون إلّا فساداً؛ لأنّه يجوز أن يكون فعلاً ظاهره الفساد وباطنه المصلحة، كخرق صاحب موسى السفينة، فبيّن ذلك العيثَ الذي هو فساد ظاهراً وباطناً.

قوله عزّ اسمه:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ آية (٦١) آية بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة: ﴿النّبيئين﴾ بالهمز، الباقون بغير همز[1].

وتركُ الهمز هو الاختيار.

واختلفوا في اشتقاقه، فقال بعضهم: من أنبائك بالأمر، كأنّه أنبأ عن

المعنى: وَجّ، بفتح وتشديد، قيل: وادي في الطائف، فيه كانت غزوة للنبي ﷺ، وقيل: اسم آخر لمدينة الطائف، وقيل غير ذلك.

معجم البلدان ٥: ٤٦١ و٤: ٩، مراصد الاطّلاع ٣: ١٤٢٦ و٨٨٦.

والعجب أنّ الديوان وبتحقيق د. الجبوري خال منه. ولم نجد في المصادر المتوفّرة ما يفيد شيئاً حوله.

(١) انظر: السبعة في القراءات: ١٥٧ ـ ١٥٨، الحجة للقراء السبعة ٢: ٨٧، معاني القراءات للأزهري: ٥١ ـ ٥٢، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٥، حجة القراءات: ٩٨ ـ ١٠٠ وغيرها.

الله وأخبر عنه فترك همز ذلك؛ لكثرة ما يجري[1]. وقال الكَسائي: النّبيّ: الطريق، يُراد به أنّه علَم وطريق إلى الحقّ[2].

وأصلهُ: من النَّبْوة. والنَّجْوة، أي: المكان المرتفع.

ومن قال: هو مشتقّ من الإنباء الذي هو الإخبار، قال: جاء فعيل بمعنى مفعل، كما قالوا: سميع بمعنى مسمع. كذلك قالوا: نبئ بمعنى منبئ، وبصير بمعنى مبصر، وأُبدل مكان الهمزة من النبئ الياء، فقالوا: نبيّ يا هذا.

ويجمع النّبيُّ: أَنبياء، وإنّما جمعوه كذلك؛ لإلحاقهم النّبيَّ ـ بإبدال الهمزة منه ياء ـ بالنعوت التي تأتي على تقدير فعيل من ذوات الياء والواو وذلك كقولهم: وليّ وأولياء، ووصي وأوصياء، ودعيّ وأدعياء. ولو جمعوه على أصله ـ والواحد نبيّ ـ لقيل: النُّبَّاء؛ لأنّ فعيلاً يجمع: فُعَلاء، كقولهم: سَفيه وسُفهاء، وَفقيه وفُقهاء، وشَريك وشُركاء.

وقد سُمع من العرب «النُّبَّاء» وذلك في لغة من هَمَزَ النّبئ، ومن ذلك قول العبّاس بن مرداس السُّلمي[3] في وصف النّبي صلى الله عليه وآله ومدحه:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١: ١٤٥، إصلاح المنطق: ١٥٨، وانظر: صفحة ٣٥٦ هامش: ٢.

(٢) معاني القرآن للكسائي: ٧٢ ـ ٧٣، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠٧، البحر المحيط ١: ٢٢٠ وغيرهما.

(٣) أبو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، أُمّه الخنساء الشاعرة، فارس، شاعر شديد العارضة والبيان، سيداً في قومه، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، أسلم قُبيل فتح مكة، عداده في المؤلّفة قلوبهم، شهد حنين وفتح مكة، مات عام ١٨هـ.

لترجمته انظر: الطبقات الكبرى ٧: ٣٣، الشعر والشعراء ٢: ٧٤٦ ت ١٧٧، الأغاني ١٤: ٣٠٢، الإصابة ٢: ٢٧٢ ت ٤٥١١، مقدمة الديوان.

يـا خـاتَم النُّبَآءِ إنَّكَ مُرْسَلٌ   بالحقِّ خَيْرُ هُدى الإلهِ هُدَاكَا[١] [٢٧١]

فجمع على أنّ واحدهم نبئ مهموز .

وقد قال بعضهم : النّبي والنّبوة غير مهموزين ؛ لأنّهما مأخوذان من النَّبوة ، وهي مثل النَّجْوة ، وهما مأخوذان من المكان المرتفع . وكلٌ يقول : إنّ أصل النّبي الطريق ، قال القطامي[٢] :

لَـمّا وَرَدْنَ نَـبِيّاً واسْـتَتَبَّ بِـنَا   مُسْحَنْفِرٌ كَخُطُوطِ السَّيْحِ مُنْسَحِلُ[٣] [٢٧٢]

---

(١) البيت الأوّل من القصيدة ٥٨ : في الديوان : ١٢٢ في مدح النبيّ الأكرم ﷺ
المعنى : واضح .
الشاهد فيه : قوله : «النُّبَآءِ» ، جمع : نبئ مهموز . وقد نُقلت لشطره الثاني عدّة روايات لاتهمنا .

(٢) أبو سعيد ، عُمَيْر بن شِيَيْم - مصغّرين - بن تغلب القطامي أول من لُقِّب صريع الغوانيّ ، شاعرٌ نصرانيٌّ أسلمَ ، معاصرٌ للأخطل ، وكان فحلاً مقلّاً ، مُجيداً ، كثيرَ الأمثال في شعره ، رقيق التشبيب حسنه ، مات عام ١٣٠هـ .
له أبيات حكمية جميلة منها :
والناسَ مَنْ يَلْقَ خيراً قـائلون له   ما يشتهي ، ولأُمِّ المُخْطِئِ الهَبَلُ
قد يُدرِكُ المُتَأنّي بَعضَ حـاجَتِهِ   وَقَدْ يَكونُ مَعَ المُستَعْجِلِ الزَّلَلُ
لترجمته انظر : الشعر والشعراء ٢ : ٧٢٣ ت ١٦٧ ، طبقات الشعراء للجُمَحي : ١٢١ ، المؤتلف والمختلف : ٢٥١ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٧٣ ، الأغاني ٢٤ : ١٧ ، تاريخ دمشق ٤٦ : ٩٦ ت ٥٣٥٤ .

(٣) البيت من قصيدة يمدح بها الشاعر عبدالواحد بن الحارث بن أبي العاص الأُموي .
المعنى : نَبِيّاً : اسم مكان ، ولعلّه كثيب رمل في ديار بني تغلب . استتبَّ : استقام وبان وامتدّ ، المُسْحَنْفِر : البيّن المعالم ؛ لكثرة السير والسائرين . السَّيْح : الكساء المخطّط ، وروي : السَّحْل : وهو الثوب الأبيض .
الشاهد فيه : «نبياً» استعمله من دون همز وهو من النُّبوة .
انظر : الديوان : ٤ ق١ ب٢٠ واستشهد به جمع منهم الطبري في جامعه ١ : ٢٥١ ، ابن الأنباري في الزاهر ٢ : ١١٩ ، ابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٥١٩ ، الزبيدي في تاج العروس ٢٠ : ٢١٢ وغيرهم .

قالوا: وسميّ الطريق نَبيّاً؛ لأنّه ظاهر مستبين من النَّبوة.

قال أبو عليّ الفارسي: قال أبو زيد: نَبَأْتُ مِنْ أرْضٍ إلى أُخرى، فأَنا أَنْبَأُ نَبْأً ونُبُوءاً: إذا خَرَجْتَ منها إلى أُخرى[1]، وليس اشتقاق النَّبئ من هذا وإن كان من لفظه ولكنّه من النّبأ الذي هو الخبر، كأنّه المخبر عن الله.

فإن قلت: لِمَ لا يكون من النّباوة، وممّا أنشده أبو عثمان[2] قال: أنشدني كيسان[3]:

مَحْضَ الضَّرِيَبةَ في البيْتِ الذي وُضِعَتْ
فيه النَّباوَةُ حُلْوَاً غَيْرَ مَمْذُوقِ[4] [٢٧٣]

أو يجوز فيه الأمرين؟ فتقول: إنّه يجوز أن يكون من النّباوة، ومن النَّبأ، كما أُجيزت في عِضَةٍ أن تكون من الواو، لقوله:

....

(١) الهمز للأنصاري: ٤٦.
(٢) هو المازني المتقدّم.
(٣) كيسان بن المعرِّف النحوي، أبو سليمان الهُجَيْميّ، مولاهم الخراساني راوية يغلب عليه المزاح، فيه غفلة شديدة؛ إذ كان يكتب غير ما يسمع، ويحدِّث غير ما حفظ. قال الأصمعي: كيسان ثقة ليس بمتزيّد، أخذ عن الخليل، معاصرٌ لأبي عبيدة.
له ترجمة في: طبقات النحويين واللّغويين: ١٧٨ ت ٩٤، معجم الأدباء ١٧: ٣١، ت ١٣، إنباه الرواة للقفطي ٣: ٣٨ ت ٥٦٣، بغية الوعاة ٢: ٢٦٧ ت ١٩٥٣.
(٤) البيت لعبدالله بن همّام السلولي، الذي حرّض يزيد بن معاوية على أخذ البيعة لابنه معاوية بن يزيد.
الضريبة: لبن عدّة لقاح يحلب بعضه فوق بعض. النّباوة: المحل المرتفع. الممذوق. المذق: المزج والخلط بالماء، أي: اللّبن الغير ممزوج بالماء.

وَعِضَواتٌ تَقْطَعُ اللَّهازِما[1] [٢٧٤]

ومن الهاء لقوله:

....لها بعضاهِ الأرض تهزيز[2] [٢٧٥]

قال: وليس ذلك كالعضة؛ لأنّ سيبويه زعم أنهم يقولون في تحقير النُّبُوَّةِ: كان مُسَيْلَمَة نُبُوَّته نُبَيِّئَةَ سَوْءٍ[3]. وكلُّهم يقولون: تَنَبَّأَ مُسَيْلَمَة. فلو كان يحتملُ الأمرين جميعاً لما أجمعوا على تَنَبَّأَ ولا على النُّبَيِّئَةِ.

فإن قيل: فلم لا يُستدلّ بقولهم: أنبياء (على جواز الأمرين في اللّام

---

(١) من رجز لأبي مهديَّةَ الأعرابيّ، وتمامه:

هذا طَرِيقٌ يَأْزِمُ المآزِما
....

الأزم: العضّ: اللّهازم: أسفل الرجل، وقيل: مضغتان في أصل الحنك، والأوّل المراد.

يصف صعوبة طريقٍ، وشدّته على سالكيه.

استُشهد به على أنّ «عِضَةً» لامها واو محذوفة؛ بدليل الجمع هذا.

انظر: الكتاب ٣: ٣٦٠، النكت للأعلم ٢: ٨٩٥، الكامل للمبرّد ٣: ٦٧، الخصائص ١: ١٧٢، المسائل العسكريات: ٨٩، البغداديات: ١٥٨ ت ١٤، شرح المفصّل ٥: ٣٨.

(٢) قطعة من عجز بيت للمُتَنخِّل الهُذليّ، وتمامه.

قد حال دون دَرِيسَيْهِ مؤوِّبَةٌ نِسْع، ....

الدريس: الثوب البالي. المؤوِّبَة: رياح تهب مع الدليل. النِّسع: من أسماء ريح الشمال وكذا مِسْع. العضاة: نبت ذو شوك شديد الألم لمن أصابه.

الشاهد: «بعضاه» لام فعلها هاء بدليل التَّصغير؛ لقولهم: «عُضَيْهَةٌ». وقيل: بل واو، بدليل النسبة؛ لقولك: «عِضْويّ».

انظر: ديوان الهُذَليّين ٢: ١٦، الكتاب ٣: ٤٦٠، الحجة لأبي علي ٢: ٨٩.

(٣) الكتاب: ٣: ٤٦٠.

من النّبي)[1]؛ لأنّهم قالوا: أنبياءُ ونُبّاءُ؟ قال الشاعر:

[٢٧١] يـا خـاتَم النُّـبآءِ.......... ....

قيل: ما ذكرتَه لا يدلّ على تجويز الأمرين فيه؛ لأنّ أنبياء إنّما جاز لأنّ البدل لمّا لزم في نبيٍّ صار في لزوم البدل له، كقولهم: عيد وأعياد، فكما أنّ أعياداً لا يدلّ على أنّ عيداً من الياءِ؛ لكونه من عود الشيء، كذلك لا يدلّ أَنبياء على أنّه من النّباوة. لكنّه لمّا لزم البدل جُعل بمنزلة: تقيّ وأتقياء، وصفيّ وأصفياء، فلمّا لزم صار كالبريّة والخابية، ونحو ذلك ممّا لزم الهمزة فيه حرف اللِّين بدلاً من الهمزة، فما دلّ على أنّه من الهمزة، فإنّه لا يعترض عليه شيءٌ فصار قول من حقّق الهمزة في النّبيِّ كردِّ الشيء إلى الأصل المرفوض استعماله، نحو: وَذَرَ وودَعَ، فمن ثمّ كان التخفيف فيه الأكثر.

فأمّا ما روي في الحديث: من أنّ بعضهم قال: يا نبيء الله، فقال: (لستُ بنبيء الله ولكنّي نبيّ الله) قال أبو علي: أظنّ أن من أهل النّقل من ضعّف أسناده، وممّا يقوّي تضعيفه أنّ من مدح النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال:

[٢٧١] يـا خـاتَم النُّـبآءِ.......... ....

لم يُؤثَر فيه إنكارٌ عليه؛ ولو كان في واحده نكير لكان في الجمع مثله[2].

---

(١) الجملة المحصورة ساقطة من النّسخ، أُثبت من النّسخة «خ»، مؤيداً بالمصدر الآتي.

(٢) الحجّة لأبي عليّ الفارسيّ ٢: ٨٨ ـ ٩٤. وقد ضُبط النّص ملفّقاً بينه والمخطوط «خ». هذا، وتقدّم للشيخ المصنّف كلام حول هذا عند تفسير الآية ٣١ من سورة ⇦

ثمّ إنّا قد[1] بينّا فيما مضى أنّ الصبر: كفّ النّفس وحبسها عن الشيء[2].

فإذا ثبت ذلك، فكأنّه قال: واذكروا إذ قلتم يا معشر بني إسرائيل: لن نطيق حبس أنفسنا على طعام واحد ـ وذلك الطعام هو ما أخبر الله عزّ وجلّ أنّه أطعمهم في تيههم وهو السلوى في قول أهل التفسير، وفي قول وهب ابن مُنَبِّه[3]: الخبز النقيّ مع اللّحم[4] ـ فسل ربّك يخرج لنا ممّا تنبت الأرض من البقل والقثّاء، وما سمّاه الله مع ذلك. وذكر أنّه سألوه موسى.

وكان سبب مسألتهم ذلك ما رواه قَتادة قال: كان القوم في البرّيّة قد ظَلَّل عليهم الغمامَ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، فملّوا ذلك، وذكروا عيشاً

البقرة عند قوله تعالى: ﴿أَنبِئُونِي﴾ منها، فإضافة لما ذكر من مصادر هناك انظر: شرح النهج الحديدي ١٩ : ٣٧١، سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٢ ق ١ : ٥٧٤ ت ٥٧٥٩، وذكره الشيخ الصدوق في معاني الأخبار: ١١٤ ذيل حديث ١ وعقّبه قائلاً: النبوّةُ لفظ مأخوذ من النَّبْوة، وهو ما ارتفع من الأرض، فمعنى النبوة الرّفعة، ومعنى النبيّ: الرفيع؛ سمعت ذلك من أبي بِشْر اللّغويّ بمدينة السلام.

تفسير السمعاني ١ : ٨٧، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢٤، الزاهر في معاني كلمات الناس ٢ : ١٢٠، وهكذا أغلب التفاسير عند الآية هذه أو المتقدمة ٣١.

(١) الجملةُ جمعٌ بين الأُصول، ومعها العبارة أوضح.

(٢) عند تفسير الآية ٤٥ من سورة البقرة.

(٣) أبو عبدالله الأبناويّ، وهب بن مُنَبِّه اليمانيّ الصنعانيّ، الأخباريّ، القصصيّ. روايته للمُسْنَد من الحديث لعلّها معدومة، وغزارة علمه في الإسرائيليّات مشهودة مشهورة، ومع هذا وثّقه جمع. توفّي عام ١١٣هـ.

انظر: سيَر أعلام النبلاء ٤ : ٥٤٤ ـ ٢١٩، تهذيب الكمال ٣١ : ١٤٠ ت ٦٧٦٧، تاريخ الإسلام حوادث ١٠١ ـ ١٢٠ : ٤٩٧ ت ٥٩٩، ومصادرهم.

(٤) تجد الأقوال في: تفسير الهوّاري ١ : ١١١، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٢٢ ت ٦٠٩، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٤، تفسير جامع البيان ١ : ٢٤٥، تفسير الوسيط ١ : ١٤٦.

كان لهم بمصر ، فسألوه موسى ، فقال الله تعالى : ﴿ٱهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾(١) .

وإنّما قال : ﴿مِمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ ؛ لأنّ «مِنْ» تدخل للتبعيض ، ولو لم تدخل هاهنا لكانت المسألة تصحّ على جميع ما تنبته الأرض ، (وليس المراد ذلك ، وإنّما أرادوا البعض ، فكأنّهم قالوا : تخرج لنا بعض ما تنبته الأرض)(٢) فأتوا بـ«مِنْ» التي نابت مناب البعض حيث قامت مقامه .

وفي النّاس من قال : إنّ «مِنْ» هاهنا زائدة وأنّها تجري مجرى قولهم : ما جاءني من أحد .

والصحيح الأوّل ؛ لأنّ «مِنْ» لا تزاد في الإيجاب وإنّما تزاد في النفي ؛ ولأنّ من المعلوم أنّهم ما أرادوا جميع ما تُنبته الأرض وجرى ذلك مجرى قول القائل : أصبتُ اليومَ من الطعام عندَ فلان ؛ يريدُ أصبت شيئاً منه(٣) .

وقوله : ﴿يُخْرِجُ﴾ جزم ؛ لأنّه جواب الأمر .

---

(١) انظر : تفسير الصنعاني ١ : ٢٧٢ ت ٦٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٢٢ ت ٦٠٩ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٤ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٤٥ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٦ .

(٢) الجملة المحصورة أضيفت من «خ» تخلو منها باقي النسخ ، وانظر تفسير مجمع البيان عند تفسير الآية .

(٣) خلاف بين المفسّرين وكذا النحاة في زيادة «من» ، فبعض ذهب إلى الإمكان والصحّة مطلقاً ، وآخرون مفصّلين بين الإثبات والنفي ، ولهم أدلّتهم ، لمعرفتها وزيادة الاطّلاع انظر : معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٧٢ ، إعراب القرآن للنحّاس ١ : ٢٣١ ، تفسير الكشف والبيان ٢ : ٣٧ ، تفسير الكشّاف ١ : ٣٥٥ ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٨٦ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٤٦ ، كتاب الأزهية للهروي : ٦٦ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٣٦ ، الإنصاف لابن الأنباري ١ : ٣٧٦ ت ٥٤ ، شرح الرضيّ على الكافية ٤ : ٢٦٨ ، مغني اللبيب ١ : ٤١٨ ، شرح ابن عقيل ٢ : ١٥ وغيرها كثير عند التعرّض لهذه الآية .

والبَقْلُ ، والقِثّاءُ : معروفان ، وفي القِثاءِ لغتان : ضمّ القاف ، وكسرها ، والكسر أجود وهي لغة القرآن . وإنّما ذكر الله تعالى هذه الألفاظ ـ وإن لم تكن لائقة بفصاحة القرآن ـ على وجه الحكاية عنهم .

وأمّا الفُومُ : فقال ابن عبّاس ، وأبو جعفر الباقر عليه السلام وقَتادة ، والسُّدّيّ : إنّه الحنطة[1] . وأنشد ابن عبّاس قول أُحَيْحَةَ بن الجُلّاح[2] :

[٢٧٦] قَدْ كُنْتُ أغْنَى النّاسِ شَخْصاً واقِداً وَرَدَ المَـدِينَةَ عَـنْ زِرَاعَـةِ فُـومِ[3]

وقال الفرّاء والجَبّائيّ والأزهريّ[4] : هو الحنطة والخبز ، تقول العرب :

---

(١) صحيفة عليّ بن أبي طلحة : ٨٣ ت ٢١ ، تفسير غريب القرآن لابن عبّاس : ٥٤ ت ٢٦ ، تفسير القمّي ١ : ٤٨ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٢٣ ت ٦١٣ ، السيرة النبويّة لابن هشام ٢ : ١٨٣ ، تفسير مقاتل بن سليمان ١ : ١١١ ، التفسير الكبير للطبراني ١ : ١٧٧ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢٠٥ .

(٢) أُحَيْحَةُ بن الجُلّاح الأوسيّ ، سيّدها في يثرب ، عدّ من دهاة العرب ، والشعراء الشجعان ، ضاع أكثر شعره على قلّته ، ولكثرة إصابته الواقع في إخباره عن الأمور يعتقد البعض أنّ معه تابع من الجنّ يُعْلمه الأخبار ، كان غنيّاً ذو مالٍ وقلاع ، اتّهم بالرِّبا ، تزوّج سلمى بنت عمرو النّجاريّة ، ثمّ طلّقها فخلف عليها هشام بن عبدالمناف جدّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ، توفّي حدود : ١٢٠ قبل الهجرة .

له ترجمة في عدّة من المصادر ، انظر : الأغاني ١٥ : ٣٧ ، جمهرة أشعار العرب ٢ : ٦٥٧ ت ٢٦ ، معجم الشعراء الجاهليّين : ١٠ ومصادره .

(٣) اختلفت المصادر في ضبطه ونسبته بين أُحيحة وأبي محجن الثقفيّ ، انظر : غريب القرآن في شعر العرب : ٥٤ ت ٢٦ ، تفسير جامع البيان للطبريّ ١ : ٢٤٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١ : ١٢٣ ت ٦١٤ ، تفسير الكشف والبيان للثعلبيّ ١ : ٢٠٥ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٨ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٣٧ ، المحتسب ١ : ٨٨ ، الصحاح ٥ : ٢٠٠٥ «فَوَمَ» ، رسالة الملائكة للمعرّي : ١٦ ، الأشباه والنظائر ٨ : ٧٨ ت ٧٩٢ وغيرها كثيرة .

(٤) بلقبه ـ الأزهري ـ أشهر من اسمه : محمّد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر ـ وإليه النسبة ـ الهروي ولادة ووفاة ، والشافعي مذهباً .

ﷺ

فوِّمُوا لنا ـ بالتّشديد ـ أي: اخبزوا لنا[١].

وقال قوم: في الحبوب التي تخبز، وهو مأثور[٢].

وقال مجاهد وعطاء وابن زيد: إنّه الخبز[٣].

وفي قراءة ابن مسعود، وهو قول الربيع بن أنس والكسائيّ: إنّه الثُّوم، وأُبدلَ من الثاءِ فاءً كما قالوا: جدث وجدف وأثافي وأثاثي[٤].

سمع بهراة وغيرها من جمع كثير، منهم: الحسين بن إدريس، والسامي، ونفطويه، وابن السّراج، والبغويّ. وعنه أخذ جمع منهم الأزديّ الهرويّ، أبو عبيد الهرويّ، أحمد بن محمّد، خمرويه وكثيرون أُسر عند عودته من الحج في فتنة القِرمِطي عام ٣٧٠ هـ، وأفاد من أسريه كثيراً، له مؤلفات أشهرها وأعرفها تهذيب اللّغة وبه خلد وغيرها، توفّي بهراة عام ٣٧٠ هـ. انظر: مقدمة تهذيب اللّغة ولعل فيها الكفاية، ومصادرها.

(١) معاني القرآن للفرّاء ١: ٤١، تهذيب اللّغة للأزهريُّ ٥: ٥٧٣ «فَوَمَ»، وأمّا الجبّائيّ فمؤلّفاته مفقودة.

(٢) رُوِيَ ذلك عن جمع من القدماء، انظر: جامع البيان ١: ٢٤٦، تفسير الهّواريّ ١: ١١١، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٤٣، تفسير ابن زمنين ١: ١٤٥، تفسير الثعلبيّ ١: ٢٠٥، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٣، غريب القرآن لليزيديّ: ٧٠ وغيرها.

(٣) القول هذا منسوب في المصادر التالية وغيرها إلى مجاهد بن جبر وصحبه انظر: تفسير مجاهد: ٢٠٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٤٣ ت ٦١٤، تفسير جامع البيان ١: ٢٤٧، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٤٣، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٨، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٤١.

وأمّا ما في بعض النسخ وحروفيات الكتاب من كونه ابن مجاهد فلعله أحمد بن موسى، وتقدّم في ١: ١٢٣، أو محمّد بن أحمد بن مجاهد فعداده في المتكلمين.

انظر سير أعلام النبلاء ١٦: ٣٠٥ ت ٢١٤ ومصادره.

(٤) غريب القرآن في شعر العرب: ٥٥ م ٢٦، معاني القرآن للكسائي: ٧٢، وللفرّاء ١: ٤١، وللزجّاج ١: ١٤٣، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٩، غريب القرآن لليزيديّ: ٧٠، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٨٦، غريب القرآن العظيم لمكيّ بن أبي طالب: ١٨، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٣٧.

قال: الفرّاء: وهذا أشبه بما بعده من ذكر البصل[١].

قال أُميّة بن أبي الصّلت:

فَوقَ شيزى مِثْلَ الجَوابِي عَلَيْها قِطَعٌ كَالوَذيلِ في نفي فُومِ[٢] [٢٧٧]

وقال أيضاً:

كانَتْ مَنازِلُهم إذْ ذَاكَ ظَاهرةً فِيها الفَرادِيسُ والفُوَمانُ والبصلُ[٣] [٢٧٨]

قال الزّجّاج: وهذا بعيد؛ لأنّه لا يعرف الثُّوم بمعنى الفُوم؛ لأنّ القوم لا يجوز أن يطلبوا الثُّوم ولا يطلبون الخبز الذي هو الأصل. وأيضاً فلا خلاف أنّ الفُومَ: هو الطّعام، وإن كان كلّ حبٍّ يخبز منه يقال له: فوم[٤].

هذا، وقد تعرّضت كتب اللّغة للمعنى والإبدال، انظر «فَوَمَ» في: الغريبين للهروي ٥ : ١٤٨٢، معجم مقاييس اللّغة ٤ : ٤٦٢، مفردات ألفاظ القرآن: ٦٥٠، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٥٤٦، لسان العرب ١٢ : ٤٦٠، وغيرها.

(١) معاني القرآن له ١ : ٤١.

(٢) ذُكر البيت هذا تارة مفرداً كما في: أُميّة بن أبي الصلت حياته وشعره: ٢٩٤ ت ١٢٣، والديوان جمع الجُبيليّ: ١٣٣ ت ١٤٨، سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٣.
وأُخرى مع سابقٍ له كما في الديوان بشرح الكاتب: ٧٨.
والشّيزى: أواني كبيرة تصنع من خشب أسود، تُسمّى الشيز ولعلّه شجر الجوز، وقد يطلق عليها الجفان. الجوابي: مفرده الجابية، حياض تعدّ لجمع المياه. الوذيل: سبيكة الفضّة.

(٣) بيت شعر مفرد، استشهد به ابن عبّاس في غريب القرآن في شعر العرب: ٥٥ ت ٢٦، وانظر أُميّة بن أبي الصلت حياته وشعره: ٢٤٩ ت ٨٠، الديوان جمع الجبيلي: ٩٨ ت ١٠١، وجمع الكاتب: ٦١ باختلاف لا يضرّ.
الفراديس ـ مفرده فردوس ـ: البساتين والكروم المفرّشة.
الشاهد: استعمال «الفومان» وإرادة «الثومان» على قاعدة الإبدال للثاءِ فاءً.

(٤) معاني القرآن للزجّاج ١ : ١٤٣.

وقوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾:

قيل فيه قولان:

أحدهما: الذي هو (أردى)[1] الطعامين بدلاً من أجودهما.

والثاني: الذي تتبدلّون في زراعته وصناعته بما أعطاكم الله عفواً من المنّ والسلوى[2].

وقرأ بعضهم: «أَدْنأُ» مهموزاً[3].

وقال بعض المفسّرين: لولا الرواية لكان هو الوجه؛ لأنّه من قولك: رجل دنئ من الدناءة، وما كنت دَنِيئاً، ولكنّك دَنِئْتَ، أي: خسست.

وإذا قرئ بلا همز فمعناه: القرب[4]، وليس هذا موضعه، ولكنّه موضع الخساسة، ولو كان ما سألوه أقرب إليهم لما سألوه ولا التمسوه. ويجوز أن يجعل أدنى وأقرب بمعنى: أدون، كما تقول: هذا شيء مقارب، أي: دون.

وحكى الأزهريّ عن أبي زيد: الداني ـ بلا همز ـ: الخسيس.

---

(١) من «خ» وفي البواقي: أدنى.

(٢) أشير إليهما في: تفسير بحر العلوم ١: ١٢٣، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١: ١١١، تفسير الوسيط ١: ١٤٦، تفسير القرآن للسمعاني ١: ٨٦، الكشف والبيان ١: ٢٠٥، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٣٨، وغيرها.

(٣) مختصر شواذّ ابن خالويه: ١٤، المحتسب ١: ٨٨، شواذّ القراءات الكرماني: ٦٤، معاني القرآن للفرّاء ١: ٤٢، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠٥.

هذا، وقد نسبت إلى زهير الفرقُبيّ الكسائيّ، عدّ من القرّاء النحويين، كان معاصراً لعاصم، له في القراءة اختيار يروى عنه.

انظر: طبقات القرّاء للجزري ١: ٢٩٥ ت ١٣٠١.

(٤) أُشير إلى القراءة في بعض مصادر الهامش السابق، ويضاف: معاني القرآن للزّجّاج ١: ١٤٣، تفسير الوسيط ١: ١٤٦، العين ٨: ٧٥، تهذيب اللّغة ١٤: ١٨٧، لسان العرب ١٤: ٢٧١ بتفصيل قد يغني عن غيره.

والدنئ ـ بالهمز ـ: الماجن[(١)].

وقوله: ﴿**ٱهْبِطُواْ مِصْراً**﴾ تقديره: فدعى موسى فاستجبنا له، فقلنا لهم: اهبطوا مصراً. وقد تمّ الكلام؛ لأن الله أجابهم بقوله: ﴿**فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ**﴾. ثمّ استأنف حكم الذين اعتدوا في السبت ومَن قَتَل الأنبياء فقال: ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ**﴾.

ونوّن جميع القرّاء: ﴿**مِصْراً**﴾، وقرأ بعضهم بغير تنوين، وفي قراءة ابن مسعود بغير ألف[(٢)].

وقال قَتادة والسُّدي ومجاهد وابن زيد: إنّه أراد مصراً من غير تعيين؛ لأنّ ما سألوه من البقل والقثّاء لا يكون إلّا في الأمصار.

وقال الحسن وأبو العالية والربيع: إنّه أراد مصر فرعون الذي خرجوا منه[(٣)].

وقال أبو مسلم محمّد بن بحر: أراد بيت المقدس؛ لقوله: ﴿**ٱدْخُلُوا**

---

(١) يظهر أنّ وضعية الهمزة تابع للمراد من استعمال الكلمة في المكان والزمان أو المنزلة، وتتبّعه يطول فالإحالة خير، انظر «دَنَأَ» في: العين ٨: ٧٥، تهذيب اللّغة ١٤: ١٨٧، المحيط في اللّغة ٩: ٣٦١، المحكم والمحيط الأعظم ٩: ٣٧٨، مفردات ألفاظ القرآن: ٣١٨، مجمل اللّغة ٣٣٦، جمهرة اللّغة ٢: ١٠٩٦، الهمز: ٥٨ وغيرها كثير.

(٢) أشارت إلى القراءة من الكتب المختصّة: مختصر شواذّ ابن خالويه: ١٤، المصاحف للسجستانيّ: ٦٨، شواذّ القراءات للكرمانيّ: ١٤، إعراب القراءات الشواذّ ١: ١٦٨ ـ ١٦٩، معاني القرآن: للفرّاء ١: ٤٣، وللزجّاج ١: ١٤٤ وغيرها.

(٣) من جملة مصادرها: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٢٤ ت ٦١٨ و٦١٩، تفسير النكت والعيون ١: ١٢٩، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٨٦، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٣، وتفسير جامع البيان ١: ٢٤٨.

﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[١] ورُوي ذلك عن ابن زيد[٢].

وأمّا اشتقاق مصر، فقال بعضهم: هو من القطع؛ لانقطاعه بالعمارة.

ومنهم من قال: هو مشتقّ من الفَصْل بينه وبين غيره[٣]. قال عَديّ ابن زيد:

[٤٤] وجاعل الشَّمْسِ مِصْراً لا خَفَاءَ بهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلا

ومن نوّن أراد مصراً من الأمصارِ غير معيّن. ويجوز أيضاً أن يريد مصراً بعينه الذي خرجوا منه، وإنّما نوّن اتّباعاً للمصحف؛ لأنّ في المصحف ألف، كما قرأ «قوارير»: ﴿قَوَارِيرَا﴾[٤] منوّناً اتّباعاً لخطّ المصحف.

ومن لم ينوّن أراد مصر بعينها لا غير[٥].

وكلّ ذلك محتمل.

وقوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ استئناف كلام بما فعل

---

(١) سورة المائدة ٥: ٢١.

(٢) عنه الطبري في تفسيره جامع البيان ١: ٢٤٨. وأمّا أبو مسلم فكتبه مفقودة.

(٣) «مَصَرَ» ذكرت في أغلب مصادر اللّغة منها: العين ٧: ١٢٢، جمهرة اللّغة ٧٤٤، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٧٦٩، تهذيب اللّغة ١٢: ١٨٢، المحيط في اللّغة ٨: ١٤٢، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٣٢٣، مجمل اللّغة ٢: ٨٣٣، معجم مقاييس اللّغة ٥: ٣٢٩، المخصّص ٦: ٢٢٧.

(٤) سورة الإنسان ٧٦: ١٥.

(٥) إضافة لبعض مصادر الهامش الأسبق، انظر: معاني القرآن للفرّاء ١: ٤٣، معاني القرآن للزجّاج ١: ١٤٤، مشكل إعراب القرآن للقيسيّ ١: ٥٠ ت ١٠٩، البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٨٧، التبيان في إعراب القرآن ١: ٦٩، وغيرها.

الله بهم ؛ يعني بالذين اعتدوا في السبت وقتلوا الأنبياء .

ومعنى ﴿ضُرِبَتْ﴾ أي : فرضت ووضعت عليهم الذّلّة وأُلزموها ، من قول القائل : ضربَ الإمامُ الجزيةَ على أهلِ الذّمّةِ ، وضرب فلان على عبده الخَراج ، وضرب الأمير على الجيش البَّعث ، يريد بجميع ذلك : ألزم ذلك ، وبه قال الحسن وقتادة .

وقيل : معنى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ أي : حلّوا بمنزلة الذِّلّ والمسكنة ، مأخوذ من ضَرب القباب[1] ، قال الفرزدق في جرير :

ضَرَبَتْ عَليكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِها   وَقَضَى عَلَيكَ بِهِ الكِتابُ الْمُنزَلُ[2] [٢٧٩]

وأمّا ﴿ٱلذِّلَّةُ﴾ : فقال الحسن وقتادة وغيره : إنّه الجزيةُ والصَّغار[3] .

---

(١) انظر : تفسير الحسن البصريّ ١ : ٩٧ ت ١١٣ ، تفسير الصنعانيّ ١ : ٢٧٣ ت ٦٢ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٢٥ ، ت ٦٢٣ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٤٩ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٩ ، التفسير المنسوب للإمام العسكريّ : ٢٦٣ ، تفسير البحر المحيط ١ : ٢٣٩ ، وانظر : تفسير الكشّاف ١ : ٢٨٥ ، تفسير القرطبي ١ : ٤٣٠ .

(٢) من قصيدةٍ للفرزدق يهجو جَريراً ، وفي البيت يمثّل حاله ـ في الذلّة والوهن وأنّهما مضروبتان عليه ملازمتان ـ ببيت العنكبوت الموصوف في الذكر الحكيم ، سورة العنكبوت ، ٢٩ : ٤١ .

انظر : ديوان الفرزدق ٢ : ١٥٥ ، ديوان النقائض ١ : ١٦٣ ب ٧ ق ٣٧ .

(٣) نقلت الأقوال في : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٢٥ ت ٦٢٣ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٩ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٤٠ ، تفسير الصنعاني ١ : ٢٧٣ ت ٦٢ ، تفسير الحسن البصريّ ٢ : ٥٤ ، تفسير السمرقنديّ بحر العلوم ١ : ١٢٥ منسوبة إليهما ؛ وفي تفسير ابن زمنين ١ : ١٤٥ ، تفسير مقاتل ١ : ١١١ ، تفسير الوسيط ١ : ١١٠ غير منسوبة ، وانظر : التفسير المنسوب للإمام العسكري : ٣٦٣ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٥٠ .

مشتقّ من قولهم : ذَلَّ فلان يذِلُّ ذُلّاً وذِلَّةً[(١)].

وأمّا ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ : فهي مصدر المِسْكِين ، يقال : ما فيهم أَسْكَنُ مِنْ فُلان ، وما كان مسكيناً ، ولكن تَمَسْكَنَ تَمَسْكُناً ، ومنهم من يقول : تَسَكَّنَ تَسَكّناً[(٢)].

والمَسْكَنَةُ : هاهنا مَسْكَنَةُ الفاقة والحاجة ، وهي خُشُوعها وذُلّها ، تقول: ما في بني فلان أسكنُ من فلان ، أي: أفقر منه ، وهو قول أبو العالية والسُّدِّيّ.

وقال ابن زيد : المعنيّ بذلك يهود بني إسرائيل[(٣)].

أبدلهم الله تعالى بالعزّ ذُلّاً ، وبالنّعمة بُؤساً ، وبالرضا عنهم غضباً[(٤)] ؛ جزاءً منه بما كفروا بآياته ، وقتلهم أنبياءه ورسله اعتداءً وظلماً .

وقوله : ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي : انصرفوا ورجعوا ، ولا يقال : باءُوا إلّا موصولاً : إمّا بخير وإمّا بشرّ ، وأكثر ما يستعمل في الشّرّ ، كذا قال الكسائي[(٥)] . ويقال منه : باء بذَنْبه يَبُوءُ به بَوْءاً ، ومنه قوله تعالى : ﴿أُرِيدُ

---

(١) «ذَلَل» لغة تجدها في : العين ٨ : ١٧٦ ، جمهرة اللّغة ١ : ١١٨ ، المحيط في اللّغة ١٠ : ٥٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ١٠ : ٤٨ .

(٢) «سَكَنَ» لغة تجدها في : العين ٥ : ٣١٢ ، تهذيب اللّغة ١٠ : ٦٤ ، محيط اللّغة ٦ : ١٨٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٧١٨ ، الصحاح ٥ : ١٢٣٦ ، لسان العرب ١٣ : ٢١٠ ، تاج العروس ١٨ : ٢٨٤ ، مجاز القرآن ١ : ٤٢ .

(٣) أُشير إلى الأقوال في أغلب التفاسير ، منها : تفسير الصنعاني ١ : ٢٧٣ ، ت ٦٢ ، جامع البيان ١ : ٢٥٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٢٥ ت ٦٢٣ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٢٩ ، تفسير الوسيط ١ : ١٤٧ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٤٠ ، وغيرها .

(٤) في «خ» : سخطاً . ولعلّ له وجه .

(٥) صرّح الماوردي في تفسيره النكت والعيون ١ : ١٣٠ بنسبة ذلك إلى الكسائي ، وكذا الواحدي في تفسيره الوسيط ١ : ١٤٧ . وأمّا أغلب التفاسير فقد ذكرت ذلك

﴿أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾[1] يعني ترجع بهما قد صارا عليك دوني.

فمعنى الكلام: ارجعوا منصرفين متحمّلين غضب الله، قد صار عليهم من الله غضب ووجب عليهم منه سخط.

وقال المبرّد: أصل ذلك المنزلة، أي: نزّلوا منزلة غضب الله.

وروي: إنّ رجلاً جاء برجل إلى النبيّ ﷺ، فقال: هذا قاتل أخي، (وإنّه بواء به)[2]، أي: مقتول به.

ومنه قول ليلى الأخيلية[3]:

فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَواءً فَإِنَّكُمْ ... فَتىً مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ[4] [٢٨٠]

وقال الزجّاج: أصل ذلك التسوية. ومعنى ذلك أنّهم تساووا بغضب

﴿عند تفسير الآية بدون نسبة، وانظر: تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠٦، تفسير البحر المحيط ١: ٢٢٠.

(١) سورة المائدة ٥: ٩٥.

(٢) كذا في النسخ، فهو من قول الراوي، وأمّا في المصدر الوحيد النّكت والعيون ١: ١٣٠: فهو بواء به، يظهر أنّه حكم النبيّ ﷺ.

(٣) ليلى بنت عبدالله بن الرّحّال، شاعرة إسلاميّة من المتقدّمات لم يتقدّمها غير الخنساء شهرت بحبّ توبة بن الحمير إيّاها حتّى قتل بسببها، لها مع أمراء وحكّام زمانها أخبار مذكورة، رثت عثمان بعد مقتله، بقيت حتّى عهد الحاكم الأموي عبدالملك بن مروان وماتت في عهده عام ٨٠هـ.

لترجمتها انظر: الشعر والشعراء ١: ٤٤٨ ت ٧٩، أشعار النساء: ٢٥، الأغاني ١١: ٢٠٤، تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠): ٥١٨ ت ٢٤٢، مصارع العشّاق ١: ٢٨٣، وغيرها كثيرة.

(٤) من قصيدة ترثي بها توبة بن الحميّر.

المعنى: لمّا كان بناءُ القصاص في الإسلام على نفي المعادلة والتقدير، واعتبار الكلّ على التساوي في الدماء، إذن لا قصاص ولا ثأر لقتيلي؛ لما له من المقام والشرف إذ لا يعادله ولا يساويه أحد.

انظر: الديوان: ٥٠ قصيدة ٢٠: بيت ١٤.

من الله[١] .

ومنه ما روي عن عبادة بن الصامت[٢] ، قال : جعل الله تعالى الأنفال إلى نبيّه ، فقسّمها بينهم على بواء[٣] ، أي : على سواء بينهم في القسم .

ومنه قول الشاعر :

فَيَقْتُلَ جَبْراً بِامْرِئ لَمْ يَكُنْ لَهُ ... بَواءً ، وَلكِنْ لا تَكايُلَ بالدَّمِ[٤] [٢٨١]

---

(١) المتوفّر من كتبه (المعاني ، فعلت ، شرح الأسماء) خالية منه ، وقد نسبه إليه الماوردي في النّكت والعيون ١ : ١٣٠ .

(٢) أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن الخزرج الأنصاري ، صحابيّ جليل القدر ، أحد النقباء العقبين البدريّين ، شهد المشاهد مع النبيّ الأكرم ، سكن بيت المقدس ، وكان يعلّم القرآن في الشام ، لم يتمكّن معاوية من استمالته ؛ لشدّته في ذات الله ، شكاه إلى عمر فنهاه عنه . حدّث عن : أبي أُمامة الباهليّ ، أنس بن مالك ، أبي مسلم الخولاني وآخرين ، عدّ ممّن مضى على منهاج نبيهم ولم يغيّروا في موالاتهم لأهل البيت . توفّي عام ٣٤هـ .

انظر : تنقيح المقال ٢ : ١٢٥ ت ٦١٩٢ ، طبقات ابن سعد ٣ : ٥٤٦ ، أُسد الغابة ٣ : ٥٦ ت ١٧٨٩ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٥ ت ١ ومصادره .

(٣) روى ذلك عن عُبادة : المفسرون عند تفسير سورة الأنفال ، منهم للمثال : الطبري في جامعه ٩ : ١١٦ ، الثعلبي في تفسير الكشف والبيان ٤ : ٣٢٥ ، ابن العربي في أحكام القرآن ٢ : ٨٣٧ . وكذا المحدّثون منهم للمثال : أحمد في مسنده ٥ : ٣٢٢ ، الحاكم في المستدرك ٢ : ١٢٦ و٣٢٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٦ : ٢٩٢ و٣١٥ ، و٩ : ٥٧ . وكذا المؤرخون عند حوادث معركة بدر منهم للمثال ابن هشام في السيرة ٢ : ٢٩٥ ، ابن عبدالبر في الدرر : ٧٢ ، والذهبي في تاريخ الإسلام (المغازي) : ٦٤ وانظر : الاستذكار لابن عبدالبر ١٤ : ١٥١ ت ١٩٧٩٦ وغيرها .

(٤) بيت من مقطوعة لبنت بهدل بن قرفة الطائي ، أحد اللّصوص المشهورين أيّام حكومة عبدالملك بن مروان ، راثية قتيلها ـ أباها ـ ومحرّضة قومها على الثأر له .

جبر : هو ابن عبيد ، السبب في قتل بهدل ، فما في بعض النسخ والطبعات عوضه : خير ، لا يمكن المساعدة عليه .

☜

والأصل الرجوع، على ما ذكرناه.

وقال قوم: هو الاعتراف، ومعناه أنّهم اعترفوا بما يوجب عليهم غضب الله[1]، ومنه قول الشاعر:

إنّي أَبُوء بِعَثْرَتي وخَطِيئَتي ... رَبّي وَهَلْ إلّا إلَيْكَ الْمَهْرَبُ[2] [٢٨٢]

وأمّا «الغَضَبُ»، فقال قوم: ما حلّ بهم من البَلاء والنّقمة في دار الدّنيا بدلاً من الرَّخاء والنِّعمة.

وقال آخرون: هو ما ينالهم في الآخرة من العقاب على معاصيهم.

وقوله: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى ما تقدّم ذكره من ضَرب الذِّلّة والمسكنة، وإحلال غضبه بهم؛ لأنّه يشتمل على

↰ بواء: المعادلة في الكفاءة والمنزلة للقصاص، ومنه: «الجراحات بواء».

لا تكايل: لا تقدير ولا معادلة في الدّم للقصاص؛ لمنع الإسلام منه.

المعنى: تتساءل الشاعرة بتهكم واستنكار قائلة: أما يوجد في قيس شجاعٌ يثأر من قاتل أبي - جبراً - وإن لم يكن هو كفئاً لأبي، لو كان هناك تكايل بالدّم؛ لتحريم الإسلام ذلك. فلا يقتل بدل الواحد إلّا واحد شريفاً كان أم وضيعاً.

انظر: الحماسة لأبي تمّام: ٦٧ت ٥٠، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١: ٢١٣ ت ٤٩، شرح التبريزي للحماسة ١: ١١٥، الأغاني ٢١: ٢٤٥.

(١) ما ذكر من معاني لـ: «بَوَءَ» تجده في المصادر: العين ٨: ٤١١، جمهرة اللّغة ١: ٢٢٩، تهذيب اللّغة ١٥: ٥٩٤، محيط اللّغة ١٠: ٤٤٣، الصحاح ١: ٣٧، المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ٥٦٠، المخصص ٧: ٣٣١، مجمل اللّغة ١: ١٣٨، مفردات ألفاظ القرآن: ١٥٨، الغريبين للهروي ١: ٢١٨، تاج العروس ١: ١١٦ مجمع البحرين ١: ٢٠٠، وانظر: الفايق للزمخشري ١: ١٣٣، النهاية في غريب الحديث ١: ١٦٠، غريب الحديث لابن الجوزي ١: ٨٩ وغيرها.

(٢) البيت (١٤) من قصيدة حكمية على شكل وصيّة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام أوصى بها ولده الإمام الحسن عليه السلام.

انظر: أنوار العقول: ١٠٨ ت ٢٨، تاريخ دمشق ٤٢: ٥٢٦ - ٥٢٧.

جميع ذلك .

ومعنى ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي : لأجل أنّهم كانوا يكفرون بآيات الله ، فعلنا بهم مافعلناه من أنواع العذاب .

وقوله : ﴿يَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ لا يدلّ على أنّه قد يصحّ أن يقتلوهم بحقّ ؛ لأنّ هذا خُرّج مخرج الصّفةِ لقتلهم ، وأنّه لا يكون إلّا ظُلماً بغير حقّ ، كما قال : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلٰهاً ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾[1] (ومعناه : إنّ ذلك لا يمكن أنْ يكون عليه برهان)[2] ، وكما قال : ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[3] ، (وإن كان لا يحكم إلّا بالحقّ)[4] وكما قال الشاعر :

[١٨٦] علـى لَاحِبٍ لا يُـهْتَدَى بَـمنارِهِ ....

ومعناه : ليس هناك منارٌ يهتدى به ، ومثله كثير .

وقوله : ﴿ذٰلِكَ بِمَا عَصَوا﴾ : إشارة إلى ما أنزل الله من الذلّة والمسكنة بما عصوا في قتلهم الأنبياء ، وعدْوِهم في السبت ، وغير ذلك .

وقيل : معناه بنقض العهد ، وكانوا يعتدون في قتل الأنبياء ؛ أنّه روي : أنّهم كانوا إذا قتلوا النبيّ في أوّل النهار قامت سوق بقتلهم في آخره[5] .

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣ : ١١٧ .

(٢) الجملة المنصّصة زيادة من النسخة «خ» .

(٣) سورة الأنبياء ٢١ : ١١٢ .

(٤) الجملة المنصصة زيادة من النسخة «خ» .

(٥) المصادر الناقلة والحاكية لهذا الموضوع مختلفة في ضبط كلمتي : «قامت ، بقتلهم» بينهما وبين : «يقيمون ، نقوم . بقلهم» والجملة دالّة على عدم مبالاتهم لما يصدر منهم ، وعدم سلوكهم طريق الهدى والرشد ، ومخالفتهم للأنبياء والرسل . للإحاطة ↩

وإنّما خلّى الله بين الكافر وقتل الأنبياء؛ لينالوا من رفيع المنازل ما لم ينالوه بغيره، وليس ذلك بخذلان لهم، كما فعل بالمؤمن من أهل طاعته.

وقال الحسن: إنّ الله تعالى ما أمر نبيّاً بالحرب إلّا نصره فلم يُقتل، وإنّما خلّى بين الكفار وبين قتل من لم يُؤمر بالقتال من الأنبياء[1].

والذي نقوله: إنّ النبيّ إنْ كان لم يؤد الشَّرع لا يجوز أنْ يُمكّن الله من قتله؛ لأنّه لو مَكّنَ فقُتل أدّى إلى أنْ تُزاح علل المكلّفين فيما لهم من الألطاف والمصالح، فإذا أدّوا الشَّرع، جاز حينئذٍ أنْ يُخلّي بينهم وبين من قتلهم، ولا يجب المنع منه[2].

وروى أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: (اختلفت بنو اسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة، حتى كثر منهم أولاد السبايا، واختلفوا بعد عيسى

أنظر: الكافي ٨: ١١٣ قطعة من الحديث ٩٢ حول آدم عليه السلام مع الشجرة، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٢٦ ت ٦٣٢، التفسير الكبير للطبرانيّ ١: ١٧٨.

(١) أُشير في التفاسير التالية وغيرها إلى هذا، ونسب في البعض لابن عباس، أُنظر: تفسير النكت والعيون ١: ١٣٠، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٤٢، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٢، تفسير البحر المحيط ١: ٢٣٧، وغيرها.

(٢) تعرّض علمائنا لهذه المسألة غالباً عند بحث الغَيبة وعللها، انظر للمثال: أوائل المقالات (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد) ٤: ١١٥ ـ ١١٦ ـ ١٤٩، الغيبة للشيخ الطوسي: ٨٩ ـ ٩٠، المقنع في الإمامة: ٦٣، رسائل الشريف المرتضى ١: ٣٢٠ و٢: ٢٩٥، مسائل المرتضى: ٢٣٧ وغيرها. وانظر من التفاسير عند تفسير الآية ١٤٦ من سورة آل عمران منها: الكشف والبيان ٣: ١٨١، تفسير المحرّر الوجيز ٣: ٢٥٤، تفسير النكت والعيون ١: ١٣٠، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٢، مفاتيح الغيب ٩: ٢٦، تفسير معالم التنزيل ١: ٥٦٢، وانظر: الفِصَل في المِلل والأهواء والنِّحل ٢: ١٦١، وغيرها كثير.

بمائتي سنة)[١].

والاعتداء: تجاوز الحدّ الذي حدّه الله لعباده إلى غيره، وكلُّ متجاوزٍ حدَّ شيءٍ إلى غيره فقد تعداه إلى ما تجاوز إليه[٢].

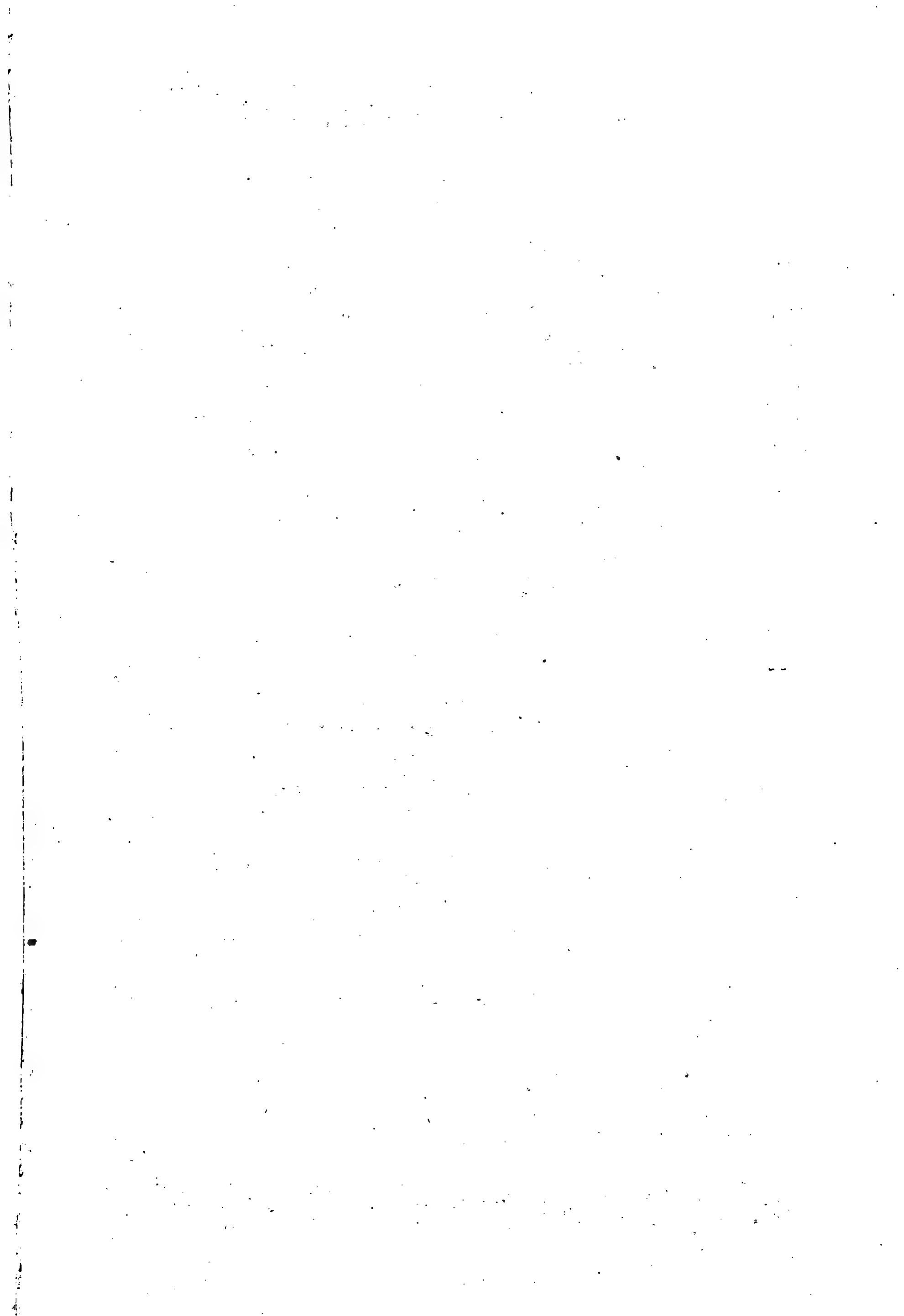
فمعنى الكلام: فعلت بهم ما فعلت من ذلك بما عصوا أمري، وتجاوزوا حدّي إلى ما نهيتهم عنه.

---

(١) على قلّة المصادر الناقلة له فهي مختلفة فيه، أُنظر: الفردوس بمأثور الخطاب ١: ٤٠٦، البحر المحيط ١: ٢٣٧، أُصول السرخسي ٢: ١٠٢.

(٢) أشارت إلى هذا المعنى جملة من اللّغويات، منها: تهذيب اللّغة ٣: ١٠٨، مفردات ألفاظ القرآن: ٥٥٣، الصحاح ٦: ٢٤٢٠، لسان العرب ١٥: ٣١، تاج العروس ١٩: ٦٥٨، «عَدا» فيها وفي غيرها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾



قوله تعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ آية (٦٢) آية واحدة .

قرأ نافع بترك الهمز من الصابئين (في جميع القرآن)[١] ، وجميع القرّاء الباقون يهمزون[٢] .

أمّا **﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** فهم المصدِّقون برسول الله ﷺ فيما آتاهم به من الحقّ من عند الله .

وأمّا **﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا﴾** فهم اليهود .

ومعنى **﴿هَادُوا﴾** : تابوا ، يقال : هادَ القومُ يهودون هَوْداً ، وهيادةً .

وقال ابن جريج : إنّما سُميت اليهودُ يهوداً ؛ لقولهم : **﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾**[٣] . قال أعرابيٌّ يؤخذ بقوله على ما قال أبو عبيدة :

---

(١) زيادة من النسخة «خ» ، تساعد عليها مصادر القراءة الآتية وبعض المصادر الأُخرى ، ومنها : مجمع البيان عند الآية . على أنّ الكلمة ـ الصابئين ـ وردت في القرآن المجيد ثلاث مرات ، هي : هنا ، وفي سورة المائدة : ٦٩ ، وسورة الحج : ١٧ فقط .

(٢) القراءة ذكرت في : السبعة في القراءات : ١٥٨ ، حجة القراءات : ١٠٠ ، معاني القراءات للأزهري : ٥٢ ، الحجة للقرّاء السبعة : ٩٤ ، غاية الاختصار ٢ : ٤١٠ ، الموضَّح ١ : ٢٨٠ت ٢٤ ، جامع البيان للداني ٢ : ٤٥ ، وغيرها .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٥٦ .

فإنّي مِنْ مَدْحِهِ هائدُ[(١)] **[٢٨٣]**

أي: تائب.

وقيل: إنّما سَمّوا يَهوداً؛ لأنّهم نُسبوا إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب، فعرّبت الذّال دالاً.

وقال زُهير في معنى الرّجوع:

سِوى رُبُعٍ لمْ يَأْتِ فيهِ مخافَةً وَلا رَهَقاً مِنْ عائذٍ مُتَهَوِّدِ[(٢)] **[٢٨٤]**

أي: تائب، فسميت اليهودُ يهوداً؛ لتوبتهم من عبادة العجل.

وأصل الهَوْدِ: الطُمَأْنينةُ، ويُخبر به عن لين السَّيْر، ومنه الهَوادة: وهي السكون، قال الحسين بن علي المغربي: أنشدني أبو رعاية السَّلَمي[(٣)]، وهو من أفصح بدوي أطاف بنا، وأغزرهم رواية:

صِباغَتُها مِنْ مِهْنَةِ الحَيِّ بالضُّحى جِيادُ المَدارِي حالِكُ اللّونِ أسْوَدا **[٢٨٥]**

---

(١) من الأعرابيات المجهولة القائل والتكملة، وقد اختلف في كلمة «مدحه» بينها و«مدحتي» و«حُبِّه» ولا ضير فيه.

الشاهد فيه: كلٌّ من ذكره تمسك به على أنّ «هائد» بمعنى: تائب.

انظر: ديوان الأدب ٣: ٣٩٢، الصحاح ٢: ٥٥٧، لسان العرب ٣: ٤٣٩، تاج العروس ٢: ٥٤٨، الحور العين: ٣١٣، ومن كتب التفسير: تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠٨، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٤٤، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٣، تفسير الدر المصون ١: ٢٤٧ ت ٥١٦، وغيرها.

(٢) البيت للشاعر زهير بن أبي سُلْمى ـ وتقدم ـ من قصيدة ذكرت في الديوان: ١٩٠، ب٤٠، ق١٩، صنعة الأعلم، يمدح فيها هرم بن حارثة المُريّ.

المعنى: الرهق: الظّلم والغصب، العائذ: من يعوذ به ويثق به الملتجئ. المتهوّد: المطمئن، السّاكن، الواثق بالشيء.

يصف هرمَ بأنّه لم يُكثر ماله من ظلم غيره، أو من خيانةٍ، أو غدر أو بخل، وإنّما كان قنع من الغنيمة بالربع لا غير.

(٣) أبو رعاية السلمي: لم تسعفنا المصادر بشيء عنه.

إذا نَـفَضَتْهُ مـالَ طَـوْراً بِـجِيدِها وَتِــمْثالُهُ طَـوراً بأغْـيَد أَفْـوَدا

كـما مـالَ قِـنْوا مُـطْعِمٍ هَـجَرِيّةٍ إذا حَرَّكَتْ رِيحٌ ذُرى النَخْلِ هَوّدا[1]

المُطْعِم : النّخلة ، شبّه شعرها بأقناء البُسر . هوّد : تحرك حركةً ليّنة .

قال زهير :

[٢٨٤] .... ولارهقا من عايد متهود

وليس اسم يهود مشتقّاً من هذا[2] .

والنّصارى : جمع نَصران ، كقولهم : سَكْران وسَكارى ، ونَشْوان ونَشاوى ، هذا قول سيبويه[3] . قال الشاعر :

تــراه إذا كــان العَشَــيُّ مُــحنِّفَاً يُضَحّي لَدَيْهِ وَهْوَ نَصْرانُ شامِسُ[4] [٢٨٦]

---

(١) على كثرة ما توفّر لدينا من مصادر الأدب والأُدباء لم نتمكّن من الحصول على ما يغني عن الشاعر وشعره شيئاً .

ويبدو أنّ الشاعر يشبّه قامة امرأة بالنّخلة ، وشعر رأسها الأصفر بأقناء ـ الشمراخ ـ البُسر لصفرته أيضاً ، وأنّه كما إذا حرّكت الرياح النّخلة يـميل القِـنْوُ مـعها يـمنة ويسرة ، كذا شعر هذه الأصفر اللّون كأنّه شمراخ البُسر يميل حول جيدها حيثما مال رأسها .

المُطْعِم : النخلة . هوّد : تحرك حركة ليّنة يسيرة . الفَوْد : شعر الرأس من الجانبين وقيل : معظمه . القِنْو : الشمراخ الحامل لثمر النخلة ، أي البُسر .

(٢) التسمية واللّغة أشارت إليها المصادر التـالية : العـين ٤ : ٧٦ ، جـمهرة اللّـغة ٢ : ٦٨٩ ، تهذيب اللّغة ٦ : ٣٨٧ ، المحيط في اللّغة ٤ : ٤٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ٤ : ٤١١ ، الغريبين للهروي ٦ : ١٩٤٧ ، المعرّب : ٣٥٧ ، الزاهر في معاني كلمات الناس ٢ : ٢٢٥ ، الاشتقاق : ٥٤٩ .

(٣) الكتاب ٣ : ٢٥٥ و٤١١ ، وانظر : النّكت في شرح كتاب سيبويه ٢ : ٨٤٣ .

(٤) استشهد به جمع للمورد ، ولم ينسب لدى أحد منهم ، وكذا نـحن لم نـصل إلى قائله مع كثرة التتبّع ، وممّن استشهد به ـ على اختلاف في روايته بـينهم ـ ، مـن

⇐

وقد سُمع في الأنثى نصرانة، قال الشاعر:

[١٦١] فكلتاهُما خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأسُها كما سَجَدَتْ نَصرانَةٌ لم تُحنَّفِ

وقد سُمع في جمعهم[1]. أنصار بمعنى النّصارى[2]، قال الشاعر:

[٢٨٧] لمّا رأيتُ نَبَطاً أَنْصارَا

شَمَّرتُ عن رُكْبَتِيَ الإزَارَا

كُنتُ لَهُم من النّصارى جَارَا[3]

والمشهور أنّ واحد النّصارى نَصْري، مثل: بعير مَهْرِيّ ومَهَاري.

وإنّما سمّوا نصارى؛ لنصرة بعضهم بعضاً، دليله الأبيات[4] التي ذكرناها.

التفاسير: تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠٨، تفسير جامع البيان ١: ٢٥٢، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٤٥ ت ٢٨٢، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٣، تفسير البحر المحيط ١: ٢٣٨، تفسير الدّر المصون ١: ٢٤٧ ت ٥١٩، تفسير اللّباب ٢: ١٣٤ ت ٥٥٢، فتح القدير ١: ٩٤. وانظر: الزاهر في معاني كلمات النّاس ٢: ٢٢٥، الأضداد للأنباري: ١٨١ وفيه باختلاف يخلّ بالشّاهد.

(١) في نسخة «خ» جميعهم.

(٢) يظهر من بعض أهل اللّغة عدّها ـ أنصار ـ من الأضداد؛ لإرادة النّصرة تارة، والدّين أُخرى. انظر: الأضداد للأنباري: ٣٤١ ت ٢٢٧، الأضداد لابن السكيت (ضمن ثلاث كتب في الأضداد): ٢٤٦ ت ٦٧٦. إضافة لبعض مصادر الشعر الآتية.

(٣) رجز لم يعرف قائله بأكثر من أنّه أعرابي. وقد استشهد به جمع لمورد الشاهد وغيره، منهم: الفرّاء في معاني القرآن ١: ٤٤، الطبري في جامعه ١: ٢٥٢، ابن الشجري في أماليه ١: ١١٨م ١٢ و٢: ١٤٥م ٤٤، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٤، المرتضى في أماليه ٢: ٥، وانظر: لسان العرب ٥: ٢١٢ تاج العروس ٧: ٥٢٨ وغيرها.

(٤) هذا هو الصحيح من نسخة «خ»، وما ورد في بعض النسخ والطبعات: «الآيات»، عوض الأبيات، لا يمكن المساعدة عليه.

وقيل: إنّما سُمّوا بذلك؛ لأنّهم نزلوا أرضاً يُقال لها: ناصِرة، وكان ينزلها عيسى فنسب إليها، فقيل: عيسى النّاصريّ، ثمّ نُسب أَصحابه إليه، فقيل: نصارى، وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن جريج[١].

وقيل: إنّهم سُمّوا بذلك؛ لقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى ٱللَّهِ﴾[٢][٣].

والصابئون ـ جمع صابِئ[٤]، وهو ـ: من انتقل من دينه إلى دين آخر، كالمرتدّ من أهل الإسلام. وكلّ خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره يُسمى في اللّغة: صابئاً.

قال أبو زيد: صَبَأَ فلان في دينه يَصْبَأُ صُبُوءاً إذا كان صابِئاً، وصَبَأَ نابُ الصَّبِيِّ يَصْبَأُ صَبَوءاً: إذا طلع[٥].

---

(١) ذكرت ذلك عدّة من التفاسير، منها: تفسير كتاب الله العزيز للهواريّ ١: ١١٢، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٥، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠٨، تفسير الوسيط ١: ١٤٩، تفسير السمعاني ١: ٨٨، تفسير النكت والعيون ١: ١٣٢، تفسير ابن زمنين ١: ١٤٦، وغيرها كثير.

(٢) سورة الصف ٦١: ١٤.

(٣) أشارت إلى ذلك عدة من المصادر اللّغوية عند «نَصَرَ»، منها: العين ٧: ١٠٨، جمهرة اللّغة ٢: ٧٤٤، تهذيب اللّغة ١٢: ١٥٩، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٨٠٨، الصحاح ٢: ٨٢٩، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٢٩٩، الزاهر في معاني كلمات الناس ٢: ٢٢٥، معجم الأصمعيّ: ٣٩٣، لسان العرب ٥: ٢١٠، تاج العروس ٧: ٥٢٨، وانظر تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٣.

(٤) رغم اختلاف اللّغويين في اشتقاق الكلمة ـ صبأ ـ هل هي مهموزة أم لا؟ لكنّهم اتّفقوا على تقارب، بل وحدة المعنى في كلّ الحالات. وقد سرى ذلك بين القرّاء أيضاً. انظر المصادر في الهامش ٢ صفحة ٣٨١.

وهناك رأي يشير إلى أنّ الأصل العبري لهذه الكلمة هو «صَبَعَ» أي غطس، انظر: دائرة المعارف الإسلامية ١٤: ٨٩.

(٥) كتاب الهمز: ٦٥.

وقال الزجاج: صَبَأَتْ النّجومُ: إذا ظَهَرَتْ[(١)].

وقال أبو زيد: صَبَأَتْ عليهم تَصْبَأُ صَبْأً أو صُبُوءاً: إذا طَلَعَتْ عليهِم[(٢)].

فكأنّ معنى الصابئ: التارك دينَهُ الّذي شُرّع له إلى دين غَيرِه، كما أنّ الصابِئَ على القوم: تاركٌ لأرضِه ومُنتقل إلى سواها، فالدّين الذّي فارقوه هو تركهم التوحيد إلى عبادة النّجوم أو تعظيمها[(٣)].

وقال نافع: هو مأخوذ من قولهم: صبا يصبو: إذا مال إلى الشيء وأحبّه، ولذلك لم يهمز، قال الشاعر:

.... صَبَوْتَ أبا ذِئِبٍ وَأَنْتَ كَبِيرُ[(٤)] [٢٨٨]

قال أبو علي الفارسيّ: هذا ليس بجيد؛ لأنّه قد يَصْبو الإنسانُ إلى دينٍ فلا يكون منه تديُّنٌ به مع صُبُوِّهِ إليهِ، (فإذا بعُد هذا)[(٥)] ـ وكان الصابئون منتقلين من دينهم الذي أُخذ عليهم إلى سواه ـ وجب أن يكون

---

(١) معاني القرآن للزجاج ١ : ١٤٧.

(٢) كتاب الهمز : ٤٥.

(٣) نقل الرأي هذا تارة منسوباً وأُخرى غير منسوب في: تفسير النّكت والعيون ١ : ١٣٣، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢٥، الحجة للقرّاء السبعة ٢ : ٩٤ ـ ٩٥، غريب القرآن لليزيدي : ٧٢ت ٦٢، غريب القرآن لابن قتيبة : ٥١ ت ٦٢، تفسير المشكل من غريب القرآن : ٦٢ ت ٩٤، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٨٨، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٧٠ وغيرها كثير.

(٤) لأبي ذؤيب الهُذلي. وصدره.

دِيـارَ التـي قـالتْ غَـداةَ لَـقِيتُها ....

المعنى: صبوت: تصابيت بأن تأتي بأفعال الشّبان. أبا ذئب: كنية الشّاعر خُويلد بن خالد. وأنت كبير: أي في السّنّ.

(٥) اختلفت النسخ والمصدر في ضبط العبارة المحصورة والجميع بمؤدى واحد، ففي «هـ»: فإذا كان هكذا. وفي «خ»: فإذا كان هـذا كـهذا، وفـي المصدر ـ الحجة ـ المثبت، ولعلّه أظهر دلالة على المراد.

مأخوذاً من صَبَأْتُ الذي هو الانتقال. ويكون الصّابون على قلب الهمزة، وقلب الهمزة على هذا الحدّ لا يجيزه سيبويه إلّا في الشعر، ويجيزه غيره، فهو على قول من أجاز ذلك؛ وممّن أجاز ذلك أبو زيد. وحكي عنه أنّه قال: قلت لسيبويه: سمِعْتُ: قَرَيْتُ وأخْطَيْتُ. قال: فكيف تقول في المضارع؟ قلت: أَقْرَأُ، فقال: حسبُكَ، أو نحو هذا.

قال أبو علي: يريد سيبويه أنَّ قَرَيْتُ مع أَقْرَأُ لا ينبغي؛ لأنّ أقْرَأُ على الهَمْزِ، وقَرَيْتُ على القَلْب، فلا يجوز أنْ تُغَيَّر بعضُ الأمثلة دون بعض، فدلَّ على أنّ القائل لذلك غيرُ فصيح، وأنّه مخلّطٌ[1] في لغته[2].

وقال قتادة والبلخيّ: الصّابئون قوم معروفون لهم مذهب ينفردون به، من دينهم عبادة النجوم، وهم يقرّون بالصّانع وبالمعاد وببعض الأنبياء.

وقال مجاهد والحسن وابن أبي نجيح[3]: الصّابئون بين اليهود

---

(١) كذا في المصدر، وفي النسخ عوض «مخلط»: غلِط.

(٢) الحجة للقرّاء السبعة ٢: ٩٦، وكما تقدّم فإنّ الخلاف في إثبات الهمزة ـ الصابئين ـ وعدمها واسع حتّى بين القرّاء، وقد تعرّضت لذلك أغلب كتب اللّغة والتفسير عند تفسير الآية والقراءات عندها أيضاً، منها للمثال: العين ٧: ١٦٨ و١٧١، جمهرة اللّغة ٢: ١٠٢٣، تهذيب اللّغة ١٢: ٢٥٥، المحيط في اللّغة ٨: ٢٠٦، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٣٥٤، الصحاح ١: ٥٩، لسان العرب ١: ١٠٧، تاج العروس ١: ١٩١ «صَبأَ، صَبَوَ» فيهما. ومن التفسير للمثال: تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٤، تفسير الدرّ المصون ١: ٢٤٧، تفسير الوسيط ١: ٢٤٩، مجاز القرآن ١: ٤٣، معاني القرآن للزجاج ١: ١٤٧، ومن مصادر القراءة للمثال: حجة القراءات: ١٠٠، معاني القراءات: ٥٢، الحجة في القراءات السبع: ٨١، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٢٤٥، التذكرة في القراءات ٢: ٣١٥ ت ١٦١.

(٣) عبدالله بن جعفر بن أبي نجيح، أبو يسار المدينى، مولىٰ سعد، روىٰ عن أبيه ←

والمجوس لا دين لهم.

وقال السُّديّ: هم طائفة من أهل الكتاب يقرأون الزبور[(١)].

وقال الخليل: هم قوم دينهم شبيه بدين النّصارى إلّا أنّ قبلتهم نحو مهبّ الجَنوب حيال منتصف النّهار، ويزعُمون أنّهم على دين نُوح[(٢)].

وقال ابن زيد: الصابئون هم أهل دين من الأديان، كانوا بالجزيرة ـ جزيرة الموصل ـ يقولون: لا إله إلّا الله، قال: ولم يؤمنوا برسول الله صلّى الله عليه وآله، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبيّ عليه السلام ولأصحابه: هؤلاء الصّابئون، يشبّهونهم بهم.

وقال آخرون: هم طائفة من أهل الكتاب[(٣)].

والفقهاء بأجمعهم يُجيزون أخذ الجزية منهم. وعندنا لا يجوز ذلك؛

وعطاء ومجاهد وعِكرَمة وجماعة، وعنه شُعبة والطائفيّ والسفيانان وورقاء وغيرهم، وثقه جمع وضعّفه آخرون ورموه بالإعتزال والقدر، له تفسير مبثوث في الكتب. مات سنة ١٣١ هـ.

انظر: الطبقات الكبرىٰ ٥: ٤٨٣، تهذيب التهذيب ٦: ٤٩ ت ١٠٢ طبقات المفسرين ١: ٢٥٨ ت ٢٤٥، ميزان الاعتدال ٤: ٢١٥ ت ٤٦٥٦.

(١) تجد الآراء المنقولة محكية في المصادر التالية وغيرها: تفسير مجاهد بن جبر: ٢٠٤، تفسير الحسن البصري ٢: ٥٥ ت ٧٥، تفسير النكت والعيون ١: ١٣٣، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٢٧ ت ٦٣٧ ـ ٦٤٥، تفسير كتاب الله العزيز للهواريّ ١: ١١٢، تفسير الكشف والبيان ١: ٢٠٩، تفسير جامع البيان ١: ٢٥٣، تفسير ابن أبي زمنين ١: ١٤٦، تفسير السمعاني ١: ٨٨، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٥، تفسير الوسيط ١: ١٤٩، تفسير إيجاز البيان ١: ١٠٣، التفسير الكبير للطبراني ١: ١٧٩، وانظر: تفسير الدرّ المنثور ١: ٣٩٦ ـ ٣٩٨.

(٢) راجع «صَبأَ» في العين ٧: ١٧١، وانظر: تهذيب اللّغة ١٢: ٢٥٧ ونسبه إلى الليث.

(٣) إضافة لما في هامش ١ أعلاه و٢ صفحة ٣٨١، انظر المحرّر الوجيز ١: ٢٤٥، الناسخ والمنسوخ للمعافري ٢: ٤٠.

لأنّهم ليسوا أهل كتاب[١].

---

(١) من المعروف أنّ الصّابئة فرقتان متمايزتان تماماً، هما:

١ ـ المنديا أو الصبوه، قيل: هي فرقة يهوديّة الهوى، وأظهر طقوسها التعميد ـ الغطس ـ في الماء الجاري، أو الصَّبْغ، ولذا تراهم غالباً يعيشون في الأماكن القريبة من الأنهار؛ لسهولة ويسر إجراء طقسهم هذا.

٢ ـ صابئة حرّان: وهي فرقة وثنية بقيت أمداً في ظلّ الإسلام دافعة للجزية باقية على دينها. وأساس عبادتها للروحانيّات والنجوم، وقد أولتهم كتب الفرق والمذاهب اهتماماً؛ لما خرج من بينهم من علماء مشاركون يشار إليهم.

وربّما نسب إلى الصابئة عموماً أنبياء، منهم: يحيى، إدريس ـ هرمس ـ، شيث النبيّ ـ أماذون ـ.

وقيل: إنّ لديهم من الكتب المقدسة عندهم ما يلي:

١ ـ كنزه ربّه، أو كنزه ربّاه، كنز الربّ، وفيه صحف آدم وشيث وإدريس، وآراء ومعتقدات حول بدء الخليقة.

٢ ـ دراشه أديهيا، أو أفشاد هي، أو سدرا هي، أي: تعاليم يحيى أو دروس يحيى وتعاليمه، ويعتقدون أنّه موحى إليه توسط جبرائيل، وأنّها شرح لما جاء في صحف آدم وشيث وإدريس.

٣ ـ القلستا: وفيه تعاليم حول الزواج وشروطه.

٤ ـ درفش: يحوي بعض المراسم الدينية اليومية.

٥ ـ كتيبيات يقرأونها في أعيادهم ومناسباتهم الخاصة.

وكلّ هذه باللّغة الكلدانية ـ أي السّريانية أو الآرامية ـ ولم تترجم بعد، لذا صعب الاطّلاع على محتواها لغيرهم، ولغير العارف بلغتهم.

للتوسعة في معرفتهم. انظر: الفهرست لابن النديم: ٦٣٣، دائرة المعارف الإسلامية ١: ٨٩، دائرة معارف القرن العشرين ٦: ٤٢٦، الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٣٠، الصابئة لغضبان الناشئ، الأديان والمذاهب بالعراق: ١٩ ـ ٦٠، فصلية المورد العراقية العدد ٢ سنة ٥: ٦٠ ومصادرهم.

ولمعرفة الأحكام الشرعية الشاملة لهم. ينظر: الخلاف ٥: ٥٤٢، تذكرة الفقهاء ٩: ٢٨٢ م١٦٥ ومصادرهم، مختلف الشيعة ٤: ٤٤٤ م٥٨، ومدخل «جزية» من معجم فقه الجواهر ٢: ١٧٢ ت ٢، الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٦: ٢٩٣، أحكام أهل الذمة ١: ٩٢ وما بعدها.

قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾:

تقول: من صدّق بالله وأقرّ بالبعث بعد الممات يوم القيامة، وعمل صالحاً وأطاع الله، فلهم أجرهم عند ربّهم؛ يعني: ثواب عملهم الصالح.

فإن قيل: فأين تمام قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلنَّصارىٰ وَٱلصَّابِئِينَ﴾؟

قيل: تمامه جملة قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ لأنّ معناه: من آمن منهم بالله واليوم الآخر، وترك ذكر «منهم»؛ لدلالة الكلام عليه.

ومعنى الكلام ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصارىٰ وَٱلصَّابِئِينَ﴾: (من يؤمن منهم بالله واليوم الآخر، فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم.

وقوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

في الناس من قال: هو خبر عن الّذين هادوا والنصارى والصابئين)[1]؛ لأنّ الّذين آمنوا كانوا مؤمنين، فلا معنى حينئذٍ أن يقول: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ وهو يعنيهم.

ومنهم من قال: هو راجع إلى الكلّ ويكون رجوعه إلى الذين آمنوا على وجه الثبات لهم على إيمانهم والاستدامة، وترك التبديل والاستبدال

---

(١) بين القوسين ساقط من نسخة «خ».

به . وفي الذين هادوا والنصارى والصابئين استئناف إيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وما جاء به[١] .

وقوله : ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ فوحّد الفعل ثم قال : ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ فجمع ؛ لأنّ لفظة «مَنْ» وإنْ كانت لفظة واحد ، فمعناها يكون للواحد والجمع والأُنثى والذّكر ، فإن ذهب إلى اللّفظ وحّد ، وإن ذهب إلى المعنى جمع ، كما قال : ﴿وَمِنْهُم مَن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾[٢] فجمع مرّة مع الفعل ؛ لمعناه ، ووحّد أُخرى على اللّفظ ، قال الشاعر :

أَلِمّا بِسَلْمَى عَنْكُمَا إِنْ عَرَضْتُما وَقُولَا لَهَا عُوجِي عَلَى مَنْ تَخَلَّفُوا[٣] [٢٨٩]

فجمع الفعل ؛ لأنّه جعل : مَنْ بمنزلة : الّذين .

وربّما كان لاثنين وهو (أبعدُ ما جاء فيه)[٤] ، قال الفرزدق :

---

(١) ممّن أشار إلى ذلك الزّجاج في معاني القرآن ١ : ١٤٦ ، والنّحاس في إعراب القرآن ١ : ٢٣٣ فلعلّه عناهما ، وانظر : مشكل إعراب القرآن ١ : ٥١ ت ١١١ ، البيان لابن الأنباري ١ : ٨٨ ، التبيان في إعراب القرآن ١ : ٧٠ .

(٢) سورة يونس ١٠ : ٤٣ .

(٣) للشاعر امرئ القيس ـ وقد نسب لغيره ـ مادحاً نفسه .

المعنى : أَلِمّا بسلمى : زوروا سلمىٰ . عوجي : اعطفي وقفي . إن عرضتما : إن بلغتما إليها .

الشاهد : على مَنْ تَخَلَّفُوا : حيث استعمل «مَنْ» للجمع ، أي : الذين ، وقد تستعمل للمفرد والجمع ، ويمكن أن تكون معرفة وتارة أُخرى نكرة .

انظر : الديوان : ق٧٨ ب ٤ : ٣٢٣ .

(٤) هكذا في نسخة «خ» ، وفي باقي النسخ : أبعدُ وما جاء . والمثبت من نسخة «خ» لعلّه أقوى دلالة على المراد ، ومراده : إنّ استعمال «مَنْ» للتثنية أبعد من استعمالها في المفرد والجمع .

[٨٧] تَعَشْ فَإنْ عَاهَدتَني لا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَاذِئْبُ يَصْطَحِبانِ[١]

وقوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾:

قال السُّدِّيُّ: إنّها نزلت في سلمان الفارسيّ وأصحابه النصارى الّذين كان قد تنصّر على أيديهم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانوا قد أخبروه بأنّه سيُبعث، وأنّهم يؤمنون به إنْ أدركوه[٢].

وروي عن ابن عبّاس: إنّها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٣][٤]. وهذا بعيد؛ لأنّ النسخ لا يجوز أن

(١) بحث استعمال «مَنْ» للمفرد والمثنى والجمع، ذكرته مصادر اللّغة والأدب مستشهدةً ببيت الفرزدق هذا، وقد تقدم. فإضافة لما تقدّم هناك ضمن الرقم ٨٧ من المصادر، انظر: الكامل في الأدب ١: ٣٦٨، ٣٧٢، الصاحبي: ٢٧٤، شرح المفصَّل لابن يعيش ٢: ١٣٢ و٤: ١٣، أمالي ابن الشّجري ٢: ٤١ و٣: ٦٣ مجلس ٧٤، وغيرها كثير.

هذا وقد اختلف في ضبط بعض ألفاظه.

(٢) رواية إسلام سلمان المحمديّ ذكرها كلّ من ترجم له، وذكرت في مصادر كثيرة، مختصرةً، ومفصّلة منها: مسند أحمد ٥: ٤٤١، المستدرك للحاكم ٣: ٥٩٩، سير أعلام النبلاء ١: ٥٢٢، تاريخ مدينة دمشق ٢١: ٣٧٣ ت ٢٥٩٩، وأشارت إليها أغلب التفاسير عند الآية الكريمة هذه، منها: تفسير مقاتل بن سُليمان ١: ١١٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٢٧ ت ٦٣٦، تفسير النّكت والعيون ١: ١٣٣، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٤٣، تفسير الدرّ المنثور ١: ٣٨٩، أسباب النّزول للواحدي: ٢٨، وغيرها، وانظر: نفس الرّحمن في فضائل سلمان.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٨٥.

(٤) صحيفة علي بن أبي طلحة: ٨٣ ـ ٨٤ ت ٢٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٢٦ ت ٦٣٥، تفسير النّكت والعيون ١: ١٣٣، وانظر تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٣٦، ضمن المسألة ٨.

يدخل في الخبر الذي يتضمّن الوعد، وإنّما يجوز دخوله فيما طريقه الأحكام الشرعية التي يجوز تغييرها (من حُسن إلى قبح)[١][٢].

وقال قوم: إنّ حكمها ثابت، والمراد بها: إنّ الذّين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين ـ هم واليهود والنّصارى والصابئين ـ إذا آمنوا بعد النفاق وأسلموا بعد العناد، كان لهم أجرهم عند ربِّهم، كمن آمن في أوّل استدعائه إلى الإسلام من غير نفاق ولا عناد؛ لأنّ قوماً من المسلمين قالوا: إنّ من أسلم بعد نفاقه، وعناده كان أجره أقلّ وثوابه أنقص. فأخبر الله بهذه الآية أنّهم سواء في الأجر والثواب.

وأولى الأقاويل ما قد قدّمنا ذكره، وهو المحكيّ عن مجاهد والسُّدي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من هذه الأمة ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلنَّصَارىٰ وَٱلصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ﴾ من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ لأن هذا أشبه بعموم اللّفظ، والتخصيص ليس عليه دليل.

وقد استدلّت المرجئة بهذه الآية على أنّ العمل الصالح ليس من الإيمان؛ لأنّ الله تعالى أخبر عنهم بأنّهم آمنوا ثمّ عطف على كونهم مؤمنين

---

(١) اختلفت النسخ في إثبات الجملة المحصورة ناقصة أو محذوفتاً كلاً والمثبت من «خ» مدعوماً بما في عدة الأصول للمصنف ٢ : ٥٠٢.

(٢) ورود النّسخ علي الأخبار وتفصيله تعرّض له العلماء مفصّلاً في كتبهم، للمثال انظر: العدّة في أصول الفقه للشيخ الطوسي ٢ : ٥٠٢، الذريعة إلى أصول الشريعة للشريف المرتضى ١ : ٤٢٣، المعتمد في أصول الفقه ١ : ٤١٩، ميزان الأصول ٢ : ٩٩٣ وغيرها كثير.

أنهم إذا عملوا الصالحات ما حكمها[١]؟

قالوا: ومن حمل ذلك على التأكيد أو الفضل فقد ترك الظاهر.

وكلُّ شيءٍ يذكرونه ممّا ذكر بعد دخوله في الأوّل ممّا ورد به القرآن نحو قوله: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٢]، ونحو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[٣]، ونحو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَآ﴾[٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٥] قالوا: جميع ذلك مجاز، ولو خُلّينا والظّاهر لقلنا: إنّه ليس بداخلٍ في الأوّل.

فإن قالوا: أليس الإقرار والتّصديق من العمل الصّالح؟ فلابدّ لكم من مثل ما قلناه؟

قلنا: عنه جوابان:

أحدهما: إنّ العمل لا يطلق إلّا على أفعال الجوارح؛ لأنّهم لا يقولون: عملت بقلبي، وإنّما يقولون: عملت بيدي أو برجلي.

---

(١) تقدّم الكلام حول الإيمان والآراء فيه، وأُشير إلى رأي المرجئة عند تفسير الآية ٣ ونضيف هنا: إنّ المرجئةَ قائلون بعدم ركنية العمل في الإيمان وعدم مدخلية له في المفهوم، واختلفوا في ركنية الإقرار لساناً مع التصديق القلبي وما ذلك إلّا لتصحيح ما يصدر من حكام الجور وولاتهم من ظلم، وللتوسعة انظر ما تقدّم، وخصوصاً: مقالات الإسلاميين: ١٣٢ ـ ١٥٤، متشابه القرآن: ٩٨، التنبيه والرد للملطي: ٤٣، الأُصول والفروع لابن حزم ١: ٨، التبصير في معالم الدين للطبري: ١٨٧، التوحيد للماتريدي وانظر: الفهرس: ٤٠٩، أُصول الدين للبغدادي: ٢٤٧، شرح المواقف ٨: ٣٩٦، وغيرها.

(٢) سورة الرحمن ٥٥: ٦٨.

(٣) سورة الأحزاب ٣٣: ٧.

(٤) سورة المائدة ٥: ٨٦.

(٥) سورة محمّد ﷺ: ٤٧: ١.

والثاني : إنّ ذلك مجاز ويحمل عليه للضرورة ، وكلامنا مع الإطلاق .

وقوله : **﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** .

يعني : لا خوفٌ عليهم فيما قدموا عليه من أهوال القيامة ، ولا هُم يحزنون على ما خلَّفوا وراءهم من الدّنيا عند معاينتهم ما أَعدّ اللهُ لهم من الثواب ، والنّعيم المقيم عنده .

وقيل : إنّهم لا يحزنون من الموت[1] .

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ آية (٦٣) آية بلا خلاف .

والميثاق : المفعال ، من الوثيقة إمّا بيمين وإمّا بعهد ، أو غير ذلك من الوثائق .

والميثاق الذي أخذه الله : هو الذي ذكره في قوله : **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَاتَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾**[2] الآيات التي ذكر بعدها .

ويحتمل أن يكون أراد الميثاق الّذي أخذه الله على الرّسل في قوله : **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّين مِيثَاقَهُمْ﴾**[3] وقوله : **﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ**

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ٩٣ ت ٤٢٦ ، وانظر : تفسير جامع البيان ١ : ٢٥٤ ، تفسير زاد المسير ١ : ٧١ ، تفسير البحر المحيط ١ : ١٧٠ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٨٣ .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٧ .

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾[١].

وقد بيّنا إنّ أخذ العهد هو ما نصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الصحيحة، الدالّة على توحيده وعدله، وصدق أنبيائه ورسله، وأفسدنا ما يقوله أهل الحشو؛ من استخراج الذّرية من ظهر آدم وأخذ العهد عليهم بما لا يحتاج إلى إعادته[٢].

وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾:

قال مُجاهد: الطّور هو الجبل[٣]. وكذلك هو في اللّغة[٤] قال العَجّاج:

دَانَى جَناحَيْهِ مِنَ الطّورِ فَمَرْ

تَقَضِّيَ البازِي إذا البَازي كَسَرْ[٥] [٢٩٠]

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ٨١، وانظر: معاني القرآن للزجاج ١ : ١٤٧.

(٢) تقدّم عند تفسير الآية ٢٧ من هذه السورة.

(٣) تفسير مجاهد: ٢٠٤، وانظر: تفسير جامع البيان للطبري ١ : ٢٥٨.

(٤) الظاهر إجماع المصادر اللّغوية على ذلك، انظر: العين ٧ : ٤٤٦، جمهرة اللّغة ١ : ٧٦١، تهذيب اللّغة ١٤ : ١٠، المحيط في اللّغة ٩ : ٢٠٦، المحكم والمحيط الأعظم ٩ : ٢٣٢، الصحاح ٢ : ٧٢٧، الغريبين للهرويّ ٤ : ١١٨٤، لسان العرب ٤ : ٥٠٧، وغيرها. وكذا البلدانيات مثل: معجم البلدان ٤ : ٤٨، مراصد الاطّلاع ٢ : ٨٩٦، معجم ما استعجم ٣ : ٨٩٧، الروض المعطار: ٣٩٧، ومصادرهم.

(٥) ب ٧٤ من القصيدة ١ في ديوان أراجيزه ١ : ٤٢ مادحاً عمر بن عبيدالله بن معمر؛ لقتله أبو فديك الحروريّ أحد أُمراء الخوارج.

المعنى: من الطّور: أي من جهة الطّور كناية عن أنّ مجيئه من جهة الشام؛ لكون ـ جبل ـ الطّور فيه. إذا البازي كسر: إذا ضَمَّ جناحيه مستعداً للانقضاض على الفريسة.

الشاعر يشبّه مجيء حملة بن معمر من جهة الشام بانقضاض البازي على فريسته.

وقيل: إنّه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى عليه السلام، ذهب إليه ابن عباس وابن جُرَيْج.

وقيل: إنّه من الجبال التي تُنبت دون ما لا تنبت، رواه الضحّاك عن ابن عباس.

وقال قَتادة: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ قال: الطّور الجبل اقتلعه الله فرفعه فوقهم، فقال: ﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾[1].

وقال مجاهد: الطّور: اسم جبل بالسريانية[2]. وقال قتادة: هو بالعربية[3].

وقال قوم من النحويين: معنى ﴿خُذُوا﴾ تقديره: ورفعنا فوقكم الطّور وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم ـ يعني: التوراة ـ بقوّة أي: بجدٍّ ويقين لا شكّ فيه، وإلّا قذفناه عليكم، كما تقول: أوحيت إليه: قم، أي: أوحيت إليه فقلت: قم[4].

☜ الشاهد: استعمال الطّور وإرادة الجبل، أو خصوص طور سينا أو جبل سينا منه؛ لوقوعه في الشام.

ولتحديد الطّور انظر: مصادر الهامش السابق.

(١) الآراء تجدها منسوبة وغير منسوبة في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٢٩ ت ٦٥١ ـ ٦٥٣، تفسير عبدالرزاق الصنعاني ١: ٢٧٣ ت ٦٣، تفسير النكت والعيون ١: ١٣٤، تفسير الوسيط ١: ١٥١، تفسير السمرقندي ١: ١٢٦، تفسير القرآن للسمعاني ١: ٨٩، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٤٧، تفسير غريب القرآن لليزيدي: ٧٢ ت ٦٣، تفسير غريب القرآن لابن الملّقن: ٥٦ ت ٦٤، وغيرها كثير.

(٢) تفسير مجاهد: ٢٠٤.

(٣) انظر: تفسير النكت والعيون ١: ١٣٤، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٤٧، والحظ مصادر الهامشين المتقدمين.

(٤) ذهب لهذا الرّأي الأخفش في معانيه ١: ٢٧٧، والزّجّاج في معانيه ١: ١٤٧ ـ ١٤٨، ونسبه الطبريّ في جامعه ١: ٢٥٨ لبعض نحويّ البصرة.

وقال الفرّاء: أخذ الميثاق قول، فلا حاجة بالكلام إلى إضمار قول فيه، فيكون من كلامين، غير أنّه ينبغي لكلّ ما خالف القولَ من الكلام ـ الذي هو بمعنى القول ـ أن تكون معه «أن» كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾[١] قال: ويجوز حذف «أن»[٢].

ومعنى ﴿مَآ ءاتَيْنَـٰكُمْ﴾: أي أعطيناكم؛ لأنّ الإيتاء هو الإعطاء، يعني ما أمرناكم به في التّوراة.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجدٍّ ويقين على ما بيّناه، وهو قول ابن عبّاس وقتادة والسُّديّ.

وقال أبو العالية والرّبيع بن أنس: بطاعة الله.

وقال مجاهد: إنّه العمل بما فيه[٣].

وحُكي (عن ابن بحر)[٤] أنّ معناه: القبول.

وقال أبو علي: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ معناه: بالقدرة التي خلقنا فيكم[٥]، وذلك

---

(١) سورة نوح ٧١: ١.
(٢) يستفاد رأي الفرّاء هذا من حاصل قوليه في معانيه ١: ٥٣ و٣: ١٨٧، وحكاه الطبريّ في جامعه ١: ٢٥٨.
(٣) الآراء تجدها منسوبة وغير منسوبة في: تفسير مجاهد: ٢٠٥ تفسير عبدالرزاق الصنعانيّ ١: ٢٧٣ ت ٦٣، تفسير كتاب الله العزيز لهود ١: ١١٢، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٣٠ ت ٦٥٦ و٦٥٧ و٦٥٨، تفسير جامع البيان ١: ٢٥٨، التفسير الكبير للطبرانيّ ١: ١٨١، ١: ٢١٢، تفسير النكت والعيون ١: ١٣٤، تفسير القرآن للسمعانيّ ١: ٨٩، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٤٨، وغيرها.
(٤) هذا هو الصحيح المطابق للنسخ: «خ، وَ، هـ». وما جاء في الحروفيات: عن ابن نجران، أو: ابن الجران، فهو كما ترى. وانظر: تفسير البحر المحيط ١: ٢٤٣.
(٥) أبو علي، الظاهر كونه الجُبّائيّ ومصنّفاته لا زالت ـ وكما يقال ـ أثراً بعد عين.

دلالة على أنّ القدرة قبل الفعل[١].

ومعنى ﴿وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ قال قوم: احفظوه ولا تنسَوه. وقال آخرون: اعملوا بما فيه ولا تتركوه[٢].

والمعنى في ذلك: إنّ ما آتيناكم فيه من وعدٍ ووعيدٍ وترغيبٍ وترهيبٍ اعتبروا به واقبلوه وتدبّروه، كي إذا فعلتم ذلك تتّقوني وتخافوا عذابي بالإصرار على ضلالكم فتنتهوا إلى طاعتي، فتنزعوا عمّا أنتم عليه من

---

(١) كون القدرة ـ الاستطاعة ـ مع الفعل أو قبله بحث كلاميّ اختلفت الآراء فيه بين علماء المذاهب حسب المباني الفكريّة لهم، فمن ذاهب إلى أنّهما ـ القدرة، الاستطاعة ـ مقارنة للفعل؛ حذراً من تخلّف المعلول عن العلّة، وبعض ذهب إلى التّقدم حذراً من قبح تكليف الكافر، أو استغناء الفعل عن القدرة، أو لزوم حدوث قدرة الباري تعالى، أو قِدَم الفعل وغيرها. وهكذا ترى البحث طويل مورد أخذ وردّ ونقاش وسجال بين الفحول ولا يمكن اختصاره؛ ليسعه الهامش المحدود، فالإحالة لمريد التوسعة ومعرفة آراء المذاهب خير، انظر من الخاصة للمثال: تصحيح الاعتقاد: ٦٣، شرح جمل العلم والعمل: ٩٧، جوابات المسائل الطبرية ضمن رسائل الشريف المرتضى ١: ١٤٦م ٣، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد: ٥٩، تجريد الاعتقاد: ١٩١، وشرحه كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد فصل ٢ م ١: ٢٨١، إرشاد الطالبين: ٩٤، اللّوامع الإلهية للفاضل المقداد: ١٧١ مرصد ٢ ف ١، وغيرها كثير.

ومن العامة للمثال: مقالات الإسلاميين: ٢٣٠، شرح الأُصول الخمسة: ٣٩٠، متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار: ٩٤ ت ٣٨، مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري: ١٠٧ ت ٢٠، التوحيد للماتريدي: ٢٥٦، المغني في أبواب التوحيد والعدل ١١: ٣٦٧، المختصر في أُصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد: ٣٥٧، الانتصار للخياط: ٧٩، الفِصَل في الملل والأهواء والنحل ٢: ٣٥، تأويلات أهل السنّة ١: ٥٩، شرح المواقف ٨: ٢٠٠، شرح العقائد النسفية: ١٤٨، وغيرها كثير تظهر من ثنايا البحث والاحالات.

(٢) الأقوال ذكرت في: تفسير كتاب الله العزيز للهوّاري ١: ١١٣، تفسير ابن أبي زمنين ١: ١٤٧، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٣٠ ت ٦٥٩، وغيرها.

المعصية .

قوله تعالى :

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ آية (٦٤) .

قوله : **﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾** : أعرضتم ، ووزنه تَفَعَّلْتُم ، من قولهم : ولّاني فُلانٌ دُبُرَهُ ، إذا اسْتَدْبَرَ عَنْهُ وجعله خلف ظهره . ثمّ يستعمل ذلك في كلِّ تاركِ طاعةِ آمرٍ ، ومعرضٍ بوجهه ، فيقال : فلانٌ تولّى عن طاعةِ فلانٍ ، وتولّى عن مواصلته وصداقته . ومنه قوله : **﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾**[(١)] يعني : خالفوا ما وعد الله من قوله : **﴿لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾**[(٢)] ونبذوا ذلك وراء ظهورهم ؛ فصار معنى الآية أنّكم نبذتم العهد الذي أخذناه عليكم بعد إعطائكم المواثيق .

وكنّى بذلك عن جميع ما تقدّم ذكره في الآية .

ثمّ قال : **﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** يعني : فلولا أنّ الله تفضّل عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه ؛ إذ رفع فوقكم الطّور فاجتهدتم في طاعته ، وأداء فرائضه ، وأنعم عليكم بالإسلام ، ورحمته التي رحمكم بها ، فتجاوز عنكم خطيئتكم ؛ لمراجعتكم طاعةَ ربكم **﴿لَكُنْتُمْ مِنَ**

---

(١) سورة التوبة ٩ : ٧٦ .

(٢) سورة التوبة ٩ : ٧٥ .

ٱلْخَاسِرِينَ﴾ .

وهذا وإنْ كان خطاباً لمن كان بين ظهرانيْ مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وآله (من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وآله)[1] فإنّما هو خبرٌ عن أسلافهم، فأُخرج الخبر مخرج «الخبر»[2] عنهم، على نحو ما مضى ذكره[3].

وقال قوم: الخطاب في هذه الآية إنّما أُخرج بإضافة الفعل إلى المخاطَبين والفعلُ لغيرهم؛ لأنّ المخاطَبين إنّما كانوا يتولّون من كان فعل ذلك من أوائل بني إسرائيل، فصيّرهم الله منهم، من أجل ولايتهم لهم.

وقال بعضهم: إنّما قال لهم ذلك؛ لأَنّ سامعيه كانوا عالمين، وأَنّ الخطاب خَرجَ خطاباً للأحياء من بني إسرائيل وأهلِ الكتاب؛ وأَنّ المعنى إنّما هو خبر عمّا مضى من أسلافهم، ومثل ذلك قول الشاعر:

إذا مَا ٱنْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَئِيمَةٌ وَلَمْ تَجْدِي مِنْ أنْ تُقِرِّي بِهِ بُدّا[4] [٢٩١]

---

(١) زيادة من النسخة «خ» تخلو منها باقي النسخ.

(٢) كذا في النسخ، ولعلّها: المخبر.

(٣) مضى عند تفسير الآية الشريفة ٤٩.

(٤) للشاعر زائدة، أو زائد بن صعصعة الفقعسيّ، معرِّضاً بزوجته عُبيدة ـ كون أُمّها سرّية ـ ومفتخراً عليها وقبله:

رَمَتْنِي عَنْ قَوْسِ العَدُوِّ وَباعَدَتْ عُـبَيْدَةُ زادَ اللهُ مَا بَيْننا بُعدا

انتسْبنا: رفعنا نسبنا. لئيمة، اللّؤم: دناءة الأصل والنّسب. البدُّ: الفِراق والخلاص.

الشاهد فيه: ما أشار إليه الشيخ المصنّف رحمه الله: من كون الجزاء ماضياً ـ لم تلدني ـ ولابدّ فيه الاستقبال، وجاز لمعروفية وشهرت الموضوع.

ويبدو أنّه من أبيات الاستشهاد؛ إذ ذكره جمع لمورد الشاهد لدى الشيخ ☜

فقال: إذا ما انتسبنا، و(إذا) تقتضي من الفعل مستقبلاً، ثمّ قال: لم تلدني فأخبر عن ماضٍ ـ لأنّ الولادة قد مضت ـ لأنّ السامع فهم معناه، والأوّل أقوى.

وقال أبو العالية: فضلُ الله «الإسلامُ، ورحمتُه»[(١)] القرآنُ[(٢)].

وقوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ لا يدلّ على أنّ الذّين خسروا لم يكن عليهم فضلُ الله؛ لأنّ فضلَ الله شامل لجميع الخلق؛ لأنّ ذلك دليل خطاب، وذلك ليس بصحيح عند الأكثر[(٣)].

المصنّف، وقد كرّره ضمن تفسير الآيات: ٩١ و٢٦٥ من هذه السورة و٢ من سورة المائدة، وانظر: تفسير جامع البيان ١: ٤٦٧ و٥١٦ و٣: ١٠٢، معاني القرآن للفرّاء ١: ٦١ و١٨٧، الحجة للقرّاء السبعة ٣: ٢١٣، تفسير البحر المحيط ٢: ٣١٢ و٨: ١٧، تفسير الكشاف ٤: ٥٢ وغيرها. ومن كتب الأدب: مغني اللبيب ١: ٤٠ ت ٢٩، شرح شواهد المغني ١: ٨٩ ت ٢٧، شرح أبيات مغني اللبيب ١: ١٢٤ ت ٣٠، شذور الذهب: ٣٣٩ ت ١٧٢، وغيرها.

(١) الجملة المحصورة ساقطة من «خ» مثبتة في الباقي، تساعد عليها المصادر.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٣١ ت ٦٦٤ و٣: ١٠١٦ ت ٥٦٩٦ و٥٦٩٨، تفسير جامع البيان ١: ٢٦٠، وفي تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٤٩ نسبه لقتادة.

(٣) دليلُ الخطاب، أو مفهوم المخالفة، بحثٌ طويلٌ شائك، شمول جوانبه في محدودة الهامش مشكل، خلاصته ـ بحدود الهامشيّة ـ: إنّ بعض الأحكام ترد من الشّارع الأقدس معلّقة على صفة، أو زمان، أو عدد، أو... يُستشَفُ منها أنّ الحكم فيما عداها بخلاف الحكم المنصوص، وخير أمثلته آية النبأ: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات ٤٩: ٦]، أو قول النبيّ الأكرم ﷺ: (في سائمة الغنم زكاةٌ). وعلى كلٍّ يبدو أنّه محطّ اختلافٍ بين العلماء، فبعضٌ ذهب إلى الجواز والصّحة وانتفاء الحكم عمّا ليس له تلك الصّفة، وبعض إلى عدم انتفاء الحكم عن المجرّد من الصفة أو القيد، غاية الأمر إثبات الحكم فيما وجدت فيه لا غير، وأمّا المجرد فمسكوت عنه لا يحكم عليه بشيء إلّا بدليل آخر.

والذي يكشف عن ذلك: إنّ الواحد منّا قد يعطي أولاده أو عبيده أموالاً ويتفضّل على جميعهم، ثم يبذِّره بعضهم ويبقى فقيراً، ويحفظه آخر فيصير غنياً، ويَحسن أن يقول للغنيِّ منهم: لولا فضلي عليك لكنت فقيراً، ولا يدلّ ذلك على أنّه لم يتفضّل على الذي هو فقير.

وإذا كان كذلك كان تأويل الآية: إنّه لولا إقداري لكم على الإيمان وإزاحة علّتكم فيه حتّى فعلتم إيمانكم، لكنتم من الخاسرين.

وإنّما جَعل الإيمان فضلاً فيؤتيه الذي به ينجو ولم يكونوا به خاسرين من حيث كان هو الدّاعي إليه والمُقدر عليه والمُرّغب فيه.

ويحتمل أنْ يكون المعنى: ولولا فضل الله عليكم بإمهاله إيّاكم بعد تولّيكم عن طاعته، حتّى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من الخاسرين.

ويحتمل أنْ يكون أراد بهذا: الفضلَ في وقت رفع الجبل فوقهم باللّطف والتوفيق الذي تابوا عنده حتّى زال عنهم العذاب وسقوط الجبل، ولولا فضل الله لسقط الجبل.

ﷺ للتفصيل راجع المصادر الشيعيّة التالية:

التذكرة (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد): ٣٩، الذريعة إلى أُصول الشيعة ١: ٣٩٢، عدّة الأصول ٢: ٤٦٧ ـ ٤٨١، غنية النزوع ١: ٣٣٦ ـ ٣٤١، معارج الأصول: ٥٨، ذكرى الشيعة ١: ٥٣ ـ ٥٤، زبدة الأصول: ١٥٠، الوافية: ٢٢٩ ـ ٢٣١، الفوائد الحائريّة: ١٨٣ ـ ١٨٧/ الفائدة ١٧، الرسائل الأُصوليّة للوحيد البهبهاني: ٣٣٨.

والسنيّة:

الفصول في الأُصول للجصاص ١: ٢٨٩ ـ ٣٢٣، الإحكام في أُصول الأحكام لابن حزم ٧: ٣٢٣ ـ ٣٦٦، العدّة في أُصول الفقه للقاضي ٢: ٤٦٨ ـ ٤٨٢، اللمع: ١٠٥، شرح اللمع ١: ٤٢٨، المعونة في الجدل: ١٣٨ ـ ١٤٠، البرهان للجويني ١: ٢٩٨، التلخيص ٢: ١٨٣، المتحول: ٢٠٨، المحصول ٢: ٣١٣، روضة الناظر وجنّة المناظر ٢: ٧٧٥، الاحكام في أُصول الاحكام للآمدي ١: ٦٣ ـ ٩٤.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ آية (٦٥).

﴿عَلِمْتُمُ﴾ أي: عرفتم هاهنا، فقوله: عَلِمْتُ أخاكَ ولم أكن أعْلمه، أي: عَرِفتُه ولم أكن أعْرِفه، كقوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1] يعني: لا تعرفونَهم الله يعرفُهم.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصبٌ؛ لأنّه مفعولٌ به.

﴿ٱعْتَدَوْاْ﴾ أي: ظلموا وجاوزوا ما حُدّ لهم، وكانوا أُمِروا ألّا يعدّوا في السّبت، وكانت الحيتان تجتمع؛ لأَمْنها في السّبت، فحبسوها في السّبت وأخذوها في الأحد.

و﴿ٱعْتَدَوْاْ مِنْكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾؛ لأنّ صيدها هو حبسها، وقال قوم: بل اعتدوا فصادوا يوم السّبت[2].

وسميّ السّبت سبتاً؛ لأنّ السّبت هو القطعة من الدهر فسمي بذلك اليوم، هذا قول الزّجّاج[3].

---

(١) سورة الأنفال ٨: ٦٠.

(٢) أُشير إلى ذلك ضمن الرّوايات الذّاكرة للمسوخ وعلّة المسخ، منها ما جاء في: مسائل عليّ بن جعفر: ٣٣٦ ت ٨٢٨، الخصال: ٤٩٣ ت ١ وغيرهما كثير.

(٣) ما توفّر لدينا من مؤلّفاته خالٍ منه، وفي مختلف مضانّ الورود، وقد نسبه إليه بعض، منهم الماوردي في النكت والعيون ١: ١٣٥. وأمّا مصادر اللّغة فقد وردت فيها بنحوين: السّبت: برهة من الدّهر، وأُخرى: السّبت: الدّهر. ولم أجد فيها من النّسبة إلى الزّجّاج أثر، انظر: العين ٧: ٢٣٨، جمهرة اللّغة ١: ٣٤١، تهذيب اللّغة ١٢: ٣٨٥، المحيط في اللّغة ٨: ٢٩٩، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٤٦٩، الصحاح ١: ٢٥٠، لسان العرب ٢: ٣٦، تاج العروس ٣: ٥٧.

وقال أبو عبيدة: سمّي بذلك؛ لأنّه يوم سبت فيه خلق كلّ شيء، أي: قطع وفرغ[١].

وقال قوم: سمّي بذلك؛ لأنّ اليهود يسبتون فيه، أي: يقطعون الأعمال[٢].

وقال آخرون: سمّي بذلك لما لهم فيه من الرّاحة؛ لأنّ أصل السّبت هو السّكون والرّاحة، ومن ذلك قوله: ﴿**وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً**﴾[٣]، وقيل للنائم: مسبوت؛ لاستراحته وسكون جسده، فسميّ به اليوم لاستراحة اليهود فيه[٤].

وقوله: ﴿**فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِئِينَ**﴾ إخبار عن سرعة فعله ومسخه إيّاهم، لا أنّ هناك أمراً كما قال للسموات والأرض: ﴿**ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[٥] ولم يكن هناك قول، وإنّما أخبر عن تسهّل الفعل عليه وتكوينه له بلا مشقّة، بلفظ الأمر.

ومعنى الآية ـ على ما قاله أكثر المفسّرين ـ: إنّه مَسَخَهم قِردة في

---

(١) لم نجده منسوباً إليه إلّا في تفسير النّكت والعيون ١ : ١٣٥، وانظر: تفسير الوسيط ١ : ١٥٢، تفسير الدّر المنثور ١٣ : ٩١ عن كتاب العظمة : ٢٩١ ت ٨٧٩.

(٢) تجد ذلك في: تفسير النّكت والعيون ١ : ١٣٥، تفسير السّمعانيّ ١ : ٨٩، تفسير الوسيط ١ : ١٥٢، الغريبين للهرويّ ٣ : ٨٥٢.

(٣) سورة النبأ ٧٨ : ٩.

(٤) أُشير إلى هذا الموضوع في المصادر التّفسيريّة التّالية: تفسير مقاتل بن سُليمان ٤ : ٥٥٨، تفسير الكشف والبيان ١٠ : ١١٤، تفسير الطّبرانيّ ٦ : ٤٢٢، تفسير النكت والعيون ١ : ١٣٥، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢٦، تأويلات أهل السّنة ٥ : ٣٦٦، ومن كتب اللّغة ـ إضافة لما تقدّم في هامش «٢» في الصفحة المتقدمة ـ أُنظر «سَبَتَ» في: مفردات ألفاظ القرآن: ٣٩٢، الغريبين للهرويّ ٣ : ٨٥٢، جمهرة اللّغة ١ : ٢٥٣، النّهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢ : ٣٣٠.

(٥) سورة فصّلت ٤١ : ١١.

صورة القِردة سواء .

وحكي عن ابن عبّاس أنّه قال: لم يعش مِسْخٌ قَطّ فوق ثلاثة أيام ، ولم يأكل ولم يشرب[١] .

وقال مجاهد: إنّ ذلك مَثَلٌ ضربه الله ، كما قال: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾[٢] ولم يمسخهم قِردة . وحُكي عنه أيضاً أنّه قال: مُسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القِردة لا تقبل وعظاً ولا تتقي زجراً[٣] .

وهذان القولان منافيان لظاهر التأويل ؛ لما عليه أكثر المفسّرين من غير ضرورة داعية إليه[٤] .

وقوله: ﴿خَاسِئِينَ﴾ أي مبعّدين ؛ لأنّ الخاسئ هو المُبعد المطرود كما يُخسأ الكلبُ ، تقول منه: خَسَأْتُهُ أَخْسَؤُهُ [أَخْسَأُهُ] خَسْأً وخُسُوْءاً وهو: [يَخْسَأُ] يَخْسُوْءُ خُسُوْءاً ويقال: خَسَأْتُهُ فَخَسَأَ وخَسِئ وآنْخَسَأَ[٥] ، قال الراجز :

---

(١) المحكيّ عن ابن عباس ورد في المصادر التالية مجملاً تارة ، ومفصّلاً أُخرى ضمن حديث طويل ، ومنسوباً مرّةً وغير منسوب أُخرى ، انظر: تفسير النّكت والعيون ١ : ١٣٥ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٥٢ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢١٤ ، تفسير الطّبرانيّ ١ : ١٨٢ . وانظر المستدرك على الصحيحين ٢ : ٣٢٢ ، ويؤيّده ما ورد عن الإمام الرّضا عليه السلام في عيون الأخبار ١ : ٢٧١ ت٢ ب٢٧ و٢ : ٢٠١ ب٤٦ ت١ ، وما جاء في من لا يحضره الفقيه ٣ : ٢١٣ ت٩٨٩ .

(٢) سورة الجمعة ٦٢ : ٥ .

(٣) تفسير مجاهد: ٢٠٥، وانظر: تفسير جامع البيان ١ : ٢٦٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٣٣ ت ٦٧٢، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٥٣، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢١٢.

(٤) لقول أكثر المفسّرين ـ وهو رأي ابن عباس وغيره ـ انظر الهامش «٤» المتقدّم .

(٥) لضبط المادّة اللّغوية «خَسأ» انظر: الهمز: ٧٠، العين ٤ : ٢٨٨، جمهرة اللّغة ٢ : ١٠٥٤ و١٠٩٦ ، تهذيب اللّغة ٧ : ٤٨٣٧ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٢٨٢ ، المحيط في اللّغة ↙

كالكَلْبِ إنْ قُلتَ لَهُ ٱخْسَأْ ٱنْخَسأْ[١] [٢٩٢]

أي: إنْ طَرَدته ٱنطَرَدْ.

وقال مجاهد: معناه أذلّاء صاغرين[٢]. والمعنى قريب.

وفي هذه الآيات احتجاج من الله تعالى بنعمه المترادفة، وإخبارٌ للرّسول عن عناد أسلافهم، وكفرهم مرّة بعد أُخرى مع ظهور الآيات والعلامات؛ تعزيةً له صلى الله عليه وآله وتسليةً له عندما رأى من جحودهم وكفرهم، وليكون وقوفه على ما وقف عليه من أخبارهم، حجّةً عليهم وتنبيهاً لهم وتحذيراً أنْ يَحِلَّ بهم ما حلّ بمن تقدّمهم من آبائهم وأسلافهم.

قوله تعالى:

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَـٰلاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

آية (٦٦) آية بلا خلاف.

الضّمير في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ يحتمل أنْ يكون راجعاً إلى العقوبة أو القِردة، فكأنّه قال: جُعل القِردة ـ أي ما حلّ بها من التّشويه وتغيير الخلقة ـ دلالة على أنّ من تقدّمهم أو تأخّر عنهم ممّن فعل مثل فعلهم

↩ ٤: ٣٨٤، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٢٢٩، الصحاح ١: ٤٧، لسان العرب ١: ٦٥، تاج العروس ١: ١٤٥. وما بين المعقوفين من بعض المصادر المشار إليها.

(١) رجز لم يعرف قائله، استشهد به لمورد الشاهد في: ديوان الأدب ٤: ٢٣٧، الصحاح ١: ٤٧، المحكم والمحيط الأعظم ٥: ٢٢٩ «خَسَأ» فيها، وهكذا أغلب مصادر الهامش السّابق وغيرها وفي الجميع بدون نسبة إلى قائل معيّن.

(٢) نُقل عن مجاهد في: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٣٣ ت٦٧٤، تفسير الكشف والبيان ١: ٢١٢، تفسير جامع البيان ١: ٢٦٣، تفسير النّكت والعيون ١: ١٣٦ وغيرها.

يستحقّ من العقاب مثل ما نزل بهم فكان نكالاً لهم جميعاً، ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: تحذيراً وتنبيهاً؛ لكيلا يواقعوا من المعاصي ما واقع أُولئك، فيستحقّوا ما استحقوا، نعوذ بالله من سخطه.

ويحتمل أنْ تكون الهاءُ راجعةً إلى الحيتان.

ويحتمل أنْ تكون راجعة إلى القرية التي اعتدى فيها أهلُها.

ويحتمل أنْ تكون راجعة إلى الأُمّة الذين اعتدوا، وهم أهل أيْلَة[1]: قرية على شاطئ البحر[2]، روي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام[3].

وقوله: ﴿نَكالاً﴾ قال ابن عبّاس: عقوبة. وقال غيره: يَنْكُل بها من يراها[4].

---

(١) أيْلَة: وزان فَعْلَة بفتح أوّله وسكون ثانيه، مدينة على شاطئ بحر القُلْزُم ـ الأحمر ـ ممّا يلي الشام، في منتصف طريق مصر إلى مكّة، وهي القرية التي كانت حاضرة البحر، واعتدى أهلها يوم السّبت، قيل: سمّيت على اسم أيْلَة بنت مَدْين بن إبراهيم. وهناك مواضع أُخرى غير مرادة قطعاً.

للمزيد انظر: معجم ما استعجم ١: ٢١٦، معجم البلدان ١: ٢٩٢، مراصد الاطّلاع ١: ١٣٨.

(٢) صرّحت بذلك أيضاً جملة من المصادر، منها: معاني القرآن للزّجّاج ١: ١٤٩، صحيفة عليّ بن أبي طلحة: ٢٣٨، تفسير الكشف والبيان ١: ٢١٣، تفسير النّكت والعيون ١: ١٣٦، تفسير الوسيط ١: ١٥٣، تفسير السّمعانيّ ١: ٩٠.

(٣) رواها في تفسيره كلّ من: عليّ بن إبراهيم ١: ٢٤٤، وعنه البحراني في تفسير البرهان ٢: ٥١٨ ت٤٠٢٤ وانظر ما قبلها وبعدها؛ والعياشيّ في تفسيره ٢: ١٦٦ ت١٦٣٦، وهي عن الإمام الباقر عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) الأقوال تجدها في التفاسير: تفسير الكشف والبيان ١: ٢١٣، تفسير النّكت والعيون ١: ١٣٦، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٧، تفسير الوسيط ١: ١٥٣، تفسير السّمعانيّ ١: ٩٠، معاني القرآن للزّجّاج ١: ١٤٩، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٥٣، وانظر: تفسير معالم التّنزيل ١: ٩٨، تنوير المقباس: ١١.

وقيل: إنّه شهرة؛ لأنّ النَّكال: الاشتهار بالفضيحة، ذكر ذلك الجُبائيّ[١]. وليس بمعروف.

والنَّكالُ: الإرهاب للغير، وأصله: المنع؛ لأنّه مأخوذ من النِّكْل، وهو: القيد، وهو أيضاً: اللِّجام وكلاهما مانع[٢].

وقوله: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ روى عِكْرِمة عن ابن عباس: إنّه أراد ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ من القرى.

وروى الضَّحاك عن ابن عباس: إنّه أراد ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ يعني من بعدهم من الأُمم، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ الذّين كانوا معهم باقين[٣].

وقال السُّديّ: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ من ذنوبها، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ يعني عبرة لمن يأتي بعدهم من الأُمم[٤].

---

(١) ذكره ـ ومن دون نسبة ـ: الثَّعلبيّ في تفسير الكشف والبيان ١ : ٢١٣، والماورديّ في تفسير النّكت والعيون ١ : ١٣٦.

هذا، على أنّ مؤلّفات الجُبائيّ مفقودة، ولم نجد الإشارة إليه في شيء من المصادر لدينا، وللاطّلاع على ماهية تفسيره عموماً أُنظر: سعد السّعود: ٢٨٨ فصل ٦٦.

(٢) مادة «نَكَلَ» تجدها في المصادر اللّغوية التّالية: العين ٥ : ٣٧١، جمهرة اللّغة ٢ : ٩٨٢، تهذيب اللّغة ١٠ : ٢٤٥، المحيط في اللّغة ٦ : ٢٦٥، المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ٣٤، مفردات ألفاظ القرآن: ٨٢٤، الصحاح ٥ : ١٨٣٥، تاج العروس ٥ : ٧٥٤، لسان العرب ١١ : ٦٧٧.

هذا، ويظهر أنّ الاختلاف في الضّبط ناتجٌ عن الاختلاف بين تميم والحجاز.

(٣) لما روي عن ابن عباس انظر: تفسير النّكت والعيون ١ : ١٣٦، تفسير الوسيط ١ : ١٥٣، معاني القرآن للزّجّاج ١ : ١٤٩، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٣٣ ت٦٧٦ و١٣٤ ت٦٨٠، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢١٣، تفسير السّمعانيّ ١ : ٩٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٣٤ ت٦٧٧، تفسير الكشف ←

وقال قَتادة: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ ذنوبُ القوم، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ الحيتان التي أصابوها[1].

وقال مُجاهد: ﴿مَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ ما مضى من خطاياهم، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ من خطاياهم التي أُهلكوا بها[2].

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ خصّ المتّقين بها ـ وإنْ كانت موعظة لغيرهم ـ لانتفاع المتّقين بها دون الكافرين، كما قلناه في قوله: ﴿هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3].

وأصل النَّكال: العقوبة، تقول: نَكَّلَ فلانٌ بفلانٍ يُنَكِّلُ تَنْكيلاً ونَكَالاً[4]. قال عَدِيّ بن زيد:

لا يُسْخِطُ المَلِيكَ ما يَصْنَعُ العَبْـ ـدُ وَلا فِـي نِكـالِهِ تَـنْكِيرُ[5] **[٢٩٣]**

والبيان ١: ٢١٣، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٧، تفسير الوسيط ١: ١٥٣، تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٥٣.

(١) في بعض النّسخ والمطبوعات اضطراب في النّقل عن قَتادة وزيادةٌ نصّها: وقال قتادة: ﴿لما بين يديه﴾ ذنوبها، ﴿وما خلفها﴾ عبرة لمن يأتي خلفهم بعدهم من الأُمم. حذفناها مطابقة للنُّسخ المعتمدة. وممّا يساعد على الحذف عدم روايتها عنه وبهذه الكيفيّة المختلفة، أُنظر: تفسير النّكت والعيون ١: ١٣٦، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٤٤، تفسير البحر المحيط ١: ٢٤٦.

(٢) تجد القولين منسوبين، وغير منسوبين في المصادر التالية: تفسير مجاهد: ٢٠٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١١٣٤ ت٦٨٢ و٦٧٧، تفسير الكشف والبيان ١: ٢١٣، التفسير الكبير للطبراني ١: ١٨٣، تفسير عبدالرزاق الصنعانيّ ١: ٢٧٤ ت٦٦، تفسير النكت والعيون ١: ١٣٦، تفسير السمعانيّ ١: ٩٠، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٧، تفسير الوسيط ١: ١٥٣، تفسير ابن أبي زمنين ١: ١٤٨.

(٣) عند تفسير الآية ٢: من سورة البقرة.

(٤) انظر هامش «٢» صفحة (٤٠٣) ففيه الكفاية من مصادر اللّغة.

(٥) من قصيدة للشاعر نظمها وهو في سجن النّعمان بن المنذر، مُبدياً خضوعه له،

وأقوى التأويلات ما رواه الضّحاك عن ابن عبّاس : من أنّها كناية عن العقوبةِ والمسخةِ التي مسخها القوم ؛ لأنّ في ذلك إشارة إلى العقوبة التي حلّت بالقوم ، وإنْ كان باقي الأقوال أيضاً جائز .

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ آية (٦٧) آية بلا خلاف .

قرأ أبو عمرو ونافع والكِسائيّ (وابن عـامر)[١] : **﴿هُزُواً﴾** مـثقّلاً[٢] ، وكذلك **﴿كُفُؤاً﴾**[٣] مثقّلة ، وقرأوا : **﴿جزْءاً﴾**[٤] مخففاً[٥] ، وعاصم يثقّلهنّ ويخففهنّ ، وحمزة يخففهنّ ثلاثهنّ[٦] .

قوله : **﴿وَإِذْ﴾** معطوفةٌ على قوله : **﴿ٱذْكُرُوا نِـعْمَتِيَ ٱلَّـتِي أَنْـعَمْتُ**

طالباً عطفه ورأفته ، وفي مقطع منها يُذكّر النّعمان ما جرى على الملوك السابقين .

هذا ، ويظهر أنّ رواية البيت مضطربة جدّاً ، حتّى إنّ بعضها تُخرجه عن الاستشهاد ، مثل إبدال «نكاله» إلى «عقوبته» .

والرواية المطابقة تجدها في المعاني الكبير ٢ : ١٢٦٢ ، وانظر : ديوان عَدِيّ بن زيد : ٨٤ ب٤٤ قصيدة ١٦ ، ديوان المروءة : ١٨٢ ب٤٤ أيضاً .

(١) ساقط من «خ» مثبت في الباقي ، وتساعد عليه المصادر .

(٢) يعبّر عن تحريك الحرف بالتّثقيل ، كما هو في التشديد .

(٣) سورة الإخلاص ١١٢ : ٤ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ٢٦٠ ، وسورة الزّخرف ٤٣ : ١٥ .

(٥) يعبّر بالتخفيف والتليين عن : السكون ، وترك الشّدة ، وتحويل الحرف إلى آخر ، مثل : الهمزة إلى الألف أو الواو أو الياء .

(٦) انظر : السبعة في القراءات : ١٥٨ ـ ١٦٠ ، حجّة القراءات : ١٠٠ ـ ١٠١ ، معاني القراءات للأزهريّ : ٥٣ ، الحجّة للقرّاء السبعة ٢ : ١٠٠ ـ ١٠٤ ، غاية الاختصار ٢ : ٤١٠ ت ٥٩٥ ، التذكرة في القراءات ٢ : ٣١٥ ، الموضّح ١ : ٢٨١ ت ٢٥ .

﴿عَلَيْكُمْ﴾[1] واذكروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ .

وأهل الحجاز يثقّلون هذه الكلمات ، وبنو أسد وتميم وعامّة قيس يخففونهنّ . ومن لا يُحصى ممّن يجاورهم يقولون : «عَنْ» مكان «أَنْ» إذا كانت الهمزةُ مفتوحةً يجعلونَها عيناً ، ويقولون : أشهد عنَّك رسول الله ، وإذا كسروها رجعوا إلى لغة أهل الحجاز إلى الهمزة[2] .

وهذه الآية فيها توبيخ للمخاطَبين من بني إسرائيل ، في نقْض أوائلهمُ الميثاقَ الذي أخذه الله عليهم بالطّاعة لأنبيائه ، فقال : اذكروا أيضاً من نَكْثِهِمْ

---

(١) سورة البقرة ٢ : ٤٠ و٤٧ .

(٢) هذه من الصّفات المذمومة في الفصاحة مستهجنةٌ لدى فصحاء العرب ، وتعدادها ـ الصفات ـ يطول ، ولكن بنحو الاختصار لا بأس به ، فنقول :

١ ـ عَنْعَنَةُ تميم ، وهي : إبدال همزتي أَنْ وأَنَّ بالعين ، فيقولون : عَنَّكَ عوض أنّك ، وهكذا .

٢ ـ تَلْتَلَةُ بَهْراء ، وهي : كسر حرف المضارعة ـ التاء والياء ـ من تفعلون ، يَعلمون ، تَعلمون ، فيقولون : تِفعلون ، يِعلمون ، تِعلمون ، وهكذا .

٣ ـ كَشْكَشَةُ ربيعة ، وهي : إضافة الشّين بعد كاف ضمير المؤنّث عند الوقف ، يقولون : إنَّكش عوض إنَّكِن .

٤ ـ كَسْكَسَةُ هوازن ، وهي : إضافة السّين بعد كاف ضمير المؤنّث عند الوقف ، يقولون : أعطيتكس بدل أعطيتكن .

٥ ـ الغَمْغَمَةُ ، وهي : الكلام المبهم الغير البيّن .

٦ ـ الخَلْخانِيّة ، وهي : العُجْمةُ في النّطق .

وغيرها من الأمور المذمومة والتي خلصت منها لغة قريش ؛ لذا عدّت أفصح العرب .

للتوسعة ، انظر : الكامل في الأدب ٢ : ٢٢٤ ، مجالس ثعلب ١ : ٨٠ ، فقه اللّغة : ١٠٧ ب١٥ فصل ٢٩ ، شرح المفصّل لابن يعيش ٩ : ٤٨ ، البيان والتبيين ٣ : ٢١٢ ، الصاحبيّ : ٣٥ باب اللّغات المذمومة ، درّة الغواص : ٢٤٩ ت ١٩٠ ، خُزانة الأدب للبغدادي ١١ : ٢٣٦ ، المزهر في علوم اللّغة ١ : ٢٠٩ فصل ٢ في معرفة الفَصيح من العرب وغيرها كثير .

ميثاقي ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾ .

والهُزْءُ : اللَّعب والسُّخريّة ، قال الرّاجز :

[٢٩٤] قَدْ هَزِئَت مِنّي أُمّ طَيْسَلة

قالت : أراه مُعْدِماً لا شَيءَ له[١]

أي : سخرت ولعبت . ولا يجوز أنْ يقع من أنبياء الله عزّ وجل فيما يؤدّونه هزوٌ ولا لعب . وظنّوا في أمره إيّاهم عن الله بذبح البقرة عند تدارئهم في القتيل أنّه هازئ لاعب ، ولم يكن لهم ذلك .

وحذفت الفاء من قوله : ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾ وهو جواب ؛ لاستغناء ما قبله من الكلام عنه ، وحَسُن السكُوت على قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ فجاز لذلك إسقاط الفاءُ من قوله : «فقالوا» كما حَسُن إسقاطها في قوله : ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾[٢]

---

(١) رجز كما اختلف في قائله بين صَخْر وصَحْر وصُخَير بن عمير ، والأصمعيّ أبو سعيد ، وأعرابي اختلف في ضبطه كذلك .

المعنى : قيل هو حوار بين الراجز وامرأته ، إذ عابت عليه الفقر والشيخوخة و . . . فأجابها مبيّناً حالتها فعلاً وسالف زمانها ، وهاجياً إيّاها هجواً شديداً . ومبيّناً ما كان عليه سالفه وحاليه ، مفتخراً بنفسه عريضاً .

وطَيْسَلَه : وزان فَيْعَلَه من الطَسْل ، وهو يرد على معانٍ : الماء القليل الجاري على وجه الأرض ، أو ضوء السَّراب ، أو اسم علم .

الشاهد فيه : استعمال الهُزء بمعنى السخرية .

انظر : الأصمعيات : ٢٣٤ ت٩٠ ، تفسير جامع البيان ١ : ٢٦٧ ، أمالي القالي ٢ : ٢٨٤ ، سمط اللآلي : ٩٣٠ معجم الأُدباء ٧ : ٢١٩ ضمن ترجمة ٢٩٦ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٧٣٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ٤٣٥ .

(٢) وردت في سورتي الحجر ١٥ : ٥٧ ـ ٥٨ ، الذاريات ٥١ : ٣١ : ٣٢ .

ولم يقل: فقالوا، ولو قيل: بالفاء لكان حسَناً. ولو كان ذلك على كلمة واحدة لم تسقط منه الفاء، ألا ترى أنّك إذا قلت: قمتُ ففعلتُ، لم يجز إسقاط الفاء؛ لأنّها عطف لا استفهام يُوقف عليه.

فقال موسى حينئذٍ: **﴿أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ﴾** يعني السّفهاء من الذين يروون على الله الكذب والباطل.

وكان السّبب في أمر موسى لقومه بذبح البقرة ما ذكره المفسّرون: إنّ رجلاً من بني إسرائيل كان غنيّاً ولم يكن له ولد وكان له قريب يرثه ـ قيل: إنّه أخوه، وقيل: إنّه ابن أَخيه، وقيل: ابن عمه ـ واستبطأ موته، فقتله سرّاً وألقاه في موضع بعض الأسباط، وادّعى قتله على أحدهم، فاحتكموا إلى موسى، فسأل من عنده من ذلك علم؟ فقالوا: أنْت نبيّ اللهِ وأنت أعلم منّا، فقال: **﴿إِنَّ ٱللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾** فلمّا سمعوا ذلك منه ـ وليس في ظاهره جواب عمّا سألوا عنه ـ **﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾**؛ لأنّ الخروج عن جواب السّائل المسترشد إلى الهزءِ جَهل[1].

قال بعضهم: وإنّما أُمروا بذبح البقرة دون غيرها؛ لأنّها من جنس ما عبدوه من العِجْل؛ ليهون عليهم ما كانوا يرونه من تعظيمهم، وليُعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته.

والبقرةُ: اسم للأنثى، والثّور: للذَّكر، مثل: ناقةٍ وجمل، وامرأة ورجُل، فيكون تأنيثه بغير لفظه.

---

(١) تفسير النكت والعيون ١٠ : ١٣٧، تأويلات أهل السّنة ١ : ١٦٨، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ٩١.

والبقرةُ[١] مشتقّ من الشَّقّ، يقولون: بَقَرَ بَطْنَهُ إذا شقَّه؛ لأنّـها تَشُـقّ الأرض في الحرث[٢].

قوله تعالى:

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ آية (٦٨) آيـة واحدة بلا خلاف.

الفارِضُ: الكبيرةُ المُسِنَّة، وبه قال الجمهور[٣]، يقال منه: فَـرَضَتْ البقـرةُ تَفْرِضُ فَرُوضاً، وَفَرُضَتْ تَـفْرُضُ فَـراضَـةً، يـعني: أَسَنَّتْ، قـال الشاعر:

لَعَمْري لَقَدْ أَعْطَيْتَ جارَكَ فـارِضاً   تُساقُ إليهِ ما تَقُومُ عـلى رِجْـلِ[٤] [٢٩٥]

---

(١) كذا في النّسخ، ولعلّه «والبَقْر» من دون التاء؛ لاتّفاق مصادر اللّغة على ذلك، أي البَقْرُ: هو الشّقّ والفتح. انظر مصادر الهامش الآتي.

(٢) مادة «بَقَرَ» تجدها في: العين ٥: ١٥٨، جمهرة اللّغة ١: ٣٢٢، تهذيب اللّغة ٩: ١٣٥، مفردات ألفاظ القرآن: ١٣٨، المحيط في اللّغة ٥: ٤١١، المحكم والمحيط الأعظم ٦: ٣٩٥، الصحاح ٢: ٥٩٤، لسان العرب ٤: ٧٣، تاج العروس ٦: ٤.

(٣) لعلّه إشارة إلىٰ ما ذهب إليه جمهور المفسِّرين أمثال: مجاهد، ابن عباس، أبـو العالية، قَتادة، السُّديّ، ابن زيد على ما حكاه عنهم الطبري في جامعه ١: ٢٦٧ - ٢٦٨، وابن عطيّة الأندلسي في تفسير المحرّر الوجيز ١: ٢٥٦، وابن أبي حـاتم الرازيّ في تفسير القرآن العـظيم ١: ١٣٧ ت٦٩٤، والثعلبيّ فـي تـفسير الكشـف والبيان ١: ٢١٦، والطبرانيّ في التفسير الكبير ١: ١٨٦، وغيرها.

(٤) اختلفت المصادر في عزوه بين خُفاف بن نَدبة وعلقمة بـن عـوف. ولكـلّ ذهب جمع، والأغلب على الترديد أو عدم النسبة.

المعنى: الشاعر يصف هدية أحدهم لجاره قـائلاً: إنّ الحيوان الذي أعـطيته ⟵

وقيل : إنّ الفارِضَ : التي قد ولدت بطوناً كثيرة فيتّسع لذلك جوفها ؛ لأنّ معنى الفارِض في اللّغة : الواسعُ ، وهو قول بعض المتأخرين[1] ، واستشهد بقول الراجز :

[٢٩٦]

يارُبَّ ذِي ضِغْنٍ عَلَيَّ فارِضِ
لَـهُ قُرُوءٌ كَقُـرُوءِ الحائضِ[2]

ومنه قول الآخر :

ـ أهديته ـ جارك لكبره وضعفه لا يتمكّن من الوقوف على قدميه ، بل لابدّ من سوقه أو جرّه أو سحبه إليه .

الشاهد : استعمال فارض وإرادة الكبيرة المسنّة ، وهو شاهد كلّ من ذكر البيت .

انظر : ديوان خُفاف : ١٢٣ وهو بيت مفرد برقم ٣٨ ، وسؤالات نافع إلى عبدالله ابن عباس (غريب القرآن) : ١٦٢ ت١٣٢ الأضداد لابن الأنباري : ٣٧٦ ت٢٨٣ وأضاف إليه آخر ، وهو :

ولم تُعْطِهِ بِكْراً فَيَرضى سَمِينَةً ... فَكَيْفَ يُجازى بالعطيّةِ وَالبَذْلِ

تفسير البحر المحيط ١ : ٢٤٨ ، تفسير الكشاف ١ : ٢٨٧ وغيرها .

(١) مع متابعة المصادر لم نعثر على قائل به ، ولا من أشار إلى الاستعمال . نعم ، ذكره الماوردي في النكت والعيون ١ : ١٣٨ بنحو ما حكاه الشيخ المصنِّف . ولعلّه لقائل من الذين ذهبت مصنّفاتهم فعلاً ذهاب أمس الغابر ؛ نتيجة ما دهم المكتبات من كوارث ، وما أكثرها .

(٢) هكذا ورد الرجز في النسخ . وأمّا في المصادر فباختلاف ـ لا أثر على الشاهد فيه ـ وزيادة شطر ثالث . ونسب الرجز لدى بعض إلى ثمامة .

المعنى : ربّ شخص له حقد عليَّ وضغن كبير ، له أوقات تهيج فيها عداوته وبغضاؤه كما يهيج دم الحائض في مواعيدها .

الشاهد : استعمال فارض وإرادة الكبير منه .

انظر : تفسير الكشف والبيان ١ : ٢١٦٠ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٥٦ ، مجالس ثعلب ١ : ٣٠١ ، الحيوان للجاحظ ٦ : ٦٦ ـ ٦٧ ، الغريبين للهرويّ ٥ : ١٤٣٣ ، أساس البلاغة ٢ : ١٩٦ ، المعاني الكبير للدينوري ٢ : ٨٥٠ القرطين : ٤٤ ، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٥٢ ت٦٨ ، ديوان الأدب ١ : ٣٥٣ ، وغيرها .

هَذْلاءُ كَالوَطْبِ تِجاهُ المَاخِضُ
لَـهُ رِجَـاجٌ وَلَهـاةٌ فـارِضُ[1] [٢٩٧]

ويقال : لحية فارِضة إذا كانت عظيمة ، قال الشاعر :

شَيَّبَ أَصْداغِي فَرَأسِي أبْيَضُ [٢٩٨]
مَحامِلٌ فِيها رِجالٌ فُرَّضُ[2]

أي : ذو أسنان .

وقال الجُبائي ، الفارِضُ : التـي لم تـلد بـطوناً كـثيرة ، فـيتّسع لذلك بطنها .

قال الرّماني : وهذا غلط لا يُعرف[3] .

---

(١) الرجز هذا نسب للراجز الإسلاميّ أبو محمّد الفقْعَسِيُّ ، عبدالله بن ربعي الخَذْلَميّ .
وترتيبه مطابق للنسخ المخطوطة ، وفي المصادر بتقديم وتأخير واختلاف في بعض الكلمات له أثر على حركة ومعنى المفردات والمعنى العام .
المعنى : يصف سير امرأة سمينة بأنّها حدلاء ممتلئة مثل قربة مملوءة لبناً تُحرّك بقوّة لإخراج الزُبدة ، وأنّ للهاتها الكبيرة ـ أي : لرَقَبتها ـ ارتجاج وحركةٌ .
الوَطْب : القِربة ، السِّقاء . الماخِضْ : المُحَرّك بشدّة . رِجاج : الاهتزاز القويّ .
انظر : جمهرة اللّغة ١ : ٥٠٥ ، الأضداد لابن الأنباريّ : ٣٧٦ ت٢٨٣ ، الأضداد لأبي الطيّب الحلبيّ : ٥٦٥ ، تهذيب اللّغة ١٠ : ٤٥٤ ، وغيرها .

(٢) نسب الرجز هذا لضبّ العدويّ ، ولرجل من فقيم ، ولم نتحققه ، وأضـاف بـعض محقّقي المصادر إليه ستة أبيات ، انـظر الصحاح ٣ : ١٠٩٨ ، المـحكم والمـحيط الأعظم ٨ : ١٨٥ ، أساس البلاغة ٢ : ١٩٥ ، تاج العروس ١٠ : ١٢٠ ، لسان العرب ٧ : ٢٠٤ ، «فَرَض» في الجميع ، وراجع أغلب مصادر الهامش الآتي .

(٣) اختلاف متشعّب في تفسير وضبط واشتقاق كلمة «فارض» فـي المـصادر ، حـتى عدّها بعضهم من الأضداد ، تتبعه مشكل ، فالإحالة خير ، انظر من مصادر التفسير : التفسير الكبير للطبرانيّ ١ : ١٨٦ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢١٦ ، تفسير القرآن

والبِكْر : الصّغيرة التي لم تحمل . والبِكْر : من إناث البهائم ، وبني آدم : ما لم يفتحله الفَحْل ، مكسورة الباء . والبَكر ، بفتح الباء : الفتيّ من الإبل[1] .

والعَوانُ : النَّصفُ التي قد ولدت بطناً أو بطنين[2] .

قال الفرّاء : يقال : من العَوانُ عَوَّنَتْ المرأةُ تَعْوِيناً[3] ، بالفتح والتشديد . وَعَوَّنَتْ : إذا بلغتْ ثلاثين سنة[4] .

وقال أبو عبيدة : إنّما قال : ﴿**عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ**﴾ وَلَمْ يقل : بينهما ؛ لأنّه

العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٣٧ ت٦٩٤ ، تفسير القرآن للسمعانيّ ١ : ٩٢ ، تفسير غريب القرآن في شعر العرب (سؤالات نافع إلى ابن عباس) : ١٣٢ ، غريب القرآن لابن قتيبة : ٥٢ ت٦٨ ، غريب القرآن للشهيد زيد بن عليّ : ١٣٠ ت٦٨ ، غريب القرآن لابن الملقّن : ٥٦ ت٦٩ ، غريب القرآن وتفسيره لليزيديّ : ٧٢ ت٦٨ ، معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج ١ : ١٥٠ ، مجاز القرآن ١ : ٤٣ .

ومن مصادر اللّغة : الأضداد لابن الأنباريّ : ٣٧٦ ت٢٨٣ ، الأضداد للحلبيّ : ٥٦٤ ، العين ٧ : ٢٨ ، تهذيب اللّغة ١٢ : ١٣ ، المحيط في اللّغة ٨ : ٧ ، الصحاح ٣ : ١٠٩٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ٨ : ١٨٤ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٦٣٠ ، أساس البلاغة ٢ : ١٩٥ ، الغريبين للهرويّ ٥ : ١٤٣٣ ، لسان العرب ٧ : ٢٠٢ ، تاج العروس ١٠ : ١١٨ .

(١) مادة «بَكَرَ» ومعانيها تجدها في : العين ٥ : ٣٦٤ ، جمهرة اللّغة ١ : ٣٢٥ ، تهذيب اللّغة ١ : ٢٢٢ ، المحيط في اللّغة ٦ : ٢٥٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ٧ : ١٧ ، الصحاح ٢ : ٥٩٥ ، مفردات ألفاظ القرآن : ١٤٠ ، إصلاح المنطق : ٢٣ ، لسان العرب ٤ : ٧٦ ، تاج العروس ٦ : ١٠٨ .

(٢) «عوان» لغةً تجدها في المصادر التالية : العين ٢ : ٢٥٣ ، جمهرة اللّغة ٢ : ٩٥٥ ، المحيط في اللّغة ٢ : ١٥٩ ، المحكم والمحيط الأعظم ٢ : ٣٦٨ ، الصحاح ٦ : ٢١٦٨ ، لسان العرب ١٣ : ٢٩٨ ، تاج العروس ١٨ : ٣٩٥ ، وفي الجميع «عَوَنَ» ، إلّا تهذيب اللّغة ٣ : ٢٠٢ ففيه «عان» .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ١ : ٤٤ . وانظر : مجمع الأمثال ١ : ٢٩ ت٤١ ، المذكر والمؤنّث ١ : ٤٨٥ .

(٤) لم نجد التحديد بها فيما تقدّم من مصادر اللّغة ، إلّا أنّ أبي هلال العسكريّ أشار إليه في جمهرة الأمثال ٢ : ٣٨ ت١١٨١ .

أخرجه على لفظة واحدة على معنى: بين هذا الذي ذكرناه. قال رُؤبة في صفة العِير:

[٢٩٩]

فِيه خُطُوطٌ مِنْ سَوادٍ وبَلَقْ
كَأَنَّه في الجِلْدِ تَوْلِيعُ البَهَقْ (١)

قال أبو عبيدة: فقلت لرؤبة: إن أردت الخطوط فقل: كأنـها، وإن أردتَ السواد والبهق فقل: كأنّهما، فقال: كأن ذلك وذاك (٢).

قال الفرّاء: إنّما يصحّ أنْ يكنّى عن الاثنين بقولهم: «ذاك» في الفعلين خاصّة، ولا يجوز في الاسمين؛ ألا ترى أنّهم يقولون: إقبالك وإدبارك يشقّ عليَّ؛ لأنّهما مشتقّان من فعل. ولم يقولوا: أخوك وأبوك يـزورني حتّى تقول: يزوراني (٣).

وقال الزجّاج: تقول: ظننت زيداً قائماً، فيقول القائل: ظننتُ ذلك،

---

(١) الرجز لرؤبة بن الحجّاج في ديوانه: ١٠٤ ق ٤٠ ب٢١.
المعنى: اختُلِفَ في عائد الضمير في أوّل البيت بين: الحيوان ـ الجمل، الحمار ـ المفازه؛ لعنوان القصيدة بها، وعلى كلٍّ: فالبَلَق: سوادٌ وبياض. التوليع: استطالة البلق. البهق: بياض خلاف لون الجسد.
يقول: إنّ في موصوفه خطوطاً سوداء غامقة، وأُخرى يخالطها بياض.
الشاهد فيه: استعماله الضمير المفرد وإرادة الاثنين منه على معنى أنّهما واحد.
هذا، وقد اختلف في ضبط الضميرين: الأوّل بين المثبت و«فيها»، والثاني ـ كأنّه ـ بين المثبت وكأنّها، على أنّ المثبت فيهما مطابق للنسخ، وإن خالف الديوان.
انظر: مجاز القرآن ١: ٤٣، مجالس ثعلب ٢: ٣٧٥، ديوان المعاني للعسكري ٢: ١٣٠، خزانة الأدب ١: ٨٨ ضمن الشاهد «٥»، التنبيه على أوهام أبي علي: ٢٩، شرح أبيات مغني اللبيب للبغداديّ ٤: ٢٥٣.
(٢) انظر: مجاز القرآن ١: ٤٣، مجالس ثعلب ٢: ٣٧٥، خزانة الأدب للبغدادي ١: ٨٩.
(٣) ذهب إلى ذلك في كتابه معاني القرآن ١: ٤٥.

وذاك[١].

وقال الشاعر في صفة العوان:

خَـرَجْنَ عَـلَيْهِ بَيْنَ بِكْرٍ غـريرةٍ وَبَـيْنَ عَـوانٍ بـالغَمامَةِ نـاصِفِ[٢] [٣٠٠]

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: يعني بين الصّغيرة والكبيرة، وهو أقوى ما يكون من البقر وأحسَنَه.

وقال الأخطل:

ومـا بـمَكّةَ مِـنْ شَمْطٍ مُحلَّقَةٍ وما بيَثْرِبَ مِنْ عُونٍ وأبْكَارِ[٣] [٣٠١]

ويقال: بقرةٌ عوانٌ، وبقرٌ عُون.

قال الأخفش: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١ : ١٥٠.

(٢) البيت: ١٤ قصيدة ٣٦ في الديوان: ١٢٤. للشاعر الإسلامي هَدْبَةَ بن الخَشْرَمْ قالها في السجن بعد قتله لابن عمّه زيادةَ بن زيد، وذكرها ابن ميمون في منتهى الطلب ٨ : ٢١٤ ت ٤٤٠ ب ١٥. وبين المصادر والمثبت ـ من الأُصول ـ اختلاف لا يخلّ.
المعنى: البِكر: الجارية التي لم تُفْتَض. الغريرة: من النّساء الشّابة الحديثة السّن التي لم تجرّب الحياة بعد. العوان: المرأة الثيّب. الغمامة: السّحابة. النّاصف: المرأة التي في منتصف عمرها.
يصف مجموعة من الجواري خرجن على جماعتهم.
الشاهد فيه: ما أشار إليه الشيخ ﷺ من وصف العوان بالنّاصف.

(٣) البيت من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية عندما منع قطع لسانه؛ لهجوه الأنصار في قصّة مذكورة.
المعنى: الشمط: جمع أشمط وشمطاء، وهي التي اختلط سواد شعرها ببياضه. العون: المرأة في منتصف السّن كان لها زوج.
الشاهد: استعمال العون لما تقدّم من معنى.
انظر: الديوان: ١١٩، وفيه: وما بزمزم، جمهرة أشعار العرب ٢ : ٩٠٩، ب٤٦ من ق ٤٥، وقد عدّت من المَلحَمات؛ لبلوغ أبياتها ٥٠ بيتاً.

النّفي؛ لأنَّ هذه صفة في المعنى للبقرة، والنفي المنصوب لا يكون صفةً من صِفَتها؛ إنّما هو اسمٌ مبتدأ وخبره مضمرٌ. وهذا مثل قولك: عبدالله لا قائمٌ ولا قاعدٌ، أَدخلت «لا» للمعنى وتركت الإعراب على حاله، لو لم يكن فيه «لا»[1].

ثمّ قال: ﴿عَوَانٌ﴾ فرفع على الابتداء، كأنّه قال: هي عوانٌ. ويقال أيضاً: عوانة، وقال الأعشى:

بِكُمَيْتٍ عَرْفَاءَ مُجْمَرَةِ ٱلْخُـ ... ـفِّ غَزَتْهَا عَوَانَةٌ وَفِتَاقُ[2] [٣٠٢]

قوله عزّ اسمُه:

﴿قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾ آية ﴿٦٩﴾ آية بلا خلاف.

﴿لَوْنُهَا﴾ رفع؛ لأنّ «ما» ليست زائدة، بل هي بمعنى أيّ، كأنّهم قالوا: أيُّ شيءٍ لونها؟

وقوله: ﴿يُبَيِّنْ﴾ جَزْمٌ؛ لأنّه جواب للأمر بغير فاء.

---

(١) معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٧٩.

(٢) من قصيدة قالها الأعشىٰ وهو بنجران، متشوّقاً لقومه، ومفتخراً بهم.

المعنى: الكُمَيْت: الناقة الحمراء الضاربة للسواد. عَرْفاءَ: ذات سَنام عالٍ كالعُرف فوق ظهرها. المُجْمَرَةِ: الصّلبة والقويّة الخُفّ. عوانة، فتاق: من مياه العرب المحاطة بالعشب والخضار.

المعنى: يقول الشّاعر: إنّي ولشدّة شوقي لقومي ووطني، أسير إليهم على ناقة كُميْت، ذاتُ سَنام عالٍ، قويّةُ الخفّ؛ نظراً لرعيها في منطقة عوانة وفِتاق الغنيّة بالمرعىٰ.

انظر: الديوان: ق ٣٢ ب٢٣ : ٢٥٩.

ومعنى الآية: إنّ قوم موسى قالوا: يا موسى، اُدع لنا ربَّكَ يبيّن لنا ما لون البقرة التي أُمرنا بذبحها.

وأمّا قوله: ﴿صَفْرَآءُ﴾ فقال الحسن: المراد به سوداء شديدة السّواد[1]. كما تقول العرب: ناقة صفراء، أي: سوداءٌ، قال الشاعر:

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي ... هُنَّ صُفْرٌ أولادها كالزَّبِيبِ[2] [٣٠٣]

يعني: ركابي هُنَّ سُودٌ. غير أنّ هذا وإنْ وُصِفت به الإبل فليس ممّا

---

(١) انظر: تفسير الحسن البصري «جمع د. كمال» ١: ١٠١. والحظ: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١: ١٣٩ ت ٧٠٩، تفسير بحر العلوم ١: ١٢٨، تأويلات أهل السنّة ١: ٦٣.

هذا، ولم ينفرّد الحسن به، بل مال إليه جمع بفارق ذكر الشِّدّة وعدمها، راجع: تفسير زيد بن عليّ: ١٣٠ ت٦٩ وهامش ٦ منه، مجاز القرآن ١: ٤٤ و٢: ٢٨١، غريب القرآن لليزيدي: ٧٣ ت٦٩، غريب القرآن لابن الملقّن: ٥٧ ت٧٠، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ٣٢١، غريب القرآن للسجستاني: ١٧٢ و٢٣٨، معاني القرآن للفرّاء ٣: ٢٢٥، القطع والائتناف للنّحاس: ٧٠.

وهكذا جملة من مصادر اللّغة، منها: جمهرة اللّغة ٢: ٧٤٠، تهذيب اللّغة ١٢: ١٦٧ مفردات ألفاظ القرآن: ٤٧٨، المحيط في اللّغة ٨: ١٣١، المحكم والمحيط الأعظم ٨: ٣٠٥، لسان العرب ٤: ٤٦٠، تاج العروس ٧: ٩٥ «صَفَر».

وهناك من عدّها ـ صفراء ـ من الأضداد انظر: الأضداد للتوزي: ١٠٨، وللمنشئ: ١٥٠ وهما ضمن ثلاثة نصوص في الأضداد، الأضداد للأصمعيّ، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد: ١٠٢ ت١٣٩، وانظر المخصّص لابن سيده ١: ٤٥٤ «لون» فيه.

(٢) البيت ختام قصيدة للأعشى قالها في مدح قيس بن معديكرب.

المفردات: الرّكاب الإبل. صفر: سود.

المعنىٰ: يعبّر الشّاعر بهذا عن اعترافه بفضل وإحسان «قيس»، وأنّ ماالديه من خيل هو من عميم فضله عليه، وكذا إبله في لونها الأصفر الأدكن وقد تناثر من حولها أولادها بلون كالزبيب.

انظر: الديوان ق ٦٨ ب١٨: ٣٨٣، وأغلب المصادر اللّغويّة في الهامش «١» ذاكرة له.

توصف به البقر ؛ مع أنّ العرب لا تصف السّواد بالفقوع ، وإنّما تصفه بالشِّدة وبالحِلوكَةِ ونحوها ، تقول : أسودٌ حالِكٌ وحَائِكٌ وحُلكُوكٌ وغِرْبِيبٌ ودَجوجي ، ولا تقول : أسود فاقع[1] .

وقال أكثر المفسّرين : إنّها صفراء اللّون ، من الصّفرة المعروفة ، وهذا (لايحٌ)[2] ؛ لأنّه الظاهر ، ولأنّه قال : ﴿**فَاقِعٌ لَّوْنُهَا**﴾ وهو الصّافي ، ولا يوصف السّواد بذلك على ما بيّناه فأمّا أبيضٌ فيؤكّدون بأنّه ناصعٌ ، وأخضرُ ناضرٌ ، وأَصفرُ فاقعٌ[3] .

وقال سعيد بن جبير : المعنى في الآية : بقرةٌ صفراءُ القِرْن والظِّلْفِ[4] .

وقال مجاهد : صفراءُ اللّون كلّه[5] . وهو الظّاهر ؛ لأنّه قال : ﴿**صَفْرَآءُ**

---

(١) عُرِّف الفاقع في اللّغة : بأنّه المشَرَّب بالبياض أو النّاصع الصُّفرة خالصها ، أو : لأنّه صفة تأكيد ومبالغة في الحمرة والصفرة والبياض . ولذا ذهب الشيخ المصنّف ﷺ إلى عدم صحّة تأكيد الأسود بالفاقع .

انظر : القطع والائتناف : ٧٠ ، تهذيب اللّغة ١ : ٢٦٩ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٦٤٢ ، الصحاح ٣ : ١٢٥٩ ، المحيط في اللّغة ١ : ١٩١ ، المحكم والمحيط الأعظم ١ : ٢٣٦ ، لسان العرب ٨ : ٢٥٥ ، تاج العروس ١١ : ٣٤٨ ، «فَقَعَ» في الجميع .

(٢) كذا في النسخ المخطوطة «خ ، هـ ، ق» ، وفي غيرها والمطبوعات : «الصحيح» .

(٣) أشارت إلى ذلك جملة من المصادر ، منها : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٣٩ ت٧٠٨ ، تفسير مقاتل ١ : ١١٤ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٣٩ ، تفسير كتاب الله العزيز للهوّاريّ ١ : ١١٦ ، تفسير السمعانيّ ١ : ٩٢ ، تفسير بحر العلوم ١ : ١٢٨ . وغيرها كثير ، وانظر : ما تقدّم في هامش ١ صفحة ٤١٦ ، وزاد المسير ١ : ٩٧ .

(٤) ذكرت هذا أيضاً مجموعة من مصادر الهامش السابق بعضها بنسبته إليه ، والآخر بدونها ، وانظر : معاني القرآن للفرّاء ١ : ٤٨ ، تفسير الكشف والبيان ١ : ٢١٧ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٥٧ ، وغيرها .

(٥) وكما تقدّم ذكرته المصادر تارة منسوباً وأُخرى بدونها ، انظر : تفسير القرآن العظيم ←

﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ فوصف جميع اللّون بذلك .

وقال ابن عبّاس : أراد بذلك صفراء شديدة الصّفرة[١] .

وقال غيره : خالص .

وقال أبو العالية وقتادة : الصّافي[٢] .

وقوله : ﴿تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾ فالسّرور : ما يسرّ به القلب ، والفَرح : ما فَرحت به العين .

وقيل معناه : تعجب النّاظرين[٣] .

ومن القرّاء من اختار الوقف على قوله : ﴿صَفْرَآءُ﴾ .

والصحيح أنّ الوقف إنّما يجوز عند تمام النّعت كلّه ، وقال قوم : التمام عند قوله : ﴿فَاقِعٌ﴾[٤] .

ويقال : فَقَعَ لونها يُفَقِّع بالتّشديد وضمّ الياء ، ويَفْقَع بالتّخفيف وفتح الياء فقوعاً إذا خَلُصت صُفرته .

لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٣٩ ت٧٠٦ ، تفسير المحرّر الوجيز ١ : ٢٥٧ ، وبعض من مصادر الهامشين ٣ و٤ أعلاه .

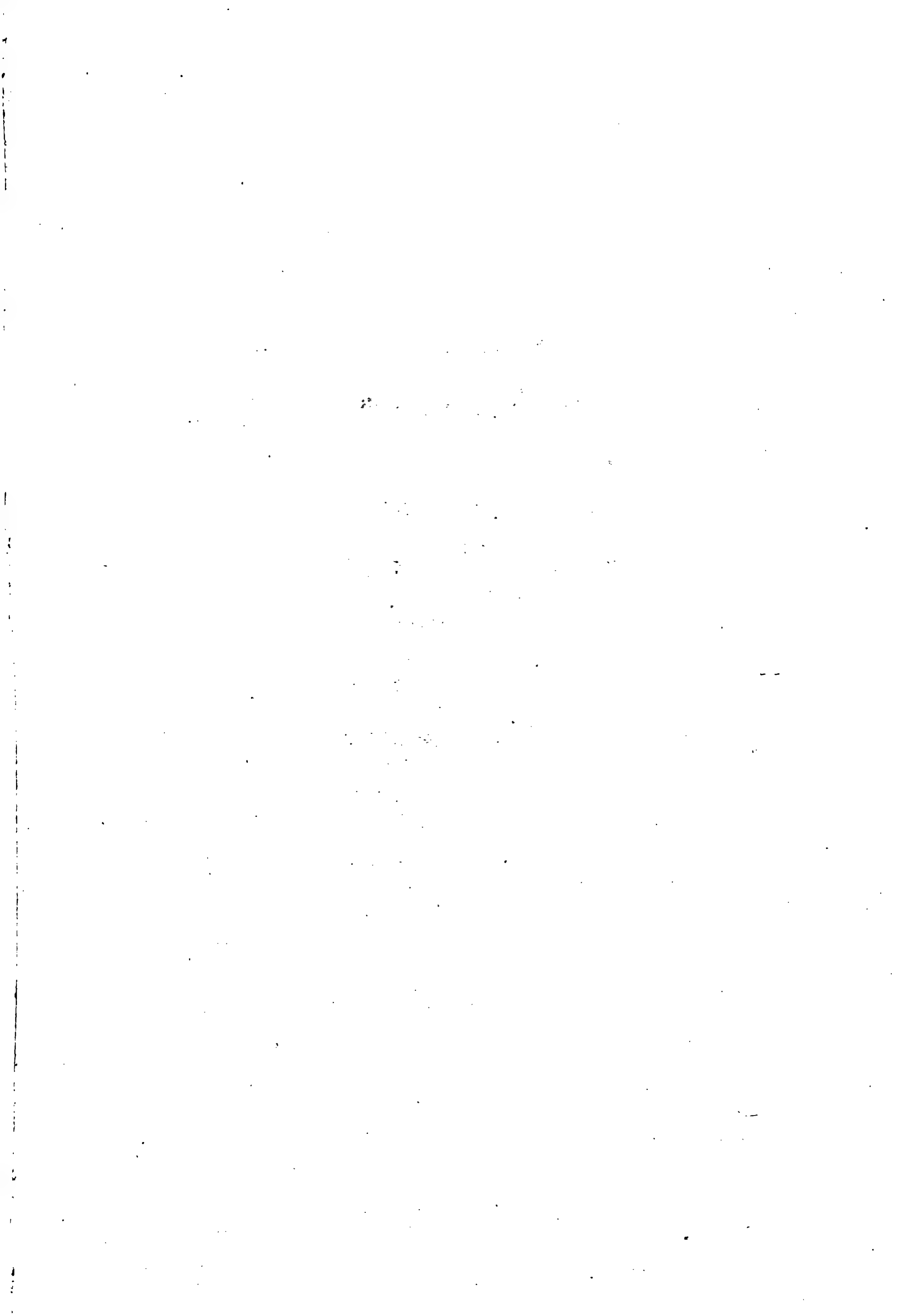
(١) غريب القرآن لابن عبّاس : ٢٦٢ ت٢٢٩ ، وأغلب مصادر الهوامش المتقدّمة : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ولعلّه في بعضها دون نسبة .

(٢) وكما تقدّم فقد ذكرت هذا أيضاً جملة من المصادر المتقدّمة في الهوامش السابقة منسوباً وغير منسوبٍ ، وانظر : تفسير جامع البيان ١ : ٢٧٤ ، معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٧٩ ، معاني القرآن للزّجّاج ١ : ١٥١ ، إيجاز البيان ١ : ١٠٥ ، أمالي المرتضى ٢ : ٤٠ .

(٣) تجد ذلك في المصادر التالية إضافة لقسم ممّا تقدّم : التفسير الكبير للطبرانيّ ١ : ١٨٧ ، تفسير النكت والعيون ١ : ١٤٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازيّ ١ : ١٤٠ ت٧١٦ ، تأويلات أهل السنّة ١ : ٦٣ ، معاني القرآن للزّجّاج ١ : ١٥٢ .

(٤) انظر : القطع والائتناف للنّحاس : ٧٠ ، علل الوقوف للسجاونديّ ١ : ٢٠٨ .

مَسْــرَدُ
الفهــارس الفنيّة



١ ـ الأحاديث

٢ ـ الأنبياء والأئمة عليهم السلام

٣ ـ الأعلام

---

* الأعلام المعلّمة مترجمة في هذا الجزء، والأُخرىٰ تقدمت.

الاسم	الصفحة
	٢٣٠، ٣٤٣، ٣٩٩، ٤١٢، ٤١٣
أبوعثمانالمازني (بكر بن محمد) ٣٥٤	
أبو عليّ الفارسيّ	٤٨، ٦٥، ٢٠٢، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٥٦، ٣٨٠، ٣٨١
أبو عمرو (بن العلاء)	٤١، ٢٨٤، ٢٩٥، ٤٠٥
أبو القاسم البلخي	٨٧
* أبو مسلم (محمّد بن بحر)	٨٥، ١٧٥، ٢٢٠، ٢٨٣، ٣٦٣
* أبو مهدي	١٠١
* أبو هاشم (عبدالسلامالبلخي)	٣٩، ١١٠
* أبو هريرة	١٠١، ٣٧١
أبو النجم (العجلي)	٢٨٩
* أحمد بن صالح	٤١
أحمد بن علي (أبو بكر (ابنالإخشيد)	٣٣، ٣٥، ٣٦، ٦٠، ٧٦، ١١٠، ١٢٤، ٢٧٥
أحمد بن يحيى (ثعلب)	٢٦٥، ٢٨٢
* الأحنف بن قيس	٢٣٩
* الأحوص	٢١٤
* أُحيحة بن الجُلّاح	٣٥٩
الأخشاذ	٢٣١
* الأخطل (غياث بن غوث)	١٥٣، ١٩٧، ٢٢٣، ٤١٤
الأخفش (سعيد بن مسعدة)	١٣٢، ١٤٣، ١٥٧، ١٧١، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٣٩، ٢٦٥، ٢٦٧، ٣١٩، ٤١٤
* الأزهريّ (محمد بن أحمد)	٣٥٩، ٣٦٢
اسحاق	٢٩٠
* إسماعيل (بن إسحاق الأزديّ) ٢٨٥	

الاسم	الصفحة
	٣٩٨، ٤١٣
* الزهريّ (محمد بن مسلم)	١١
زُهير بن أبي سُلمى	١٤٧، ٢٣٨، ٢٧٨، ٣٧٦
زهير الفرقبي الكسائي	٣٦٢
* الزّينبيّ (محمد بن موسىٰ)	٤٧
السامريّ	٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤
سجادة	٢٨٥، ٣٢٧
السُّديُّ	٨١، ٢٠٥، ٢٤١، ٣٠٥، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٢، ٤٠٣
سعيد بن جبير	٣٢، ٢٩٠، ٤١٧
سعيد بن المسيب	٩٢
سلامة بن جندل	٧٣
سلمان الفارسيّ (المحمديّ)	٣٨٦
سيبويه	٢٣، ٥٠، ٦٣، ١٠٣، ١٠٤، ١٣٩، ١٥٧، ٢٠٧، ٢٩٥، ٣٥٥، ٣٧٧، ٣٨١
شاعر غطفان	٢١٣
* شجاع (الخراسانيّ)	٣٢٧
صاحب العين (الخليل الفراهيدي)	٢٩، ٣٠، ٤٩، ٥٠، ٥٧، ٥٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٩، ١٣٣، ١٣٦، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٦، ١٨١، ١٨٧، ٢٠٤، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٨٦، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٨٢.
الضّحاك (بن مزاحم)	٢١، ١٨٦، ٣٩١، ٤٠٣، ٤٠٥
الطبريّ (محمد بن جرير)	٣٣، ٥١، ٦١، ٦٨، ١٨٠، ٢٦٥
طرفة (بن العبد)	١٧١

٤ ـ الشعر

أ ـ الأبيات الشعرية

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
		«بُ»		
صعابُ	أُمية بن أبي الصّلت	١٥٠	١٢	الوافر
المهربُ	الإمام عليّ عليه السلام	٢٨٢	٣٦٩	الكامل
لغريبُ	البرجميّ	٢٠٧	١٨٥	الطويل
مربوبُ	سلّامة بن جندل	١٧١	٧٣	البسيط
يصوبُ	علقمة الفحل أو غيره	١٤٩	١٢	الطويل
		«بَ»		
أغضبا	جرير	١٦٠	٤٣	الكامل
		«بِ»		
الظِّرابِ	بشر بن أبي حازم الأسديّ	١٩٧	١٦٥	الوافر
كالزبيبِ	الأعشىٰ الكبير	٣٠٣	٤١٦	الخفيف
الحواجبِ	ابن أُذينة الثقفيّ	٢٧٠	٣٥٠	الطويل
		«تِ»		
أزلّتِ	كُثيِّر عزّة	١٧٦	٩٠	الطويل
بالترُّهاتِ	سراقة البارقيّ	٢٥٤	٣٠٤	الوافر
		«جِ»		
للأزواج	ــــ	١٧٣	٧٧	المديد

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
		«جُ»		
تَعْتَلجُ	ـــــ	١٩٥	١٦٣	البسيط
		«حُ»		
الوقاحُ	سعد بن مالك	١٦٥	٦٣	مجزوء الكامل
والمِراحُ	=	=	=	=
رابحُ	كُثَيِّر عزّة	١٦٢	٥٦	الطويل
		«حِ»		
بالفلاحِ	حسّان بن ثابت	٢٤٢	٢٥٧	الوافر
بقرواحِ	عُبيد أو أوس	٢٢٨	٢٢٥	البسيط
		«دُ»		
سبدُ	الراعي النميريّ	١٧٢	٧٣	البسيط
يزيدُ	زهير بن علس	٢١٣	١٩١	الوافر
		«دَ»		
الشرُدا	عبدمناف الهُذليّ	١٤٦	٨	البسيط
أنكدا	ـــــ	١٤٨	١٠	الكامل
أسودا	أبو رعاية السلميّ	٢٨٥	٣٧٦	الطويل
أفودا	=	٢٨٦	٣٧٧	=
هَوّدا	=	=	=	=
به بُدّا	زائدة بن صعصعة الفقعسيّ	٢٩٢	٣٩٥	=

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
		«دِ»		
بفسادِ	الأسود بن يعفر	١٤٥	٧	الكامل
من العدد	لَبيد	١٧٩	١١٩	المديد
المسرّد	دُرَيْدُ بن الصمة	٢٠٩	١٨٩	الطويل
عَهْدِ	الحكم الأسديّ	٢٢٧	٢٢٤	الوافر
متهوِّدِ	زهير بن أبي سُلمى	٢٨٤	٣٧٦	الطويل
والفَنَدِ	لَبيد	١٧٩	١١٩	=
		«دْ»		
رغدْ	امرؤ القيس	١٧٤	٧٩	الرمل
		«رُ»		
ولا خبرُ	جرير	٢٥٣	٢٩٩	الطويل
تنكيرُ	عديّ بن زيد	٢٩٣	٤٠٤	=
		«رَ»		
وخورا	أُميّة بن أبي الصلت	٢٦٠	٣١٨	الخفيف
مزمورا	=	=	=	=
معمورا	=	=	٣١٨	=
جُوْارَا	أعشى قيس	٢٦٥	٣٣٣	المتقارب
		«رِ»		
وانتظاري	عدي العبادي	١٥١	١٣	الرمل
للنّاظِرِ	ـــــ	١٩٤	١٦٣	السريع

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
أجرِ	الأعشى (ميمون بن قيس)	١٦٧	٦٦	الطويل
الفاخرِ	=	١٥٥	٢٣	السريع
مصرِ	=	١٦٧	٦٦	الطويل
للحوافرِ	زيد الخيل	١٦٣	٥٧	=
عامرِ	الشنفرى	١٥٤	١٩	=
الدَّهْرِ	الأعشى (ميمون بن قيس)	١٦٧	٦٦	=
بن عامرٍ	ليلى الأخيلية	٢٨٠	٣٦٧	البسيط
وأبكار	الأخطل	٣٠١	٤١٤	=
أرض عامرِ	الراعي النميريّ	٢٢٤	٢١٨	الطويل
أبي بكرِ	الحطيئة أو آخرون	٢٣١	٢٢٩	=
الموسرِ	جميل بن معمر	٢٤١	٢٥٦	الكامل

«زُ»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
مكنوزُ	الهُذلي	٢٠٠	١٧٠	البسيط

«سُ»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
شامِسُ	ـــــ	٢٨٦	٣٧٧	الطويل
العيسُ	جران النميريّ أوالعجّاج	١٦٦	٦٤	السريع
أنيسُ	ـــــ	=	=	=

«سِ»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
المقدِّسِ	امرؤ القيس	١٥٧	٢٥	الطويل

«عُ»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
مصرعُ	أبو ذؤيب الهُذلي	١٨٠	١٢٦	الكامل

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
راكعُ	لبيد	١٩٩	١٦٦	الطويل
الخشعُ	جرير	٢٠٨	١٨٧	الكامل
شافعُ	النابغة	٢٢٢	٢١٤	الطويل
ويسمعُ	الأعلم السعدي	٢٥٥	٣٠٤	البسيط
شَفَعُوا	الأحوص	٢٢٣	٢١٤	المديد
		«عَ»		
مضطجعا	الأعشى	١٩١	١٦١	البسيط
نجعا	=	٢٥٩	٣١٨	الخفيف
بأنزعا	هدبة العُذري	٢٥٨	٣١٥	الطويل
سمعا	أوس بن حجر	٢١٢	١٩٠	المنسرح
		«عِ»		
جياعِ	أعرابي	١٨٣	١٤٤	الكامل
ونشفعِ	شاعر غطفان	٢٢٠	٢١٣	الطويل
بشفيعِ	الحطيئة	٢٢١	=	=
		«عْ»		
الجزعْ	سويد بن أبي كاهل	١٨٤	١٤٧	الرمل
		«فُ»		
مختلفُ	ابن الخطيم أو غيره	١٧٨	١١٥	المديد
تخلّفوا	امرؤ القيس	٢٨٩	٣٨٥	الطويل
		«فِ»		
تحنَّفِ	أبو الأخزر الحمّاني	١٦١	٥٥	الطويل

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
ناصفِ	هَدْبَةَ العُذريّ	٣٠٠	٤١٤	الطويل
	«قُ»			
وفتاقُ	الأعشى	٣٠٢	٤١٥	الخفيف
	«قِ»			
مَمْذُوقِ	كيسان الهُجَيْميّ	٢٧٣	٣٥٤	البسيط
مخراق	مختلف فيه	٢١٤	١٩٦	=
	«كُ»			
محتنكُ	عبدالرحمن بن حسان أو غيره	٢٠٦	١٨٤	البسيط
	«كَ»			
عليكا	ـــــ	١٥٩	٤٠	الوافر
هداكا	العباس بن مرداس	٢٧١	٣٥٣	الكامل
	«كِ»			
النواسكِ	ـــــ	٢٤٦	٢٨٦	البسيط
	«لُ»			
نائلُ	النابغة الذُبياني	١٩٣	١٦٢	الطويل
منسحلُ	أبو سعيد القطامي	٢٧٢	٣٥٣	البسيط
يبلُو	زهير بن أبي سُلمى	٢٣٦	٢٣٨	الطويل
والبصلُ	أُمية بن أبي الصلت	٢٧٨	٣٦١	البسيط
المنزلُ	الفرزدق	٢٧٩	٣٦٥	الكامل

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
		«لَ»		
إهلالا	جرير	١٥٦	٢٤	الكامل
فاشتعلا	الأخطل	١٨٨	١٥٣	البسيط
الأنفالا	=	٢٢٦	٢٢٣	الكامل
الأغلالا	=	٢١٥	١٩٧	=
معقولا	الراعي	٢٠٤	١٧٧	=
		«لِ»		
صالِ	الحارث بن عبّاد	١٩٢	١٦١	المديد
قائلِ	الراعي النميري	٢٢٥	٢١٨	الطويل
واغلِ	امرؤ القيس	٢٥١	٢٩٥	السريع
رجلِ	خفاف أو علقمة	٢٩٥	٤٠٩	الطويل
لم تقتلِ	حسان بن ثابت	٢٤٨	٢٨٩	الكامل
		«لْ»		
ما سألْ	لَبيد بن ربيعة	١٥٢	١٣	الرمل
		«مُ»		
عظيمُ	أبو الأسود الدؤلي أو غيره	١٩٠	١٥٧	الكامل
		«مَ»		
أينما	النمر بن تَوْلَب	١٤٧	١٠	المتقارب
دما	أُمية بن أبي الصلت	٢٤٥	٢٨٦	المديد
نعما	الطريح بن إسماعيل	٢٤٠	٢٥٦	الكامل

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
مرجّما	عميرة بن طارق	٢١٠	١٨٩	الطويل

«مِ»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
البراجمِ	شيبان بن جابر السلمي	١٧٠	٧٠	الطويل
الكلمِ	مرّار الفقسي	٢٦٨	٣٣٧	=
بالدمِ	بنت بهدل بن قرفة الطائي	٢٨١	٣٦٨	=
زراعة فومِ	أُحيحة بن الجلّاح	٢٧٦	٣٥٩	الكامل
نفي فومِ	أُمية بن أبي الصلت	٢٧٧	٣٦١	الخفيف

«نِ»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
رماني	عمر بن أحمر، أو غيره	١٧٧	١١٤	الطويل
بالحزونِ	الطِرمّاح الطائي	١٩٨	١٦٥	الوافر
يصطحبانِ	الفرزدق	٢٩١	٣٨٤	الطويل
بظنونِ	أبو دُؤَاد	٢١١	١٩٠	الخفيف
اليقينِ	المثقب العبدي، أو غيره	٢٣٧	٢٤٠	الوافر
بجلذانِ	أُمية الصغير	٢٣٨	٢٤٥	البسيط
عقالينِ	عمرو بن العدّاء الكلبي	٢٠٣	١٧٦	=
جمالينِ	=	=	=	=
تريانِ	أبو العباس	٢٠٥	١٨١	الطويل

«هَـ»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
حاديها	الطفيل الغنوي	١٨١	١٣٦	البسيط
وإمّا لَها	الخنساء	٢٣٠	٢٢٩	المتقارب

«هْـ»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
رفعه	الأَضبط بن قريع السعدي	١٩٦	١٦٤	المنسرح

ب ـ أنصاف الأبيات مرتبة على أوائلها

(أ)

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
أَبِيٍّ الضَّيْمِ ، مِنْ قَوْمٍ أُباةٍ	الطِرِمّاح الطائيّ	١٦٤	٥٨	الوافر
إذا اعْوَجَجْن قُلتُ صَاحِبْ قوِّمِ	ــــ	٢٥٠	٢٩٥	الرجز
إذا تُغرِّد فِيهِ القَيْنَةُ الفُضُلُ	الأعشى ميمون	٢١٦	١٩٩	البسيط
إنـمّا قـولُـكَ صـاب وذُبَحْ	=	٢٣٣	٢٣٦	الرمل

«ب»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
بِنَكبٍ مَعِرٍ دامِيَ الأَظَلّ	لَبِيدْ	٢٥٧	٣١٤	الرمل

«ت»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
تَدافُعَ الشَّيب ولم تِقِتّلِ	أبو النجم العجليّ	٢٤٩	٢٨٩	الرجز

«ص»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
صَبَوْتَ أبا ذِئبٍ وَأَنْتَ كَبِيرُ	أبو ذؤيب الهُذليّ	٢٨٨	٣٨٠	الكامل

«ع»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
على لَا حِبٍ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ	امرؤ القيس	١٨٦	١٥١	الطويل
عِظامُ المَقاري جَارُهُم لا يُفَزَّعُ	ــــ	٢٦٢	٣٣٠	=
على آثارِ مَنْ ذَهَبَ العَفاءُ	زهير بن أبي سُلمىٰ	٢٤٤	٢٧٨	الوافر

«ف»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
فإنّي مِنْ مَدْحِهِ هائدُ	ــــ	٢٨٣	٣٧٦	المتقارب

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة	البحر
في أَعْشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ	امرؤ القيس	٢٤٧	٢٨٨	الطويل
«ق»				
قد رَيْتُ منه عجباً من الكبرِ	ــــ	٢٥٢	٢٩٧	الرجز
«ك»				
كأنّ عَيْنَيَّ فِيها الصَّابُ مَذْبُوحُ	أبو ذؤيب الهذُليّ	٢٣٤	٢٣٦	البسيط
كجُلْمودِ صَخْر حَطَّهُ السَّيْلُ من عَلِ	امرؤ القيس	٢٦٦	٣٣٤	الطويل
كما انتفض السلواة بلَّله القطر	أبو صخر الهُذليّ	٢٦١	٣١٩	=
«ل»				
لها بعضاهِ الأرض تهزير	المتنخل الهذليّ	٢٧٥	٣٥٥	البسيط
«ن»				
نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيهِمْ فابْتَهَلْ	لَبيد بن ربيعة	٢٣٩	٢٥٢	الرمل
«و»				
واحْطُطْ إلهي بفَضْلٍ منكَ أوزاري	ــــ	٢٦٧	٣٣٤	البسيط
وعزَّت أَثْمُنُ البُدنِ	زهير بن أبي سُلمى	١٨٥	١٤٧	=
ولَهْوِي إلى حُورِ المدامعِ سُجَّدِ	الأعشى ميمون	٢٦٤	٣٣٢	الكامل
ولَيْلهم الأَلْيَلُ	الكميت	٢٤٣	٢٦٨	المتقارب
وَمَا شَيْءٌ حَمَيْتَ بِمسْتَبَاحِ	جرير	٢١٧	٢٠٣	الكامل
وَيُبِرُّونَ على الآبي المُبِرّ	طَرَفَة	٢٠٢	١٧١	الرمل

ج ـ الأرجاز

«أ»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة
انخسأ	ـــــ	٢٩٢	٤٠١

«ت»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة
الزِّلَّةِ	البرّاض النمريّ	١٧٥	٨٩
طيسلة	أبو سعيد الأصمعيّ	٢٩٦	٤٠٢

«ث»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة
عائثُ	رؤبة بن العجاج	٢٦٩	٣٥٠
مقاعثُ	=	=	=

«دَ»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة
تربّدا	عمر بن سالم الخزاعيّ	٢٣٢	٢٣١

«رَ»

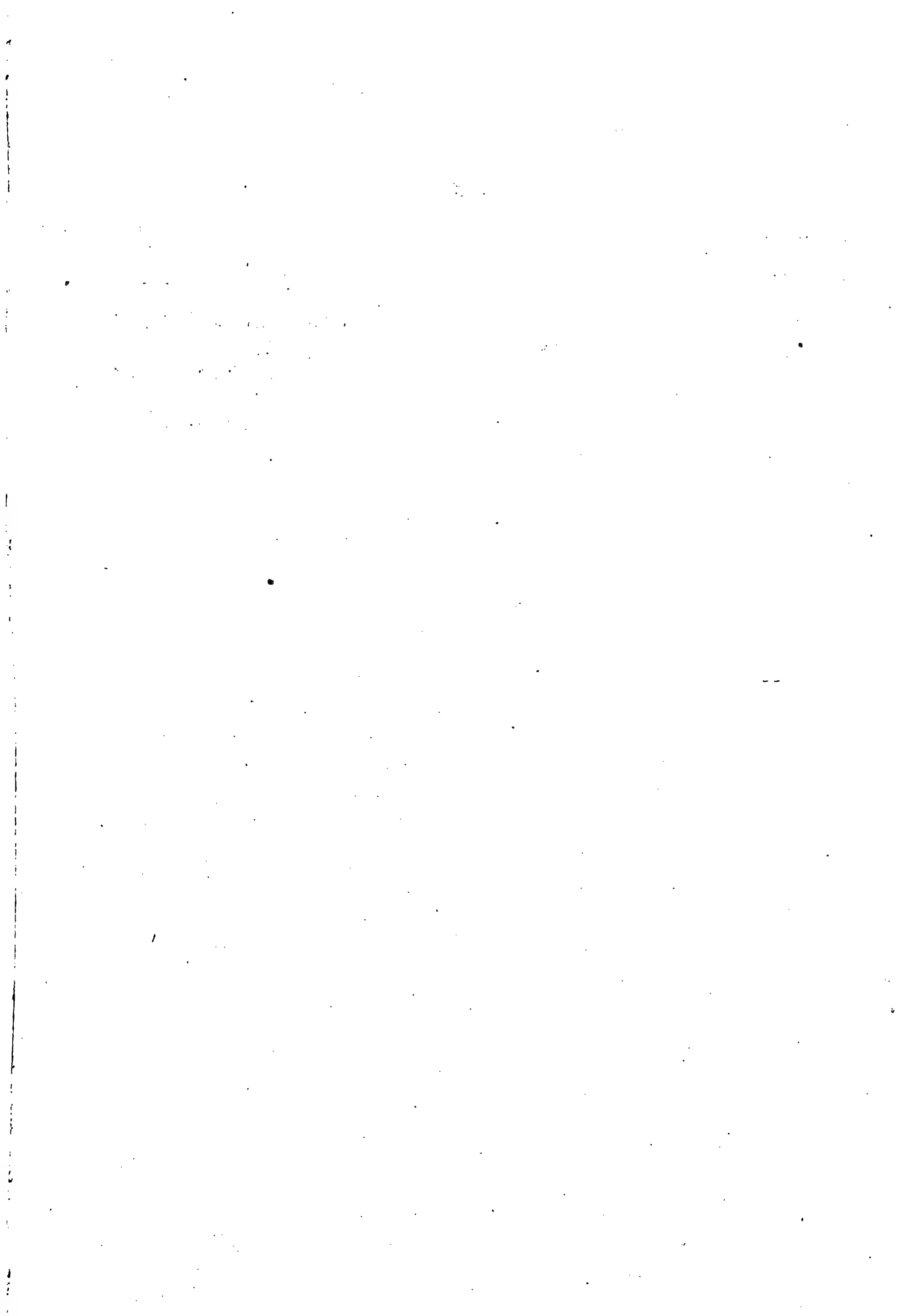
القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة
أنصارا	ـــــ	٢٨٧	٣٧٨
الإزارا	ـــــ	=	=
جارا	ـــــ	=	=

«رْ»

القافية	الشاعر	التسلسل	الصفحة
فمرْ	العجاج	٢٩٠	٣٩٠
كسرْ	=	=	=

٥ ـ الفرق والمذاهب والقبائل

٦ ـ الأمثال



٧ ـ فهرس الموضوعات

تكملة تفسير سورة البقرة

(*) تعدّد الأرقام؛ لتكرار البحث فيها، وعطف الشيخ المصنّف عليها غالباً.